

المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم

السياسات الثقافية في الصومال الكبير

(قرن إفريقيا)

١٨٨٧-١٩٨٦م

مع إشارة خاصة لقضايا التطور السياسي والتعليمي

د. حسن مكي محمد أحمد

شعبة البحوث والنشر
المركز الإسلامي الإفريقي
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

إصدارة رقم ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبة وسلم

السياسات الثقافية

فى

الصومال الكبير

«قرن إفريقيا»

١٨٨٧ - ١٩٨٦م

دكتور حسن مكى محمد أحمد

شعبة البحوث والنشر
المركز الإسلامى الإفريقى فى الخرطوم

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م

الطابعون :
دار المركز الإسلامى الإفريقى للطباعة
الخرطوم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما ينبغى لجلال وجهه وعظمة سلطانه والصلاة والسلام على رسوله الأمين، القائل تعلموا العلم من المهد إلى اللحد وأسأل الله سبحانه وتعالى، الا تكون هذه الدراسة، خاتمة مطاف فى مجال الدراسة والتعلم، بل بداية لمرحلة جديدة، تمثلا بقول الامام أحمد بن حنبل من المحبرة الى المقبرة.

وان تعذر إيفاء اساتذتنا الكرام، الذين إجتهدوا فى تنويرنا وتعليمنا خلال مختلف المراحل الدراسية حقهم فعلى الأقل يجدر الاشارة الى جهود بعضهم وأخص بالذكر هنا أساتذتنا د. يوسف فضل حسن ود. سيد حامد حريز والأستاذ محمد عمر بشير.

وفى الختام لايسعنى الا ان اشيد بدور المركز الإسلامى الإفريقي صاحب التكليف الأصلى باجراء هذه الدراسة وهى جز هام من تكليف متابعة حركة الثقافة والتعليم فى إفريقيا وكذلك الشكر والعرفان موصول لبقية أسرة المركز الإسلامى الكريمة واسرة معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية.

والسلام

حسن مكى

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فاتحة الدراسة

السياسات الثقافية فى الصومال الكبير ١٨٨٧/ ١٩٨٦م
مع اشارة خاصة لقضايا الدين واللغة والتعليم

الثقافة تشمل كل المعارف الإنسانية التى تشكل العقل والوجدان والإرادة وتعنى هذه الدراسة باستقصاء خصائص الثقافة الصومالية الأساسية المتمثلة فى التدين واللغة وما تحويه من تراث مكتوب وغير مكتوب والعادات الإجتماعية والتقاليد وأثر السياسات الثقافية الوافدة فى الفترة (١٨٨٧ - ١٩٨٦) على هذه الخصائص الثقافية، بابعادها الفكرية والسياسية والإجتماعية والتعليمية. والمقصود بالسياسات الثقافية جملة الأهداف والخطط والإستراتيجيات والوسائل، التى أسهمت فى صياغة الذهنية الصومالية المعاصرة وشكلتها نفسياً وحضارياً. وقد عنى ذلك التعرض لنمط المعارف والمناهج والنظم فى الدين واللغة والسياسة والتعليم والتى سادت فى فترة ما قبل التفاعل الثقافى وليد الظرف الاستعمارى، وكذلك عنى ذلك دراسة المعارف والمناهج والنظم والوسائل التى استحدثها الاستعمار ثم الحكومات الصومالية الوطنية فى محاولة لمعرفة مردود هذا التفاعل الثقافي والسياسي على المجموعة الصومالية على امتداد ما يعرف بالصومال الكبير، من خلال رؤية تاريخية سياسية تحليلية.

وحسب هذا التعريف، فهذه الدراسة دراسة سياسية، من حيث أنها رؤية ثقافية فى كيفية اسهام القرار السياسى فى صنع نمط ثقافى من خلال تسلسل تاريخى وكيفية استجابة النمط الثقافي القديم للقرار السياسي وأثر ذلك على الحركة السياسية ونظم الثقافة فى إطاريها الإجتماعى والإقتصادى. لذا فقد تطغى أحيانا على الدراسة روح الإستطراد السياسي. فى محاولة لتعقب حدث ثقافي ولفهم الحدث الثقافي فى إطاره السياسي، حتى لايتبعض الحدث الثقافي ولايجرد من ظرفه التاريخي ولا يفهم على أنه ظاهرة معزولة مستقلة عن العوامل السياسية والاقتصادية المحركة. ولايعنى هذا بالضرورة سبق القرار السياسي للحدث الثقافى ولا العكس، اذ العلاقة علاقة تفاعل وتشابك منذ فجر التاريخ.

وبهذا التعريف، فإن الثقافة هى حقيقة الأمة وذاكرتها ورحم الله الأستاذ مصطفى صادق الرافعى، الذى قال ليست حقيقة الأمة فى هذا الظاهر، الذى يبدو من شعب مجتمع محكوم

بقرآنه الخالص له من طبيعته، المقصور عليه فى تركيبه كعبير الشجرة لايرى عمله والشجرة كلها هى عمله . . . والخلق القوي الذي ينشئه للأمة كائنها الروحي . هو المبادي المنتزعة من أثـر الدين واللغة والعادات، وهو قانون نافذ يستمد قوته من نفسه إذ يفعل فى الحيز الباطن من وراء الشعور، متسلطاً على الفكر، مصرفا لبواعث النفس فهو وحده الذى يملأ الحى بنوع حياته، وهو طابع الزمن على الأمم وكأنه على التحقيق، وضع الأجداد علاماتهم الخاصة على ذريتهم . . . وبتلك الاصول العظيمة التى ينشئها الدين الصحيح القوي فى النفس يتهيأ النجـاح السياسي للشعب، المحـافظ عليه المنتصر له . . . وبـاللغـة والدين والعادات ينحصر الشعب في ذاته السامية بخصائصها ومقوماتها فلا يسهل انتزاعه منها ولا ابعاده من تاريخه .[1]

ويعنى بالصـومال الكبير الرقعة الجغرافية التى تعرف فى الوقت الحاضر بأنها جمهورية الصومال وجمهورية جيبوتى ومحافظتى هرر والأوجادين فى اثيوبيا بالأضافة إلى منطقة الحدود الشمالية فى كينيا وتعنى المجموعة الصومالية، الشعوب التى تسكن هذه الرقعة من الأرض ويعتـبر الصـومـاليون السكان الأساسيين بهذه الرقعة الجغرافية وتشاركهم فيها المجموعة العفرية ومجموعة الاورومو وتنطبق على الصوماليين كل خصائص الأمة بل العائلة الواحدة: وحدة الدين بل والمذهب الفقهى واللغة والعرق أو الجد المشترك ووحدة التجربة التاريخية بخصوصيتها ويتفق معهم الاورومو والعفر فى الدين والمذهب الفقهي والتجربةالتاريخية وإن احتفظوا بخصائصهم اللغوية والعرقية المتميزة .

وقع الاختيار على معاملة هذه المنطقة وشعبها باعتبارها وحدة واحدة للأسباب الآتية :ـ

١ـ التداخل السكانى بين قبائل وافراد هذه المنطقة إذ كان جلهم إلى وقت قريب رعاة بدواً . لايعرفون الحواجز السياسية والفواصل الجغرافية وكانت كل هذه المنطقة على اتساعها تمثل مجالا للحركة والتنقل.

٢ـ تنقل مركز الثقل السياسى والحضارى ـ أي العاصمة السياسية ـ لهذه المجموعات بين السواحل ـ زيلع ، بربره ، مقديشو ـوالدواخل ـ هرر جكجا ، ديرداوه .

٣ـ وحد الإسلام بين هذه المجموعات ودخلت فى تجارب تاريخية على أساس أنها مجموعة إسلامية مهددة من قبل نصارى الحبشة ـ سكان الهضبة ـ أو طامعة احياناً فى السيطرة على الهضبة ونشر الإسلام فيها .

ووقع الاختيار على هذه الفترة الزمنية الطويلة نسبيا ـ قرن كامل من الزمان ـ نظراً للآتى :ـ

١ـ مثل عام ١٨٨٧م فاصلة حضارية وذلك بمجىء السياسات الثقافية الجديدة . الاستعمار واطماعه ولغاته والإرساليات ودياناتها ومدارسها وتعليمها كما مثل العام بداية المجابهة بين

١/ مجلة الرسالة، لصاحبها أحمد حسن الزيات المجلد الرابع عدد ١٤٥ ـ ٢١ محرم ١٣ ابريل سنة ١٩٣٦ ص ٥٦١، ٥٦٢.

السياسات الوافدة ممثلة فى الجيوش آلاستعمارية واستجابة قبائل الصومال لهذه السياسات ممثلة فى جهاد السيد / محمد عبد الله الحسن.

٢- مثل عام ١٩٨٦ العام الذي تم فيه المسح الميدانى والدراسات الميدانية التى قام بها الباحث لمعرفة ميول واتجاهات وأفكار ونماذج القطاعات من الشعب الصومالى مختارة بصورة عشوائية لمعرفة آثار ونتائج هذه السياسات فى مجال اللغة والدين والسياسة والعادات والتقاليد.

٣- تشكل هذه الفترة نسيجا تاريخيا - ثقافيا متواصلا قد تضر تجزئته بالدراسة وايصالها لغاياتها.

٤- دراسة السياسات الثقافية لهذه الرقعة تتضمن دراسة أهم أنماط السياسات الثقافية فى إفريقيا، لأن الصومال الكبير بمثابة إفريقيا مصغرة، وخضع لمعظم السياسات الثقافية الأساسية التى تعرضت لها إفريقيا (انجليزية، فرنسية، ايطالية). وقد حاولت الدراسة التعرض لعناصر الاتفاق والانسجام بين هذه السياسات وكذلك اماكن الاختلاف ومواقع التناسق والتناسخ.

٥- تسهم الدراسة فى تسليط الضوء على أسباب العداوات والحزازات التقليدية بين دول شمال شرق إفريقيا الصومال اثيوبيا كينيا فى إطار تباين الثقافة والسياسة.

لاتطمع هذه الدراسة فى الإحاطة بقضايا المنطقة وتعقيداتها وتفصيلاتها ولكنها تحاول رصد المغزى والمعنى العام لحركة الثقافة بعمقها التاريخى ودلالاتها الهامة على حركة الحياة ومستقبل الثقافة والسياسة دون ان تستغرقها الجزئيات والتفاصيل.

تقع هذه الدراسة فى خمسة فصول وخاتمة بالإضافة إلى الملاحق من وثائق وخرط وقائمة المراجع والمصادر.

الفصل الاول عبارة عن مقدمة مختصرة فى جغرافية وتاريخ الصومال الكبير وتعريف المجموعات السكانية التى استوطنته وتعريف للسلطنات الإسلامية التى سادت ثم بادت وصراع هذه السلطنات وثقافاتها ومجابهاتها مع مملكة الحبشة المسيحية إلى أن توحدت تحت قيادة الامام احمد ابراهيم الجران (١٥٠١ - ١٥٠٢) والمجابهة التاريخية الهامة بأبعادها المختلفة والتى مازالت تلقى بظلالها على حركة الثقافة فى المنطقة بين جيوش الإمام أحمد إبراهيم ومملكة الحبشة وماتبع ذلك من مجىء للبرتغاليين لنجدة مملكة الحبشة ومن ثم مجىء القوى الخارجية الاخرى الدولة العثمانية، ودولة محمد على فى مصر - والقوى الاستعمارية الحديثة فى ايطاليا وبريطانيا وفرنسا ومجىء التبشير المسيحى مما أدى إلى اندلاع جهاد السيد/ محمد عبدالله حسن لمقاومة تقسيم الصومال إلى مناطق نفوذ ولمجابهة حركة التبشير المسيحى وكاستجابة لسقوط هرر وماجاورها من المناطق الإسلامية فى يد الإمبراطور منليك ملك اثيوبيا فى تفاهم مع القوى الإستعمارية وينتهى الفصل الاول بتقويم مختصر لحركة جهاد

السيد/ محمد عبد الحسن وكيف تقسمت القوى الاستعمارية فيما بينها ميراث السيد/ محمد عبد الحسن فى فترة مابين الحربين.

أما الفصل الثانى، فقد تركز على المكونات الثقافة للمجتمع الصومالى والاطار التاريخى والخلفية الاجتماعية ـ السياسية التى نمت فى ظلالها مكونات الثقافة الصومالية. حيث ورد تحليل مبسط لحركة الدعوة الإسلامية فى الصومال.وارتباط الدعوة الإسلامية فى مرحلة من مراحلها بالتصوف، ثم تعريف نوعية التصوف الصومالى وأهم الطرق الصوفية فى الصومال والتى عمادها الطريقة القادرية المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلانى، فالأحمدية وتفريعاتها، وهى الطريقة المنسوبة للشيخ أحمد بن ادريس الفاس ـ وكذلك تم استعراض مقومات الفكر الصوفى الصومالى وصراع السيد / محمد عبدالله حسن مع متصوفة زمانه. ثم استعرضنا الصلة مابين التصوف فى إفريقيا والفكر الغربي الوافد وثم اعطاء فكرة مختصرة فى خاتمة الفصل من المخطوطات الثقافية التى راجت فى الصومال فى باب القرآن وعلومه وباب التصوف وآدابه ثم التفسير والفقه واللغة العربية وعلومها مع مناقشة اراء المستشرقين كترمنجهام حول مدى قبول وتشبع أهل إفريقيا بالثقافة الاسلامية وقيمها.

ودار الحديث فى الفصل الثالث حول السياسات الثقافية فى الصومال الكبير، فى فترة ما بين الحربين وإلى بروز جمهورية الصومال كجمهورية متحدة مستقلة، باتحاد صومال الوصايا والمحمية فى ١ يوليو ١٩٦٠. وعمدت الدراسة هنا لدراسة السياسات الثقافية فى اطار تاريخى سياسى حتى تبرز الظاهرة حية متبلورة فتم استعراض تاريخ نشأة الاحزاب السياسية فى الصومال وجيبوتى ومحافظة هرر والأوجادين ومنطقة شمال كينيا وكذلك تاريخ التشريع والتطور العام لأوضاع السكان سياسيا ودستوريا وثقافيا واداريا وظهور الحركة السياسية الوطنية التى انتهت باستقلال الصومال وجيبوتى وتحليل لحركة القومية الصومالية فى ظرفها المعاصر، بشكلها ومحتواها التاريخى ثم مناقشة اثر الاجتياح الإيطالي لاثيوبيا فى عام ١٩٣٦ وآثار ذلك على حركة السياسة والثقافة فى الصومال وفى ختام الفصل تم استعراض آثار الصراع الاثيوبى الصومالى، والصراع الصومالى ـ الكينى على حركة الثقافة فى هذه المناطق.

أما الفصل الرابع، فقد احتوى على تحليل لأوضاع التعليم والتشريع فى جيبوتى وهرر والأوجادين ودور الإرساليات على وجه الخصوص فى منطقة شمال كينيا وكذلك تقييم لحركة كتابة اللغة الصومالية بالأبجدية اللاتينية وآثار ذلك على حركة الثقافة العربية الإسلامية فى الصومال. ناقشت الدراسة أوضاع اللغة العربية والمدارس القرآنية فى ظل السياسات الثقافية المعاصرة ـ الوطنية ـ كما تم تحليل نتائج الإستبيان التى اجريت وسط قطاعات عشوائية من الشباب فى مدن مقديشو وبيدّو وجيبوتى، وجاءت إفادة الاستبيان بأن المستقبل بالنسبة للغات ـ اذا ماسارت الامور على ماهي عليه ـ في صالح الانجليزية فالايطالية فى جمهورية الصومال وفى شمال كينيا لصالح الانجليزية وفى جيبوتى ما يزال الصراع دائرا بين

لغات خمس فرنسية ـ صومالية ـ عفرية ـ انجليزية، عربية وفى منطقة هرر والأوجادين يدور الصراع بين الأمهرية والعربية والانجليزية، اما اللغة العربية فما تزال تحافظ على مكانتها الشعبية لفهم الدين واداء الشعائر ولكنها أي اللغة الصومالية ـ خسرت مكانتها على امتداد الصومال فى مجالات الإدارة والتعليم ومن ثم الحضارة. وعليه فان قضية اللغة قضية حيوية مصيرية تطالع الدارس على امتداد الصومال وربما لاينقض جيل أو جيلان حتى يصبح التمزق الحادث وسط الصفوة. بسبب اللغة والمناهج الثقافية، الاساس الذى تقوم عليه الامة وقد اتضح من الدراسة انه قل أن تجد بين الصفوة الصومالية المتعلمة تعليما حديثا من يجيد معرفة اللغة العربية. إن لغة الصفوة فى جيبوتى اللغة الفرنسية والعفرية وفى شمال الصومال اللغة الانجليزية وفى جنوبه اللغة الايطالية وفى هرر والأوجادين اللغة الإنجليزية والأمهرية وفى شمال كينيا الإنجليزية ثم الصومالية.

وفى الفصل الخامس تمت مواصلة مناقشة التطورات الحادثة فى حركة الثقافة بابعادها الإجتماعية والسياسية فى جمهورية الصومال فى ظل الحكومات الوطنية واتضح من خلال تحليل أوضاع الصومال الثقافية افتقار الصومال لحركة ابداع فكرى أو ثقافي وأن هنالك ما يشبه الركود الثقافي والانحطاط الحضاري وان الثقافة المبثوثة من خلال الاجهزة الرسمية ودور السينما لاتخرج من دائرة الثقافة الترفيهية التى قوامها الأغانى والموسيقى والافلام وماشابه ذلك. كما ان حملات تقوية اللغة العربية التى تقف وراءها طابعها دعائى وعائدها ضئيل.

أما على المستوى الشعبى فقد ازدادت المدارس القرآنية والمساجد فى جمهورية الصومال أما فى هرر والأوجادين ونسبة لظروف الحرب والصراع السياسي فقد طغت قضية المحافظة على الحياة والتأقلم مع النظام السياسى على مسائل الثقافة وإن جاء الدستور الاثيوبى الجديد مستجيبا لبعض تطلعات المسلمين فى الأحوال الشخصية ونظام محاكم شرعية مستقلة، كما تم استعراض تطور التعليم فى جيبوتى وكذلك استعراض تطور الحركة السياسية التى قامت على القبلية السياسية (عفر ـ صومال) ثم انتهت إلى نظام الحزب والزعيم الواحد، بينما تبرز محاولات لكتابة اللغة العفرية بالحرف اللاتينى وسط ظروف صحوة الثقافة الاسلامية بين عامة الشعب.

وانتهت الخاتمة إلى أن أوضاع الثقافة السائدة حاليا ترشح الصومال الكبير لمزيد من القسمة والتفتت وان فرص توحيد الامة الصومالية لا تتراءى إلا فى ظل سياسات ثقافية جديدة تتجاوز السياسات التى ركزها المستعمرون وسار فى دربها الوطنيون إذ أن هذه السياسات عمدت فى محتواها على استلاب اللغة والدين والفكر والفن والسياسة.

دراسة فى المصادر والمراجع

ارتكز اعداد البحث على عدد من الوثائق والمصادرالاصلية، والمراجع سواء بالعربية أو الإنجليزية وكذلك الروايات الشفاهية والإستبيانات وقد تم ايراد حصر كامل بها فى نهاية البحث وربما كانت باللغة المختارة الواردة هنا تصلح لاعطاء فكرة عن أهم هذه المصادر والمراجع وهى :

– مصادر اللغة العربية وتشمل المصادر الاصلية كالمخطوطات والوثائق والمصنفات فى حقول الفقه والتصوف والتدين عامة والتى يرجع إليها خاصة الصوماليين وعامتهم.

– مقابلات ميدانية مع المثقفين والقادة الدينيين ونماذج مختارة عشوائيا من الصوماليين مواطنى الصومال (جزء من عملية المسح الميدانى).

– المعلومات المستقاة من تحليل الإستمارات - الإستبيانات الميدانية.

– مراجع باللغة العربية وتشمل الكتب والدراسات الحديثة منشورة وغير منشورة، كذلك الدوريات والمجلات والصحف ووثائق المؤتمرات وغيرها.

– المصادر باللغة الانجليزية وتشمل وثائق غير منشورة كوثائق وزارة المستعمرات ووزارة الخارجية البريطانية والمحفوظة بدار الوثائق البريطانية وكالموسوعات ودوائر المعارف وكتب الرحالة والمستكشفين.

– المراجع باللغة الانجليزية وتشمل الكتب الحديثة والدراسات العلمية منشورة والدوريات ووثائق المؤتمرات والصحف والمجلات.

ويمكن تفصيل ذلك كالآتى :-

مصادر باللغة العربية والمقصودة منها :-

– المخطوطات وامهات كتب الفقه والعقائد والتفسير والنصوص وغيرها من المصفات الصومالية وقد تم استعراض هذه المادة فى الفصل الثانى من الدراسة فى الصفحات ٥٤ - ٦١ تحت عنوان مصادر الفكر الصوفى فى الصومال وكذلك فى الصفحات ٧٠-٨٥ تحت عنوان العمق التاريخى للثقافة الاسلامية فى الصومال (المخطوطات)

وجميع هذه المادة من كتب تصوف واشعار ومخطوطات مكتوبة بالحرف العربى ومنها ما صنفه صوماليون كتصانيف الشيخ عبد الرحمن الزيلعى والشيخ عبد الرحمن القادرى والشيخ اويس محمد ومنها ماكان حظ الصوماليين فيها النسخ والتداول كما هو وارد فى المخطوطات القرآنية وامهات كتب الفقه والعقائد ومنها الكتب المنسوخة فى خارج الصومال ولايتجاوز حظ الصوماليين منها سوى الحفظ والتداول.

أما المصادر العربية المنشورة فاهمها كتاب عرب فقيه. تحفة الزمان أو فتوح الحبشة، تأليف شهاب الدين احمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الحيزانى الشهير بعرب فقيه. نشره مع مقدمة بالفرنسية رينية باسية وحققه فهيم محمد شلتوت القاهرة ١٩٧٤، ومع أن هذا الكتاب

يغطى مرحلة تاريخية، تقع خارج الإطار الزمني لهذا البحث إلا أن المعلومات الورادة فى هذا الكتاب كانت ضرورية فى بناء الخلفية التاريخية التى قامت عليها هذه الدراسة، كما كانت ضرورية لفهم الظروف والملابسات التى تحيط بالصراع الصومالي - الاثيوبى حتى وقتنا الحاضر والكتاب حلقة من حلقات التاريخ عن الاحداث التى جرت على أرض الصومال والتى تمثل الجهاد من أجل العقيدة وضمان الحياة الحرة وتحرير الارض. بدأ المؤلف - الذى هو شاهد عيان لهذه الاحداث - روايته بعرض تفصيلى لتاريخ مسلمي هرر منذ منتصف القرن التاسع الهجري إلى أن انتهت باستعراض حروب الإمام أحمد إبراهيم الجران التى امتدت طيلة فترة ١٥٣٣-١٥٤٢م. ومن المحزن ان الجزء الثانى من هذه الوثيقة التاريخية النادرة مازال مفقودا. يقع كتاب فتوح الحبشة بملحقاته وفهارسه فى ٤١٢ صفحة من القطع المتوسطة.

ومن المراجع العربية المترجمة من اللغة التركية كتاب صادق باشا المؤيد العظيم: رحلة الحبشة تعريب رفيق بك العظيم القاهرة ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م. والكتاب عبارة عن سرد لرحلة المؤلف امتثالا للامر السلطانى الصادر من السلطان عبد الحميد بانتدابه لايصال كتابه إلى جلالة منليك الثانى نجاشى الحبشة. يمثل الكتاب سجلا تاريخيا للأوضاع الثقافية والسياسية السائدة وسط قبائل الصومال والعفر - الدناكل - ورأي هذه القبائل فى الخلافة العثمانية كما يعتبر الكتاب وثيقة هامة فى تتبع تطور تاريخ جيبوتى حيث رصد الكاتب أحداث مد خط سكة حديد جيبوتى ونمو جيبوتى الحالية واقامة مسجديها كما يستعرض الكاتب أوضاع مملكة الحبشة وادارة منليك وعلاقاته بشعوب المنطقة، كما يقدم وصفا جغرافيا وإجتماعيا لمدينة هرر فى تلك الحقبة التاريخية الحافلة بالاحداث والصراعات.

كذلك يوجد بين الكتب المترجمة من اللغة الانجليزية التى اشارت إليها هذه الدراسة كتاب سيرتوماس ارنولد الدعوة إلى الاسلام بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية. ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحرواى القاهرة ١٩٧٠ ويتميز هذا الكتاب باستعراضه المنصف لتاريخ حركة الدعوة الاسلامية منذ فجر الدعوة، شمولية ومنهجية ووفق تسلسل تاريخى لاتستغرقه التفاصيل عن تتبع الخطوط الرئيسة والمعانى الكلية لانتشار الدعوة الإسلامية اقليميا وعالميا، وتنبأ الكاتب بان اثيوبيا وشعوبها ستتجه إلى الإسلام اذ ماظهر فيها احمد حران كمجاهد إسلامى جديد يوحدها ويقودها.

ومن الكتب العربية الحديثة دراسة فتحى غيث «الإسلام والحبشة عبر التاريخ» مكتبة النهضة المصرية القاهرة دون تاريخ النشر والمؤلف مهندس مصرى، اوفد إلى الحبشة فى مهمة فى عام ١٩٤٣ واقام هناك مدة عامين، ثم ظل اهتمامه متصلا بالإسلام فى الحبشة طوال عشرين عاما، يقع الكتاب فى ٣٩١ صفحة ويقص فترة ألف سنة من تاريخ بلاد الحبشة الحافل بالاحداث والتيارات كما ارفق المؤلف بالكتاب ملحقا عبارة عن تقويم تاريخى كامل للحبشة. ابتدأ من القرن الرابع الميلادى حتى حقبة الإمبراطور السابق هيلاسلاسى

والكتاب اسهام مقدر فى بسط أوضاع المسلمين فى الحبشة وقضايا قومياتها ورغم الجهد الذى بذله الكاتب، لم يزود دراسته بالإحصائيات على الأخص فى مجال التعليم والإدارة. وكذلك اهمل تحليل دوافع هيلاسلاسى فى اضعاف مسلمى الحبشة مقارنة بسياسة من سبقه من الحكام.

ومن الدراسات التى نفذت إلى عرضها مباشرة وافدت منها مباشرة، دراسة محمد على عبد الكريم وآخرين تاريخ التعليم فى الصومال، اصدار وزارة التربية، مقديشو ١٩٧٨.

تستعرض الدراسة حركة التعليم فى الصومال منذ القرن السادس عشر الميلادى حتى قيام النهضة التعلمية المعاصرة فى الصومال وقد اعده نفر من قدامى الأساتذة العاملين فى حقـل التعليم يستعرض الكاتب مناهج هذه المدارس ومحاولات الحكومة لتوحيدها حتى مجيء نظام الثورة الجديد بقيام محمد سياد برى وما فرضه من اصلاحات تعليمية وتكمل هذه الدراسة الممتازة، دراسة اعدتها المنظمة العربية للثقافة والعلوم استراتيجية تقوية اللغة العربية والخطة الخمسية الأولى، مقديشو ١٩٨١م وتترسم هذه الدراسة فى مقدمتها التاريخية خطى الدراسة السابقة حول تاريخ التعليم فى الصومال وتحاول الدراسة الإحاطة باوضاع التعليم في الصومال من حيث المنهج والكتاب واعداد المعلم والإمكانات ومتطلبات التطور التعليمي لمقابلة النمو السكانى الجارى كما تقترح الدراسة ادوارا لأجهزة الدولة الأخرى فى العملية التعليمية ومكافحة الأمية كما تضع التصورات والخطط للتنمية التعليمة على المستوى الأفقى لنشر التعليم وتنويعه ـ اكاديمي ـ فنى زراعى ، وعلى المستوى الراسى باقامة دور الدراسات العليا ومعاهد المعلمين القائمة على اللغة العربية ومن عيوب هذه الدراسة أنها ركزت على استجلاب الخبراء برواتبهم العالية متجاهلة وضع الصومال القطر الفقـير ولم تحاول الإفادة من تجربة التعليم الإسلامي قليلة التكلفة والذي تمثله المدارس القرآنية ولعل المنظمة العربية للثقافة والعلوم قد استدركت ذلك بدراستها الاخرى دراسة مسحية عن المدارس القرآنية في جمهورية الصومال الديمقراطية يناير ١٩٨٤.

تعطي هذه الدارسة فكرة دقيقة وارقاما محددة عن المدارس القرانية وتطورها حتى عام ١٩٨٣ فى المحافظات الصومالية المختلفة وحالتها وأوضاع طلابها ومعلميها ونوعية الدارسين «ذكور أم اناث» أم مختلطة، ومؤهلات المعلمين والمواد التى تدرس مع القران الكريم ولكن لاتحاول هذه الدراسة تجاوز اعطاء المعلومات وتحليلها لاقتراح فكرة عن مستقبل هذا التعليم فى الصومال.

ومن المنشورات الرسمية الصادرة من أجهزة الدولة الصومالية حول قضية اللغة، الدراسة الصادرة من وزارة الاعلام والارشاد القومي كتابة اللغة الصومالية. معلم عظيم من معالم تاريخنـا الثـورى، مقديشو يونيو ١٩٧٤، وهى دراسة مفيدة بالرغم من طابعها الدعائي وتبسط الدراسة وجهة النظر الرسمية للأسباب التى دعت السلطة الثورية الى تبنى كتابة

اللغة الصومالية بالحرف اللاتيني.

وافادت هذه الدراسة، من المنشورات الرسمية فى مجال التشريع والقوانين والدستور لمقارنة اوجه التطور التشريعى مثل نشرة رسمية ـ قانون العقوبات اجراءات تشريعية وادارية مقديشو ١٩٦٢، ودستور جمهورية الصومالى ١٩٦٣ والدستور مقديشو ١٩٧٩، وذلك من دستور حزب وحدة الشباب الصومال، مقديشو دون تاريخ نشر وربما كان صادرا عام ١٩٤٣، ويعتبر اول وثيقة دستورية صومالية يقوم باعدادها الأهالى ونص على أن يكون المحور الاساسى لجهود الحزب ما توحى به الشريعة الإسلامية من توجيهات باعتبار الإسلام الدين الرسمى للدولة الصومالية، وتعزيز مكانة اللغة الصريبة واحلالها المحل اللائق بها فى ربوع البلاد.

ومن الرسائل الجامعية الصادرة باللغة العربية، افادت هذه الدراسة من رسالة على الشيخ أحمد ابو بكر «الدعوة الإسلامية المعاصرة فى القرن الإفريقي»، اطروحة دكتوراة الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ١٩٨٥. ومع ان هذه الدراسة، اهملت الإفادة من المصادر المكتوبة باللغات الاجنبية غير العربية، وكذلك لم تفد من المنشورات الرسمية الصادرة من دول منطقة الصومال الكبير كما يبدو إنها لم تعط الفكر الصوفي الصومالي وضعه فى الثقافة الصومالية والدعوة الإسلامية، إلا أن معرفة الكاتب باللغة الصومالية والظروف المحلية ـ لأنه صومالى ـ مكنته من ان يحلل بعمق الاتجاهات المعاصرة فى المجتمع الصومالى وان يتعرض لدور التبشير المسيحى والشيوعية والعلمانية أو الغزو الفكرى ـ كما اسماه ـ والصراع الصومالى ـ الاثيوبى على امتداد الصومال الكبير وأن يستقصى ظروف الدعوة والدعاة الاسلاميين المعاصرين.

ومن الرسائل الجامعية غير المنشورة والصادرة باللغة العربية دراسة على الشيخ عبد الله، دراسات فى الأدب الصومالى الحديث ماجستير معهد البحوث والدراسات الادبية، بغداد ١٩٨٤.

وتتناول هذه الدراسة بصورة موجزة، تاريخ الثقافة الصومالية ممثلة فى علماء الدين ومشايخ الطرق الصوفية حتى مرحلة دخول النظم التربوية الحديثة فى البلاد بعد الحرب العالمية الثانية ثم المرحلة الوطنية ومرحلة مابعد الثورة التى تم فيها كتابة اللغة الصومالية بالحرف اللاتينى. ويستعرض الدارس مصادر الثقافة الصومالية المعاصرة ومكوناتها من شعر صوفي وشعر سياسى وشعر غنائى، باعتبار أن الشعر ـ حسب وجهة نظره ـ أساس الأدب الصومالي الحديث وقد اهمل الكاتب دور اللغة فى الأدب وتحاشى ـ علما بانه صومالى ـ ان يتكلم عن قضية كتابة اللغة الصومالية بالحرف اللاتينى وأثر ذلك سلبا وايجابا على الحركة الادبية.

ومع أن دراسة ـ آمال توفيق ابراهيم، «مشكلات الحدود فى القرن الإفريقي»، اطروحة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة ١٩٧٧ ليست دراسة

ثقافية، إلا أن الباحثة تكشف عن القضايا الثقافية والسياسية التى كشفت عنها وخلقتها المعاهدات الدولية التى قسمت المنطقة إلى مناطق نفوذ باعتبار أن التقسيمات ليست مجرد تقسيمات فنية جغرافية ولكن كذلك لها جوانب حضارية وتاريخية. كما ناقشت الباحثة دور هذه المعاهدات فى خلق الاوضاع السياسية المعقدة الحالية فى القرن الإفريقي.

وفى ختام استعراض الجزء المتعلق بالمواد الصادرة باللغة العربية، يجدر الاشارة الى مرجعين هما مجلة صادرة من خارج منطقة الصومال الكبير وهى مجلة الرسالة، لصاحبها احمد حسن الزيات، مجلة اسبوعية للاداب والعلوم والفنون وتصدر فى القاهرة وقد بدأت فى الصدور فى يناير ١٩٣٣، واصبحت منبرا ثقافيا رفيعا على مستوى العالم العربي، وقد حفلت مجلداتها لعام ١٩٣٦، ١٩٣٧ (السنة الرابعة والسنة الخامسة) بمناقشة قضية الحرب الايطالية الاثيوبية واثارها كما افسحت المجلة فى صفحاتها لرواد الفكر والادب ومناقشة قضايا الثقافة واللغة والفن والعادات باعتبارها مقومات للاستقلال الحضارى - الفكري - والسياسى.

وكذلك أشير إلى دراسة على أحمد عدُّم الدناكل تاريخيا وبشريا هرجسيا الصومال، ١٩٦٦ ولعه الكتاب الوحيد فى نوعه الذى صادفته ويستقصى تاريخ الدناكل وأوضاعهم السياسية والاجتماعية ويعدد سلطاناتهم منذ هجرات العرب العاربة حتى دخول الإستعمار الفرنسى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، كما يشير الدارس إلى علاقات الدناكل مع شعوب المنطقة من صوماليين واحباش وجالا، ويستقصى اصول اللغة الفعرية وصلتها باللغة العربية كما يعطى لمحة سريعة عن التطورات السياسية المعاصرة.

أما اللقاءات الميدانية، فقد دارت مع عدد من المسئولين الحكوميين والقادة الدينين والمواطنين على امتداد الصومال الكبير. في مرحلتين ميدانيتين شملت المرحلة الأولى، جمهورية الصومال الكبير واثيوبيا وجيبوتى وشملت المرحلة الثانية كذلك جمهورية الصومال الديمقراطية وكينيا - المنطقة الشمالية ذات الكثافة الصومالية - وجيبوتى. وتركز الحوار مع المسئولين الحكوميين حول اوضاع التعليم والقوانين والخطط القافية والمواد الاعلامية، كما دار الحديث مع القادة الدينيين حول توجهات الدولة والشعب الثقافية ودورهم فى نشر الثقافة الإسلامية، واللغة العربية وعوامل النجاح والاخفاق فى ذلك. كما قمت بطواف عام على مراكز تجمع اللاجئين والمهاجرين من مناطق هرر والأوجادين على امتداد الصومال لتفقد الأوضاع والإستماع للروايات من أصحابها، كما تم توزيع سبعمائة استمارة استبيان لمعرفة اتجاهات وميول عينات عشوائية من الشباب في مقديشو وبيدوا - من مدن جمهورية الصومال الديمقراطية - وكذلك العاصمة جيبوتى، وكذلك لمعرفة مستوياتهم فى الثقافة الإسلامية والعربية والمعارف الحديثة.

دارت اسئلة الاستبيان الاساسية، حول وضع اللغات حسب ترتيب استعمالها اليومى

الرسمى ووضع اللغة العربية فى مدارس الحكومة والمدارس الأهلية ومدارس التبشير المسيحى واوضاع الثقافة عامة واداء الفرد للشعائر ودور المساجد والمؤسسات الدينية ودرجة التفاعل الاجتماعى والثقافي بين الرجال والنساء واوضاع المرأة.

ويحتوى الفصل الرابع ص على نتائج تحليل الاستبانة كما تمت الافادة من استبيان رسمى، قامت باجرائه وزارة التربية الكينية لمعرفة عدد الطلاب الراغبين فى تعلم اللغة العربية وعدد الاساتذة المؤهلين القادرين على تدريسها على الأخص فى منطقة الحدود الشمالية ذات الكثافة الصومالية الإسلامية وقد ارفقت صورة من الاستبيانين - الأول والثاني - مع قائمة الوثائق ص

وثائق ومصادر اصلية باللغة الانجليزية :-

تم الاعتماد على وثائق وزارة المستعمرات وزارة الخارجية البريطانية المحفوظة فى دار الوثائق البريطانية والمسموح الإطلاع عليها لمرور ثلاثين عاماً حسب القانون البريطانى - وقد ركزت على الوثائق الصادرة فى الفترة ١٩٣٨ - ١٩٥٦ وهى الفترة التى تبلورت فيها محاولات سياسات ثقافية محددة بشأن السياسة والتعليم واللغة والدين. كما هى الفترة التى غزت فيها فيها ايطاليا اثيوبيا واندلعت فيها الحرب العالمية الثانية وماصاحبها من شعارات الوطنية والقومية وتقرير المصير، كما أن وثائق هذه الفترة مرتبه ومفهرسة، تحت عنوان Fo 37 مع مصر والسودان واثيوبيا. وهذه الوثائق عبارة عن المذكرات المرفوعة من القناصل الانجليزية فى مقديشو وهرجيسا وجيبوتى بصفة دورية ومستمرة الى وزارة الخارجية البريطانية، واحيانا تكون تقارير لجان ووفود رسمية وعادة ما تكون مصحوبة بقصاصات الصحف والمجلات وغيرها. وكنموذج لهذه الوثائق نستعرض بايجاز ما حوته بعض الملفات.

ملف Fo 371, 2003 يحتوى على خطاب من القنصل البريطانى بجيبوتى بتاريخ ١٣ ابريل ١٩٣٨، حول سياسات الإدارة الفرنسية تجاه الاهالى الوطنيين والاجانب لاستيفاء شروط بطاقة الشخصية وكذلك مذكرة عن تنظيم السلطات الايطالية لرحلات الحج للصوماليين وأثر ذلك على السكان المحليين ومذكرة بتاريخ ١ فبراير ١٩٣٨ من القنصل البريطانى حول استخدام الراديو والصحف فى الحرب النفسية وكذلك جدوى استخدام أئمة المساجد فى هذا النوع من الدعاية.

ملف Fo 371, 90328، ويحوى خطاباً من القنصل البريطانى بمقديشو بتاريخ ١٣ مارس ١٩٥١، حول منهج اكاديمية السياسة والإدارة وهى أهم مؤسسة تعليمية انشأها الإيطاليون فى الصومال لتعزيز نفوذهم السياسي والثقافي. وكذلك مذكرة مرفوعة من القنصل البريطانى بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٥١ حول ظهور حزب الإتحاد الإفريقي وظهور بوادر الصراع بين الصوفية والسنة حول قضية التوسل بالأولياء وغيرها وحول مداولات لمجلس الوطنى باللغة العربية والايطالية والصومالية وكتابة المداولات بالحرف اللاتينى والعربى.

ملف Fo, 371,108275 يحوى تقريرا رفعه باحث انجليزى زائر فى عام ١٩٥٢ لوزارة

المستعمرات وقد رفع هذا التقرير لونستون تشرشل رئيس الوزراء آنذاك ، نسبة لاهمية التقرير وما فيه من معلومات إذ فيه استعراض لأوضاع الكنائس فى اثيوبيا والصراع بين الكنائس والاسلام واشارات حول توقعات الباحث لمستقبل النصرانية فى اثيوبيا وأشار الباحث إلى ان التعايش الجارى بين المسلمين والنصارى مرده للبرود وعدم الاكتراث بالدين وليس تسامحا اصيلا وتنبأ الكاتب بان معظم الشباب الاثيوبى فى طريقه ليكون دهريا ـ اى ملحدا وان قطاعات عريضة من الاثيوبيين فى الجنوب «الجالا» تتجه نحو الإسلام وحلل أسباب ذلك .

ملف Fo 371,113453 بحوى تقريرا من القنصل البريطانى بمقديشو بتاريخ ٣ فبراير ١٩٥٥ لاهم ثلاث احداث وقعت فى عام ١٩٥٤ وهى :

١ـ انتخابات المجالس المحلية فى مارس ١٩٥٤ .

٢ـ تقديم الإدارة الإيطالية لخطتها الاقتصادية امام مجلس الوصاية فى مايو.

٣ـ نشر العلم الصومالى فى ٩ اكتوبر ١٩٥٤ مما ادى لتدفق روح وطنى عارم فى البلاد.

ملف Fo 371,113576 ويحوى مذكرة من القنصل البريطانى بهرر حول توصية الامم المتحدة بشأن الحدود الاثيوبية ـ الصومالية ومشاروات القنصل مع شيوخ القبائل وظاهرة عدم الإستقرار في مناطق الأوجادين وإرهاصات دعاوى الصومال الكبير وكذلك تقويم للوجود الكنسى السويدى فى منطقة هرر بالاضافة إلى مذكرة اخرى من القنصل بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٥ حول السياسات الاثيوبية تجاه القبائل الصومالية وأوضاع التعليم فى منطقة هرر وانتشار تعاطي الخمور وسط عرب هرر.

ملف Fo 371,113455 خطابات وتقارير القنصل البريطانى بمقديشو عن أهم أحداث ١٩٥٥ ، كسياسات صومالية الوظائف، تقارير عن الحركة السياسية الصومالية على الأخص حزب وحدة الشباب وكذلك تقوير عن الاحتفالات السياسية والاصطدامات القبلية.

ملف FO,371,90328 ـ تقارير افتتاح الدورة الثانية للمجلس الوطنى بمقديشو واستعراض لمؤسسات الحكم المحلى وشكل الدولة الصومالية المستقبلية.

وعموما فإن هذه الوثائق تمثل مادة خصبة لاغنى للدارس لتاريخ الصومال وثقافته عنها، اذ تعكس وجه الحياة يوما بعد يوم في تلك الفترة من خلال رؤية رسمية، حريصة على ان تعكس لرئاستها فى لندن صورة حقيقية لما يجرى، حتى تمكنها من اتخاذ القرار السياسي الذي يناسب مصالحها.

اما المصادر الانجليزية فلعل اهمها كتاب رتشارد بيرتون

Burton, Sir Richard. First Footsteps in East africa, or an Exploration of Harar

وتعتبر هذه أول دراسة باللغة الانجليزية عن منطقة هرر، كما يعتبر بيرتون أول اوربى يضع رجله على أرض هرر فى عامى ١٨٥٥ وبيرتون رحالة معروف وقد عرف برحلته كذلك للحجاز والجزيرة العربية التى تخفىّ فيها فى زىّ تاجر عربى ـ وقد مكنته اجادته للغة العربية

من أن يتفهم طبيعة المنطقة الصومالية وأن يتفاهم مع علماء الصومال ورؤساء القبائل، وقد سجل لنا وصفا دقيقا عن الوضع الاجتماعي والثقافي والسياسي في الصومال وهرر في تلك الفترة قبل اجتياح القوى الإستعمارية للصومال كما سجل معلومات وفيرة عن الهراري لغة أهل هرر كذلك افادت هذه الدراسة من الموسوعة الكاثوليكية

Barrett, David B., World Chirstian Encyclopedia\, 1982.

وهي مصدر لاغنى عنه للباحثين في حركة الحياة الثقافية بين الشعوب، وقد قام باعدادها نفر من جهابذة الباحثين المشهود لهم بالكفاءة واستفادوا من المعلومات المتوفرة لدى الكنائس والإرساليات على امتداد العالم. وتعطى الموسوعة أرقاما دقيقة عن الصوماليين الذين تم تنصيرهم على امتداد الصومال الكبير بالاضافة إلى المؤسسات الكنسية الموجودة بدول الصومال الكبير تعليمية، ثقافية، دور عبادة، كما تعطي توقعات عن مستقبل النمو الكنسي في بلدان الصومال الكبير حتى عام ٢٠٠٠م.

ومن أهم الدراسات التى صدرت حديثا في مجال الدراسات الصومالية، دراسات بروفسير لويس I.M Lewis أستاذ علم الاجتماع، بمدرسة الإقتصاد والعلوم السياسية بجامعة لندن ومدير المعهد الإفريقي الدولي بلندن. وقد قام باجراء دراسات ميدانية مكثفة في الصومال قبل وبعد الإستقلال وله عدة مصنفات عن الصومال أهمها.

A Pastoral Democracy : Pastoralism andPolitics among the Northern Somalia of the Horn of Africa London (1982), A Modern History of the Somaila London (1980), Nationalism& self determination in the Horn of Africa London (1983)

ويتناول بروفسيور لويس قضايا الصومال في اطار نسيج تاريخي، سياسي - اجتماعي منذ دخول الإسلام وقيام ممالك الصومال الإسلامية وجهاد الامام أحمد إبراهيم الجران مرورا بدخول القوى الاستعمارية في منطقة القرن الإفريقي وانتهاء ببروز القوى الوطنية المعاصرة وتتميز دراسات لويس بنظرته القائمة على وحدة حركة شعوب الصومال الكبير ووحدة الحركة العامة للسياسة والثقافة، كما أنه يستقصى صلة الوضع القبلي بالسياسة وقضايا الحدود والحروب والقوميات والعلاقة بين المركز والاطراف ولعل نقطة الضعف الأساسية في دراسات لويس عدم المامه باللغة العربية، مما فوت عليه فرصة التعامل مع التراث الصومالي الضخم في مجالات الفكر والادب والتصوف والتدين عامة وبالتالى فهم البعد الحضاري والتاريخي للشخصية الصومالية.

وكذلك مؤلفات القس الانجليزى ترمنجهام I.Spencer Trimingham

وهو متخصص في الدراسات الإسلامية، خصوصا في منطقة شمال شرق ووسط إفريقيا، وقد ساعده على ذلك عمله في المنطقة حيث اصبح أسقفا للكنيسة الانجليزية في السودان في الاربعينات وله مؤلفات حول الإسلام في السودان والإسلام في شرق إفريقيا ولكن نشير

هنا بصفة خاصة الى مؤلفاته

Islam in Ethiopia, London 1976, The Inftuence of Islam upon Africa, London 1980.

حيث تعتبر الدراسة الأولى موسوعة مصغرة عن بدايات دخول الإسلام فى اثيوبيا وقبائل الصومال ثم تطوره وانتشاره على أيدى الدعاة والهجرات وتفاعل الإسلام والقوميات المختلفة ودور هرر وقادتها الدينى فى نشر الإسلام أما الدراسة الثانية فتعطى فكرة عامة عن انتشار الإسلام فى إفريقيا وأهم الطرق الصوفية والمؤسسات الدينية الموجودة ومدى عمق الحركة الفكرية لدى مسلمى القارة الإفريقية هذا ولم نوافق ترمنجهام على بعض اجتهاداته المتعلقة بضعف استيعاب الأفارقة للثقافة الإسلامية وخصائصها الفكرية والعقائدية واشرنا إلى ازدهار حركة فقة وثقافة إسلامية إفريقية فى هرر وتمبكتو وجنى مما يعكس مدى تجذُر الثقافة الإسلامية فى إفريقيا واستيعاب الأفارقة لها. وذلك فى الفصل الثانى من هذه الدراسة.

ومع ان الدراسات الحديثة الصادرة بالانجليزية كثيرة ومتنوعة إلا أن دراسة جون اسبنسر

Spencer John H. Ethiopia at bay. Michiagan 40., 1,1984

تكاد تكون متميزة وفريدة فى بابها، ولعل ذلك راجع إلى خصوصية تجربة المؤلف الأمريكى الذى عمل مستشارا لهيلاسلاسي لمدة ٣٨ عاما، استوعب خلالها حركة السياسة والثقافة فى كل منطقة القرن الإفريقي ثم لخص تجربته فى هذه الدراسة المتأنية العميقة حول مستقبل شعوب القرن الإفريقى باعتبار أن اثيوبيا هى أهم مؤثر وسط هذه الشعوب فى هذه المنطقة وماطرحه من مقترحات اعتبرها اساسا لتسوية سياسية بين الصومال واثيوبيا والسودان حول ارتيريا.

ومن الدراسات الاكاديمية هناك اطروحة دكتورا، سعيد سامتر

Said samater, Oral Poetry and SomaliNationalism, The case of sayed Abdille Hasan. Cambridge University Press, 1982

والمؤلف من أسرة صومالية عريقة وقد مكنته معرفته بالصومالية والآداب الحديثة من تحليل الشعر الصومالى وابانة دور الشعر فى التعبئة الوطنية والمقاومة السياسية والعسكرية، وقد جمع المؤلف نماذج مختلفة لشعر مختلف الشعراء الصوماليين ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر ثم ختم ذلك بدراسة أشعار السيد محمد عبد الله الحسن ١٨٨٨ - ١٩٢٠م والدراسة تلقى الضوء على وظيفة الشعر الصومالى باعتباره محركا للبواعث وراصداً للاحداث وعنصراً هاماً من عناصر الثقافة الصومالية.

ومن الدراسات المركزة اطروحة دكتوراة على عبد الرحمن حرزى

Ali Abdir haman Harsi, The Arab Factor in Somali History. The Orgin and the Development of Arab Enterprise and Cultural Influences in the Somali Peninula. History Department, University of Calfornia, 1977

يتبنى الكاتب اطروحة عروبة الصوماليين وإن كلمة صومال - تحريف لكلمة سملا - اي اعطب العين - ويتتبع اصول الصوماليين كمهاجرين من الجزيزة العربية اختلطوا بالكوشيين الشرقيين ويتتبـع التفـاعل الحادث بين سكان الساحل الإفريقي وجنوب الجزيرة العربية المتمثل فى الحضارة الحميرية حتى ظهور الإسلام ويتتبع أثر الثقافة العربية فى بناء المدن الساحلية وممالك الصومال السبع المندثرة كما يتتبع النقوش العربية فى المبانى والمدن القديمة، كما ينسب لبعض العناصر العـربية بعض المظاهر السلبية فى الحياة الصومالية كالتسيب الأخلاقى وشرب الخمر والدعارة والقمار، بحجة أن أسماء هذه المفاسد ذات اصول عربية - كالمخدرات التى تسمى الحشيش والمسكرات تسمى خموراً، الدعارة شرمطة ويبدو أن هذه اضعف مواطن دراسته، إذ هذه المفاسد شائعة منذ القدم فى منطقة القرن الإفريقي كما يتتبع أثر التشيع فى الثقافة الصومالية ممثلا فى الإحتفال بذكرى فاطمة الزهراء ووجود طبقة الأسياد والأشراف واطلاق كلمة إمام على أمير القبيلة، ثم يتتبع أثر عقلية التاجر أو الحكيم الغربى على الثقـافـة الصومالية ويتكلم عن «بلقنة»* الصومال وتمزيق الجامعة الصومالية القومية والدراسة اسهام لابأس به فى تتبع أثر الثقافة العربية على الثقافة الصومالية وان لم تخل من عدم دقة مثل كلامه عن ذكر النجاشى فى القرآن والصحيح أنه ذكر فقط فى الحديث النبوى.

من الدراسات المفيدة تقارير وزارة المستعمرات السنوية حول محمية الصومال.

Colonial Offce Peport on the SomalilandProtecoratefor the years 50 - 58

وكذلك تقرير كينيا السنوى الصادر من His MajestyStanionary

وهى Office Kenya Annual Report - 1930-1940

وهذه التقارير تعكس سنويا مدى التقدم السياسى والثقافى الذى احرزته المستعمرات المعنية كما توضح المعوقات والمشاكل من وجهة النظر الرسمية كما تحتوى على المعلومات الاساسية فى البلدان المعنية.

ومن الدراسات الهامة كذلك، الأوراق الصادرة فى أربعة مجلدات عن مؤتمر الدراسات الصومالية من جامعة هامرج بالمانيا.

Thomas laban ed proceedings of the second internationalCongress of Somali Studies, University of Hamburg August 1-6 1983 Volume - IV 1984

وهى عبارة عن موسوعة فى الشئون الصومالية وقد افدت من المجلد الثانى Archaeology and History حيث نجـد استعـراضا لسير الدعاة الإسلاميين كبادير (عمر الرضى) الجد الأسطورى لاهل هرر فى بداية القرن الثالث عشر. والشريف محى الدين يوسف الاكوان برخادلى على الذى قدم من الحجاز فى القرن الثالث عشر وقطب الدين عمر من سلالة اباديرومزاره فى منطقة هرر، كما ضم المجلد سجل لأولياء هرر - تلك المدينة التى عرفت بمدينة الأولياء والتى يوحد فيها أكثر من سبع ومائة وداعة والتى تطالعك فيها مشاهد عبد القادر الجيلانى التى تقام فيها الاحتفالات فى يوم عرفة ومحرم والمولد النبوى.

أما الدوريات المتعلقة بهذا البحث فلعل أهمية مجلة افريقيا الصادرة من المعهد الايطالي - الإفريقي بروما.

Africa, Cuigno Rivista trmestrale di Studi e document azione dell' Institute Italo - Africano

ومن كتاب هذه الدورية المعهودين رتشارد بنكهيرست الانجليزى الجنسية Richard pan-khurst والمتخصص فى الدراسات الاثيوبية والمدير السابق لمعهد الدراسات الاثيوبية باديس ابابا (١٩٦٣ - ١٩٧٥) والباحث بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لينى والموجودة حاليا فى اثيوبيا، لدراسة تجربة تجميع القرى فى مناطق الاورومو فى جنوب اثيوبيا - ومن الدراسات الصادرة له فى هذه المجلة An early Somali Autobiography AnnoxxxII No2 1977 وهى عبارة عن سيرة ذاتية لصومالى تنقل بين اروربا والدول العربية فى ظروف التكالب الاستعمارى على الصومال وثورة السيد / محمد عبد الله الحسن وفيها تصوير للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية فى تلك المرحلة المصيرية.

وكذلك من الدراسات التى صدرت فيها دارسة Vinigil Grattanelli

The People of the Horn of Africa xxVII - No 3 1972

والتى يميل فيها الدارس الى ان الصومال سلالة تنحدر من الجالا حسب الروايات الوطنية المتداولة والتشابه اللغوى والعرقي والثقافى. أما الدورية الاخرى والتى قد لايستغنى الدارس لشئون قرن افريقية عنها

Horn of Africa, 779 Spring Field Aven. P.O. Box Summit. New Jersey 0791.

وهى دورية فصلية يصدرها عدد من شباب منطقة القرن الافريقي من الولايات المتحدة وتستقطب اقلاما كثيرة من الباحثين المتخصصين.

المصادر والمراجع السابقة مجرد نماذج للدراسات التى عولت عليها هذه الدراسة حتى انتهت إلى ما انتهت اليه وفى قائمة المصادر والمراجع ثبت كامل بكل الصنفات والدراسات والمنشورات التى اسهمت فى تغذيه الدراسة بالأفكار والمعلومات والتى بلغ عددها من مصدر أو مرجع حوالى مائتى دراسة ولاتدخل فى ذلك الصحف والمجلات والمقابلات والاستبيانات. والله ولى التوفيق.

الفصل الأول

مقدمة فى جغرافية وتاريخ الصومال الكبير :

الصومال الكبير، مصطلح اطلقته الحكومة البريطانية[1] بعد الحرب العالمية الثانية، وكان يقصد به الأراضى التى يقطنها الصوماليون والتى تم تقسيمها بين القوى الاستعمارية، فى نهاية القرن التاسع عشر، والتى تشمل حاليا «جمهورية الصومال الديمقراطية ، جمهورية جيبوتى ، المناطق الجنوبية الشرقية لاثيوبيا ـ أى محافظتى هرر والأوجادين ـ والأجزاء الشمالية الشرقية من كينيا Distric Northern Forntiers وتعرف هذه المنطقة احيانا بالقرن الإفريقي اذ «القرن الإفريقي»، هو المكان الذى يلتقى عنده البحر الأحمر والمحيط الهندى، لأنه شبه الرأس، حيث يشكل أكبر مثلث عند هذا المكان، وهو واقع فى أراضى الصومال، ولكن استعماله توسع حتى شمل كل الأراضى المجاورة القريبة له، فتدخل فيه على سبيل المجاز الحبشة وكينيا.[2]

وتبلغ المساحة الكلية لهذه المنطقة حوالى ستمائة وثلاثين ألف ميل مربع ـ أو مايزيد عن المليون ونصف كيلو متر مربع، حيث تبلغ مساحة جمهورية الصومال الديمقراطية ٢٦٢ ألف ميل مربع (٦٣٦,٥٤١ كلم[٢]) وجمهورية جيبوتى ثمانية آلاف واربعمائة واربع وتسعين ميلاً مربعا (٢٣ ألف كلم[٢])والمنطقة الجنوبية الشرقية لاثيوبيا ٢٥٨ ألف ميل مربع (٦٢٧ ألف كلم. م) والمنطقة الشمالية الشرقية تعادل ١٠٢ ألف ميل مربعا أو ما يعادل ٤٥٪ من مساحة كينيا.[3] وبهذا فان المنطقة التى يقطنها صوماليون وتقع خارج اطار جمهورية الصومال وجيبوتى ـ تتجاوز مساحتها مساحتى جمهورية الصومال وجيبوتى مجتمعتين. وتدعى الصومال أن سكانها وصلوا إلى هذه المناطق منذ ألآف السنين وفيها عاشوا، وعلى هذا الأساس، تطالب باعادة توحيد هذه المناطق التى يعيش فيها الصوماليون لتكون الصومال الكبير.[4] وتقع هذه المنطقة مابين خطى عرض ١٣° شمالا الى خط عرض ٥١,٣٩ جنوبا، ويحدها خطا الطول ٤١,٣٠° غربا و٥١° شرقا.

---

١ / وثائق الخارجية البريطانية بدار الوثائق العامة ببريطانيا

B PRO 0371, 73848-103270

F. 071, 113576-103464

John H. Spenser, Ethiopia at Bay, Aperson Apersonal account of the Haile Sellassie Years, Reference Publication, Inc. 218 St.

٢ / على الشيخ احمد ابوبكر، الدعوة الاسلامية المعاصرة فى القرن الإفريقى، اطروحة دكتوراة، شعبة الدعوة، الجامعة الاسلامية المدينة المنورة. ص ١.

٣ / Sorobea N. Bogonko, Kenya 1945-1963 A study in African national Movements, Kenya literature Bureau, Nairobi P. 264.

٤ / أمال توفيق إبراهيم، مشكلات الحدود فى القرن الإفريقى، اطروحة ماجستير، قسم الجغرافيا، معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة، يوليو ١٩٧٧. ويشير هذا المصدر، الى ان مساحة الأجزاء التى تطالب بها الصومال فى شمال شرق كينيا خمسون ألف ميل مربع وليس ١٠٢ ألف ميل مربع كما ورد فى المصدر السابق. راجع الملاحق (الخرائط التوضيحية).

السكـــــــان :

يعتـبر الصـومـاليين والعفر السكان الاساسيين أو الاصليين لهذه المناطق وكلهم بلا استثناء مسلمون بالاضافة إلى وجود قبائل الاورومو (الجالا) وهم كذلك من المسلمين بالاضافة أيضا إلى وجود اقليات أو جاليات تتمثل فى العرب[1] والهنود كما تسكن عدد من القبائل الافريقية الصوماليين فى المنطقة الشمالية الشرقية من كينيا وهى ثمانية مجموعات عرفية إفريقية[2].

الصـــــوماليون :.

يشكـل الصـومـاليون وحدة عرقية وثقافية وقومية على امتداد تشكيلاتهم فى منطقة الصومال الكبير، ولا يكاد يوجد في دولة افريقية أخرى صورة سلالية موحدة كما فى الاراضى الصومالية، والصـومـاليون شعب ناطق باللغـة الحامية وقد اختلط هذا الشعب اختلاطا كبيرا بالعرب وقد اختلفت آراء العلماء حول أصل تسميتهم[3] ويمكن تقسيم قبائل الصومال الى ثلاث مجموعات وهى المجموعة الشمالية وتعرف احيانا باسم ابجى Abji ٢) حاوية Hawiya ٣) الساب . وتحتوى المجموعة الشمالية على قبائل الدر والدارد واسحاق.

أـ الدر Dor ويبلغ عددهم أكثر من مائة وخمسين ألفاً حسب احصائيات عام ١٩٧٣م وينتشرون فى كل الصومال.

ب ـ اسحاق Isaaq ويبلغ عددهم أكثر من اربعمائة - ألف نسمة حسب احصائيات عام ١٩٧٣ .

وتعيش هاتـان المجمـوعتـان فى جيبوتى ومحافظة هرر فى اثيوبيا وشمال غرب المناطق الوسطى من الصومال الشمالى وتتفرع من الدر قبائل عيس وكادبرسى وبيمال وفكى محمد وغيرها.

١/ مع ان الطرح العام لهذه الرسالة يقوم على عروبة الصومال الا اننا نميز هنا بين الصوماليين كامة عربية ـ إفريقية ذات خصائص ثقافية مميزة (اللغة الصومالية مثلا) وبين مجموعات العرب الخلص التى استوطنت فى الصومال حديثا ولم تذب فى المجتمع الصومالى وحافظت على سماتها العرقية والثقافية وما تزال تحافظ على نوع من العلاقة مع المناطق التى هاجرت منها وجل هؤلاء من الميمانية والحضارمة (مناطق اليمن وحضرموت).

٢/ C. Peter Wagner and Edward R. Dayton, Unrearched Peoples' 80. David C.Cook Publishing Co. Elgin, Il-lipois. 1980. 68–69.

٣/ هناك اشارة فى دراسة رتشارد بيرتون First Footsteps بأنها مأخوذة من كلمة سملأ العربية . بمعنى إفساد أو أعطاب العين، ومصدر بيرتون معجم عربى ولكنه لم يذكر اسم مؤلفه ويرى بعض الصوماليين إنها إما تحريف لكلمة (ذومال) العربية والمال قد يعن الإبل أو إدغام لكلمتى سو ـ مال الصوماليتين حيث تعنى الأولى اذهب والثانية احلب اى اذهب واحلب (امال توفيق، مشكلات الحدود فى القرن الإفريقى ص ٢، وهناك يفيد بان الاسم يرجع الى وادى الصومال الواقع شمال صنعاء حيث جاء منه مهاجرا مع القرن الثالث الهجرى، احد جدود الصوماليين ليلحق بوالده الذى كان قد سبقه الى الهجرة الى الساحل الافريقى وانه استقر هناك وتزوج فتاة حامية وانجب منها تسعة اولاد تناسلت منها القبائل الصومالية أنظر الشيخ احمد عبدالله ريراش، كشف السدول عن تاريخ الصومال وممالكهم السبعة ـ ١٣٩١هـ بدون اسم ناشر ص ١٣ (استفدنا من النسخة الموجودة بمكتبة الاكاديمية الصومالية بمقديشو) وكذلك

Burton, Sir Richard F, First Footsteps in East Africa, * or on exploration of Harar, edited by his wife Isable Burton, Tyleston and Edwards, London.

ج ـ دارود Darood وهى أكثر قبيلة صومالية ويبلغ تعدادها أكثر من مليون، ويسكنون شمال الصومال فى الاجزاء الشرقية لقبيلة اسحاق وكذلك فى جنوب شرق اثيوبيا فى الاجزاء الشمالية والجنوبية من هرر والمحافظة الشمالية لكينيا وأهم فخوذها اِمجرتين، وراسنجلى ودبلهانتى، كبل الله، الاوجادين.

٢ـ حاوية Hawiya ويزيدون على نصف المليون ويتركزون فى مناطق الدارود الشمالية وكل هذه المجموعات تعيش أساسا فى شمالى الصومال، حيث لاتسمح ظروف البيئة الا بالحياة البدوية الرعوية.[١]

بالاضافة الى ذلك توجد مجموعتان رئيسيتان فى الجنوب يعرفان بمجموعة الساب وهما ـ الديجيل Digil والرهانوين (Rahanwin)

ومعظم القبائل الصومالية تعود بانسابها إلى أصول عربية وتفتخر قبائل الشمال، بأصلها العربى وإن وجدت بعض القبائل بالجنوب، تركز على أن اصولها افريقية[٢] لا يوجد احصاء دقيق باعداد الصوماليين ولكن عموما فإن عددهم فى حدود عشرة ملايين، إذ عدد سكان جمهورية الصومال الديمقراطية ٤,٧ مليون نسمة وعدد اللاجئين الصوماليين الوافدين من اثيوبيا الجنوبية الشرقية يعادل ١,٣ مليون نسمة، و٤٥٪ من سكان جيبوتى البالغ عددهم قرابة نصف المليون صوماليون، وكذلك تترواح اعداد الصوماليين فى محافظتى الاوجادين وهرر ما بين مليونيين الى ثلاثة ملايين.[٣] بالإضافة الى نصف مليون صومالى فى منطقة الحدود الشمالية الكينية.

٢ـ العفر «الدناكل»

يعرف هذا الشعب بعدة أسماء، فهم يسمون انفسهم العفر والمصادر العربية تطلق عليهم دناكل ويعرفون عند الحبشة (ادال) ويعرفون عند الصوماليين «اود على»[٤] أى أولاد على وتمتد بلاد الدناكل من ميناء مصوع فى ارتيريا الى رأس جيبوتى ثم إلى وادى نهر هواش حتى ديسى فى اثيوبيا.

١/ I.M. Lewis, A Pastoral Democracy. O.U.P. 1967 P.7.
كذلك أمال توفيق، مشكلات الحدود فى القرن ص ٥٦ـ٦٠.

٢/ بعض المثقفين ثقافة غربية يحاولون نفى قضية الاصول العربية وينادون بإفريقيتهم بينما لا يزال يتمسك علماء الدين وشيوخ الطرق بانسابهم العربية.

٣/ التقديرات ـ فى هذا الموضوع ـ متفاوته كما ان معظم الاحصائيات قديمة ولكن انظر A. Richard V. Weekes, Muslim Peoples, A World Ethnographic Survey, Green Wood Press. West-Port- London 1978 P. 364.
B. Hanne christensen. Survival Stratgies for and By Camp Refugees, United Nations Research Institute For Social Development, Geneva 1982, P.2-3.
C. David B. Barrett. World Christían Encyclopedia, Nairobi, O.U.P. 1982, PP. 282-283.
وكذلك ديوان التنمية السياحية/ جمهورية جيبوتى، اكتوبر ١٩٧٩.
J. United Nation. Office for Emergency operations in Africa New York report No. OEOA/ 3/6 December 1985.

٤/ على أحمد عدم الدناكل تاريخيا وبشريا هرجيسا الصومال ١٩٦٦ـ ص ٧ـ٨. وكذلك Richard V. Weeks, Muslim Peoples P. 4.

وتتكون بلادهم من اقاليم متصلة ومتماسكة بشبكة من الطرق البرية والجبلية وتبلغ مساحتها الكلية خمسة وخمسين الف ميل مربع.

تتداخل مناطق الصوماليين والعفر فى اثيوبيا حيث أن العفر مسلمون كاخوانهم الصوماليين، ويسكنون كالصوماليين فى السهول والوديان بينما يفضل الاحباش الجبال. وهم أساسا كالصوماليين رعاة ابل ويشكلون فى الحبشة مع الصوماليين وحدة ادارية لها ظلالها السياسية اسمها محكمة الدناكل والعيسى فى منطقة هواش «هرر» بالاضافة إلى مركز ثقلهم الأساسى سلطنة عويسة الدنكلية ويعتبر الدناكل المجموعة السكانية الثانية بعد، الصوماليين فى جمهورية جيبوتى، حيث تنتظم امورهم هناك فى سلطنتين هما:ـ

أ ـ سلطنة تأجوره وهى عبارة عن حلف بين ست وثلاثين قبيلة عفرية.

ب ـ سلطنة راحتييه وهى عبارة عن حلف بين اثنين وثلاثين قبيلة عفرية وتمتد من جيبوتى حتى ارتيريا.

تعود جذور العفر إلى هجرات العرب العاربة التى يرجح أنه مضى عليها أكثر من خمسة آلاف عام [1]. حيث تهاجنت وتناصرت مع القبائل الحامية [2] فكان العنصر الدنكالى، والدناكل كالصوماليين كلهم من المسلمين وقد ظل الدناكل يعيشون فى سلطناتهم وإماراتهم مع اخوانهم الصوماليين بشكل سلمى. ولكن حديثا حاولت السلطات الاثيوبية ممارسة سياسية فرق تسد بين الصوماليين والعفر فى المناطق الاثيوبية وكذلك السلطات الفرنسية فى مستعمرة جيبوتى سابقا اقليم العفر والعيسى وقد ظلت علاقات العفر عدائية مع جيرانهم من مسيحي الحبشة شأنهم شأن

١/ المصدر السابق ص ٤ وكذلك عدم ـ الدناكل تاريخيا وبشريا ص ١٦ وكذلك ابو احمد الاثيوبى، الاسلام الجريح فى الحبشة، بلاد النجاشى ارض الهجرة الأولى ١٩٦٤ بدون ناشر ولكن يبدو انه طبع فى المملكة العربية السعودية ص ١٥.

٢/ قضية الاجناس قضية معقدة، وتستعمل استعمالات مختلفة وتدخل الاعتبارات الحضارية السياسية والثقافية والعسكرية والبيولوجية (الشعر، اللون، الوجه، الفك) فى توظيف هذا العلم وتختار هذه الدراسة اطروحة ان شعوب شمال افريقيا خلطة من تفاعل ثلاث مجموعات وهى (أ) المجموعة البجاوية ـ المصرية وهى المجموعة التى افرزت حضارة مصر الفرعونية وتوسعت حتى منطقة مروى وذهب فرع منها الى الحبشة ثم عاد فى ظاهرة الزحف الاكسومى وتعرف هذه المجموعة احيانا بالمجموعة الحامية الشرقية.

(ب) المجموعة الاثيوبية الاغاوية وهى مجموعة زنجية ـ افريقية وهم سكان اثيوبيا القديمة واحيانا يعرفون بالعنصر الباثوى (ج) المجموعة السامية وهم سكان جنوب الجزيرة العربية كالمجموعة الحميرية القحطانية التى يقال ان اسم الاحرة ـ سادة اثيوبيا ـ تحريف كلمة حمير (وكما تعرب المصريون والسودانيون تعرب الصوماليون مع فارق التجربة التاريخية ومسار حركة التعريب انظر:

The New Encyclopedia Britannica Macropaedia 15th edit 1975 Volume 15 P. 348.

(٣) وكذلك شاكر، ارتيريا والحبشة وكذلك

Dr. Mahamud Brel.vi, Islam in Africa, Lahore, 1964, PP. 189-187.

الصوماليين، هذا ويبلغ عدد العفر حوالى مليون ونصف نسمة [1] ومنهم حوالى المائة الف بجيبوتى والبقية في اثيوبيا.

٣ـ الاورومو «الجالا» :

ينتمى شعب الاورومـو للمجموعات الحامية «الكوشية» وله صلات عرقية مع شعب الصومال والعفر، كما ان لغة الاورومو تشترك فى مفرداتها مع لغات هذين الشعبين. يسمون أنفسهم اورومو وحسب رواياتهم فانها تسمية مأخوذة من اسم جد مشترك لهم، ولا يحبون التسمية الشائعة «الجالا» باعتبارها تحمل ظلالاً تعنى المرتدين أو المنبوذين. ويقطنون حاليا فى منطقة الجنوب الغربى لاثيوبيا الحالية التى تقع بين خط ٤ شمالا الى ١٢° جنوبا وخط طول ٢٤° ـ ٤٤ درجة شرقا وتحد هذه الرقعة جنوبا بكينيا والصومال ومن الشمال بالمناطق المتاخمة للحدود الامهرية ومن الشرق جيبوتى وغربا بالسودان [2].

ولم تكن مناطق الاورومو ضمن اثيوبيا الحالية حتى القرن التاسع عشر، بل كانت جزءا من الممالك الإسلامية المستقلة وبدأت توسعات الاحباش فى مناطق الاورومو بعد مؤتمر برلين عام ١٨٨٤، ١٨٨٥، الذى مهد لتجزئة افريقيا وتقسيمها الى مناطق نفوذ اوربية، حيث باركت القـوى الاوربية المتصارعة دعم استيلاء اثيوبيا باعتبارها قوة مسيحية افريقية على مناطق الاورومو وبقية الممالك الإسلامية حتى حدود الصومال الحالية.

يعتبر الاورومو أكبر الشعوب الموجودة فى اطار اثيوبيا الحالية عددا، حيث لاتقل نسبتهم عن ٤٠٪ من سكان اثيوبيا [3] اى مابين ١٦ ـ ٢٠ مليون نسمة. والاورومو ـ محور الدراسة هنا ـ هم اورومو منطقة هرر فقط وكلهم من المسلمين وتبلغ اعدادهم ما بين مليون الى ثلاثة ملايين، ويتكلمون بلغة الاورومو وهى لغة غير مكتوبة وان اصبحت تستخدم فى البث الاذاعى كما جرت محاولات لكتابتها بالحرف اللاتينى وتمثل ذلك فى ترجمة الانجيل للهجة الاورومو وطباعته بالحرف اللاتيني منذ عام ١٧٧٦.

١/ انظر تقرير القنصل الانجليزى بهرر بتاريخ ١٤ اغسطس ١٩٥٥ Fo 371/113576- 103464
Fo 371 3 113576

وكـذلـك انـظر مقـابلة مع رئيس وزراء جيبوتى ووزير الداخلية، جريدة المدينة يناير ١٩٨٢، عدد ٤١ ربيع اول ١٤٠٢هـ، عدد خاص عن جيبوتى ص ١٢.

Richard V. Weeks, Muslim Peoples P. 6.

على احمد عـدم ـ الدناكل تاريخيا وبشريا ص ٧ـ٨.

٢/ حسن مكى، دراسـة مختصر عن شعب الأورومـو ـ ورقة مقدمة تلبية لإمتحان الدكتواره الجزء الأول بمعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ١٩٨٥ ص ١ـ٣.

٣/ World Christian Ency. P. 282.
وكذلك Weeks, Mulim Peoples PP. 4-5

٤- شعــــوب أخـــــرى :

تشكل شعوب الصومال العفر الاورومو أساس سكان الصومال الكبير وتوجد مجموعات ضئيلة اخـرى، استـوطنت منـذ زمن بعيد كالعرب «اليمانية» الذين يوجدون فى جيبوتى ومقديشو وديرداوه وهرر ولايقلون عن مائة ألف[١]. وقد تزاوج بعضهم مع السكان المحليين، بينـما احتفـظت اعداد منهم بمزاياها العرقية والثقافية، وكذلك مجموعات اثيوبية أساسها الأمهـره فى شكـل مستـوطنات منعزلة فى محافظتى هرر والاوجادين وكذلك فى جيبوتى، بالإضافة الى الهرزيين وهم بقايا حملة رؤوف باشا المصرية على هرر عام ١٨٧٥ حوالى واحد وخمسين ألف نسمة[٢] بالإضافة الى الجاليات الايطالية والفرنسية والهندية وغيرها.

الإسلام وشعوب الصومال الكبير

بدأ التفاعل بين سكان سواحل البحر الاحمر والمحيطالهندى والجزيرة العربية ومصر منذ آماد بعيدة، ترمز إليها هجرات العرب العاربة وكذلك رحلة الملكة المصرية حتشبسوت لبلاد بنت طلبـا للعطور والبخور[٣] قبل ثلاثة ألاف وخمسمائة عاما فتاريخ الصومال هو تاريخ التفـاعل المستمر بين إفريقيا والجزيرة العربية إذ كانت الصومال هى الاسبق فى استقبال الـدعـوة الإسلامية ومن المرجح ان ذلك يعود لعلاقات الصومال القديمة ببلاد العرب، وبحكم وجود جاليات عربية على ساحل الصومال منذ انهيار سد مأرب سنة ١٢٠ وما تلا ذلك ـ سواء أجاءت هذه الجاليات لاسباب مذهبية ام اقتصادية فان هذه الجاليات كانت الأسبق فى التفاعل مع حملة الدعوة الإسلامية خصوصا انه من المرجح ان الصومال عرفت الدعوة الإسلامية فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، عندما هاجر بعض المسلمين الى الحبشـة حيث اسس هؤلاء مركـزا للدعوة الإسلامية فى ارتريا والصومال ابتداء من السنة الخامسة للبعثة النبوية الشريفة[٤] ومهما يكن فان بدايات التحول الحاسم للإسلام بدأت مع الهجرات العربية الجماعية فى العصور الوسطى الى ساحل الصومال وبدأت هذه الهجرات

١/ المصدر السابق، ص ٢٨٣ وكذلك ص ٢٨٣ World Ch. Ency. P. 283

٢/ Weeks. Muslim Peoples P. 404.

٣/ د. جلال يحى، العـلاقـات المصرية ـ الصـومالية، الدراسات الافريقية، ١٩٦٠م ص ٧ـ١١. وكذلك محمد عبدالفتاح هندى، تاريخ الصومال، دار المعارف بمصر ١٩٦١ ص ١٣.

٤/ د. محمـد محمد امين، الصومال فى العصور الوسطى الإسلامية، الدارة، العدد الثانى، السنة العاشرة، محرم ١٤٠٥هـ ص ٣٠٤ـ٢٣٥، تتضارب الأخبار حول أثر هجرة الصحابة إلى الحبشة، اذ برغم ان عددهم قد بلغ ١٣٢ مهاجراً وامتدت هجرتهم إلى نحو ستة عشر عاما، الا ان عدداً من المؤرخين يقول انهم لم يحولوا احداً الى دينهم، كما ان هناك خلافا فى مناطق استقرارهم انظر د. عبدالرحمن زكى، الإسلامى والمسلمون فى شرق إفريقيا مطبعة يوسف بالقاهرة، دون تاريخ نشر ص ٣٧ـ٣٨.

فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ ٧٨٥ - ٧٠٥م) حينما خرجت هجرات عربية باعداد كبيرة الى ساحل الصومال وسواحل شرق افريقيا الشرقية تجنبا لسياسة البطش والتنكيل التى اتبعتها السلطات الاموية ضد خصومها، كما ان الدولة الأموية بدأت تهتم بساحل شرق إفريقيا فى إطار استراتيجية الفتوحات الإسلامية التى مضت فيها وكذلك لتعقب الفارين وتأمين المناطق المحازية للدولة الأموية.

ويندرج فى هذين الاطارين، هجرة الأخوين ابنى عباد الجلندى من قبيلة الازد وهما من شيوخ العرب الذين حكموا عُمان فى أيام الدولة الأموية وثاروا ضد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧٥هـ/٦٩٤م وكالهجرة الزيدية من اليمن الى ساحل بنادر بالقرب من مقديشو في عام ٧٣٩م بعد مقتل الامام زيد بن على فى الكوفة وكهجرة الأخوة السبعة فى قبيلة بنى الحارث العربية وهجرة فارسية شيرازية فى القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى[١]، وكهجرة سليمان بن سليمان بن المظفر النبهانى صاحب عمان واتباعه فى بداية القرن السابع الهجرى - الثالث عشر الميلادى. ١٢٠٣م حيث صاهرت هذه الأسرة قبائل السواحل الصومالية وأقامت مملكة شملت كسمايو وبراوة ومقديشو. وظلت هذه الأسرة النبهانية تحكم حتى قض عليها البرتقاليون[٢]

وفى القرن الخامس عشر جاءت من حضرموت جماعة تتألف من أربعة وأربعين عربيا يدعون إلى الإسلام، فنزلوا فى بربرة على البحر الأحمر ومن هناك انتشروا فى بلاد الصومال ليدعو إلى الإسلام. وقد شق أحدهم وهو الشيخ إبراهيم ابوزرباى طريقه إلى مدينة هرر سنة ١٤٣٠م. واستمال هناك الكثيرين من الذين تحولوا الى الإسلام وما يزال قبره فى هرر يمثل مزارا للمسلمين، وهناك بالقرب من بربرة جبل لايزال يسمى جبل الأولياء تخليدا لذكرى هؤلاء الدعاة الذين يقال أنهم كانوا يجلسون هناك فى خلوة مقدسة قبل أن ينتشروا فى طول البلاد وعرضها لتحويل الناس الى الإسلام.[٣]

ويمكن تلخيص سمات هذه المرحلة الممتدة حتى القرن الخامس عشر الميلادى فى :-

١- ظهور المراكز التجارية وإقامة كيانات سياسية عربية إسلامية ولذلك شهد الساحل

١/ Mahmad Brelvi, Islam in Africa, Institute of Islamic Culture club road, Lahore, Feb. 1964 PP. 190–1992.
وكذلك محمد أمين، الصومال فى العصورالوسطى ص ٢٠٦-٢٠٨.

٢/ المصدر السابق ص ٣٠٩ وكذلك د. عبدالرحمن زكى، الإسلام والمسلمون فى شرق إفريقيا ص ٦٧-٧٨.

٣/ سير توماس. و. ارنولد، الدعوة إلى الإسلام ترجمة إلى العربية وعلق عليه، د. حسن إبراهيم طه و د. عبدالمجيد عابدين واسماعيل النراوى مكتب ةالنهضة المصرية ١٩٧٠ ص ٣٨٧ وكذلك انظر و. Ali Abdiralman Hersi, The Arab factor in somali History, The orginins and the development of Arab Enterprise and cultural influences in the Somali Peninsula. Ph Thesis - Us. of Califormnia 1977.

وتتوسع هذه الدراسة فى ذكر هذه الهجرات العربية ص ٧٥-١١٩ ولكنها تفتقر إلى الدقة احيانا كقوله فى ص ٧٩ ان القرآن اشار فى مواضع عديد ة الى النجاشى بينما لم يرد للنجاشى ذكر فى القرآن.

الشرقي لإفريقيا قيام الكثير من الامارات والمدن العربية والإسلامية[1].

٢ـ تبلورت هذه الكيانات الإسلامية فى شكل دويلات ابتداء من ميناء زيلع وفى الشمال مع طريق التجارة الطبيعى لنهر هواش.

٣ـ الصراع بين هذه الكيانات الإسلامية حول السيادة والسلطات والموارد الاقتصادية من جهة وبداية الصراع بينها وبين المملكة المسيحية الحبشية من جهة أخرى.

درجت المصادر العربية على تسمية هذه الكيانات بالطراز الإسلامى[2] لأنها على جانب البحر كالطراز له، أى انها تمتد على طول ساحل البحر دون أن تتسع كثيرا فى الداخل، واحيانا بلاد الزيلع واحيانا من بلاد الحبشة ما بين مسلمى الحبشة وتشتمل على عدة ممالك منها «وفات، داوارو، ارابينى، هدية شرحا، بالى، حارة وجزيرة دهلك ومدينة مقديشو ومدينة عدل[3]».

ويبدو أن حركة التاريخ أخذت تدور ابتداء من هذا العصر فى محورين متقابلين، محور القسم الإسلامى من بلاد الحبشة والقسم المسيحى، وقد وصف ذلك ارنولد .ج. توينبى قائلا حينما خلق الخالق اثيوبيا، لم يكتف ببناء هضبة مفردة وانما اثنتين، وشق بينهما واديا ليعزلهما عن بعض، فجعلهما هضبتين متقابلتين لكل منهما جرف يقابل الجرف الآخر، الإسلام يواجه المسيحية هرر تواجه اديس ابابا. جرف الهضبة المسيحية يجرى فى اتجاه الشمال وجرف الهضبة الإسلامية يبحر بعيدا إلى الشرق[4].

أدى قيام السلطنات والممالك الإسلامية الساحلية الى فرض عزلة شبه كاملة على مملكة الحبشة المسيحية عن البحر، كما ان قيام الممالك الإسلامية بحسها التبشيرى التوسعى، شكل تهديدا حضاريا لحركة الحضارة المسيحية في الهضبة. وكان أقوى هذه الممالك «وفات» وقد أسسها السلطان عمرو ليسمع من ذرية يوسف الكنين الملقب بردخلة[5] وقد تعاقب على كرسى هذه المملكة خمسة وثلاثون سلطانا، كان آخرهم السلطان محمد بن إبراهيم[6]، وقد

١/ دكتور/ دولت صادق، شرقى إفريقيا دراسة فى جغرافة الاسلام بحوث المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول، المجلد الرابع، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ١٥٠٤هـ.

٢/أبو العباس احمد بن على الفلقشندى، صبح الاعشى فى صياغة الانشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف الترجمة والطباعة والنشر، الجزء الخامس ص ٤٣٤، ٣٢٦، ٣٣٦.

٣/ د. يوسف فضل حسن، انتشار الإسلامى فى إفريقيا، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٧٩ ص ٦ـ١٢، كانوا يطلقون على المنطقة كلها اسم الحبشة، من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل وهم لا يعنون بذلك حدوداً سياسية أو اقليمية ولكن لشهرة الحبشة عند المسلمين.

٤// Arnold J.Toynbee, Between Niger and Nile London, 19?66 PP, 39-38.

(٥) اسرة عربية هاشمية ترجع بنسبها إلى الحسن بن عل بن ابى طالب، حكم صنعاء لمدة طويلة (١١٢٧ـ١١٨٥م) ثم هاجرت واصبحت صاحبة الكلمة فى زيلع، حتى ان ملك الحبشة (يكونو املاك Yekuno Amlak طلب المعونة والمساعدة من هذه القوة الزيلعية ليثبت بها العرش الحبشى وافتخر بها حينما كتب الى الملك الظاهر بيبرس في مصر، راجع الشيخ أحمد عبدالله دبراش ـ كشف السدول عن تاريخ الصومالى ص ١٣.

٦/ عرفت هذه السلطنة فى بداياتها باسم (افات) وبعد توسعها واستيلائها على المناطق الداخلية فى الحبشة (جهات شو) عرفت بمملكة عدلوكانت عاصمتها زيلع ثم عرفت فى آخر عهدها بسلطنة هرر.

دامت مدة حكمه سبع سنوات، «٩٨٤ - ٩٩١هـ ١٥٨٣م» وقد قتل هذا السلطان - كغيره - فى حروبه ضد مملكة الحبشة المسيحية، وكانت هذه الحروب خاتمة القوى العسكرية لهرر التى لم تقم لها قائمة بعد، حيث انتقل مركز القرار السياسي والعسكرى الى واحة عوسة حيث أصبح الدناكل هم عصبية الدولة الجديدة.

انجبت مدرسة هرر العسكرية، القائد المجاهد أحمد إبراهيم الجران - أى الأعسر ١٥٠١ - ١٥٤٢م هذا الامام الذى خاص فى ظرف عشر سنوات ستين معركة ضد مملكة الحبشة المسيحية، انتصر فيها جميعا، والذى تم على يديه، فتح معظم أرض الحبشة وهزيمة مليكها وقتله، كما استطاع الامام أحمد أن يوحد الممالك والشعوب الإسلامية فى اطار عاصمته هرر، حيث انطلق منها كالسهم، فاتحا لبلاد اكسوم القديمة حاضرة بلاد التجرى واخترق الهضبة الحبشية إلى الغرب حتى تمكن من فتح مناطق يهود الفلاشا عند منبع النيل الأزرق ومشارف بلاد التاكا داخل حدود السودان الحالية [1]. وقد روعت أوربا الصليبية بفتوحات الامام أحمد بن إبراهيم وخشيت من حدوث انقلاب إسلامى يؤدى الى تقويض حركة الحضارة المسيحية نهائيا فى الحبشة، خصوصا أن ما حدث فى السودان من زوال دولة ممالك النوبة المسيحية على ضربات التحالف الفونجى - العبدلابى شاخص فى العيان [2]. لذا فقد سارعت البرتقال متدخلة لاسعاف ملك الحبشة غير أن قائد قوة التدخل البرتقالية كريستوفر دى جاما لقى مصرعه على يد الامام أحمد فى عام ١٥٤٢.

كان لغزوات الامام أحمد بن إبراهيم الجران على الأقل أثار ثلاثة أساسية هى :-

١- مجىء الجيوش الصليبية البرتغالية لمنطقة شرق إفريقيا لحماية المسيحية وتقويض الإسلام، مما قاد مستقبلا لحركة البعثات البشرية المسيحية والاستعمار، كما ان استعانة الامام احمد بالخلافة العثمانية لمجابهة البرتقال، أدى مستقبلا لاحتلال الاتراك العثمانيين لاركيكو ومصوع عام ١٥٥٧ فى منطقة ارتيريا الحالية مما قاد للصراع الدولى الذى توج بالاحتلال الايطالى فى نهاية القرن التاسع عشر لارتريا وساحل الصومال الجنوبى [3].

٢- مهدت غزوات الامام أحمد وتدميره للقوة المسيحية، لظهور قوة جديدة على المسرح الاثيوبى، هى قوة 'الاورومو «الجالا»، في ظروف انحطاط مملكة عدل التى مثلت القوة الإسلامية' [4]

٣- دخول معظم سكان اثيوبيا فى الإسلام، بل تشير بعض المصادر الى أن تسعة اعشار

٣/ انظر عرب فقيه/ شهاب الدين أحمد بن عبدالقادر الجيرابى/ تحقه الزمان أو فتوح الحبشة، تحقيق فيهم محمد شلتوت، مطابع الهيئة المصرية العام للكتاب.

١/ انظر يوسف فضل حسن، مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية.

٣/ تناقش هذه القضية فى الجزء الثانى من هذا الفصل تحت عنان (الصومال الكبير تحت السيطرة الأوربية، اذ تبدو الفقزة كبيرة من القرن السادس عشر للثامن عشر.

٤/ I, M. Lewis, A Modern History of Somalia, Nation and State i the Horn of Africa, Longman 1980 P. 27.

الاثيوبيين اصبحوا مسلمين وأنه لولا نجدة البرتقاليين لاختفت اثيوبيا المسيحية من الخريطة لمصلحة دولة عدل الإسلامية[1].

دخلت سلطنة هرر فى عهد من الفوضى، نتيجة للاضطراب الذى أحدثته غزوات الجالا - الاورومو - حيث تأثر نظام الحكم وأصبح تولى العرش بصورة غير منتظمة، لذا نجد انقطاعا فى سلسلة امراء هرر لمدة سبعين عاما أي بين عامى ١٥٨٥ - ١٦٤٧، وفى عام ١٨٤٧م استولى على حكم هرر الامير على بن داؤد من سلسلة سلاطين هرر السابقين، ومنذ عهد هذا الأمير توالت سلسلة امراء هرر، بنظام مرة أخرى حتى دخلتها القوات المصرية عام ١٨٧٥. ولكن اختلف الأمر فى ان مساحة سلطنة هرر تقلصت ولم تعد تشمل السواحل ومناطق بر سعد الدين ولم يستطع الأمراء اعادة نفوذ المملكة على نحو ما بداه السلطان عمر ولسمع، ولم يبق لسلاطين هرر الا مدينة هرر نفسها.

أدى اكتساح الجالا لهرر، الى انتقال الثقل السياسي الى واحة عوسة، حيث اطلت سلطنة عوسة الدنكلية الإسلامية والتىتتبعتسياسات مستقلة حتى بعد خمود هرر ومجىء الغزو الأوربى وان لم تفلح هذه السلطنة فى استقطاب الولاء الإسلامى فى المنطقة.

ونتيجة لهذا الفراغ، الناتج عن عجز سلطنة عوسة فى سد مكان هرر، اختلفت القبائل الصومالية فى ولائها وتشعبت وقتل بعضهم بعضا، ودخلت بربر وزيلع فى سيادة شريف مكة، تحت السيادة الاسمية للدولة العثمانية، كما سطع فى هذه الفترة نجم العمانيين الذين استطاعوا طرد بقايا البرتقاليين عن كل الساحل الإفريقى الشرقى وحلوا محلهم بقيادة سلطان بن احمد. ودخل العمانيون فى عام ١٧٩٦ - ١٨٠٤ في اتفاقيات تعاون مع الانجليز كما دخلوا فى صراع مع القواسمة فى الخليج بمساعدة حلفائهم الانجليز واستطاعوا أن يدخلوا كل الموانى الصومالية الساحلية في طاعتهم[2] واصبحت مقديشو تحت حمايتهم. ومما يدل على الفوضى والصراع أن شيوخ مقديشو ارسلوا رسالة استغاثة فى عام ١٧٦٥، الى سلطان قبائل القواسمة فى الخليج، يخبرونهم برفضهم لحكم ملوك أهل الإسلام أى العمانيين بزنجبار لأنهم ضيعوا الشريعة ونادموا سلاطين الكفار واستعبدوا أهل الأمصار لذا فقد نهض فى الصومال من نهض، لأمر الناس بالمعروف واقامة الشريعة، ويطلبون من القواسمة معاونة اليد واللسان[3].

وصل معظم الصومال الكبير فى القرن الثامن عشر الى واقعة العرقى والقبلى الحالى، حيث دخل الجالا الصومال فى فترات مابعد الجهاد الجرانى، وأصبحت هناك مناطق كاملة تخصهم ونجد فى مذكرات الرحالة الأوربيين اشارات الى ان المدن الصومالية الساحلية

١/ Gwendolen M. Carter, National Unity and Regionalism in Eight African Staeees, Cornell uneversity Press. Ithaga, New York, P. 453. Third Imp. 1976 PP. 85-87.

٢/ Norman R. Bennet. A History of the Arab State of Zanzibar, Studies In African History 16. Methun & Co. Ltd. 1978, P. 17.

٣/ الشيخ ريراش، كشف الدول عن تاريخ الصومال ص ١٤٣-١٤٤.

تعترف بتبعيتها لسلطان زنجبار وسلطان قبيلة جيليدى (Geledi) الصومالية[1]. وهكذا نجد القبائل القوية شبه مستقلة أو فى تحالف مع حكام عمان، بينما ظلت زيلع وبربرة تابعة اسميا للخلافة العثمانية فى اطار امارة المخا فى اليمن وان دخلت فى تجارة واسعة مع الانجليز.

وقد أدى افتقار منطقة الصومال الى سلطة مركزية موحدة طيلة القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الى اغراء القوى الدولية على التسابق لوضع يدها على سواحل ودواخل الصومال الى أن انتهى كل مايعرف بالقسم الإسلامى من الحبشة أو الصومال الكبير لسيطرة فرنسا بريطانيا، ايطاليا، اثيوبيا منليك، وفى هذه الفترة شهدت هرر نهضتها الأخيرة باعتبارها امارة صومالية مستقلة، تحت قيادة عائلة من الجبرته صاهرت الاشراف، كما نقل ذلك رتشارد بيرتون عن بروس[2] Bruce

الصومال الكبير تحت السيطرة الاوربية :-

في عام ١٤٩٨ وصلت للمحيط الهندى ثلاث سفن برتغالية تحت قيادة فاسكودى جاما فى رحلته الشهيرة، التى أدت لأكتشاف رأس الرجاء الصالح، وكما ذكرنا فقد نزل بعده كريستو دى جاما ومعه اربعمائة جندى فى عام ١٥٤١م عن طريق مصوع لنجدة مملكة الحبشة المسيحية من الزحف الاسلامى، مما أدى لمجىء الأتراك وقد دفع ذلك بالمنطقة إلى صراع مزدوج بين الصليبيين والخلافة العثمانية وكذلك بين القوى المحلية بما فيها الإمارة العمانية الناشئة ودولة الحبشة المسيحية وقبائل الصومال[3].

توافق ذلك كله، مع ظهور قوة محلية جديدة فى المنطقة فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى وتلك هى دولة محمد على باشا فى مصر والتى سعت لتوحيد حوض النيل واستندت فى ذلك فى ذلك إلى نظرية الحدود الطبيعية للدولة وكان من ضروريات تطبيق هذه النظرية ادخال منابع النيل وسواحل البحر الاحمر وخليج عدن داخل نطاق واحد. وسار الخديو اسماعيل فى تنفيذه لهذا المشروع فى ذات الوقت الذى حاول فيه الحصول على استقلاله عن الدولة العثمانية. وقد نجحت مصر فى ذلك بعد حصولها على تنازل عن مينائي سواكن

١/ Lewis., Modern History of Somilis P. 30.

وكذلك محمد عبدالفتاح هندى، تاريخ الصومال ص ٣٥-٣٦ ك السلطان برغش سلطان زنزبار هو الذى اقام حول العاصمة مقديشو سورا يحيط بها فسى اكثر جهاتها وفرض لكل قبيلة داخل نطاق المدينة المسورة منطقة خاصة بها كما انشئت للجند القلعة الاثرية التى ما تزال موجودة كمتحف، وقد انتشر العمران فى أيام دولة برغش وبنيت المساجد.

٢/ انظر Captain Sir Richard F. Burton, First Footsteps in East Africa Or An En Exploration of Harar edited by his wife isable Burton, London, Tylston and Edwards volume 2, P. 13.

٣/ انظر A Hand Book of Ethiopia, Prepared by General Staff Entelligence Kh. Printed by Whitehead Morris Egypt Limited P. 11.

وكذلك حسن مكى، تطور اوضاع المسلمين فى ارتيريا المركز الإسلامى الإفريقى الخرطوم ١٩٨٩.

ومصوع فى فرمان[*] ٢٧ مايو ١٨٦٦ [١] ومنذ هذا الحين، دخلت مصر فى تنفيذ استراتيجيتها فى ضم موانى الساحل الشرقى، حيث بدأت بوضع يدها على ميناء بربرة وفى عام ١٨٦٩ تم افتتاح قناة السويس، مما زاد من أهمية سواحل شرق إفريقيا، خصوصا أن نوايا بريطانيا فى استعمار الصومال واستخدام موانيه ترجع إلى تاريخ استحواذها على عدن فى عام ١٨٣٩م إذ أن فقر عدن وقلة منتجاتها الزراعية والحيوانية لم يجعلها قادرة على أن توفر احتياجات السفن في طريق الهند. رأت بريطانيا أن تستخدم الموانى الصومالية قواعد خلفية لتعذية رجالها باللحوم ومنتجات الصومال وعليه فقد نشطت الدوائر البريطانية فى تقرير وضع يدها فى بربره وزيلع ومنافسة الوجود المصرى تمهيدا لاقصائه.

أما فرنسا فقد بدأت دورها فى منطقة أبح جيبوتى حينما حظى القنصل الفرنسى فى عدن بامتياز فى منطقة الدناكل في عام ١٨٥٩ وتبع ذلك شراء فرنسا للميناء من شيوخ الدناكل ورفع العلم الفرنسى عليها ولكن وضع اليد عمليا تم بعد أحد عشر عاما من فتح قناة السويس وكذلك بتكوين الشركة التجارية الفرنسية - الاثيوبية عام ١٨٨١. كما قام الإيطاليون بوضع يدهم على ميناء عصب بشرائهم له من شيوخ الدناكل عام ١٨٦٩ بوساطة المبشر الايطالى جوستى سابيتو Guiseppe Sapeto الذى كان يعمل فى اثيوبيا.[٢]

ساهم شارلس غردون حاكم السودان من قبل الخديو اسماعيل فى تقوية فكرة الحدود الطبيعية لمصر، حينما لاحظ أن اقصر خط امدادات للسودان يمكن أن يكون من ساحل شرق افـريقيا بدلا عن مصر، لذا تحركت حملة مصرية بقيادة انجليزية لاحتـلال برافـا وكمسايو[٣] في الوقت الذى تفاهم فيه منليك الثانى ملك شوا مع القيادة المصرية فى أن تأخذ شمال اثيوبيا على أن تناصره على الامبراطور يوحنا الرابع.[٤] ومع أن الحملة المصرية فشلت ومنيت بالهزيمة الا أن مصر استطاعت شق طريقها واستحوذت على هرر عن طريق فرقة أخرى بقيادة رءوف باشا[٥]

١/ د. جلال يحى، العلاقات المصرية - الصوماليه، لجنة الدراسات الإفريقية عام ١٩٦٠ المكتبة الإفريقية ص ٣٥-٣٦.

٢/ I.M. Lewis, A Modern History of Somalia P. 43.

٣/ Bennett. A History of Arab State of Zanzibar, P. 109

٤/ Harold G. Marcus. Menilik II in Norman R. Bennett, Leadership in Eastern A frica Boston Uiversity press 1968, P. Is.

٣/ ساعدت دراسة رتشارد بيرتون (اكتشاف هرر فى تسهيل مهمة الحملات التى تستهدف هرر، حيث انه زار هرر لمدة عشة أيام فى يناير ١٨٥٥ ووضع دراسة احاطت بموقع هرر وطرقها وطبيعة سكانها، وذكر فى دراسته ان هرر تماثل اهميتها فى شرق إفريقيا اهمية تمبكتو فى غرب إفريقيا ص ٨. وقد ذكر بانها فى عام ١٨٥٥ كان يقطنها ثمانية آلاف نسمة وطولها ميل وعرضها نصف ميل و بها مسجد كبير على الطراز التركى وبه منارتان ويكثر بالمدينة المساجد واشتهرت بمكانتها العلمية ويكثر الأولياء الصالحين المدفونيين بها وان اللغة الهررية تشبه اللغة العربية من ناحية التركيب والقواعد وان الشريعة الإسلامية مطبقة فيها جزئيا حيث تقطع يد السارق ولهرر عملتها الخاصة ومكتوب عليها (ضريبة الهرر والتاريخ الهجرى ١٢٤٨، ص ٢٢، ويعتقد اهل هرر ان ارضهم ستظل محمية ومزدهر طالما لم يطأها كافر وقد اورد الكاتب معلومات كثيرة عن تاريخ هرر وان مؤسسيها هم العرب واورد جزءا من صراع امارة هرر ضد مملكة الحبشة المسيحية.

وفى هذه الفترة أخذ الدور المصرى المستقل فى الخمود لذا اصبحت مصالح بريطانيا لاتتعارض مع الوجود المصري، باعتبار أن بريطانيا أصبحت القوة الفاعلة فى مصر ذاتها، لذا فقد عقدت الإدارة البريطانية مع مصر اتفاقية ١٨٧٧م، أقرت فيها بريطانيا بشرعية الوجود المصرى من بربرة حتى رأس حافون Hafun Ras ، هذا وقد شجع المصريون اثناء وجودهم بالصومال الإسلام وبنوا عددا من المساجد.[١]

تعاملت القوى الأوربية مع منطقة القرن الإفريقى باعتبارها امتداداً طبيعيا لمنطقة ـ وادى النيل ـ لذا فحينما اندلعت ثورة الإمام محمد أحمد المهدى فى السودان والتى كان لها مداها فى اثيوبيا والصومال[٢] أخذت القوى الأوربية فى تغيير استراتيجيتها فى القرن الإفريقى، بل وحينما اندلعت ثورة عرابى باشا فى مصر عام ١٨٨٢، احتلت الجيوش البريطانية قناة السويس واوعزت بريطانيا لايطاليا باحتلال ارتيريا حتى لا تقع فى ايدى المهدويين أو الفرنسيين.

واعلنت ايطاليا ارتيريا محمية ايطالية فى فبراير عام ١٨٨٥.[٣] كما واصل الانجليز ضغوطهم فى ظروف ثورة المهدى من أجل أن يسحب المصريون حامياتهم من هرر وزيلع وبربرا[٤] بينما مضت بريطانيا فى تنفيذ مخططها القاضي بملىء الفراغ.

وكذلك شرعت ايطاليا فى تثبيت اقدامها فى جنوب الصومال، منتهزة مجيء وفد يوسف على سلطان أوبيا Obbia فى شمال شرق الصومال إلى دار السلام فى ١٢ ديسمبر ١٨٨٨ طالبا الحماية الايطالية على منطقتهم نتيجة لسوء تفاهمهم مع سلطان زنجبار وقد انتهز فيل ناردى Filon ardi الفرصة ليحصل على موقع قدم فى الصومال مشفوعة بدعوة من ابنائها وبعدها أمر الوزير كريسبى الأسطول الايطالى بالتنفيذ وهكذا وبمجيء ٨ فبراير ١٨٨٩ وضع يوسف على بلاده تحت الوصايا الايطالية.[٥] تلك الوصاية التى تحولت إلى استعمار لم ينقطع الا فى ظروف الحرب العالمية الثانية حيث أصبحت وصاية ايطالية ابتداء من عام ١٩٥٠ حتى استقلال الصومال فى عام ١٩٦٠. كما قامت ايطاليا توطيداً لأقدامها فى الصومال ـ بتوقيع عهد اوقسيالى Ucciali المكون من عشرين مادة مع الامبراطور منليك ملك اثيوبيا ٢٤ مايو سنة ١٨٨٩ حيث نصت المادة ١٧ من النسخة الإيطالية للإتفاقية على أن جلالة امبراطور الحبشة يوافق على أن تكون مخابرة الحبشة مع سائر الحكومات والدول بواسطة

١/ I.M. Lewis, A Modern History of Somalia PP. 44-43.

٢/ Robert, L. Hess, The Poor Man of God, M.A.H., in Norman R. Bennett, Leadership in Eastern Africa P. 103, 99, 98, 75, 74.

٣/ Lewis, A Modern History of Somalia P. 44

٤/ كانت هذه المناطق جزءا من إدارة السودان حتى عام ١٩٨٨٠. والتى كان يقوم عليها ممثل الخديوى شارلى غردون فى حين كان السيد ايفلين بارنج قد رسم حدود مصر الحديثة إلى الشمال من خطعرض٢٢ شمالا.

٥/ Robert L. Hess Italian Colonialism in Somalia, University Press of Chicago, 1950. P. 25.

ايطاليا[1] وانهمكت ايطاليا فى تزويد حليفهـا الملك منليك الثانى بالسلاح، هذا السلاح الذى عاد وبالا على ايطاليا نفسها فى موقعة عدوة الشهيرة.

أمـا فرنسـا فقـد أوكلت تجديد واحياء اتفـاقياتهـا مع شيوخ العفـر والعيسى المحليين بخصوص اوبوخ الى مسيو لاجارد Leoncelagrad وقد بذل جهوده لتعزيز وضع اقدام فرنسا فى جيبوتى الحالية، باعتبارها نقطة انطلاق للصين ومدغشقر ومركزا لمد السفن بالفحم وفى ٢١ سبتمبر ١٨٨٤ عقد لاجارد معاهدة مع سلطان تاجورة تقضى بواضع بلاده تحت الحماية الفرنسية ومن ثم قام باجلاء القوات المصرية عنها بالقوة[2].

وفى عام ١٨٨٨م تم توقيع الاتفاق الانجليزى ـ الفرنسى حلا للصراع الانجليزى ـ الفرنسى حول دائرة النفوذ فى أرض العفر والعيس حيث أصبحت بمقتضى ذلك الاتفاق ـ جيبـوتى بحدودها الحالية، تابعة لفرنسا أما بقية مناطق العيسى وبلاد الصومال المواجهة لعـدن فقد أصبحت من نصيب بريطانيا. ووافقت الدولتان على أن لا يتدخلا فى شئون هرر، رغم اصرارهما على عدم التنازل عن حقيهما فى منع أية دولة أخرى من الحصول على اية حقوق فى هرر أو فرضها عليها[3] ـ ولكن سرعان ما عضت الدولتان الطرف وهما تريان الملك منليك الثانى يستبيح هرر وأهلها.

اجتياح هرر وضمها للامبراطورية الاثيوبية:

أجبرت الحامية المصرية على الانسحاب من هرر تحت ادارة القيادة الانجليزية فى عام ١٨٨٥ وتم تسليم هرر الى الامير عبد الله على بن محمد عبد الشكور بين احتجاج الاهالى والتجار واشفاقهم على مصيرهم فى تلك الظروف الحبلى بالخطر[4]. وقد صدق حدسهم إذ ما أن تم اخلاء هرر حتى تدافعت عليها طلائع البعثات الاستخبارية والتنصيرية ممثلة فى الايطاليين ثم الانجليز، حيث ضاق بهم صدر امير هرر عبد الشكور الذى كان ذا غيرة وحمـاسة دينية، مما دفعة للقضاء عليهم باعتبارهم نذر شر، وهنا انتهز الامبراطور منليك السـانحة، وسابق الاوربيين بجيوشه الى هرر تحت ستار الثأر لمقتل المسيحيين الأوربيين ووقعت المعـركة الفاصلة فى ٧ يناير ١٨٨٧، حيث انتصر الجيش الاثيوبى بقيادة الرأس ماكونين Ras Makonen والد الامبراطور هيلاسلاسى وهرب الامير عبد الشكور ورجاله ألى الأوجادين.

١/ صادق باشـا المؤيد العظيم، رحلة الحبشة، تعريب رفيق بك العظم حقى بك العظيم، مطبعة الجريدة، سراى البارودى بيان الخلق، عام ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م ص ٢٢٧، النسخة الأمهرية لاتفيد ذلك.

٢/ د. جلال يحيى، العلاقات المصرية الصومالية ص ١٩١ ـ ١٩٦.

٣/ د. جلال يحيى، العلاقات ـ المصرية ـ الصومالية ص ٢٠١.

٤/ المصدر السابق ص ١٨٢.

ومع ان الملك منليك حرم على رجاله فى البداية استباحة المدينة إلا أنه لم يستطع بعدها - فيما يبدو - أن يقاوم شهوة الانتقام والثأر بعمقها ودلالتها التاريخية والدينية، لذا فقد اذن لرجاله باستباحة مدينة التسعة وتسعين مسجدا، كما قام بتحويل المسجد الذى بناه المصريون إلى كنيسة الثالوث المقدس، التى ما تزال تجاور مسجد هرر الكبير الى يومنا هذا[(١)]، كما كتب منليك لحاكم عدن الانجليزى يخبره بأنه يعتبر عبد الشكور الوريث للامام أحمد ابراهيم الجران «القرن السادس عشر»، وأن هزيمته تعتبر انتصارا للمسيحية.[(٢)]

مثل سقوط هرر واستياحتها صدمة عنيفة على مسلمى الحبشة وقبائل الصومال بل وقد كان لسقوط هرر ابعاده السياسية والثقافية والدولية، واجمع على ذلك كل من كتب عن تاريخ هرر فى نهاية القرن التاسع عشر وكيف لا؟ وقد كانت هرر حاضرة السلطنات الإسلامية ومثلت مركز الاشعاع الثقافي والاستاذية الإسلامية فى منطقة القرن الإفريقى لاكثر من أربعة قرون. لذا فقد مثل سقوط هرر التى تعتبر أكبر حاضرة للثقافة الإسلامية فى إفريقيا الشرقية بداية عصر الظلمات والانحطاط لمسلمى المنطقة.

عنى سقوط هرز دخول الصومال على القرن العشرين فى اطار سياسات القوى الأوربية المسيحية واثيوبيا المسيحية وعنى خضوعها جزئيا لسياسات المنظومة الكنسية الرباعية فرنسا فى جيبوتى وبريطانيا فى شمال الصومال وايطاليا فى الصومال الجنوبى واثيوبيا فى هرر. ومثل ذلك نهاية الوجود السياسى للسلطنات الإسلامية وخمود جذو ة الحركة الثقافية التى كانت تبثها هرر بدءا بممالك الطراز الإسلامى وانتهاء بسلطنة هرر.

تسوية مناطق النفوذ فى الصومال بين القوى المنتصرة :-

فى عام ١٨٩٠، مولت ايطاليا عضوية الحبشة للائحة بروسل (Brussel General Act) مما عنى الاعتراف بالحبشة كدولة مسيحية لها حق استيراد الذخيرة بصورة مشروعة، وعنى ذلك ضمنيا اعتراف القوى الاستعمارية، بامتلاك اثيوبيا لمشروعية حق القوة الذى يعلو على قوة الحق والذى كان وراء مشروعية المشروع الاستعمارى فى القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين. لذا فقد أخذت الأسلحة تتدفق على منليك، على الأخص بعد انتصار الامبراطور يوحنا على المصرين فى معركتين واغتيال الامبراطور يوحنا ذاته فى موقعة القلابات

١/ انظر Toynbee, Between Niger and Nile PP 41 - 39

I. S Trimingham. Islam in Ethiopia. Frank Cass and Company limited. Thd imp. 1976 وكذلك

٢/ A History of Modern Somalia P 50

وكذلك بيركت هايتى سلاسى، الصراع فى القرن الإفريقى، ترجمة عفيف الرزاز مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٨٠ ص ١١، وكذلك ص Somalia and the World, Volume 2 P 361

على يد جيش دولة الخليفة عبدالله التعايشى فى ١٨٨٩ وانفراد الامبراطور منليك بأمر الحبشة.

كما توطدت أقدام ايطاليا فى الصومال الجنوبى بتنازل الشركة البريطانية لشرق إفريقيا عن منطقة جنوب بنادر لايطاليا(١)، وختم ذلك بتنازل سلطان زنجبار عن حقوقه فى موانىء الساحل الصومالى فى عام ١٨٩٢ . كما قام الايطاليون باكتساح كل ارتيريا، مما اخاف الامراطور منليك والثوار، لذا فقد قرر الايطاليون احتلال كل بلاد تيجرى شمال اثيوبيا فاحتلوا عدوة العاصمة وهنا لجأ منليك الى فسخ عهد اوقسياللى فى ١١ مارس ١٨٩٣ لأن الايطاليين تجاوزوا الحدود الفاصلة بينهم وبين الحبشة، وفى صباح الفاتح من مارس ١٨٩٦ دارت المعركة التاريخية الفاصلة بين الايطاليين والاثيوبيين فى عدوة، حيث حدث الانتصار التاريخى للجيش الاثيوبى وهزمت ايطاليا وارغمت على دفع غرامة حربية عظيمة. وتخلت للامبراطور منليك عن جميع المواقع والبلاد التى كانت قد احتلتها فى مقاطعة تغرى .(٢)

رفعت هزيمة الايطاليين فى عدوة عام ١٨٩٦م من مقام الامبراطور منليك وجعلت الانجليز يتعاملون معه على أسس الندية، كى يجمعوا ممتلكاتهم الصومالية التى حدودها حسب مصالحهم التجارية فى عدن وطرق التجارة اليها، وكان ثمن ترضية الحبشة وكسبها خرق الانجليز لتعهداتهم واتفاقياتهم مع الصوماليين(٣) ومن هنا جاءت الاتفاقية الانجليزية ـ الاثيوبية فى ١٤ مايو ١٨٩٧ ، والتى تعتبر أول صك موثق لتمزيق ما عرف بتركة السلطنات الإسلامية، حيث تنازلت بريطانيا فى هذه الاتفاقية للامبراطور منليك عن هرر وجكجكا والهود وجيلديسا وان لم يتم تحديد هذه الحدود على الارض الا فى عام ١٩٣٤ . وبهذا يعتبر عام ١٨٩٧ عاما فاصلا فى تاريخ الصومال واثيوبيا الجديدة، وإن كان السؤال الذى حاولت معاهدة ١٨٩٧ الاجابة عليه ما يزال قائما ـ وهو من هو وريث السلطنات الإسلامية التى امتدت من الساحل حتى منطقة شوا، اهى اثيوبيا الحديثة ـ أو الصومال؟ وهل بالضرورة أن تتطابق الحدود السياسية مع الحدود الثقافية، ـ وفى نظر الصوماليين، فان عام ١٨٩٧ ، كان عام الخيانة، اذ اعطى من لايملك ـ أى بريطانيا ـ لمن لايستحق «اى اثيوبيا» اراضى ومدنا بسكانها وتراثها وهذه خيانة .(٤)

١/ فى عام ١٨٩١ تم تقسيم جوبالاند أى منطقة جنوب الصومال وشمال كينيا الحالية بحيث يتبع بريطانيا الجزء الجنوبى شمال نهر جوبا. وهى المنطقة الحالية التى تشكل جنوب الصومال وشمال كينيا .N.F.D وفى عام ١٩٢٤ تنازلت بريطانيا طبقا لاتفاقية جديدة مع ايطاليا عن جزء من منطقة جوبالاند لايطاليا مكافأة لها على دخول القوات الايطالية الحرب العالمية الأولى الى جانب الحلفاء واصبح خط الطول ٤١ حدا فاصلا بين منطقة جوبالاند التى ضمت لصوماليا ومنطقة انفدى، وهكذا وجد الصوماليون فى منطقة .N.F.D انفسهم جزءا من كينيا الحديثة، امال توفيق ، مشكلات الحدود ص ١٥٥ ـ ١٥٧ .

٢/ العظم ـ رحلة الحبشة ص ٢٩٥ ـ ٣٠٠ .

٣/ 1- Lewis, A History of Modern Somalia PP. 62-56

٤/ 2- Lewis Fitz gibbon. The Betrayal of the Somalis, Rex Collings, 1982 London P. 126

الاستجابة الإسلامية للتغلغل الاستعماري واستباحة هرر :-

تمثلت الإستجابة الإسلامية على الهجمة الاستعمارية والتى بلغت ذروتها فى سقوط هرر تمثلت فى الثورة الإسلامية التى اوقد نارها السيد/ محمد عبد الله الحسن[1] والتى استمرت متقدة أكثر من عشرين عاما ١٨٩٩ - ١٩٢٠ ، وقد ازداد مفعول هذه الثورة ابتداء من عام ١٩١٣ ، حينما دخل السيد فى تحالف مع الامبراطور المسلم ليج اياسو، الذى اعتنق الإسلام وطلق زوجته المسيحية واتخذ بدلا عنها عفرية مسلمة وأخرى اوروميه مسلمة.[2]

مثّل داعى التصدى للتبشير المسيحى الذى جاء مصاحبا للهجمة الاستعمارية أهم الدوافع التى أدت لاندلاع حركة الجهاد الإسلامى، ويقرر السير توماس ارتولد Thomas W.Arnold أن تزايد نفوذ منليك واحتلاله هرر، أدى الى تحول عدد معين من الاهالى إلى المسيحية[3] كما قام منليك على نحوما رأينا - بتحويل مسجد هرر الكبير الى كنيسة وتزامن ذلك مع بناء كنيسة كاثوليكية فرنسية فى بربرا بجوار مسجدها العتيق الذى كان يدرس فيه الشيخ محمد عبدالله الحسن تلامذته، وكان طلائع الكاثوليك قد وصلوا الى الصومال الحالى عام ١٨٨١ ، كما دخل فوج آخر من القساوسة الكاثوليك منطقة جيبوتى بعد استيلاء

١/ ولد السيد محمد عبدالله الحسن، ١٧ ابريل عام ١٨٦٤م فى منطقة الأوجادين بالصومال من عائلة دينيه معروفة، وكان يملك ذاكرة حافظة مكنته من استيعاب القرآن منذ أن كان فى الثانية عشرة، وأصبح يفتى فى الشريعة قبل العشرين، كما كان ملما باداب الصوماليين وأشعارهم فضلا عن كونه محاربا شديد اليأس، كما كان عالما باحوال العالم من حوله، اذ زار قبل إعلانه لجهاده، هرر قبل ثلاثة اعوام من سقوطها، ثم زار نيروبى والسودان حيث التقى بالانصار اعوان الإمام المهدى وعرف أخبارهم وقابل على وجه الخصوص عثمان دقنه ثم حج عدة مرات وتنقل بين عدن وفلسطين والحجاز، حيث انتسب للطريقة الصالحية على يد الشيخ محمد صالح السودانى ١٨٥٣ - ١٩١٧ وهذا الأخير خليفة خاله إبراهيم الرشيد السودانى، وهو بدوره تلميذ للمصلح الدينى الكبير السيد أحمد بن إدريس الفاسى ١٧٦٠ - ١٨٣٧ الذى يعتبر باذر بذرة حركة الصحوة الإسلامية فى القرن التاسع عشر ممثلة فى السنوسية والختمية وغيرها. مات السيد محمد بن عبدالله عن سبعة وخمسين عاما وهو ثانى من استخدمت ضده الطائرات فى إفريقيا بعد على دينار فى السودان وقد وصف بانه «ما أكثر ماهزم ولكنه لم يستسلم قط» وقد مات بالحمى فى ٢٣ نوفمبر ١٩٢٠ ودفن فى امى بالأوجادين انظر مثلا - للدراسات حول السيد محمد عبدالله

A. Somaliya Repuplica. Somala Departmento Culturals sayid Mohamed Abdulla Hassan. Antologiastorico, Mogadixio, No 3 1967.

B. Douglas Jardine. The MadMallah of Somaliland, Negro L.Press, New York.

٢) 2- Trimingham, Islam In Ethiqpia PP 131 - 128

(٣) سير توماس و أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، بحث فى تاريخ شرح العقيدة الإسلامية ص ٣٧٨، ويقرر سير توماس، أن كل حاشية أمير هرر كانت على مبادىء الطريقة السنوسية، وأن دعاة السنوسية كانوا يقومون بنشر مبادىء الإسلام بين جموع الجالا واقامة المدارس الإسلامية وصادفوا نجاحاً كبيراً فى دعوتهم وبها ان السنوسية هى أخت الصالحية باعتبار وحدة المصدر الشيخ أحمد بن ادريس فربما بدأت علاقة محمد بن عبد الله الحسن بتعاليم الشيخ احمد بن ادريس فى هرر حين ذهابه لها فى حوالى عام ١٨٨٥م انظر ذات المصدر ص ٣٧٢.

الفرنسيين عليها عام ١٨٨٣، وبدأت البعثة اللوثرية السويدية العمل في جنوب الصومال عام ١٨٩٨م. [1]

لذا فلا عجب أن شاع خبر قدوم النصارى وسط قبائل الصومال، في مجتمع بدوى مسلم متنقل، قادر على التقاط الأخبار ونقلها من مكان الى مكان، كما ان استباحة هرر وهروب اميرها وحاشيتها الى الاوجادين وسط قبائل الصومال، أدى إلى خلق تعبئة عامة وسط الصوماليين، على الاخص الجماعات الموصولة بمبادىء الشيخ أحمد بن ادريس ومن ثم لقى خطاب السيد محمد بن عبدالله الحسن استجابة واسعة وسط الصوماليين، حيث كان يتكلم عن زحف الكفار وبناء الكنائس فى أرض الصومال، وعن استخدام أرض الصومال منطقة عبور للامدادات التى تستخدم لمحاربة مسلمى السودان، ممثلين فى الحركة المهدية وكذلك عن التصحر[2] - أى الجفاف الذى ضرب اراضى الصومال، مما عنى للانتباه لقضايا البيئة فى ذلك الوقت المبكر.

بدأ السيد محمد، جهاده فى القسم الإسلامى من اثيوبيا الحاليه، حيث كان المسلمون يعيشون فى حالة كرب وضيق من جراء النهب المسلح وانتهاك الاعراض الذى كانت تقوم به العصابات المسلحة الاثيوبية ضد السكان المسلمين فى مناطق هرر وماجاورها وهناك اعلن فى استعراض مسلح لاتباعه فى مارس ١٩٠٠ الجهاد ضد الكفار الاثوبيين ومن ورائهم من الانجليز، حيث بدأ بمهاجمة جكجكا، أكبر مراكز الاثيوبيين فى الاوجادين، كما دخل فى سلسلة من المعارك مع الاثيوبيين فى منطقة الوال وال، حيث فقدت اثيوبيا ألفا ومائتيى مقاتل[3] وفى ينـاير ١٩٠١ أعدت اثيوبيا جيشا من عشرة الآف مقاتل. لملاحقته دون جدوى، مما اضطرها الى الاستعانة بايطاليا وبريطانيا لاعداد حملة مشتركة ولكن لم يك نصيب الحملة المشتركة من النجاح اكثر من سابقاتها، وبلغت ميزانية وزارة الحربية فى بريطانيا عام ١٨٩٩ ٢٣ مليون جنيه استرليني وقفزت الى ٧٣ مليون استرليني عام ١٩٠٤، [4] مما اضطر الانجليز والايطاليين لمصالحة السيد / محمد عبدالله الحسن فى مارس ١٩٠٥

١/ ص World Christian Encyclopedia PPP 266, 619, 618

٢/ أهم مصادر دراسة شخصية السيد محمد عبد الله الحسن

أ- شعاره ب - رسائلة مع الضباط الانجليز.

ج - رسائله مع ممثل الدولة العثمانية وشيوخ القبائل وغيرها

انظر ص Somaliya Antologia storico - cultural, No 3 29-1

Somaliya Antologia st rico - culturale. leio silbe Aman The Mad Mullah. P 51

٣/ كلف الاعداد للحملة الثالثة والرابعة فقط ص The Mad Mullah, P 51

مبلغ مليونان ونصف جنيه استرليني (2,500,000)

٤/ اشتركت ايطاليا فى هذه الحملة برغم أن جرحها فى عدوة لم يندمل بعد، وهذا يدل على ان التناقض الأساسى أولا بين الجهاد الإسلامى والقوة المسيحية، حيث ترى بريطانيا وايطاليا اسبقية حسم الصراع مع الجهاد الإسلامى وعليه تأتى تناقضاتهم كقوة مسيحية فى المرتبة الثانية.

ثم تجددت الحرب مرة اخرى فى عام ١٩٠٩م ولجأ الانجليز لممارسة الحرب النفسية والمعنوية، حيث ضغطوا على أمير مكة، فأرسل سبعة دعاة للدعوة ضد السيد فى مساجد مقديشو وكذلك قام الانجليز بنشر رسالة من الشيخ محمد صالح للسيد محمد عبدالله الحسن بصورة واسعة، تبرأ فيها السيد محمد صالح من حركة السيد محمد عبدالله الحسن ودعوته قائلا من هذا الوقت، لااريد أن يكون لى صلة بك وبمن معك. . . انك تلقب نفسك بالسيد، لا أعلم من أين جئت بهذا اللقب وكذلك من أين لك المهدية. [1] علما بأن السيد محمد عبدالله الحسن لم يدع المهدية قط.

كان السيد محمد عبد الله، كمعاصرة منليك يعرف كيف يتحرك فى اجواء الصراعات الدولية والمناسبات السياسية، وقد انتهز ظروف الحرب العالمية الأولى، فاتصل بالخلافة العثمانية مما جعل القائد التركى فى الجزيرة العربية، يرسل الى السيد، معينا اياه أميرا على قبائل الصومال وكذلك تحالف مع الألمان، كما استعان ببقايا المجاهدين المسلمين من اتباع المهدى السودانيين، ودخل فى تحالف مع الامبراطور الاثيوبى المسلم، ليج اياسو، الذى اعتلى العرش بعد منليك فى عام ١٩١٣م ونقل مقره من اديس ابابا الى هرر واتخذ لنفسه نسبا هاشميا بدلا من نسب الأسرة السليمانيه وكان علم ليج اياسو من نجمة وهلال ولا اله الا الله.

التقى السيد بالامبراطور المسلم فى جكجا وكان ينوى تزويج ابنته منه ولكن لم تمهل الكنيسة الاثيوبية المتحالفة مع رأس تغرى-الامبراطور هيلاسلاسى فيما بعد-ليج اياسو، حيث هزم الامبراطور المسلم وأصبح طريدا فى ارض الدنكل، وأصبح السيد محمد عبد الله وحيدا فى الميدان، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، تفرغت انجلترا للسيد ودخل معها فى معارك ضاربة الى ان مات فى ٢٣ نوفمبر ١٩٢٠ بالانفلونزا.

لقد نجح السيد محمد عبدالله فى توحيد اجزاء كبيرة من الأمة الصومالية، ولذلك يعتبر باعث النهضة القومية الحديثة، كما قبل عدد كبير من الصوماليين كلمته فى الأمور الدينية والشئون القبيلة «الصلح بين القبائل» وكان من انجازات السيد محمد عبدالله :-

١ ـ احياء الدين على منهج الشيخ أحمد بن ادريس الطريقة الصالحية وتطبيق الشريعة واضعاف التراث اللادينى فى الثقافة الصومالية.

٢ ـ توحيد المسلمين فى مناطق السلطنات الإسلامية القديمة الصومال والقسم الاسلامى فى اثيوبيا.

---

١) Jaimac Cumar Cuse. Sayid Maxamed Cabdulle ص 182 p لم يعثر على اصل هذه الرسالة ونشر محتواها فقط دوجلاس جاردين، فى كتابه The Mad Mullah وهناك شك كبير فى نسبتها للشيخ محمد صالح، خصوصاً أن الخطاب يناقش ادعاءات لم يدعمها السيد محمد عبد الله الحسن كالمهدية وان جاز انه كتب الخطاب فيكون قد كتبه اما نتيجة ضغط أو معلومات مضلله.

٣ ــ منافحة المستعمرين ومجاهداتهم بمختلف السبل السياسية والعسكرية.

٤ ــ اعطى الامة الصومالية مناعة قوية ضد التغريب والثقافة الاجنبية.

٥ ــ ساهم فى توحيد المزاج النفسى للمسلمين فى الصومال الكبير باشعاره وتجربته.

٦ ــ سن سنة أداء الشعائر الدينية بحزم ومنع الاختلاط وفرض الحجاب.

٧ ــ استعان بالنساء فى الحرب وظهرت عدة فارسات.

٨ ــ لم يكن يسمى اتباعه بالصوماليين وانما بالدراويش وهى تعنى المسلم اوره لشيخ الطريقة دون تعمق «مريد» ومن المفارقات أن الامام محمد أحمد المهدى منع تداول هذه الكلمة بين اصحابه لما فيها من ايحاءات غير كريمة. ولم ترد كلمة «صومال» الا حينما خاطب السلطان محمد رشا باعتباره أميراً على قبائل الصومال فى عام ١٩١٧ ــ من حضرة السيد محمد عبد الله نور، أمير قبائل الصومال بإفريقيا الصومالية الغربية الشمالية.[١]

٩ ــ حارب الممارسات الاجتماعية الضارة، كمضغ القات وشرب الدخان والترف والبذخ.

كان لحركة السيد محمد بن عبد الحسن، ككل دعوة دينية، تدعو إلى الاصلاح وتجديد الدين، مناصرين ومعارضين وهناك قطاع كبير من الأمة الصومالية عارض دعوة السيد محمد عبدالله ولم ير فيها الا فتنة لسفك الدماء وكان وراء ذلك قناعات مذهبية ومصالح قبلية كما استطاع المستعمرون الانجليز والايطاليون اللعب بأوراق هذه المعارضة ضد السيد، وأن يوسعوا الهوة التى ادت لتحالف قبائل اسحاق الصومالية مع الادارة الانجليزية فى الحرب ضد الدراويش، مما دفعه للقول عن قبيلة اسحاق ان اسحاق ستظل كالحمير متبلدة الى الأبد كما نجح الانجليز فى تحريك عدد من القبائل كأمجرتين الجنوبية ضده بقيادة الشيخ باقور عثمان وكذلك استفاد الانجليز من الغيرة السائدة وسط القادة الدينين وزعماء الطرق الصوفية، مما ادى لشل جهود السيد محمد عبدالله فى توحيد الرؤية الدينية للصوماليين، وقد دفعته هذه النهاية لمصارعة قادة الطريقة القادرية، حيث دفع الشيخ اويس القادرى حياته ثمنا لهذا الصراع اذ مات مقتولا على أيدى الدراويش فى عام ١٩٠٩م فى قرية بيولى التى أصبحت مزارا الى يومنا هذا لانصار الطريقة القادرية كبرى الطرق فى منطقة الصومال الكبير ـ مما يقودنا الى مناقشة المكونات الثقافية للمجتمع الصومالى فى العصر الحديث.

---

١) ص ٤
Somaliya, Antologiastorico-culturale No 3
ويقول فى هذا الخطاب واننا لانعرف لغير خليفة المسلمين تبعية دينية وعلاقة سياسية، ونرفض رفضا كليا مزاعم دولة الانجليز والدولة الايطالية، انظر محمد ابراهيم سلم، مشورات المهدية حيث نجد عدة اشارات لمنع استخدام كلمة دراويش.

الفصل الثانى

المكونات الثقافية الأساسية للمجتمع الصومالى :-

الإطار التاريخى لنمو الثقافة الصومالية :-

أشجار النسب المتداولة بين الصوماليين تدل على رغبة بعض الصوماليين فى النظر الى أنفسهم باعتبارهم عربا وان ثقافة الصوماليين[1] ثقافة عرب تأفرقوا لا ثقافة أفارقة تعربوا، اذ تنص الروايات الشفاهية على أصل الصوماليين يعود الى مجىء محمد عبد الرحمن الحميلى من اليمن الى الصومال فى اواخر القرن التاسع الميلادى بقصد الدعوة الإسلامية، وتزوج من امرأة من الجالا، وانجب ابنين هما ساب وسامال، وبعد مماته تفرق ابناه، حيث ذهب احدهما الى الدواخل وهو ساب وناسب عناصر الجالا والزنوج والآخر مضى فى اتجاه السواحل، حيث صاهر أهل الساحل، وانجب الذرية التى كونت القبائل الصومالية الحالية.

والمغزى من هذه الروايات، ربط الذاكرة الجماعية للأمة الصومالية بأصولها العربية عرقا وانتماء، اذ ان تكوين الأمة الصوماليه لم يأت نتيجة حدث تاريخى احادى وانما جاء نتاجا لهجرات عربية مختلفة ومتتالية انصهرت وتفاعلت مع العناصر الإفريقية. تمضى الروايات الشفاهية فتقول أنه فى القرن التاسع الميلادى جاء دارود اسماعيل أو «شيخ جبرتى بن اسماعيل» من الخليج الفارسى وقابل «درإبجل» ابن عم سامال الذى قام بتزويجه ابنته طاهرة[2].

وفى هذا اشارة لعروبة قبائل الصومال الاساسية وهى الدر والدارود ثم تمضى الروايات الشفاهية فتفيد بوصول اسحاق بن أحمد من الجزيرة العربية فى القرن الثانى عشر الميلادى والذى تزوج من اختين احداهما بعد الاخرى لأحد أبناء قبيلة المدر «ماجادلا» وتسلسل من هذا الزواج قبيلة اسحاق أكبر قبائل شمال الصومال.[3]

١/ القاعدة تنطبق على الصوماليين والعفر - وقد لاتجوز القاعدة على الاورومو. هذا وتحتفظ كثير من العائلات الصومالية، بشجرة النسب التى تصلها بالعباس والحسن والحسين وكثير من قادة الفتوح الإسلامية وصحاب النبي ﷺ وليس من السهل أن ندلى براى قاطع حول هذه الانساب ولكن القاعدة أن الناس مصدقون فى أنسابهم.

٢/ Margaret Castagno, Historcal Dictionary of Somalia, The Scarecrow Press Inc. Metuchen. N. I. 1975,

مصدر السابق ولقاءات مع بعض شيوخ قبيلة اسحاق فى هرجيسا والمنفى، (داخل وخارج الصومال)، هذا ونلاحظ غلبة اسم قبائل الصومال ابتداء من القرن السادس عشر على الاخص فى كتاب عرب فقيه، فتوح الحبشة ولكن تأخر بروز اسم الصومال باعتباره كيانا جغرافيا عرقيا الى القرن التاسع عشر وسط حركة المعاهدات الدولية ورسم الحدود، حيث اصبح يشار الى مناطق بعينها باسم الصومال كيانا سياساً جغرافياً - عرقياً - ولكن كما رأينا فى السابق طغى اسم الإمارات الإسلامية، امارة مقديشو، امارة هرر، امارة زيلع الخ.

جاور الإسلام منذ ايامه الأولى النصرانية فى الديار الصومالية الحبشة (قرن إفريقيا) ومع ان العلاقات فى بدايتها كانت علاقات ضيافة وجوار «المهاجرون فى كنف نجاشى الحبشة» إلا انها سرعان ما تحولت الى علاقات خصام وصراع مع اخذ الإسلام فى الانتشار وكسب الأراضى واخذ هذا الصراع صورا مختلفة متمثلة فى أخذ الثارات والمعارك الحربية الجهادية، بقصد الدفاع والفتح، حتى أصبح هناك عنصر ازمة ثابت فى علاقات الساحل الصومالى بالدواخل بلاد النصارى أو الحبشة واستحالت هذه الازمات الى عداوات تاريخية عميقة واحساس متبادل بالاخطار الحضارية المصاحبة لهذا الصراع، اذا ما رجح ميزان القوى لصالح الطرف النقيض، ودفع ذلك طرفى الصراع، لالتماس العون الأجنبى، مما أدى إلى التدخل الخارجى من قبل البرتغاليين والعثمانيين والمصريين حتى قدوم مرحلة التكالب على افريقيا ممثلة فى الهجمة الاستعمارية.

وارتبط دخول الإسلام فى الصومال بالهجرات والتفاعل الثقافى بين المهاجرين والمقيمين وكذلك بمجهودات الدعاة الأفذاذ الذين نذروا حياتهم لتعليم القرآن والفقه حيث تتحدث الروايات الشفاهية عن الشيخ يوسف الكونين والمعروف باسم اوبرخدلة والذى عاش قبل أكثر من ألف عام تقريبا[1]، وكان أحد الطلائع فى تعليم الدين الإسلامى فى قرن إفريقيا وتنسب له طريقة تعليم الأبجدية العربية التى ما تزال مستخدمة فى كتاتيب الصومال أنصبة إى كسرة، أو ضمة واستطاع بهذا النظام أن يفهم الصوماليين النطق الصحيح للقرآن وأن تكون هذه الطريقة مدخلا لتعلم اللغة العربية بتعليم القرآن ومن أجل ذلك أقام نظاما تعليميا يدرس به القرآن الكريم ومبادىء الإسلام والآداب الإسلامية.

ومع ان الدعوة للإسلام فى الصومال ارتبطت فى مرحلة ما بالتصوف، الا أنه لا يوجد شاهد يدل على وجود التصوف، فى شكل تيار متميز فى المجتمع الصومالى حتى القرن الخامس عشر الميلادى، فابن بطوطة «١٣٠٤ - ١٣٧٧» اكتفى فى وصفه لمقديشو بأن سلطانها يتحدث العربية ولغة مقديشو ثم وصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية وذكر عن ممبسه وكلوه (أن أهلها أهل جهاد لأنهم فى بر واحد متصل مع كفار الزنوج والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب)[2].

وكان أكثر أهل زيلع رافضة على المذهب الشعبى، ومع ان هذا المذهب قد اندثر بالصومال، الا ان آثاره مازالت باقية فى الحياة الاجتماعية والثقافية، ممثلة فى اشعال الحرائق

١/ مات الشيخ يوسف الكونين فى بداية القرن الخامس الهجرى وقبره بمنطقة مهجورة بالقرب من هرفيسا، ويقال ان معنى أو برخدله راكب الجمل حيث كان مستغلا بالساحة على حملة بين قبائل الصومال واقاليمه المختلفة ولكل قبيلة ذكريات فى ذلك، ويرجع نسبه إلى ذرية سيدنا الحسن بن على بن طالب حيث هو الشيخ يوسف بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن على بن ابى طالب.

٢/ عبد الرحمن زكى، الجغرافيون والرحالة العرب وماكسبوه من الساحل الافريقى الشرقى فى العصور الوسطى، بحوث المؤتمر الجغرافى الأول، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض ١٩٨٦، ص ٣٦٦.

فى أول السنة النيروزية تلطيخ رأس المولود بالدماء.[1] ويبدو آن اندثار مذهب الشيعة مرده الى طغيان الهجرات العربية الحاملة للمذهب الشافعى وانتشار تدوين كتب الشافعية مع ندرة كتب الشيعة، لعدم وجود مركز اشعاع بين المذهب الشيعى، باستثناء الامامة الزيدية في اليمن والتى كانت فى حالة محاصرة وانكفاء داخلى ولم تبذل جهدا فى نشر المذهب فى الخارج.

وقد ارتبطت الدعوة الإسلامية فى مرحلة ما بالتصوف، وارتبط التصوف فى مرحلة ما بالقبلية، حيث يصبح الاجداد بمرور الوقت أولياء صالحين،[2] ولقد كانت الطريقة سببا من أسباب الوحدة بين مكونات الشعب الصومالى، اذ تنتشر الطريقة بين قبائل مختلفة، فتؤدى إلى وحدة الانتماء الدينى والثقافى، كما تحدث بسببها أنماط من التحالفات والمصاهرات والتجارب الاجتماعية والثقافية المشتركة.

ويبدو أن تيار التصوف بدأ يقوى من القرن الخامس عشر الميلادى، حيث تتحدث المصادر أن الشيخ إبراهيم أبو زرباى قد جاء ضمن أربعة وأربعين عربيا فنزلوا فى بربرا وشق ابوزرباى طريقه الى هرر حوالى ١٤٣٠هـ واكتسب هناك كثيراً من الذين تحولوا إلى الإسلام ومازال قبره موضع تعظيم فى هرر،[3] كما تتحدث المصادر عن جمال الدين بن يوسف الحنفى الزيلعى، صاحب كتاب نصب الراية لأحاديث الهداية فى عدة مجلدات والمتوفى ٧٩٢هـ بالقاهرة بانه من المشايخ الصوفية الذين ارتاضت نفوسهم بالمجاهدات والخلوات الا انه لم يترك أثرا واضحا فى الصومال.

وتكشف النظرة التحليلية لكتاب فتوح الحبشة عن أن الفكر المسيطر فى المجتمع الصومالى هو الفكر الجهادى، حيث أن الامام أحمد إبراهيم يستعين بالقراء «حفظة كتاب الله» للتعبئة والوعظ وبرغم أن صاحب كتاب «فتوح الحبشة» وصف واعظ جيشه بأنه كان صوفيا زاهدا، فإنه ليس هناك ما يفيد بوجود توجه صوفى فى الحركة، اذ كان يكتفى فى رايته بايراد اسم النبى (ﷺ) وبعض الآيات والاوراد ولم يلحق بذلك اسم صوفى كالسيد عبدالقادر الجيلانى أو غيره على نحو ما فعل المتأخرون. كما أن رسائله على قلتها لاتكشف عن توجه صوفى علما بان الطريقة القادرية كانت معروفة فى هرر.

ولعل طبيعة الدولة الجهادية ـ لا تسمح بازدهار التصوف، لأن التصوف يقوم على التساهل والتسامح ويسمح بتعدد المدارس الفكرية والفقهية والعقائدية. والدولة الجهادية تقوم على الوحدة الفكرية والإلتزام والإنضباط التامين بفكر الدولة وكذلك فان التصوف

١/ عبد الرحمن النجار، الإسلام في الصومال، الأمة، ع ٦٥ جمادى الاولى ١٤٠٦هـ، ص ٣٨ ـ ٣٩.

٢/ I,M. Lewis, Amodern History of Somalia P. 65 - 66

كل قبيلة تجعل لمؤسسها الذى تنتمى اليه مزارا ومن أشهر هذه المزارات قبر اسحق بن احمد جد قبائل اسحاق، ومزاره مشهور بالقرب من هرجسنا.

٣/ سير توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام ص ٣٨٧.

يحتاج لسلام واستقرار لأنه غالبا ماينمو فى كنف الدولة، بينما الجهاد يقود لايجاد الدولة. لذا يرتبط التصوف جزئيا بالمدن والتجمعات الكبيرة وان التزم قادته بأخلاق الخلوة والعزلة.

أول الطرق الصوفية دخولا للصومال هى الطريقة القادرية، حيث دخلت بفضل اليمنيين والعرب والحضارمة الذين استقروا فى مقديشو وزيلع وبربرا وبراوة ومركة ومن الساحل شقت القادرية طريقها للدواخل[1] هذا ويعتبر القطب الربانى الشريف ابو بكر بن عبدالله العيدروس المتوفى عام ١٥٠٣هـ من أول مؤسسى الطريقة القادرية فى الصومال.[2] وقد ورد ذكر اسمه فى كتاب فتوح الحبشة، ثم تتبعه من المشاهير الشيخ حسين نور المعروف بحسين بالى[3] والذى تورد الروايات الشفهية أنه جاء من بغداد لنشر الطريقة القادرية وأنه أول من مزج ترديد الأوراد مع ضرب الدف، بادئا ذلك بالشهادة «لا اله الا الله» حتى يجذب العوام والاهالى للإسلام[4] هذا وقد أصبح قبر الشيخ حسن مزارا ضخما يزوره مئات الالآف من الأحباش سنويا، مما دفع الامبراطور السابق هيلاسلاسي نفسه لزيارة القبر وهو حافى القدمين.[5]

وحينما نشير الى أن التصوف بدأ يلتمس طريقه إلى الصومال في القرن السادس عشر الميلادى فان هذا لايعنى انتفاء وجود متصوفه ابتداء من القرن الثانى عشر الميلادى، اذ الصومال جزء من العالم الإسلامى، يتعرض للتيارات والمؤثرات التى تصيب هذا العالم. ولكن ظهور متصوفة لايعنى بالضرورة وجود مؤسسات «طرق» وفرق بين الممارسة الفردية والممارسات الجماعية، لأنه يجوز اطلاق كلمة متصوف على كل زاهد تستغرقه التأملات الصوفية ولكن رابطة الطريقة تقوم على الانتماء والموالاة بابعادها الثقافية والاجتماعية.

ونجد أن معظم قادة التصوف المؤسس، ظهروا في القرنين: الثانى والثالث عشر الميلادى، فالامام الغزالى صاحب كتاب، إحياء علوم الدين الذى يعتبر مدخلا لكل سالك يريد طريق القوم، توفى عام ١١١١م. والسيد عبدالقادر الجيلانى[6] توفى عام ١١٦٦م

---

١) الشيخ ريرايش، كشف السدول عن تاريخ الصومال ص ١٨٣.

٢) Margaret Castagno, Historical Dictionary, P 142 Trimingham, Islam in Ethiopia, P. 240

٣) هناك كتاب مشهور عنه يسمى جلاء العينين فى مناقب الشيخ حسين ولم أحصل عليه حتى الآن.

٤) مقابلات الكاتب مع شيوخ الطريقة القادرية فى قرية بيولى على الحدود الاثيوبية - الصومالية وعلى رأسهم الشيخ على آدم القائم على مقام الشيخ أويس.

٥) توجد صورة شمسية للامبراطور فى زيارة للمزار فى كتاب الحرية الدينية فى اثيوبيا من اصدارات قسم اللغات الأجنبية والصحافة، وزارة الاستعلامات اديس ابابا، ١٩٦٦.

٦/ الامام عبد القادر الجيلانى، امام شهير عمر تسعين عاما (٤٧٠هـ - ٥٦١) (١٠٧٧ - ١١٦٦)، ويقال انه من بلاد فارس وينتمى للدوحة النبوية، بدأ حياته شافعى المذهب ودخل بغداد عام ٤٨٨هـ وهى السنة التى ترك فيها ابو حامد الغزالى التدريس بالنظامية وخرج فيها من بغداد، ومع أن عبد القادر شافعى المذهب الا انه لم يلتحق بالنظامية على شهرتها وانما التحق بحلق الحنابلة ويقال انه رأى فى المنام الامام أحمد بن حنبل يقول له « ادرك المذهب يا عبد القادر». اشتغل عبد القادر بالتفقه فى التفسير والحديث والمذهب والاصول وعلوم اللغة العربية ونبغ فيها شاعرا وخطيبا. ثم

←

والسيد أحمد الرفاعى توفى عام ١١٨٢م والسيد ابو الحسن الشاذلى «الشاذلية» توفى عام ١٢٥٨م والسيد أحمد البدوى توفى بطنطا عام ١٢٧٤م. أشرقت هذه النجوم الزاهدة فى سماء التصوف فى هذه الفترة التى اتسمت بالتمزق والفرقة السياسية وأفول شمس الخلافة وطمع النصارى فى بلاد المسلمين، فبما عاد يعرف بالحروب الصليبية، وتزامن ذلك كذلك مع ظهور الشعوبية وظهور المماليك فى مصر والشام والدولة العثمانية فى الأناضول واعقبها ظهور الدولة الصفوية فى ايران.

وفى هذه الفترة، اشتد أذى ملوك نصارى الحبشة على مسلميها بما فى ذلك مسلمى الصومال، ويعتبر «يكونو املاك» الذى حكم ما بين ١٢٧٠ - ١٢٨٥م أول من تعمد اضهاد المسلمين، مما جر الى حروب ووقائع مستمرة لا سيما فى ايام الملك عمدسيوف «١٣١٤ - ١٣٤٤م» واستمرت هذه الحروب الدينية التى اشعلها ملوك الحبشة ضد الامارات الإسلامية فى أيام خلفاء «عمد سيوف» مثل نوايا كريستوس ١٣٤٤ - ١٣٧٢، ودافيت ١٣٨٢ - ١٤١١م، واسحاق ١٤١٤ - ١٤٢٩ وزارا يعقوب ١٤٣٤ - ١٤٦٨ واسكندر ١٤٧٨ - ١٤٩٤ ولم تزل هذه الملوك التعاقبة على عرش اثيوبيا تعامل المسلمين بالشدة والعنف حتى ظهرت الاستيجابة الإسلامية ممثلة فى جهاد الامام أحمد ابراهيم (١٥٣١ - ١٥٤٢م) وفى القرن السادس عشر سقطت دولة هرر واجتاح الجالا البلاد الإسلامية ودخلت البلاد فى حالة فوضى وظهرت عدة مراكز للاستقطاب السياسى والدينى، وقد أخذ التصوف يروج فى هذه الفترة، حيث ظهرت الرفاعية، البدوية، الدسوقية، النقشبندية والسهروردية والخلوتية والشاذلية الخ حيث أخذت الجماهير المسلمة فى منطقة الصومال والحبشة تلوذ بالتصوف فى وجه الشعور بالاحباط والفشل والتمزق وتهديد القوى غير الإسلامية لها.

ومع بدايات القرن التاسع عشر، انتظمت العالم الإسلامى على الاخص الجزيرة العربية وشرق إفريقيا وغربها حركة صحوة إسلامية، ففى الجزيرة العربية نهض الإمام محمد بن الوهاب بدعوته التجديدية ابتداء من القرن الثامن عشر لاحياء التوحيد وظهر السيد أحمد ادريس فى القرن التاسع عشر بارائه الإرشادية التى أيقظت المسلمين فى شرق وشمال إفريقيا، حيث تجسدت افكاره فى الحركة السنوسية والختمية والصالحية، مما يشير إلى وحدة

خرج بعدها فى سياحته الشهيرة فى الفيافى والصحارى لمدة ربع قرن اكتسب فيها تجربة روحية عميقة ثم عاد الى بغداد واسس مجلس علم ووعظ، وهناك هجم عليه الخلق، حتى اضطر الى نقل مجلسه الى الخلاء، حيث كان يحضره سبعون الفا. التزم الامام عبدالقادر طيلة حياته بزى العلماء ولم يؤثر عنه لبس لخرق المتصوفة أو ضرب للدف وغيرها من ممارسات اتباعه المتأخرين وهناك شبه اجماع على تقواه وبركته وذكر الامام بن تيمية «أن الكرامات لم تتواتر كتواترها عن عبدالقادر الجيلانى» الف كتب الغنيه، أما فتوح الغيب والفتح الربانى فهما من تطبيقات تلاميذه عن محاضراته، أنظر أبو الحسن على الندوى رجال الفكر والدعوة إلى الإسلام، دار القلم، الكويت ١٩٧٤ وكذلك دائرة معارف البستانى المجلد الثانى ص ٦٢١ - ٦٢٢.

الفكر الذى نبعث منه حركة الصحوة الإسلامية فى السودان والصومال وليبيا شمال إفريقيا وتشاد.[1]

لاندرى على وجه التحديد متى تم أول اتصال بين أفكار السيد أحمد بن ادريس وتلامذته فى الصومال ولكن يحدثنا صاحب كتاب الدعوة الى الإسلام[2] ان السنوسية كانت نزدهرة فى بلاط أمير هرر، حيث كان كل اعوانه على الطريقة السنوسية كما كان دعاة السنوسية يقومون بنشاط تبشيرى فعال فى بلاد الجالا حتى أن مونزينجر (Munzinger) تنبأ فى سنة ١٨٦٧ بأن كل قبائل الجالا ستدخل فى الإسلام في وقت قصير[3] واسترسل صاحب كتاب الدعوة إلى الاسلام قائلا أن إفريقيا الشمالية الشرقية فى الوقت الحاضر تمثل لنا حقا صورة لنشاط ذى حيوية وحماسة رائعتين فى نشر الدعوة من جانبى المسلمين[4] كذلك ظهرت جماعات تدين بالأحمدية[5] منذ بدايات القرن التاسع عشر فى جنوب الصومال، وكانت الجماعة عبارة عن وحدة اجتماعية تعمل فى الزراعة ولها شيخ (اشبه بفكرة الزاوية عند السنوسية) وأول جماعة تأسست ببارديرا عام ١٨١٩ وقد نمت هذه الجماعة حتى أصبحت تسعين جماعة تضم خمسة وثلاثين ألف شخص فى باكول، جادو، بارديرا فى عام ١٩٥٠.

وتوجد إشارة الى ان إبراهيم الرشيد[6] أحد تلامذة أحمد بن ادريس أرسل أحد تلامذته الى الأوجادين لنشر مبادى أحمد بن ادريس عام ١٨٥٠.

ولكن أول شيخ معروف للطريقة الأحمدية بالصومال هو الشيخ محمد جوليدا، الذى أخذ الطريقة على يد السيد محمد صالح والذى تأثر بمنهج السنوسية حيث استهل دعوته بتكوين تعاونيات زراعية «زوايا» وقد ابتنى أول مركز له فى منطقة الشدلة بين بلدتى جوهر وبلعد على نهر شبيلى، وقد مات السيخ محمد جوليدا عام ١٩١٨[7] ومع انه عاصر محمد عبدالله

١/ أنظر حسن مكى محمد أحمد، أحمد بن ادريس الفاس، فكره السياسى ومنهجه فى الدعوة، اصدارات شعبة الدعوة المركز الإسلامى الإفريقى الخرطوم ١٩٨٦. ويبدو ان هناك صلة ما، بين حركة عثمان دان فودي والروح التى ايقظها أحمد بن ادريس، اذ ينتمى الشيخ عثمان دان فودى فى رواية للادارسة عن طريق أمه حواء بنت محمد بن فاطمة بنت محمد بن الشريف عبد الصمد سليل الادارسة بالمغرب، راجع ذلك فى Murray last, The Sokoto Caliphate - Ibadan History series 1977, P,4

٢/ سيرتوماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام ص ٣٧.

٣/ المصدر السابق ص ٣٨٤.

٤/ المصدر السابق، ص ٣٨٧.

٥/ الأحمدية، إشارة الى أحمد بن ادريس.

٦/ ابراهيم الرشيد سودانى اقام بمكة وتوفى فيها عام ١٨٧٤، ويعتبر خليفة السيد احمد بن ادريس النهرعى، وقد خلف ابراهيم الرشيد ابن اخيه محمد صالح وهو كذلك سودانى ولم يعقب محمد صالح ذكوراً وانما كل ابنائه من الاناث وأشهر احفاده من جهة بناته الأستاذ أحمد محجوب حاج نور «قاضى محاكم العدالة الناجزة السابقة الشهير والمعلم بالمركز الإسلامى الإفريقى»

٧/ Trimingham, Islam in Ethiopia P.240

الحسن وأن استاذهما واحد وهو السيد محمد صالح الا انه لم يعرف عنه مناصرة للسيد محمد عبدالله حسن فى حركته الجهادية.[1]

وكذلك كان من دعاة الطريقة الأحمدية السيد على مى دوركبا الذى مات عام ١٩١٧ ولكن هذا الاخير تحالف مع الشيخ اويس القادرى واصدر معه إعلانا مشتركا ضد جهاد السيد محمد بن عبدالله حسن.[2] ويبدو أن مرد هذا التأثير الكبير للسيد احمد بن ادريس يعود الى جاذبية أفكاره وآرائه والتى لبت الظرف واحتياجات المسلمين الفكرية حينها واهم المعانى الى نادى بها السيد احمد بن ادريس هى :-

١ـ الرجوع للكتاب والسنة.

٢ـ العناية بتفسير القران والحديث والفقه والاهتمام بالتدريس والتربية باعتبارهما وسيلة لايجاد الجماعة المسلمة.

٣ـ التركيز على توطين قيم أساسية فى تلاميذه وهى مكارم الاخلاق، خلوص الاعمال، محاسبة النفس، بناء المسلم الذاكر.

٤ـ الانطلاق من البوادى والارياف واقامة المستوطنات والمراكز الاجتماعية على أساس أفكار التجديد فى شكل تعاونيات جمعيات زراعية الخ.

٥ـ العمل السلمى الإسلامي المترفق والاهتمام بنشر الدعوة وسط غير المسلمين.[3]

٦ـ رفض الرسوم والشكليات والتعصب المذهبى وكذلك رفض بناء القباب والمزارات.[4]

كان ابن ادريس تجسيدا حيا لفكرة العالمية الإسلامية، حيث كان يقوم باختيار تلامذته من كل الجنسيات وكان يركز على قضية ايجاد النخبة أو بناء النوع، حتى تتجسد فى هؤلاء التلامذة معانى القيادة ويصبحوا مرشدين مؤهلين حيث أصبح المرشد فى الدين مطلبا حيويا فى ذلك الوقت العصيب وقد عبر عن ذلك تلميذه محمد على السنوسى المتوفى عام ١٨٥٩م قائلا (افكر فى العالم الإسلامى، بالرغم من سلاطينه وامرائه ورؤسائه وعلمائه، فهم لايزيدون على أن يكونوا كقطيع من الغنم الذى لا راعى لها.... بكل محل من محلات الإسلام تجد المسلمين وعلماء الدين ولكنك لاتجد فى العالم الإسلامى مرشدا حقيقيا، تكون غايته سوق الجميع الى هدف واحد).[5]

١/ الشيخ ريراش كشف السدول عن تاريخ الصومال ص ١٨٣ وكذلك Margaret Castagno, Dictionary of Somalia P. 141.

٢/ المعلومة مأخوذة من حفيد الشيخ على مى فى زيارة الباحث لاسرة الشيخ على مى فى مركة وتفقد مكتبة ومخطوطات الشيخ على مى والتى جاءت كهدية من السلطات برقش سلطان زنزبار ومنطقة بنادر بالصومال.

٣/ حسن مكى، أحمد بن ادريس الفاسى ٢٦ ـ ٢٩.

٤/ انظر مناظرة بين الشيخ احمد بن ادريس وفقهاء الحديث التجدية من رواية الشيخ حسن بن احمد بن عبدالله عاكش، دار الصاوى للطبع والنشر والتأليف بحارة ابى الحسن الشوشرى، شارع الازهر، ٢٩ يونيو ١٩٣٧.

٥/ أنور الجندى، الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ ص ٢١.

لذا فلا عجب أن راجت افكـار السيد أحمـد بن ادريس فى الصومال[1] وبالذات تيار الصالحية اتباع السيد محمد عبد الله حسن. وقد نما هذا التيار فى ظروف مصارعة القوى الاستعمارية بريطانيا، ايطاليا، اثيوبيا، مما ادى لبناء هذا التيار وصهر افراده من خلال تجربة تاريخية عميقـة جعلته بناء متجانسا لم يفلها حديد المستعمرين. وقد قام السيد محمد بن عبدالله الحسن بعرض أفكاره فى رسائله، ومجالسه، واشعاره.

سمات نهج السيد محمد عبدالله وصراعه مع اعلام الفكر الصوفى:-

حتى عام ١٨٩٨ لم تكن هنـاك نذر حركة جهادية فى الصومال[2] بالرغم من استباحة اثيوبيا لهرر ومـاجـاورها واقتطاع القوى الأوربية المتنافسة لاجزاء كبيرة من الصومال، اذ ضاعت القضايا الخطيرة وسط ظروف تعاستهم وحالتهم المزرية وضخامة حجم التحدى الممثل فى الهجمة الأوربية بسلاحها ومالها، وفى ذلك الوقت اهمل الصوماليون حتى اداء الشعائر الدينية، ولم تكن لدى القيادات التقليدية «قبلية أو صوفية» أى استعدادات لأى مشروع، مهما كان تافها لتخليص البلاد من قبضة النصارى، إذ كان ينقصهم الرجل القائد الذى يوحد القبائل والطرق ويعيد اليهم معنوياتهم المحطمة، وقد ظهر ذلك الرجل، حينما استشرى خطر التنصـير المسيحى والـذى تجسـد فى تنصير خمسين طفلا صوماليا فى بربرا الحـاضرة الإسـلامية السـاحلية، على يد الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية. كما تجلى طغيان النصارى حينما قام الحاكم الانجليزى بمنع الاذان من مسجد بربرا، حتى أن اداء الآذان، كلف المؤذن حياته فسقط من قمة منار المسجد برصاص الحاكم الانجليزى.[3]

مثلت دعوة السيد محمد بن عبدالله روحا جديدة باعتبارها أول استجابة للمجتمع المتآكل المنهزم، وقد رمت هذه الروح الجديدة الى حماية الشخصية الصومالية وثقافتها الإسلامية فى وجه هجمة النصارى (عليكم ان تقوموا بواجبكم الدينى وأن تدفعوا شر هولاء . . . اذ ان

١/ يعتبر كتاب السيد أحمد بن ادريس مجموعة احزاب واوراد ورسائل ابن ادريس عمدة كتب كل مدارس الاحمدية على اختلافها، وقد لاحظت اختفاء هذا الكتاب من المكتبات الصومالية، وربما يعود مرد ذلك جزئيا لعدم رضى السلطات الحاكمة.

٢/ بدأ السيد محمد عبدالله الحسن يحس بخطر القوى الاستعمارية وهو ما يزال فى مكة والمدينة، حيث تفيد الروايات انه اسس حركة سرية بين الصوماليين هناك واخذ منهم البيعة فى الحرم النبوى على محاربة القوى الاستعمارية الممثلة فى الانجليز الفـرنسيين والايطاليين والاحباش وقد عاد للصومال ٢٨ صفر ١٣١٣ - ١٨ اغسطس ١٨٩٥، حيث بدأ الاعداد للجهاد.

٣/ محمد جامع محمد أحمد، وعبد العزيز جامع موسى واحمد عمر عبيدى، كتاب التاريخ، الجزء الأول معهد حلنى لاعداد المعلمين بالصومال ص ٩٦. ولكن لم اجد اشارة لهذا الحادث فى مراجع اخرى وان وجدت اشارة الى اغلاق القنصل البريطانى لمسجد الصالحية فى بربرا نسبة التعاليم السيد محمد عبدالله ونشاطاته انظر.

Saids. samatar, Oral Poetry and Somali Nationalism, The case of Sayyid Mohammad Adbille hassan. cambridge University Press. P. 107

زعماء الكفار غزوكم فى بلادكم يريدون افسادكم وافساد دينكم واجباركم على اعتناق مسيحيتهم، معتمدين على حماية حكوماتهم.[1]

ولعل من رسائل السيد محمد عبدالله المتميزة رسالته الى قبيلة بيمال، اذ ناقشت هذه الرسالة مايثيره معارضوه من الحجج والبراهين الشرعية ضد حركته، حيث ركزت الرسالة على :-

١- وجوب الجهاد للدفاع عن الإسلام وأهله ضد هجمة الكفار.[2]

٢- وجوب مجاهدة من مدح النصارى ودحض حجج من قال (أنهم أقرب لمصالح البلاد وعمارة البلدان وتنمية الاهالى وتربية العيال وينسبون اليهم العدالة ويبيحون معاشرة الكفر) كما حاول دحض حجة من يقول لايجوز التعرض لمن يقول لا إله إلا الله . . . . واذا رايتم من المسلمين من يعين عليكم الكفار فاقتلوهم حيث وجتموهم فليسوا بمسلمين، فمن حمل السلاح علينا فليس منا[3] وفى ذلك يستعين بالآيات القرانية والاحاديث النبوية الشريفة التى تدلل على عدم جواز موالاة الكافرين.

٣- يتعرض لتشهير بعض شيوخ المتصوفه القادرية باعوانه قائلين «ان الصلاة لا تجوز خلف من يرسل شعره» لأن أعوانه كانوا يرسلون شعورهم اقتداء بفعل النبى ﷺ.

٤- يتكلم فى قضايا التوسل والشفاعة، مؤكدا انتماءه للفكر الصوفى، الذى يقوم على التسليم بجواز التوسل بالرسول وأصحابة[4] والصالحين، كما شجب دعوة من ينادى بأخذ الأصلين «الكتاب والسنة» واهمال العلوم الفرعية «كتب الفقه والتصوف».

٥- شجب كذلك دعاوى الذين ينكرون الأحزاب ودلائل الخيرات وغير ذلك من الأمور المرضية (ربما كان يعنى دعاة السلفية وابرزهم اعوان خلفاء محمد بن عبد الوهاب).

حاول بعض المؤرخين الانجليز، وصف السيد محمد عبدالله الحسن، بأنه مجنون Mad Mullah[5] وانه ادعى المهدية وأنه كان سلطويا يريد أن يكون ملكا وكل ذلك غير صحيح، فلم يكن مجنونا، بل كان على قدر عال من رجاحة العقل وحسن التصرف تشهد بذلك رسائله واشعاره وعلاقاته السياسية والاجتماعية، كما أنه لم يدع المهدية قط وكان يكنى نفسه أحيانا (أنا الهاشمى نسبا الشافعى مذهبا، السنى والأحمدى طريقة) أو العبد الحقير بن عبدالله الدرويش أو السيد محمد بن عبدالله الحسن وعلى هذا فتهمة ادعائه المهدية تهمة باطلة البسها اياه خصومه لتشويه مقاصد دعوته.

١/ محمد عبدالفتاح هندى، تاريخ الصومال، مطبعة دا المعارف مصر ص ٤٥.

٢/ المصدر نفسه ص ٧ - ٢٦.

٣/ المصدر نفسه ص ٤٦.

٤/ المصدر نفسه ص ٤٦. وكذلك اصدارات وزارة الاعلام الصومالى «مصدر سابق»
Sayid Mahamed Abdille Hassan, P. 26.

٥/ انظر كنموذج المصدر السابق وكذلك
Lew Silbeman, The Mad Mullah. Douglas Jardine, The mad Mullah of Somali Land, New York 1969.

وحينما جاءه عدد من رموز المتصوفة فى عام ١٨٩٧ لمناظرته وبينهم ـ الشيخ مدار[1] والشيخ عبدالله أرسن فى دعوتة وآرائه، لم يرد ذكر المهدى على لسانه، وانما أورد لفظ، المجدد وان الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد له دينه، بل وحتى وظيفة المجدد لم ينسبها لنفسه وانما نسبها للسيد محمد صالح باعتباره مجدد القرن وأنه مجرد ناشر لدعوته.

وقد نفى السيد محمد عبدالله تهمة سعيه ليكون ملكا فى رسالته المسماه «مباحث المنافقين» حيث قال اننى لم أفكر فى يوم من الأيام أن أكون ملكا. . . ونحن قوم نكافح لنطهر جميع انحاء بلاد الصومال من الاعداء الكافرين المستعمرين.[2]

ومع ان السيد محمد بن عبدالله الحسن، كان معجبا بثورة الامام محمد أحمد المهدى فى السودان وكان يتلقى اخبارها عن طريق شيخه محمد صالح، الا انه تميز عن المهدى اذ :ـ

١ـ لم يدع المهدية ولم يدع بأنه يتلقى هواتف باطنية ولا أنه مكلف من الحضرة النبوية كما أنه لم يحاول الغاء المصادر الفرعية للشريعة والفقه الإسلامى.

٢ـ تميز بالمرونة السياسية، حيث قام باجراء صلح مع الايطاليين والانجليز استمر عدة سنوات كما دخل فى تحالف مع الخلافة العثمانية باعتبارها منافحا عن الخلافة وسلطانها محمد رشاد الخامس، وكذلك تحالف مع الامبراطور الحبشى المسلم ليج اياسو وكل ذلك يدل على فهم للسياسة الدولية ومرونة فى التعامل مما ينفى تماما تهمة التعصب والجنون.

٣ـ كان يوطد مركزه بالدخول فى المصاهرات مع القبائل وباعطاء الهدايا والابل للشيوخ والزعماء لتأليف القلوب.

٤ـ كان ملماً باحوال العالم من حوله، اذ جاب كثيراً من البلدان فعلم سيرة الانجليز من خلال وجوده بعدن وفهم قضايا ومطالب الحركة التوحيدية الوهابية من خلال وجوده بالحجاز وعرف أحوال حركات الإصلاح الدينى من شيخة محمد صالح.

٥ـ كان يستخدم سلاح المنشورات والاشعار بينما أكتفى الإمام المهدى بسلاح المنشور.

كان السيد محمد عبدالله على درجة طيبة من العلم بمقاصد الشريعة والفقه الإسلامى، مما مكنه من افحام خصومه، فأنظر إلى حسن إجابته، حينما جابهه بعض المشايخ بحديث رسول الله ﷺ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر اذ اجاب قائلا: وانما كان الجهاد على النفوس كبيرا والجهاد على الأعداء صغيرا، لأن عداوة النفوس لازمة فى كل وقت، لأنها تقارنك ولا تفارقك ولو ساعة بل ولو ثانية، بخلاف عداوة الكفار، لأن عداوتهم ربما انقشع بالغلبة للمسلمين عليهم ونفيهم عن الأرض أو بإسلامهم أو استسلامهم لنا وبذل الجزية. . . . وربما غابوا عنك ولو بالهدنة ولهذا اسمى جهاد النفوس كبيرا وجهاد الكفار صغيرا، وأما حقيقتهما فليسا بمتساويين، لأن جهاد الكفرة أفضل من جهاد النفوس، لأن

١/ الشيخ مدار (١٨٢٥) شيخ فصيلة من فصائل القادرية بهرجيسا حيث مات بها و له مزار.

٢/عبد الفتاح هندى، تاريخ الصومال ص ٤٨.

جهاد الكفرة فيه بذل النفوس والمال لاعلاء كلمة الله ، أما جهاد النفوس ففيه تهذيب النفوس على الروح، ومن المعلوم أن الجهاد على الكفار يسمى كبيرا أيضا، كما قال الله تعالى «وجاهدهم به جهادا كبيرا».

نجح السيد محمد عبدالله جزئيا فى حماية الثقافة الإسلامية العربية ومقاومة التغريب وبعث الجهاد، كما ارسى دعائم حركة الانعتاق والتحرر الصومالية[1]، ولكن لم يحالفه الحظ فى توحيد الأمة الصومالية، اذ ما يزال قسم كبير من الأمة الصومالية يعتبره مجرد ثائر متعصب متسرع فى سفك الدماء، خصوصا شباب قبيلة اسحاق[2]، والسيد محمد عبدالله نفسه لعب دورا فى افساد علاقاته مع هذه القبيلة وغيرها، اذ سارع بهجاء هذه القبيلة فى شعره، وجراح اللسان ليس لها دواء، اذ قال مامعناه ستظل اسحاق متبلدة إلى الأبد كالحمير. كما أنه دخل فى صراع حاد مع مؤسسات التصوف فى الصومال وعلى الأخص الطريقة القادرية، كبرى الطرق الصومالية واعرقها، وقام جنده بتصفية جسدية لأهم شيوخها وهو الشيخ اويس القادرى عام ١٩٠٩م وكذلك على يده جاء مصرع الشيخ على مى أحد شيوخ الطريقة الأحمدية، مما أدى إلى خلق ظروف استقطاب وقسمة حادة فى المجتمع الصومالى.

الطريقة القادرية والمجتمع الصومالى :-

تعتبر الطريقة القادرية الطريقة الأكثر اتباعا ورواجا بين أهل الصومال الكبير «صوماليون عفر، جالا» اليوم حيث تصادفك مراكزها أينما ذهبت ويتردد اسم السيد عبد القادر الجيلانى اينما حللت، وإن فتر ذكر التصوف وقضاياه هذه الايام فى المجتمع الصومالى نسبة للاحوال المعيشية والضغوط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فأصبح الهم الأول موجه للقمة العيش فى ظروف التوجه العلمانى بابعاده الدولية والإقليمية والقطرية.

دخلت القادرية الصومال بفضل اليمنين والحضارمة، الذين استقروا فى مقديشو وزيلع وبربرا وبراوه ومركة ومدن الساحل، فهى بدأت رابطة دينية واجتماعية لأهل الحضر والمدن. وتوغلت القادرية فى داخل البلاد عام ١٨١٩م، عندما أسس الشيخ إبراهيم حسن برو، مركزاً فى العمق مكان بلدة برديرة الحالية، ولكن ارتبطت النهضة المعاصرة للقادرية ١٩٠٩م. بالاضافة إلى شيوخ آخرين أقل أهمية كالشيخ اسماعيل المقدشى والشيخ صوفى.

---

١) ماتزال الطريقة الصالحية من أقوى دعائم ربط الأمة الصومالية حيث تنتشر تبعيتها فى شمال كينيا والأوجادين فى اثيوبيا ومايزال قبر السيد محمد عبد الله الحسن نفسه فى قرية امى بالاوجادين مما يدل على وحدة الأراضى الصومالية ومن المفارقات أنه بدأ جهاده ضد الأحباش من هناك ولكن دارت الايام وأصبح مرقده تحت رعايتهم.

٢) ثبت لى ذلك من خلال نقاشاتى مع عدد من شباب القبيلة المثقفة وقد ظهر عدة شعراء فى قبيلة اسحاق تخصصوا فى مقارعة السيد محمد عبد الله الحسن وهجائه كالشاعر على جامع حابيلى ١٨٥٠ - ١٩١٩ وسلات اررمى، ١٨٧ - ١٩٤٠. وقد ناقش ذلك .Said S. Samatar, Oral poetry 137 – 202

الشيخ عبد الرحمن الزيلعي :-

هو السيد عبد الرحمن بن أحمد الزيلعى القادرى، وقد أخذ الطريقة القادرية من الشيخ اسماعيل بن عمر المقدشى، وقد نبغ الشيخ عبد الرحمن فى علم التصوف والسلوك وكثر مريدوه، كما نبغ فى علوم اللغة العربية وكان له فيها اسهامات منها كتابة «حديقة التصريف» وهو كتاب اشبه فى المنهج والشكل بمنظومة لامية الأفعال لابن مالك وله كذلك «فتح اللطيف على شرح حديقة التصريف».

اشتغل المؤلف بالتصنيف، فظهرت له تصانيف عديدة منها ملخص موجز لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم، منذ ارهاصات ما قبل الميلاد حتى الوفاة وكذلك له سيرة مختصرة عن الشيخ عبدالقادر الجيلانى تعرضت لمكان مولده ودخوله لبغداد وما ذكره ونسبه له معاصروه من الكرامات. ولكن كان الاسهام الأكبر الذى خلد الشيخ الزيلعى فى مجال الشعر، حيث تضاهى قصائده عيون الشعر العربى من الالتزام بالقافية والبناء الشعرى والتزام العربية الفصحى وكذلك المعانى[1]، ومواضيع شعره هى ذات مواضيع الأدب الصوفى من مدح للنبى صلى الله عليه وسلم وتعديد لمعجزاته والتوسل به وبالجيلانى والصالحين والدعوة لمكارم الاخلاق، الحنين الى نجد والحجاز والحج وزيارة المدينة ورؤية الجن. وهذه القصائد عادة ما تؤدى فى المناسبات كالاعياد والمناسبات الصوفية وذكرى عاشوراء ليلة الاسراء والمعراج وليلة القدر وعقب اداء فريضة الجمعة والحوليات المقامة لتخليد ذكرى مشايخ الطرق الصوفية.

ذاع صيت الزيلعى وتركز نفوده فى الصومال الشمالى، خصوصا بين ابناء قبيلة اسحق، وقد قابله الشيخ اويس فى بربرا واخذ عنه الطريقة القادرية، وتوفى الشيخ الزيلعى عام ١٨٨٣م (١٢٩٩) بقلنقول فى الاوجادين واصبح قبره مزارا. ولعل عاطفة الصوماليين الجارفة تجاه الأوجادين وهرر، نابعة جزئيا من ان معظم مراقد شيوخهم هناك فهناك مرقد السيد محمد عبدالله والشيخ الزيلعى وقبلهم مراقد المجاهدين العظام كالإمام أحمد إبراهيم الجرات، وصاحب الفتح الثانى الإمام نور والشيخ ابوزرباى وغيرهم.

الشيخ اويس القادرى

هو الشيخ حاج اويس بن حاج محمد بن محاذ بن بشير البراوى مولدا، الشافعى مذهبا، القادرى مشربا، الأشعرى عقيدة والبيولى مرقدا، ولد ببراوة من مدن الساحل ١٢٦٣-١٣٢٧) (١٨٤٦-١٩٠٩) بدأ حياته طالبا فى المدارس القرآنية وتسلك فى سلك الطريقة القادرية بداية على يد الشيخ عبدالرحمن الزيلعى ولكن يقال ان الشيخ الزيلعى

١) أنظر الشيخ عبد الرحمن الزيلعى، مجموعة مشتملة (تشمل تسعة وثلاثين قصيدة له بالاضافة الى ثلاث من قصائد تلاميذه مكتبة الجندى، سيدنا الحسين، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

نفسه جاءه قبل وفاته بعامين واخذ الطريقة من تلميذه السابق.

بدأ حياته طالبا للعلوم الإسلامية ثم عكف على خدمة أهل الصلاح والتقوى، ثم سافر الى بغداد حيث اخذ الطريقة القادرية فى بغداد من خليفة الشيخ عبدالقادر الجيلانى هناك، السيد مصطفى بن السيد سلمان وقد أرسله السيد مصطفى بعد نيله الاجازة القادرية ليبشر بمبادىء الدعوة القادرية فى ارض الصومال وكينيا والسواحل وتنجانيقا وزنجبار.[1]

ذاع صيت الشيخ اويس، بعد عودته لبنادر واصبح من اصحاب الجاه والنفوذ والتبعية، ومما يعكس نفوذه ان رجلا من السواحليين مرض مرض الموت، وجاء قوم وادعوا عله مالا لأبيهم، ورفعوا الأمر للسلطان السيد/ برغش بن سعيد، سلطان زنجبار، حيث قام الأخير برفع الأمر للشيخ أويس بزعم أنه يحى الموتى.[2]

ويقال ان السيد أحمد بن ادريس، قد بشربه، حيث قال لعدد من زواره من اهل البنادر (هل فيكم احد من اهل براوه؟ قالوا نعم، فقال السيد أحمد بن ادريس (سيظهر من براوه ولى من اولياء الله تعالى العظام اسمه الشيخ اويس، وقبل ظهوره جميع أرض السواحل بايدينا. فاذا ظهر فهو يمسكها بيده.. يا خلفائى اذا لقيتم الشيخ اويس القادرى فخذوا منه الاجازه، فان طريقة القادرية أفضل الطرق ولا تخالفوه[3]

وسواء اصحت الرواية السابقة، أم لم تصح فانها تسهم فى القاء الضوء على الاستقطاب والصراع الذى دار وكان محوره السيد محمد عبدالله الحسن والشيخ اويس القادرى، اذ مغزى الرواية أن الشيخ اويس ليس فقط خليفة للطريقة القادرية ولكن كذلك الوريث الشرعى لميراث السيد أحمد بن ادريس وبالتالى لا نصيب للسيد محمد عبدالله فى ميراث السيد أحمد بن ادريس ويبدو ان اخذ حمدية بورهكية للبيعة من الشيخ اويس بعد ان رأوا كراماته كما تروى الروايات زاد من ظروف الاستقطاب.

اشتغل الشيخ أويس بالسياحة لربع قرن من الزمان وصحبه ـ كما تروى رواياتهم ـ السيد الخضر عليه السلام وبنى له مسجدا فى منطقة حرب بين قبيلة بيمال وغطان. وذاع من كرامات الشيخ أويس أنه كان يداوى الجنون والسحر والكروب والبرص والجذام والصرعة، وكان الشيخ أويس من أجمل الناس على نحافة بدنه.[4]

١/ الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر العلى القادرى، الجوهر النفيس فى خواص الشيخ اويس، مطبعة الدولة، مقديشو ص ٤ ـ ١١، ص ١١٨ لاحظ التقابل حتى فى التسميات والتأثر بمسميات كتب السيد أحمد بن ادريس اذ احد كتبه يسمى) العقد النفيس فى جواهر التدريس، كما نلاحظ أن الكتاب مطبوع فى مطابع الدولة ـ وهذه ميزه مكفولة فقط لكتب القادرية.

٢/ المصدر السابق ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

٣/ المصدر السابق ص ١١٣ (هكذا ورد النص مع حذف بعض العبارات).

٤/ المصدر السابق ص ٤٢، ص ١٢٨١ وكذلك انظر الشيخ اويس بن محمد القادرى، مولد الشرفات فى مدح سيد ولد عدنان، المكتبة الإسلامية ص. ب ٢٤٧٦ مقديشو.

كان الشيخ اويس شاعرا ملهما، تتميز اشعاره بالسلاسة والعذوبة، وقد اسهمت اشعاره في حفظ اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وما يزال المنتسبون للطريقة القادرية، يترنمون بقصائده ويخمسون بعضها لايام بعينها (كالمختارية) التى يتغنون بها بعد صلاة الجمعة وهي من بحر الرمل التام. ونجده فى بعض قصائده يستغيث بالشيخ أحمد بن ادريس وتليمذه الميرغنى، مما يلقى الضوء على تأثر الفكر الصوفى فى الصومال بالسودان ووحدة مصادر الفكر الصوفى فى البلدين.

ياحمد بن ادريس شيخنا قطب شهر عالى المقام
وبا المرغنى ويوسف الاكوان وبالحسينى بن ملكاى[1]

انتشر نفوذ الشيخ اويس القادرى فى منطقة السواحل فى الصومال الجنوبى، وقد نهجت الطريقة الاويسية نهجا متصالحا مع الاستعمار الايطالى، ورفض الشيخ اويس دعوة السيد محمد بن عبدالله للجهاد والانخراط فى صفوف الدراويش بل وهاجم محمد السيد واتباعه ووصفهم بالقتلة،[2] مما ادى الى مصرعه على يد جماعة من الدراويش فى ٢٣ ربيع الاول ١٣٢٧هـ فى قرية بيولى على الحدود الاثيوبية الصومالية.[3]

وقد ادت هذه الأحداث إلى قسمة المجتمع الصومالى ازاء حركة التحرير الإسلامى التى قادها السيد محمد بن عبدالله الحسن والتى حاولت تجاوز الولاء القبلى لآفاق البيعة والموالاة الدينية، وقد تصدى الشيخ الفقيه بن شيخ محمد القادرى، لقيادة الحركة الفكرية المناوئة للسيد محمد عبدالله الحسن، وقد استهل ذلك بالاستفادة مما اورده السيد عبدالقادر الجيلانى فى كتابة الشهير (الغنية) الذى عدد فيه فرق الضلالة الخارجة عن طريق الهدى وان اصولهم الخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة والمشبهة . . . الخ وان اهل السنة فرقة واحدة. . ويستطرد الفقيه بن شيخ رابطا الصالحية بالفرق الخارجة عن طريق الهدى وانها مثل الرافضة ويصيب بسهامه كذلك الطريقة الرشدية اشارة إلى ابراهيم الرشيد احد شيوخ الأحمدية.[4]

---

١ / الجوهر النفيس فى خواص الشيخ أويس ص ١٠٥.

٢ / ewis, A modern History of Somalia P. 87 – 86.

٣ / بيولى تعنى المكان الوفير الماء، وقد زرت القرية فى يوم ١٢ يوليو ١٩٨٦ وعاينت مكان مصرع الشيخ أويس، وقابلت شاهد عيان وهو الشيخ عبده حسين وعمره الآن ٨٧ عاما وقد ذكر بأنه أمر تلامذته بعدم التعرض للدراويش، هذا وقد أصبح يوم اغتياله مولدا ضخما للقادرية حيث يزحفون من كل أنحاء الصومال لبيولى ويحيون الليل بمدائحه وراجت نزهات وسط القادرية بأن سبع زيارات لقبر الشيخ اويس تعادل حجة.

٤ / انظر الشيخ الفقيه بن شيخ محمد ابى بكر القادرى، مجموعة مباركة متمثلة على
١ ـ عقيدة أهل السنه والجماعة
٢ ـ سراج الظلام، سلسلة السادة الكرام.
٤ ـ نصرة المؤمنين على المردة الملحدين مع بقية احكام الدين.
٥ ـ أنيسة العاشقين فى تذكرة المحبين.
مطبعة المشهد الحسينى، القاهرة دون تاريخ نشر ص ٣٦.

ويذم ابن الشيخ محمد، ابن يتمية والامام محمد عبدالوهاب ومذهبه وينفى عن السيد محمد صالح وابراهيم الرشيد صفة الغوثية، بحجة ان الغوث يجب ان يكون من آل البيت - وهؤلاء من السودان، ثم يفتى بان السيد محمد بن عبدالله الحسن ضال مضل يجب قتله لانه لم يلتزم مذهبا معينا وادعي الاستنباط من الكتاب والسنه وان الصالحية اعتمدوا على الرأى وغلبوه على أمر الدين.(١)

والكتاب لا يخلو من اخطاء فهو يجعل من ابن سينا تلميذا لابن تيمية على بعد.المسافة بين الرجلين زمانا ومنهجا، كما يربط بين الصالحية ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وينادى بان الاجتهاد انقطع منذ خمسمائة عام.(٢) والكتاب فى عمومه عبارة عن مبحث فى العقيده وما يتعلق بالاله من صفات وكذلك النبويات والسمعيات، وقد تم تأليف الكتاب فى زمان ثورة الامام محمد بن عبدالله الحسن عام ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م، هذا ومايزال صدى الانقسام القائم حول جهاد السيد محمد بن عبدالله قابعا فى العقلية الصومالية، وقد علق الرئيس الصومالى محمد سياد برى على ذلك قائلا: (وبالنسبة لحروب السيد محمد، فان عددا كبيرا من الشعب الصومالى، قد عارضها للاسف الشديد، الامر الذى اعطى الاستعمار فرصة ذهبية للانقضاض على ثورة السيد محمد، ومن الحقائق التى اثبتها التاريخ ان الاستعمار لا يمكن له السيطرة على شعب مالم يقع ابناء هذا الشعب فى حبائله كعملاء له. . لماذا هزمت ثورة السيد محمد عبدالله اذن؟ هزم السيد محمد لان الشعب الصومالى ما كان يفهم فى ايام السيد معنى الحرية وقيمة القومية الصومالية.(٣)

ومع ان نظام الرئيس سياد برى، يعيش فى توافق تام مع الطريقة القادرية، الا ان الرئيس سياد لم يستطع تجاوز هذا السؤال الصعب، اذ بتساؤل الرئيس يفتح الباب لسؤال عن جوهر الفكر الصوفى الصومالى وموقف هذا الفكر من قضايا (الاستعمار) والعلمانية والتغريب) وهذا يقودنا لتناول مصادر الفكر الصوفى وطبيعة هذا الفكر فى الصومال بخاصة وفى افريقيا عامة.

مصادر الفكر الصوفى فى الصومال:

لا تكاد مكتبات مقديشو التجارية، تجمع شيئا غير كتب الفقه والتصوف وقد انحصرت الحركة الفكرية فى اطار هذين المصدرين اذ لم يعرف الصومال بعد، الكتاب الحديث، باستثناء ما يوجد فى مكتبة الدولة الوطنية ومكتبة الحزب الثورى الاشتراكى الصومالية ومكتبة الاكاديمية الوطنية للعلوم والفنون ومكتبة المنظمة العربية للثقافة والعلوم ومكتبة المركز الثقافى الإسلامى المصرى ثم مكتبة جامعة مقديشو وكل هذه مكتبات مخصصة لا تبيع الكتاب ورواد هذه المكتبات من قطاع معين لا يكاد يتجاوز الباحثين والطلاب.

١/ ، اليمصدر السابق ص ٣٧.

٢/ المصدر السابق ص ٧٢، ٧٦، ٧٨، ٨٥، ٩٣

٣/ محمد سياد برى، بلادي وشعبي، خطب مختارة للواء محمد سياد برى ١٩٧٣ - ١٩٧٤.
من اصدارات وزارة الاعلام والارشاد مقديشو، اكتوبر ١٩٧٥ ص ٢٧٤.

وهذا الفراغ الثقافى، خلق سوقا رائجة لتداول كتب الفقه والتصوف أو ما يسمى (بالكتب الصفراء) واكثر كتب التصوف رواجا هي :-

١- الفيوضات الربانية فى المآثر والاوراد القادرية[١]

هذا الكتاب هو عمدة كتب قادرية الصومال، لذا استهدفه السلفيون بنقدهم. يقسم الكتاب مراتب النفس عند القادرية ويجعلها سبع مراتب - ادناها النفس الامارة وارقاها النفس الكاملة.

١- النفس الامارة	وذكرها بالا إله الله مائة الف مرة.
٢- النفس اللوامة	وذكرها (الله) ثمانية وسبعون ألف واربعة وثمانون
٣- النفس الملهمة	وذكرها (يا من هو الله، لا اله الا انت هو هو هو. .
٤- النفس المطمئنة	ومفتاح ذكرها (حي)
٥- النفس الراضية	ومفتاح ذكرها يا واحد ياواحد يا واحد
٦- النفس المرضية	ومفتاح ذكرها يا عزيز.
٧- النفس الكاملة	وتوجه ذكرها يا ودود[٢]

ثم يصف الكاتب كيفية مبايعة الشيخ لمريده، حيث يجلس ملاصقا ركبتيه بركبتي شيخه وواضعا يده اليمنى بيد شيخه اليمنى بعد صلاة ركعتين نفلا لله تعالى، ثم يقرأ الفاتحة على روح النبى - صلى الله عليه وسلم - ومشايخ السلسله القادرية ثم يردد المريد خلفه الشيخ الاستغفار ويختم قائلا (ان العهد عهد الله ورسوله وان اليد يد شيخنا واستاذنا الشيخ محى الدين عبدالقادر الجيلانى، ثم يقرأ الشيخ آية المبايعة، فكلمة التوحيد ثم يوصيه الوصايا اللازمة والاذكار ثم بعد قبول المريد لهذه الشروط يقول له الشيخ، انا قبلتك لى ولدا) ثم يدعو له ثم يسقيه كاسا من ماء او غيره.[٣]

وقد لاحظت أن الأوراد المنسوبه للشيخ عبد القادر الجيلانى من غير سلسلة نسبة اليه تكثر فيها الترهات، أما الأوراد المنسوبة اليه بالسلسلة فهى على الشاكلة السنيه قلبا وقالبا كورد الصبح[٤].

ثانيا: كتاب إرشاد الاذكياء[٥] :- كتب الكتاب أساسا للدفاع عن كتاب الفيوضات الربانية ومهاجمة الذين يهاجمونه والاعتذار عن ترهات الصوفية لأنهم غارقون فى بحر المحبة، والكتاب يكشف عن طبيعة الصراع الدائر بين المتصوفة ومخالفيهم من السلفيين.

١/ الحاج اسماعيل بن السيد/ محمد سعيد القادرى، الفيوضات للربانية فى المآثر والأوراد القادرية، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، دون تاريخ نشر.

٢/ المصدر السابق ص ١٧ - ١٨.

٣/ المصدر السابق ص ١٩ - ٣٠.

٤/ المصدر السابق ص ٩٩ - ١٠١.

٥/ الشيخ على بن حاج ابراهيم، ارشاد الاذكياء فى حكم التوسل بالأولياء ويليه المواهب الربانية فى حكم شطحات الجيلانيه، مطابع الحكومه، مقديشو ١٩٧٧، بالاضافة الى كونه مطبوع فى مطبعة الدولة فقد قدم له وزير العدل والشئون الدينية ورئيس المحكمة العليا وهذه اشاره كافيه بأن الكتاب يعبر عن الرأى الدينى للدولة فى بلد كالصومال.

ثالثا: الجوهر النفيس فى خواص الشيخ اويس :-(مصدر سابق)
ويجمع هذا الكتاب بين سيرة الشيخ اويس وطريقة الدخول فى طريقة القادرية الأويسيه، كما يضم عددا من قصائده مرتبة بالحروف الهجائية، كقصائد التوحيد السبعة المساة «بالنظم الوحيد فى سبعة التوحيد» كما يحتوى على كرامات الشيخ أويس وحكاياته.
رابعا: المجموع الحاوى[1] :- عبارة عن قصائد فى مدح النبى (ﷺ) وفى مولده وفى سيرته وفى هيئته وصفاته وكراماته وتقع فى ٣١٥ بيتا وهى بالعربية الفصحى ثم قصيدة فى مدح الشيخ عبد القادر الجيلانى وفيها الدعاء له والاستغاثة به وتقع فى اثنين وعشرين بيتا، والقصيدة الأخرى فى مناقب ومولد الشيخ عبد القادر الجيلانى، حيث يفيض الشاعر فى الحديث عن نسبة من جهة الأب والأم (حسنى وحسينى) ويتكلم عن احواله وتواضعه وكراماته ووعظه وشيوخه ويحتوى الديوان كذلك على قصيدة تتعرض للتوحيد والقصيدة والسيره والأنبياء واولو العزم، والصفات الواجبه للرب ثم الأنبياء ثم تدخل على ازواج النبى - ص - واولاده وأهله. فالملائكة وخاتمة الكتاب عبارة عن بعض الأحاديث التى وردت فى فضل الصلاة على سيد السادات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
خامسا: الشيخ عبد الرحمن الزيلعى (مجموعة مشتملة)[2] وهى عبارة عن تسع قصائد من قصائد الشيخ الزيلعى وهى بالعربية الفصحى حيث تتعرض لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم منذ ارهاصات ماقبل الميلاد حتى الوفاة ويتخلل الكتاب قطع نثرية وخاتمة الكتاب عبارة عن ثلاث قصائد فى مدح الشيخ الزيلعى من تأليف تلامذته.
سادسا: كتاب (الفيض الرحمانى)[3] يستقصى الكتاب سلسلة الشيخ عبد القادر الجيلانى حتى الحسن، ثمّ مكان مولده - جيلان - ماوراء طبرستان ثم دخوله بغداد وما قاله عنه الشيخ العز بن عبد السلام ثم يستقضى الكتاب عددا من كرامات الشيخ عبد القادر الجيلانى.
سابعا: مجموعة احزاب واوراد ورسائل ابن ادريس[4] عبارة عن مزيج من الآيات والاحاديث المسبوكة بلغة عالية رفيعة، تكشف عن ثقافة ابن ادريس العميقة كما تكشف عن قدرات مذهلة فى التعامل مغ معانى القرآن والحديث ومكانة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كما تكشف عن القضايا التى عالجها القرآن، كالارادة والقدرة والتسيير والتخبير وآيات الصفات ففيها اشارات لقصص ابن عربى ومشابهة لراتب الميرغنى والمهدى، كما تضم اشارات لمنهجه القائم على محاسبة النفس وخلوص الأعمال لله ومكارم الاخلاق والرحمة والتفاعل مع الناس.

١/ابو محمد الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر، المجموع الحاوى، مولد التقريب الى الله تعالى والى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم.
٢/ مصدر سابق.
٣/ الشيخ عبد الرحمن الزيلعى كتاب الفيض الرحمانى فى نبذه من مناقب القطب الجيلانى، دون ناشر أو تاريخ نشر.
٤/ مصدر سابق.

ثامنا: مولد الشرفات ومولد النشر العاطر[1] وهو عبارة عن قصيدتين، الأولى فى مولد الرسول - ص - وهى مشابهة للمولد البرزنجى، وتتخلل القصيدة مواضع للدعاء مثالها (اللهم ارنا وجهك الكريم، ورؤية المختار فى الجنّة. والنعيم، اللهم صلّى وسلم وبارك عليه)، وفى القصيدة محاولات فلسفية، كربطها لحركات الصلاة باشكال الحروف، فالقيام كالألف والركوع كالحاء والسجود كالميم والقعود كالدال) ولكل حرف دلالة. ثم مولد السيد عبد القادر الجيلانى، الذى يضم سيرته وكراماته واخلاقه ويختم الكتاب بالدعاء.

تاسعا: مذهبة الأحزان فى نظم خاصة أهل الإيقان[2]: وهى عبارة عن منظومة بأسماء الأولياء الذين ورد ذكرهم فى كتاب الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى «وقد ابتدأ ذلك ينظم اسماء بعض المرسلين أولى العزم واصحاب مراتب الولاية المعروفين.

عاشرا: دلائل الخيرات وقصيدة البردة[3]. وهو كتاب ذائع الصيت، وقد رأينا المعارك التى دارت حوله بين المتصوفة واضدادهم منذ أيام السيد محمد بن عبد الله الحسن، وأنّ السيد محمد نفسه كان يعتبره من الكتب المرضيةّ، والكتاب عبارة عن أدعية بالاضافة الى إبراد اسماء الله الحسنى ثم ذكر انماط من الصلاة على النبى - ص - وفضائلها ثم اسماء النبى - ص - وأورد واحدا ومائتى اسم للنبى صلى الله عليه وسلم، أما اوراد الهوامش فتتعلق ببعض أحزاب السادة الصوفية كحزب البر للشاذلى وحزب الامام النووى وحزب السر المصون للغزالى ودعاء البسملة لعبد القادر الجيلانى، أما قصيدة البردة فمشهورة فى الصومال، مما يدل على غزارة المعرفة باللغة العربية فى الصومال الإسلامى وهناك كتب اخرى أقل اهمية ولكنها كذلك تمثل بعض اسهامات متصوفة الصومال فى اثراء الفكر الصوفى[4].

ونظرة تحليلية لهذا الثقافة، نجدها ثقافة مستغرقة فى القضايا المطلقه، كحب الرسول - ص - ومتابعة الترقيات الروحية بترديد الأوراد والأذكار، والغناء فى حب الصالحين كالجيلانى وغيره، فهى ثقافة تعالج اشواق الروح ولاتتنزل الى عالم الأرض وتنشغل باوضاع ساكنيه واوضاعهم السياسية والاجتماعية. فهذا اللون من الثقافة يعالج وجهاً واحداً من الدين

١/ الشيخ اويس بن محمد، مولد الشرفان فى مدح سيد ولد عدنان صلى الله عليه ومولد النشر العاطر فى مدح السيد/عبد القادر، المكتبه الإسلامية، مقديشو، الصومال ١٤٠٠ - ١٩٨٠هـ.

٢/ الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر الصومالى، مذهبه الأحزان فى نظم خاصة أهل الايقان، دون تاريخ نشر أو ناشر.

٣/ الامام ابو عبد الله محمد بن سليمان الجزولى، هذه دلائل الخيرات، ويليه قصيدة البردة للشيخ محمد البوصيرى، وبها مجموعة كبيرة من الأولاد، دار احياء الكتب العربية. دون تاريخ نشر

٤/ كمثال انظر عبد الرحمن الصوفى، دليل العباد الى سبيل الرشاد ديوان شعر وكذلك الشيخ عبد الرحمن العمر جلاء العينين فى مناقب الشيخين (أى اويس والزيلعى). أما الكتب التى تمثل التيار السلفى فقليلة ككتاب الشيخ نور الدين على الصومالى الازهرى، هداية المستفيد فى علم التوحيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٨١ - ١٩٦١م. ويتبنى الكتاب الاطروحات الإسلامية الشرعية اطروحات أهل السنة التى تقول بأن الاولياء الاموات والأحياء، لايسمعون دعاء ولايستجيبون داعيا ولا يملكون مطلوبا، لأن ذلك ليس اليهم بل الذى يسمع الدعاء ويملك المطلوب ويجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء هو الله تعالى. والكتاب عبارة عن اسئلة واجوبة ويحتوى على ١٨٤ سؤالا وإجابة.

ويستنفد الطاقات فى الحب للنبى - ص - وال البيت والصالحين ولكن هذا الحب مجرد تهاويم صوفية وليس له دلالات عملية لذا كان التصوف فى الصومال، يسير فى اتجاه وحركة الحياة تسير فى اتجاه آخر لذا فلا عجب ان وجد التصوف نفسه فى صدام مع السيد محمد الحسن فهو صدام ثقافات ومناهج وليس مجرد صراع بين أشخاص.

ولكن لعبت هذه الثقافة دوراً ايجابياً فى حفظ الثقافة العربية «اللغة العربية والحرف العربى» اذ أن أعمدة الفكر الصوفى الصومالى، كانوا يفكرون ويكتبون ويقرضون الشعر بلسان عربى مبين، لذا فقد اسهم التصوف فى حفظ الثقافة العربية، وقد اسهم التصوف فى خلق ظروف الاستمرارية للثقافة الإسلامية فى ظل الحقبة الاستعمارية والوطنية، وحينما نجحت الإدارة الاستعمارية فى اسكات قنوات الثقافة العربية الأخرى فشلت فى اسكات قناة التصوف.

ومع ان مصادر الفكر الصوفى الصومالى، ظلت ترتكز على الحرف العربى والتراث الصوفى الإسلامى المشترك مع بقية العالم الإسلامى، الا أن مايهدد التصوف فى الصومال اليوم هو ظاهرة (اللادينية) أو «النفعية» التى تسود المجتمع حتى بين أبناء الطريقة، حيث أصبح الانتماء شكلا خارجا وطقوسا بدون روح حقيقية، كما أن التصوف ماعاد له قدرة على الأشعاع والاصلاح لغياب الشيوخ المسلمين العالمين.

أما التهديد الأكبر الذى يواجه التصوف باعتباره حركة عرفانية، تتمثل فى أن مصادر الفكر الصوفى مكتوبة بالعربية، فى وقت انحطت فيه العربية فى الصومال وماعاد الشباب يفقه كثير شىء فى العربية[1] مما أدى الى جفوة مع الثقافة العربية المكتوبة فالحرف العربى اليوم فى الصومال محاصر، ولا يكاد يجد له أنيسا الا فى حمى بعض شيوخ المتصوفة والفقهاء وخريجى الجامعات العربية. ومايزال بعض الشيوخ يجتهد فى كتابة المصحف بيده[2]

لعب المذهب الشافعى دوراً كبيراً فى توحيد الصوماليين عامة (متصوفة وسلفيين وغيرهم)، وقد راجت كتب زكريا شرف النووى خصوصا كتاباه (منهاج الطالبين فى الفقه الشافعى) و (رياض الصالحين حيث لا تكاد تخلو مكتبة اسرة منهما. اما فى التفسير فقد راج تفسير الجلالين) لعبدالله بن أحمد المحلى وعبدالرحمن (السيوطى) وكذلك (تفسير البيضاوى) كما راجت فى الصومال كتب ابى حامد الغزالى على الأخص احياء علوم الدين) و (منهاج العابدين) ومن المبسطة راجت (الاجرومية (فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين، للشيخ زين العابدين المليارى الشافعى، ومدارج الصعود إلى اكتساء البرود شرح الشيخ محمد نووى المبنتى على المولد النبوى للسيد جعفرالبرزنجى وكذلك كتاب (على متن المنهاج

١) حسب: نتيجة الاستبانة التى اجريتها مع خمسمائة شاب صومالى فان اللغة الأولى اليوم هى الصومالية ثم الانجليزية فالايطالية فالعربية، راجع تحليل الاستبانة فى الفصل الرابع من هذه الدراسة ص ٢٧٢ - ٢٧٥

٢) اهدانى شيخ الطريقة القادرية ببيولى مصحفا بخط يده ويبدو أن هذا هو عمله الأساسى.

لابى زكريا شرف النووى ومفتي المحتاج إلى معرفة معانى الفاظ المناهج. لمحمد الشربينى الحصينى، وهذه الكتب شائعة فى العالم الإسلامى وعلى الأخص افريقيا الإسلامية.

التصوف فى إفريقيا مع اشارة خاصة بالتصوف الصومال:

انتشر الإسلام فى إفريقيا عن طريق التفاعل السلمى بالدعوة والتجارة والمصاهرة، فكانت الدعوة سابقة على الجهاد ولم يأت الجهاد الا:

١- للحفظ على الكيان الإسلامى من التغول الخارجى الذى يسد منافذ العمل للدعوة كما فى جهاد الإمام أحمد إبراهيم الجران (١٥٣١-١٥٤٢) فى قرن إفريقيا، الذى نذر عمره لتدمير امبراطورية الحبشة النصرانية، باعتبارها أكبر مانع استراتيجى لانتشار الإسلامى وباعتبار انها جعلت من اهدافها المصيرية القضاء على دويلات الساحل الإسلامى وقامت باضطهاد المسلمين فى الداخل، وكحركة عثمان دان فودى الجهادية (١٨٠٤-١٨١١) فى غرب إفريقيا التى اندلعت لكسر عدوان سلاطين الممالك شبه الوثنية على الدعوة الإسلامية ومحاولات مصادرة حزيتها فى العمل.

٢- استكمال أهداف الدعوة الإسلامية فى إقامة كيان سياسى - ثقافى وذلك بعد انتشار الإسلام وارتضائه دنيا لدى الغالبية، فالجهاد يأتى هنا نتيجة لمقدمة طويلة، كما فى التحالف الفونجى - العبدلابى فى القرن السادس عشر، أو فى جهاد المرابطين الذين استقروا فى القرن الحادى عشر الميلادى فى شبه جزيرة النيجر وبدأوا حركتهم على اساس من الأصلاح الدينى والتنوير العقلى ونشروا مبادئهم أساسا لا عن طريق القوة بل بايمانهم العميق بتلك المبادىء وغلبة نفوذهم الثقافى وانفتاحهم.

اصابت الدعوة الإسلامية فى إفريقيا نجاحا، لأنها استجابت لنداء الفطرة عند الإفريقى، لما فيها من البساطة والوضوح، اذ تتم النقلة للإسلام من خلال (النيه والشهادة) دون مظاهر كهنوتية أو جدل لاهوتى، وكما قال توماس ارنولد (إن تاريخ العقائد، يخفف فى عرض اى محاولة من جانب المقامات الدينية، تضاهى بساطة الإسلامى فى إدارك وجود الله ووحدانيته، وان التدابير الصارمة التى اتخذت لصالح المسيحية (فى اثيوبيا) قد اخفقت فى وقف نمو النفود الإسلامى. وفى خلال القرن التاسع عشر، اسلمت قبائل باجمعها كانت يوما تدين بالمسيحية... ولو ان هناك أحمد جران آخر ينهض وينشر راية النبى لصارت بلاد الحبشة مسلمة باسرها)[١]

ومع ان النسيج الصوفى، يغطى القارة الإفريقية بأسرها (الطريقة القادرية فى شرق ووسط وغرب إفريقيا والتجانية فى غرب إفريقيا بالإضافة إلى عشرات الطرق الفرعية الأخرى) إلا أننا لا نستطيع القول بأن قادة إفريقيا التاريخيين الذين نهضوا بحركات الجهاد

١) ارنولد (توماس) (الدعوة إلى الإسلام) ص ١٤١.

كانوا من المتصوفة، إذ دخل الإسلام ف مرحلته الاولى على ايدى الصحابه المهاجرين فى الحبشة، والفتوحات فى مصر وشمال إفريقيا على يد عمرو ابن العاص وعقبة بن نافع وغيرهم) وهؤلاء كانوا على بساطة الإسلام وعلى الروح الأولى التى نفخها فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاءت دول الأدارسة والفاطميين فى شمال إفريقيا ومصر، ونهضت ممالك قرن إفريقيا الإسلامية السبع وما صحبها وغذاها من هجرات عربية فى شرق إفريقيا واستقامت هذه الممالك على بساطة الإسلام وحينما دخلها المذهب الشيعى لم يقو على المنافسة، فاندثر هنا كما اندثر فى شمال إفريقيا والقاهرة، ثم جاءت دولة المرابطين فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حيث مثل فيها المذهب المالكى، ايدلوجية متكاملة فى معالجة كل القضايا السياسية والتشريعية، وكانت الدولة سنية مالكة تبنت سياسات ضد التشيع والتصوف ومنعت تداول كتاب الغزالى (احياء علوم الدين) واحرقته.

ثم جاء جهاد الإمام أحمد بن إبراهيم الجران غير مرتبط باية ايدلوجية صوفية فى قرن إفريقيا، أما الشيخ عثمان دان فودى، فكان يفهم التصوف على انه توجه يدل على صدق النوايا والزهد ومن هنا كان ارتباطه بالسيد مختار الكنتنى القادرى، لذا فانه لم يبارك كثيرا من اشكال التصوف (كضرب الدفوف وتجصيص القبور، وله في ذلك كتاب (احياء السنه واخماد البدعه) حيث يطغى التوجه المالكى.

لا يوجد ما يدل على ان هناك ايدلوجية صوفية، جمعت بن الفونج والعبدلاب، وانما هى الضرورات العملية المفهومة من الدين بالضرورة، وان ازدهر التصوف فى عهود احفاد عمارة دنقس (القادرية بالذات). كما اننا لا نعرف رؤية صوفة لرسل محمد على فى السودان وان ازدهرت الختمية والسمانية فى عهودهم.

اما حركات الجهاد التى اندلعت فى القرن التاسع عشر، فرن التكالب الاستعمارى على إفريقيا، فقد ارتبطت بالشخصيات الملهمة التى اوقدتها، فالتجانية آزرت الاستعمار الفرنسى ضد ثورة الأمير عبدالقادر الجزائرى فى كفاحه ضد فرنسا خلال المعركة الطويلة التى استمرت ١٧ عاما.[1] وكذلك لم يجابه شيوخ التجانية الاستعمار الفرنسى فى السنغال، اما السيد محمد أحمد المهدى فقد اضطر للتمرد على الطريقة السمانية فى سبيل اعلان جهاده ووجد نفسه فى مجابهة مع الطريقة الختمية وفرض نفسه فرضا على القادرية.

اما مهدى الصومال، محمد بن عبدالله الحسن، فقد ابعد النجعة فى معاداته للمؤسسة الصوفية، حيث أهدر دم اثنين من شيوخها هما الشيخ اويس والشيخ على مى. ولقد اختلف أمر السنوسية اذ ان بناء السنوسية يقوم على مفهوم (الجماعة المسلمة) أكثر منه قيامه على رابطة الطريقة، اذ رابطة الجماعة تقوم على الإلتزام الصارم بالكتاب والسنه، بينما رابطة الطريقة رابطة متساهلة تقوم على الحد الأدنى الذى يجمع وتكتفى بموالاة الشيخ وترديد الأذكار وهذا

١) انور الجندى، الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

الفرق يرد فى إطار منهج العمل أما الجانب العرفانى فقد يتقارب أو يتضارب.[1]

لا ينفى ما قلناه، أن الطرق الصوفية، اسهمت فى نشر الاسلام وحماية الثقافة الإسلامية فى إفريقيا على نحو اذهل الاستعمار، ولكن نشير هنا إلى اتجاه سلبى، انعكس فى الالتقاء مرحليا بالاستعمار والتعاون معه والتأثير على العامة للاذعان له. وربما كان مرد هذا الاتجاه السلبى، مركوزا فى طبيعة الفكر الصوفى، الذى تطور فى بيئات مختلفة، بعيدا عن مقولات السلف الصوفى (كعبدالقادر الجيلانى).

يقوم الإسلام عند قادة التصوف المؤسسى، على مقولة الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن، وكما ان عالم الشهادة محكوم ظاهريا بقوانين الشريعة، إلا أن سلطان الباطن أو الحقيقة حينما يتجلى بتجاوز سلطان الشريعة، لأن عالمى الشهادة والغيب محكومان، بحكمة أهل الباطن وما فيها من نظام على رأسه القطب الغوث الدائر على أركان الدنيا، كدوران الفلك فى افق السماء ثم يليه الأوتاد الأربعة فالأبدال السبعة ثم النقباء أربعون فالنجباء ثلثمائة.[2] اما مادة علم الباطن، ففيها تأويلات قصص الخضر وفيها اللغة تنزلات ورموز، حيث النعال قد تكون رمزا للنفس على خلاف المدرسة السنية، حيث اللغة ان لم تكن توقيفية فهى على الاقل اصطلاحية.[3]

الصوفى مشغول بهذه الثقافة ومستغرق فيها،[4] اذ طالما علم الباطن يَجُب علم الظاهر والحقيقة تَجُب الشريعة، فلا حرج من التغريب أو حتى الاستعمار، وكذلك فحتى حينما يخرج صوفى للجهاد، فانما يخرج بنداء الباطن (الامر النبوى او الحضرة) وليس استجابة لمقتضى ظاهر الشريعة، وعند بعض المتصوفة فانه حتى اذا ما ازيلت حكومة المسلمين الظاهره، فحكومة اهل الباطن قائمة، لذا نجد هناك نوعا من التكامل والتكيف الجزىء قد حدث بين الاستعمار ومؤسسات التصوف، بينما فرض الاستعمار القانون العلمانى، انكفأ التصوف على العرف والعادات وسلطة الشيوخ، وحينما أبطل الاستعمار محاكم الشريعة وجاء بالتعليم الحديث اكتفى المتصوفه بالمدارس القرآنية والكتاتيب، وحينما دخل العلاج الحديث راج عند المتصوفة الدواء البلدى والطب الروحى، مع ازدهار الثقافة العلمانية (الغناء المصحوب الموسيقى والقصص والمسرح . . . الخ) راج المديح والذكر الجماعى.

ربما نظلم المتصوفة، اذا قصرنا هذه الاستجابة عليهم، اذ هذه ربما كانت استجابة المتجتمع الاسلامى ككل، ورد هذا المجتمع على هجمة العلمانية والتغريب بثقافتها

١/ فى العصر الحديث يمثل الجماعات الإسلامية باكستان، والاخوان المسلمون فى مصر، والطرق ماتزال هى الطرق.

٢/ انظر الشيخ بن شيخ القادرى، مجموعة مباركة مشتملة

٣/ عند ابن تيمية اللغة توقيفية وعند الاشعرى اصطلاحية أما عند المتصوفه كابن عربى وغيره فهى مجرد رموز لها دلالات لا تنضبط بالقرائن اللغوية ويستشهدون بالحديث ان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حرف حدا ولكل حد مطلعا.

٤/ الصوفى مستغرق فى الجانب العرفانى ـ النظرية ـ بينما الدرويش حظه منها الممارسة والتجربة العملية التى تقوم على التقليد للشيخ.

الشباب الصومالى وازدواجية الولاء:

تجتهد اجهزة الإعلام الصومالية، فى ترديد اسم المجاهد محمد عبدالله الحسن، وتعرض المقررات الدراسية طرفا من سيرته باعتباره بطلا قوميا وباعثا للنهضة الصومالية، وان احياء ذكراه ضرورة من اجل نفخ الروح فى الكرامة الوطنية والعزة وعظمة السلف ولكن عمليا فان الدولة تتنكب خطى السيد محمد عبدالله الحسن، فبينما كانت الراية التى رفعها السيد محمد راية القومية الإسلامية فان الراية المرفوعة اليوم راية الوطنية العلمانية. كما لجأت الدولة الى كبت الحركات الاسلامية التى تتغذى بالمفاهيم الإسلامية والميراث الذى خلفه السيد محمد عبدالله.

ليس هناك فى الصومال جهد لتدوين سيرة السيد محمد عبدالله الحسن ولا الحركة الفكرية التى مثلتها حركته وما يزال التعامل مع هذه الثورة سطحيا وهامشيا، ويبدو ان مرد ذلك لامور ثلاثة، اولها حالة الجهل العامة بتاريخ مضامين حركة السيد محمد وثانيها خوف السلطات من ان تصبح سيرة المجاهد زاداً فكرياً وسياسياً للحركات الإسلامية. (١)

وثالثهما ان تمجيد السيد/ محمد عبدالله يعنى ضمنيا ادانه لرموز الطريقة القادرية وللفكر الصوفى السائد فى الصومال، لذا فالشباب يتعامل مع ثورة محمد عبدالله، باعتبارها حدثاً مقدساً غامضاً اخذ وضعه فى التاريخ ولا صلة له بعالم اليوم.

الشباب يريد الانتماء لثقافة العصر التى رفضها السيد بمعنى انه يريد ان يتمسك بالسيد/ محمد والثقافة التى رفضها مما اوقع الحركة الثقافية الصومالة فى إزدواحية الولاء.

وقد انعكس ذلك على حركة التصوف المعاصرة اذ اتسمت ببعض المظاهر:

١ـ عدم المركزية المعاصرة بمعنى وجود مراكز مختلفة للطرق الصوفية، ويبدو ان ذلك من سياسات الاستعمار التى حافظت عليها العهود الوطنية.

٢ـ التضاؤل المستمر لدور التصوف فى المجتمع الصومالى الحديث، بمعنى التقلص والانكماش فى دائرة الذكر ورابطة الطريقة وافساح المجال للعلمانية فى حركة الحياة.

٣ـ الانتماء للطريقة اصبح انتماء شكليا ولا يترتب عيه التزامات عملية او تضحيات واصبحت رابطة الانتماء الوطنى مقدمة عليه بل وكذلك رابطة الانتماء القبلى حتى ان الطرق ذاتها اصبحت تحتمى بالرابطة العرقية (الزيلعية وسط الاسحاقيين) و (الصالحية وسط الأوجادنيين) و (الأحمدية الادريسية وسط الساحليين) و (القادرية الاويسية وسط قبائل

---

١) توجد عن السيد/محمد عبد الله الحسن بالصومالية دراستان، من اصدارات الاكاديمية الوطنية للعلوم والاداب والفنون وهما تاريخ الدراويش وصدر عام ١٩٧٦. ومجموعة من أشعار السيد وكلاهما من عمل الأستاذ جامع عمر عيسى - ولم تجمع حتى اليوم منشورات السيد، علما بأن الدراسات متوفرة عن الشيخ اويس والشيخ الزيلعى كما أن أعمالهم منشورة ومتوافرة فى المكتبات.

الوسط والجنوب)، وأصبح مغزى الانتماء للطريقة يتمثل فى ترديد أذكارها وحضور مناسباتها وموالاة الشيخ بالهدايا وغيرها وشيخ الطريقة ذاته، قد يلقنهم ان لطاعته حدوداً، لا تتجاوز قوانين الدولة ومصالح اتباعه الذاتيه وعليه فاصبحت الطريقة تحاول ان تتكامل مع النسيج الاجتماعى الموجود ولا تتمرد عيه بقصد احداث تغيير كبير فيه، اذ هذا فوق طاقة الشيخ وفوق طاقة اتباعه وغير وارد فى البيعة التى يأخذها الشيخ من أعضاء الطريقة.

العمق التاريخي للثقافة الإسلامية في الصومال: (المخطوطات)

تضرب حركة الثقافة العربية والتراث الإسلامي بجذورها في اعماق تاريخ الصومال، استخدم الصوماليون في الماضي اللغة العربية وسيلة للمخاطبة والمراسلة والمعاملات التجارية وتوثيق العقود وتأكيد المواثيق وغير ذلك من المعاملات الدينية والدنيوية. كما كانت العربية اداة نشر العلوم الدينية وتعليمها بين افراد المجتمع الصومالي[1]

كانت هناك ازدواجية لغوية، فالصومالية كانت لغة التخاطب اليومي، اما العربية فقد كانت لغة الثقافة والعلم واللغة المكتوبة واثر هذا التاريخ لا يزال محفوظا وباقيا في المخطوطات، التي عبرت عن توجهات حركة الثقافة والفكر في زمانها.

ازدهرت في الصومال جامعات إسلامية شعبية في هرر ومقديشو وزيلع وبربرا ومركة وبراوة. وأصبحت هذه المدن، محطات يقف عندها الدارسون للفقه واصوله والشريعة واللغة. ويفد إليها الطلاب من داخل وخارج قرن إفريقيا. حيث بدأ اليمانية يطلبون العلم في الصومال منذ عام ٧٦٧هـ. ويحدثنا (بيرتون Sir Richard Burton في كتابه First Footsteps in East Africa ان المساجد تزدهر في هرر وكل مسجد يضم مدرسة. , وكانت تتعايش انماط من التعليم داخل هذه المدارس من تعليم القرآن الكريم وتحفيظه، تعليم علوم الشريعة واللغة العربية، تعليم السلوك وتزكية الأفراد[2] وقد إمتازت منطقة هرر باتقان علوم اللغة العربية وعلم التفسير والحديث وعلم الأصول. لذا كان الطلاب الذين يريدون التبحر في هذه العلوم يسافرون غربا اى إلى منطقة هرر، أما المنطقة الجنوبية (مقديشو) فهى دار علم الفقه (الشافعي) والتفسير.

ولا يزال صدى هذه الحركة الفكرية يتردد في الديار الصومالية، ممثلا في ميراث هذه الحركة من بيوت دينية وحوازات علمية توارثت ثمار هذه الجماعات فيما يعرف (بالمخطوطات) وقد نجت كمية كبيرة من هذه المخطوطات برغم ظروف القحط والتنقل السكاني والحروب، ونستقصى هنا طرفا من المخطوطات التي توفرت على فحصها في الاكاديمية الوطنية للعلوم والآداب الفنون،[3] حيث يفيد ذلك، في القاء الضوء على نوعية الحركة العلمية في الصومال وتوجهاتها ومقدراتها الفكرية.

قسمت (العينه) التي درستها من المخطوطات وصنفتها حسب نوعيتها، قرآن، حديث، عقيدة، تصوف، اللغة وعلومها.

١/ ورقة السكرتارية المركزية لحملة تقوية اللغة العربية في مؤتمر تقوية اللغة العربية المنعقد بمقديشو بتاريخ ١٩٨٦/٦/٢٢ - ١٩٨٦/٧/٣ ص ١.

٢/ محمد على عبدالكريم وآخرون (تاريخ التعليم في الصومال) مقديشو ١٩٧٨ ص ١٠ - ١٢

٣/ مع ان هذه المخطوطات تمثل ثروة علمية وتاريخية لاغناء لباحث عنها، الا انها مهملة ومعرضة للضياع كما بدأت الحشرات في أكلها.

أولا فى القرآن:[1]

الصومال عامر بالمخطوطات القرآنية العريقة، والمخطوط الذى نستعرضه هنا، اقدم مخطوط قرآنى معروف فى الصومال، ويرجع تاريخه الى عام ١٣٢ق (عام سقوط الدولة الأموية)، وقد شككت فى التاريخ، فاتصلت بإدارة (الأكاديمية وادارة المكتب الإقليمى للمنظمة العربية والعلوم فأكدوا لى صحة تاريخ المخطوط.

١ــ اسم المخطوط : سبع الخميس.
بداية المخطوط : يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله. (سورة الحجرات).
نهاية المخطوط : من الجنة والناس.
الناســـخ : غير مذكور.
تاريخ النســخ : ١٣٢هـ
الحصول عليه : من الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله حدر.

وقد جاءت هذه الكلمات فى خاتمة المخطوط (الحمدلله ثم الحمدلله، حق حمده، لا احصى حمدك وثناءك انت كما اثنيت على نفسك فى سورة قل هو الله احد. كمل القراءة قبيل الظهر وهى ساعة الزهرة من شهر جمادى الآخر ومضى من الشهر سبعة عشر يوما آخر الصيف والشمس فى برج الحوت مع فرع الموحى فى درجاته الأخير. وبقى من الصيف سبعة عشر يوما مع لياليها بالسنه الرقمية الشمسية وهى ش س هـ، الشين ثلثمائة والسين عدده ستين والهاء خمسة والمجموع ثلثمائة وخمس وستون يوما ومضى من هجرة النبوة سنة ١٣٢. العفو الغفران والعافية بحرمة النبى المصطفى صل الله عليه وسلم.

٢ــ اسم المخطوط : الجزء الرابع عشر من القرآن الكريم:
بداية المخطوط : بسم الله الرحمن الرحيم، الر، تلك آيات الكتاب وقرآن مبين. (بداية سورة الحجر).
نهاية المخطوط : آية من سورة النحل (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).
تاريخ النسخ : غير مذكور ولكن المخطوط قديم.
الناســـخ : غير مذكور.
٣ــ اسم المخطوط : مصحف تام وبهوامشه تعليقات عديدة، تتعلق بشروح المفرادت.

١/ المخطوطات القرانية كثيرة، اذ لا يكاد بيت صومالى يخلو من مخطوطه قرآنيه، بل مخطوطات القرآن وغيره كثيرة ويصعب حصرها، اذ ليس هذا من هم هذه الدراسة ولكننا نقدم عينه محدودة، من جملة المخطوطات الموجودة فى الاكاديمية الصومالية الوطنية.

بداية المخطوط	:	عن منهجه فى كتابة المصحف وانه على الرسم الأول واورد فتوى للامام مالك فى ذلك (القرآن يكتب بالكتاب الأول لا مستحدثا سنطرا).
منهجهــــه	:	اعتمـد على الـطريقة الشاطبية فى الضبط، واكمل ثمانية مصاحف بهذه الطريقة، وارفق الناسخ فهرست فى اثنى عشر فصـلا، تضمنت احكـام التجـويد واوائـل السـور ورؤوس الآى، ومرسوم الخط.
عدد صفحات المخطوط	:	المخطوط فى ٢٠٥ ورقة (٥١٠ صحفة).
تاريخ النســـخ	:	غير مذكور.
اسم الناســـخ	:	غير مذكور.

ثانيا فى العقيدة:

١ــ اسم المخطوط	:	كتاب الجواهر وعقود الفضائل فى فنون الفوائد، الفوائد فى علم أصول الدين على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى.
اسم المصنف	:	الشيخ الإمام العلامة المفتى العراقى محمد بن أبى بكر.
اسم الناســـــخ	:	حسن موسى بن إبراهيم.
الموضـــــوع	:	مشتملة على العقائد والصفات وفى وجوب رؤية الله تعالى بالابصار والايمان وحقيقته وامارة صحتهِ وان معرفة الحق ليس بالايمان حتى ينضم اليه التصديق والاقرار.
الصفحـــات	:	٧٤ صفحة.
٢ــ اسم المخطوط	:	مختصر شرح السلم.
اسم المنصف	:	عبدالرحمن الخضر
تاريخ النسخ	:	١٣١٧
الموضـــــوع	:	يتناول الكليات والجزئيات بطريقة الفلاسفة والمناطقة كما يتناول مسائل نحوية وفلكية وعملية ويفتى بجواز الاشتغال بهذه الفنون.
عدد الصفحات	:	٨٦ صفحة.
٣ــ اسم المخطوط	:	السلم المرونق.
اسم المصنف	:	عبدالرحمن الاخضرى، صنفه عام ٩٤١هـ.
تاريخ النســـخ	:	فى القرن الرابع عشر الهجرى حيث الخط مغربى ـ صومالى وبعضه مشكول.

الموضـــــوع	:	فى العقائد وتعريفاتها وقضايا الحد والجزء والقضايا واحكامها .
الصفحات	:	٩٥ صفحة .
٤ــ اسم المخطوط	:	قصيدة شمس الايمان .
تاريخ النسخ	:	القرن الثالث عشر الهجرى تقريباً .
اسمُ الناظم	:	غير مذكور.
اسم الناسخ	:	غير مذكور.
الموضـــــوع	:	القصيدة فى الله سبحـانه وتعالى وصفاته وجناته وصفات المؤمنين فى الجنة الكفار فى النار.
مطلع القصيد :	:	تبارك من شكر الورى عنه يقصر لكونى ريادى حوده ليس تحصر.
نهاية القصيدة	:	وتمت وفاح الحمدلله ختمها . . شذى دونه فى العرف مسك
عدد صفحاتها	:	ثمان صفحات .
٥ــ اسم المخطوط :	:	فتح الرحمن ، فيما لابد منه من الإسلام والايمان .
اسم المؤلف	:	غير مذكور.
اسم الناسخ	:	غير مذكور.
عدد الصفحات	:	٣٠ صفحة .
الموضـــــوع	:	الموضوع مشهور هو حقيقة الإسلام الايمان وتعريفاتها .
٦ــ اسم المخطوط	:	جميع عقائد التوحيد (الاسم من عندى لمناسبته لموضوع المخطوط) .
اسم المؤلف	:	أبو عبدالله محمد بن يوسف السنوسى الحسينى .
الموضـــــوع	:	قال فى تقديمه : (اهم ما اشتغل به العاقل اللبيب فى هدا الزمان الصعب ، ان يسعى فما ينقذ مهجته من الخلود فى النـار، فليس ذلـك الا باتقان عقائد التوحيد على الوجه الذى قرر أئمة اهل السنة العارفون الأخيار . . وفقنا الله لوضع عقيدة صغيرة الجرم ، كثيرة العلم ، محتوية على جميع عقائد التوحيد (وفى السياق يتعرض لابن عربى والأشعرى ويناقش مقولاتهم .
٧ــ اسم المخطوط	:	منظومة فى أحوال السؤال فى القبر.
تاريخ النسخ	:	١٣١٧هـ

مطلع القصيدة	:	الحمدلله على الإسلام . . والشكر لله على الانعام .
عدد الصفحات	:	١٤ صحفة .
		(لا توجد إشارة للناظم إو الناسخ) .
٨ــ اسم المخطوط	:	خبر المعراج بالبيان والتفصيل .
اسم الناسخ	:	غير مذكور
تاريخ النسخ	:	غير مذكور.
عدد الصفحات	:	٦٤ صفحة .
الموضـــوع	:	موضوع المعراج ـ وكيف كان ، بالرؤية بالجسم ـ وما تم فيه من أنواع التكليفات ، من القضايا الهامة فى عقيد المسلم .
٩ــ اسم المخطوط	:	جمع الجواهر ولب الأصول
اسم المؤلف	:	الشيخ الإمام المحقق أحمد بن محمد بن عبدالكرم بن عطاء الله الأسكندرى .
شرحه	:	محمد بن إبراهيم بن عباد .
نوعية النسخ	:	مغربى
موضوع المخطوط	:	فى علم التوحيد والعقيدة ومحلى بالقصص والوعظ والارشاد ، وقصص الأنبياء والصحابة والأولياء ويأخذ الكتاب بمنهج المتصوفة وفكرهم وترد فيه عبارات مشرقة كقوله (اهتدى الراحلون اليه بانوار التوجه والواصلون لهم انوار المواجهة ، فالاولون للانوار وهؤلاء الأنوار لهم ، لانهم لله لا لشىء دونه .

٤ــ ثالثا فى الفقه

١ــ اسم المخطوط	:	شرح الإرشاد مع مافى شرحيه جواهر النفائس ونفائس الجواهر.
اسم المصنف	:	شيخ بروا شيخ عبداللطيف
تاريخ النسخ	:	١٢٤٦هـ
بداية المخطوط	:	يبدأ باعراب وشرح معانى البسملة ثم أنواع الصلاة على الرسول (ﷺ)
موضوع المخطوط	:	كتاب فى الفقه ، يبدأ بالطهارة ويستقصيها ثم الصلاة والزكاة والصوم فالحج مع أحكامهم ، وهو على المذهب الشافعى ويكثر من الاستشهاد بالنووى .
خاتمة المخطوط	:	فتوى فى تحريم التنباكه والدخان .
عدد الصفحات	:	٢٤٤ صفحة (الصفحة حوالى ثلاثمائة كلمة) .

٢ــ اسم المصنف : منهاج الطالبين فى الفقه الشافعى (منهاج الطالبين وعمدة المتقين).
المصنف : الامام يحى بن شرف النووى.
اسم الناسخ : غير مذكور.
تاريخ النسخ : غير مذكور.
بداية المخطوط : منظومة فى تقريظ المنهاج النووى.
موضوع المخطوط : عبارة عن موسوعة فى الفقه الشافعى ويمثل الكتاب ثروة قيمة ضخمة.

٣ــ اسم المخطوط : تنبيه مختصر فى احكام النكاح.
المصنف : الشيخ حسن يوسف محمد على.
تاريخ النسخ : ١٢٥٨ هـ.
نوعية الخط : نسخى مشكول.
عدد الاوراق : ٢٣٢ ورقة.

٤ــ اسم المخطوط : الإرشاد الغاوى فى مسالك الحاوى (وهو مخطوط ضخم الحجم.
اسم المصنف : شرف الدين اسماعيل بن ابى بكر (السعدى نسبا، الشافعى مذهبا، الزبيدى مسكنا).
اسم الناسخ : عبدالشكور بن الشيخ أحمد (المجرتينى نسبا، الشافعى مذهبا، الأشعرى عقيدة، القادرى طريقة.
تاريخ النسخ : ١٣١٧هـ.
اهمية المخطوط : يسهم فى القاء الضوء عل التأثير الثقافى لبلاد اليمن على الصومال، كما يشير الى ثلاثية المثقف الصومالى القديم اى الفقه الشافعى والعقيدة الاشعرية والطريقة القادرية.
عدد الصفحات : ٤١٠ صفحة.
مصدر المخطوط : عثر عليه فى افجوى بالقرب من مقديشو وهناك عدة مخطوطات بهذا الاسم.

٥ــ اسم المخطوط : شرح سعيد بن مؤلف قرة العين بمهمات الدين.
اسم المصنف : غير مذكور.
نوعية الخط : الخط نسخ وبعضه مشكول.
الموضوع : فى الفقه، حيث يعرفه التعريف الشائع بانه (هو لغة الفهم واصطلاحا العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسبة من ادلتها التفصيلية، واستمداده من الكتاب والسنة والاجماع

والقياس وفائدته إمتثال أمر الله واجتناب نواهيه على مذهب الإمام المجتهد الشافعى).

عدد الصفحات : ٤٤٤ سفحة.

٦ــ اسم المخطوط : كتاب الخراج.

المصدر : شيخ عبدالله شيخ ابى يونس (افجوى).

الأوراق : ٥٧ ورقة من الحجم الكبير.

المؤلف : غير مذكور.

اهمية المخطوط : الخراج - فقه الأراضى المزروعة يمثل مصدرا من مصادر الاقتصاد الإسلامى.

٧ــ اسم المخطوط : السيف البتار فى حكم معاملة الكفار.

اسم المصنف : العلامة السيد/ عبدالله بن عبدالبارى الاهدل.

تاريخ النسخ : ١٣٣٥ هـ (١٩١٧). تقريباً

اهمية المخطوط : ٤٤٤ سفحة.

اهمية المخطوط : نسخ فى ظروف ثورة السيد/ محمد عبدالله الحسن.

موضوع المخطوط : عبارة عن سؤال وجواب كقوله (ماقولكم فى بلد من بلدان المسلمين، ملكها حربيون من النصارى او نحوهم، فما تقولون فيمن ينتقل اليها من المسلمين ويستوطنونها ويرضون باحكامها المخالفة للشريعة الاسلامية، ويبنون فيها البنيان تقوية لبلادهم. فما تقولون فى فعلهم ذلك وفى ايمانهم يا معاشر العلماء الاعلام. الاجابة حقق المحقق الشيخ ابن حجر رحمه الله فى التحفة وغيرها انها باقية على حكمها دار اسلام وان كانت دار حرب صورة فهى دار إسلام حكما، لقوله تعال (إن الأرض لله يورثها من يشاء..) ولقوله تعالى: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا).

٨ــ اسم المخطوط : فى أصول مذهب الشافعى

اسم المصنف : الإمام أبو اسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الفيروزابادى.

الموضوع : قضايا الفقه: بدءا بالطهارة باب المياه وقد قرظ المؤلف كتابه قائلا (اذا قرأه المبتدىء وتصوره، تنبه به على اكثر المسائل، اذا نظر فيه المنتهى تذكر به جميع الحوادث.

٩ــ اسم المخطوط : الفتاوى الحديثة

المؤلف : الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى.
مكان انسخ : بور.
تارخ النسخ : ١١٢٣هـ (١٧١١م تقريبا).
الموضـــوع : عبارة عن فتاوى مختلفة ومعها اقاصيص وحكاوى وترد فيه فتاوى عبدالقادرالجيلانى، والشيخ أبو اسحاق الشيرازى والعز بن عبدالسلام والزركشى وغيرهم من اعمدة الفقه الشافعى.

رابعًا: فى الحديث

١ــ اسم المخطوط : الأربعون النووية من مبانى الإسلامى.
اسم المؤلف : يحى بن شرف النووى.
تاريخ النسخ : فى القرن الثالث الهجرى.
نوعية الخط : مغربى (صومالى - إفريقى).
الموضوع : عبارة عن اربعين حديثاً مختارة تبدأ «انما الاعمال بالنيات» وهى احاديث شائعة مختارة من الصحيحين مثلها مثل رياض الصالحين.
الأوراق : ١٣ ورقة (٢٦ صفحة).
المصدر : شيخ حسن شيخ عبد الشكور «هركيس».
٢ ـ اسم المخطوط : كتاب المنهل الروى فى الحديث النبوى
اسم المؤلف : سليمان بن يحى بن عمر مقبول الأهدل
الموضوع : فى مصطلح الحديث وينتهى الكتاب بمنظومة شعرية فى الثناء على الله وأحوال العباد والجنة والنار.
المصدر : عثر عليه فى هرجيسا.

خامسا فى التفسير:

اسم المخطوط : كتاب الوسيط فى تفسير القرآن الكريم.
اسم المؤلف : شيخ شريفو شيخ مختار.
موضوع المخطوط : يحصر علوم التفسير فى عشرة علوم (التفسير، والقراءة، والنسخ والمنسوخ وأصول الدين والفقه والحديث والنحو واللغة والتصريف.
المنهج : يأتى بالقرآن فى المتن وعلومه فى الحاشية.
نوعية الخط : شيخى مشكول.
عدد الأوراق : ٢٤١ ورقة (٤٨٢ صفحة).
٢ ـ اسم المخطوط : تفسير الجلالين للنصف الأول من القرآن.

المؤلف : عبد الله بن احمد المحلى[1] وعبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى . .

اسم الناسخ : اركوب بن معلم عثمان «افجوى» .

تاريخ النسخ : : ١٣٠٠هـ .

الخط : نسخى مشكول فى بدايته .

اهمية المخطوط : يكشف عن نوع من التعصب الشديد للمذاهب الأربعة، حيث يقول الناسخ فى المقدمة « ولايجوز تعليل المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، والخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل، وربما اداه ذلك لكفر، لأنّ الآخذ بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر.

الموضوع : تفسير الجلالين تفسير مبسط وخال من التعقيد اللفظى والاسانيد واقرب ما يكون لتفسير المفردات على ضوء اللغة .

سادسا التصوف والفلسفة :

اسم المخطوط : صلوات البدوى

المؤلف : احمد البدوى

تاريخ النسخ : القرن الثالث عشر الهجرى .

الموضوع : كما قال الناسخ، وفيها صلوات سيدى الشيخ احمد البدوى، نفعنا الله به من قصتها وفضلها، وسيدى المصطفى البكرى كان يكثر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، حتى ختم دلائل الخيرات مائة الف مرة، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام، فقال له ماصليت على؟ فقال قرأت دلائل الخيرات مائة الف مرة. فقال لو قرأت صلاة احمد البدوى مرة واحدة لكفت عن الدلائل ثمنمائة الف مرة .

٢ ـ اسم المخطوط : : مخطوط ضخم، يجمع عدة مخطوطات منها :ـ

أ ـ اسم المخطوط : كتاب تعبير الرؤيا المنسوب الى االامام بن سيرين .

عدد الصصفحات : ٥٨ صفحة .

ب ـ كتاب المنبهات .

اسم المؤلف : زين القضاة أحمد بن محمد المجى .

---

١) اسمه كما يرد فى المصادر الحديثة المطبوعة محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم المحلى .

الموضوع : يتحدث عن الاخلاق الواردة على الاعداد، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ويمثل للاثنين يقول النبى صلى الله عليه وسلم «خصلتان لاشىء أفضل منهما الايمان والنفع للمسلمين»
ومثال الثلاثة «ثلاثة يغشى القلب، الضحك من غير عجب، والأكل من غير جوع ، والكلام من غير حاجة» .

ج ـ اسم المخطوط : المنقذ من الضلال .

الصحفات : ٣٤ صفحة .

الموضوع : تجربة الغزالى الروحية من الشك العميق لايمان الصوفية القائم على انبثاق النور الالهى فى النفس الانسانية .

٣ ـ اسم المخطوط : رسالة المريد .

اسم المؤلف : العارف بالله الشريف العلوى الحداد .

عدد الصفحات : ٤٦ صفحة .

الموضوع : كتاب فى التربية والسلوك .

٤ ـ اسم المخطوط : منهاج العابدين .

اسم المؤلف : ابو حامد محمد بن محمد الغزالى .

الخط : مغربى .

الأوراق : ٢٥٧ .

الموضوع : كتاب مشهور فى فنه الفقه والتصوف

سابعا فى الشعر واللغة :

١ ـ اسم المخطوط : قصيدة الكواكب الدرية المخمسة فى مدح من شرف الله .

اسم المؤلف : الشيخ العامل الزاهد أبى عبد الله محمد بن سعيد ابن حسين البوصيرى .

عدد الأوراق : ٩٧ ورقة .

الموضوع : مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ اسم المخطوط : أ ـ شرح عنوان الحكم (ملحق به مخطوط آخر) .

اسم المصنف : غير مذكور .

الناسخ : غير مذكور .

المصدر : شيخ يوسف محى الدين .

تاريخ النسخ : الاثنين من شهر شوال ١٣٢٠ هـ .

موضوع المخطوط : فى اللغة وفى شرح مختارات من الحكم والشعر .

ب ـ اسم المخطوط : في اللغة والأدب.
تاريخ النسخ : صفر ١٣٢٠.
المؤلف : ابو بكر محمد بن الحسين بن دريد بن العتاهية ابن الختم بن الحسين.
الموضوع : كسابقة يركز على شرح مختارات من الحكم والشعر.
عدد الأوراق : ٣٥ ورقة (٧٠ صفحة).

٣ ـ مجموعة مخطوطات في مجلد واحد.

المصدر : عمر شيخ نور «بورما».
أـ اسم المخطوط : في صحائف اللغة
اسم المؤلف : الإمام أبو منصور بن عبد الملك بن اسماعيل الغماتى.
ب ـ اسم المخطوط : العقد النفيس ونزهة الجليس وزينة التبريز.
موضوع المخطوط : اسرار الحروف وصفة رسمها ومتعلقاتها من علوم الفلك
٤ـ اسم المخطوط : التعليقة المفيدة في العربية، في شرح قطر الندى وبل الصدى.
اسم المؤلف : الامام معمر بن يحى بن ابى الخير عبد القوى المالكى
الموضوع : كتاب بن هشام المعروف في النحو والذى يبحث في قضايا اللغة العربية وتقسيماتها واعرابها بشواهد منتقاه من الكتاب والسنة والشعر العربى.
٥ ـ اسم المخطوط : شرح شواهد قطر الندى ز الشرح الكبير على أم البراهيم للسنوسي.
بداية المخطوط : (هذا مادعت اليه، صغار حاجة الطلاب الناشئين في صنعة الاعراب، عن تركيب شواهد القطر للعلامة ابى هشام متكفل بايضاح المرام، دعى اليه بعض المعتنين بذلك الكتاب، نفع الله به وساير الطلاب.
نهاية المخطوط : فقد وقف هذا الكتاب شيخ ميه بن نور بن مرسل عن جمعة والده معلم حامود بن ميه على محمد بن معلم حامود بن ميه، ثم على أولاده ماتناسلوا فإذا انقرضوا صانهم الله، حصل في القرابة ثم على علماء المسلمين وذلك بتاريخ يوم السبت في ربيع الأول ١٣٣٠هـ).
: شرح لامية الأفعال لمحمد بن مالك.
اسم المؤلف : محمد بن محمد بن مالك «ابن ناظم».

تاريم النسخ	:	اوائل القرن الثالث عشر تقريبا.
نوعية الخط	:	صومالى ـ إفريقى.
المصدر	:	حسن شيخ عبد الشكور.
الصفحات	:	٥٦ صفحة.
الموضوع	:	اللغة وتشقيقاتها (فعالة، فعلل، فعول مع فعالية).
٧ ـ اسم المخطوط	:	رسالة فى الصرف.
اسم المؤلف	:	لايوجد.
تاريخ النسخ	:	القرن الثالث عشر تقريبا.
الخط	:	مغربى ـ صومالى ـ افريقى.
الصفحات	:	٢٦ صفحة.
الموضوع	:	قضايا الصرف.
٨ ـ اسم المخطوط	:	كتاب علم اللغة.
اسم المؤلف	:	أبو الحسن طاهر باشاد النحوى المصر.
المصدر	:	شيخ محمد حاج حسين «هرجيسا».
الصفحات	:	١٥٠ صفحة
الموضوع	:	علم اللغة ومافيه من نحو وصرف وغيره.

هذه العينه من المخطوطات والتى تتناول معظم أبواب الثقافة الإسلامية ـ باستثناء السيره ولربما كان السبب عدم توسعنا فى تعقب المخطوطات ـ تكشف عن حركة فكرية اسلامية مزدهرة واذا استصحبنا معها الحركة الفكرية الصوفية، فانّ ذلك يثبت تماما شمولية حركة الثقافة الصومالية وعروبتها. كما أننا اذ نظرنا نظرة مقارنة لحركة هذه الثقافة مع نظيرتها فى السودان فى ظروف ماقبل الهجمة الاستعمارية، فاننا نجد أن هذه الحركة الثقافية تتفوق على رصيفتهـا فى السودان، حيث لانكاد نجد فى السودان جامعات شبيهة وان وجدنا بعض الفقهاء والشيوخ كما نجد أن طلاب السودان كانوا يعتمدون على الأروقة السنارية فى الازهر والحرمين.

لقد استوعب الصوماليون الثقافة الإسلامية، وأخذوا بها باعتبارها ثقافة شامله متكامله ونحن لانقبل مقولة ترمنجهام التى ذكر فيها أن الأفارقة لم يقبلوا الثقافة الإسلامية ككل، وأن الإسلام يصم بطابعه المجتمعات الإفريقية باعتباره ثقافة قانونية[1]، ولكن قيمة الفنية والأدبية والفلسفية والعقـائدية لم تتوغل، هذه القيم لم يرفضها الأفارقة ولكن لم تقدم لهم أصلا، اذ جاء الإسلام لغرب افريقيا من المغرب ولشرق إفريقيا من حضرموت من المناطق الأكثر تخلفا فى العالم العربى. الثقافة الإسلامية نشأت بالمدن، حيث إزدهرت الحضارة، ولم

١ / J – spencer trimingham, the Influence of Islam upon Africa, longman group limited, 2nd edition, 1980, pp. 3

توجد مدن فى افريقيا لذا اهتموا بالجانب القانونى [١]

لانسلم هنا بمقولة ترجنهام هذه، ليس فقط فى شرق إفريقيا ولكن حتى فى غرب إفريقيا، التى ازدهرت فيها مدن إسلامية كتمبكتو وجنى وحركات فكرية قادها مفكرون افارقة آخرهم الشيخ عثمان دان فودى والذى بلغت مصنفاته مائة مصنف شملت مناحى العقيدة والثقافة الاسلامية كافة، أما شرق إفريقيا فحسبنا منه ماعرضناه من مخطوطات شملت التصوف والفلسفة والفلك والعقائد والشعر والأداب، مما يؤكد عمق الثقافة الإسلامية وتكاملها مع التيارات الفكرية والثقافية المنبعثة من مراكز الاشعاع الإسلامى.

كما أن شرق إفريقيا لم يعرف الإسلام فقط عن حضرموت اذ جاءت الهجرات من اليمن وعمان وشيراز والحجاز والاحساء، كما أن كثيرا من المدن ازدهرت فى الشاطىء الإفريقى «بربرا، زيلع، مقديشو، كلوه، دار السلام، زنجبار»، بالإضافة إلى هرر في الداخل.

ولكننا نتفق مع ترجنهام فى قوله «لقد اصبحت الحضارة العلمانية الغربية، تتحدى المبادىء الأساسية التى قامت عليها الحضارة الإسلامية، وتزايد تأثيرها فى القانون والتعليم والحياة الاقتصادية ثم فى ظهور الدولة العلمانية. وكانت العناصر العلمانية الجديدة التى تدخل فى حياة المجتمع، أما أن تبقى مفصولة وحدها واما أنها تقوم متوازية مع العناصر القديمة دون أن تطردها [٢].

ان أكبر آثار الاستعمار فى الصومال وابقاها هو نجاحه فى قطع الاستمرارية الثقافية فى مجالات الحياة السياسية والقانونية والفكرية والأدبية، واللغوية. فعلى انقاض السلطنات الإسلامية، جاءت الدويلات الصومالية الممزقة (جيبوتى - الصومالين، وشمال كينيا) على أساس الوطنية العلمانية، بديلا للقومية الإسلامية، وجاء القانون المدنى بديلا للشريعة وجاءت الكنائس والارساليات لتنصير المسلمين واماتة جذوة الإسلام وحيويته. وجاء التعليم العلمانى اطارا ناسخا لتعليم المدارس القرآنية وحاملا للنهضة بنمطها الغربى - ومع التعليم العلمانى، جاءت مشكلة الولاء لمن؟ للقوم ام للدولة الواحدة أم لجماعة مثقفة أم لفكرة الإسلام المنتشرة.

ثم جاء جيل خريجى المدارس العلمانية الذى قاد البلاد للاستقلال تحت رايات العلمانية ولم تستخدم هذه العناصر الإسلام لأنها ربطت بينه وبين المحافظة والتخلف وحسبت أن اللحاق بالعصر يعنى التخلى عن الإسلام. بينما كان المحافظون والفقهاء قانعين ولم يبذلوا

١/ يقصد أنهم فقط استوعبوا الاحكام الفقهيه مثل عقود الزواج وقول الشهادة واحكام اداء بعض الشعائر ولكنهم لم يتوسعوا فى التعرف على علوم الإسلام واستيعاب الثقافة الإسلامية بصورة تمكنهم من الانفلات من تراكمات ثقافاتهم المحلية. وينظر كثير من المستشرقين إلى اسلام فى إفريقيا ماوراء الصحراء باعتباره مزيجا من العقيدة الإسلامية والثقافة المحلية (السحر، عياد ارواح الاسلاف، العادات المحلية وغيرها.

٢/ سبنسر ترجنهام، الاسلام فى شرق إفريقيا، ترجمة محمد عاطف النوادى، مكتبة الانجلو - المصرية ١٩٧٣ ص ٢٧٦.

جهدا فى تقديم الشريعة أو حتى الدفاع الايجابى عنها. وقد عبر عن ذلك ترجمنهام قائلا بأن الإسلام لم يعد عنصرا قويا فى الحياة السياسية الداخلية، اذ ما أن تتكون الاحزاب حتى تتم علمنة البرامج السياسية [1]، وهكذا أثمرت السياسات الثقافية الغربية الصومال الكبير الحديث والذى مايزال يتغذى على هذه السياسات. [2].

الثقافة الصومالية (عامل البيئة والهجرات والجوار)

جبل الصومالى على تحمل الشدائد ومجابهة الأخطار، ولعل ذلك أثراً من قسوة الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية، ومع أن ارض الصومال تمتد على ساحل المحيط، إلا أن ندرة الماء العذب، دفعت الصومالى الى مفارقة مباهج البحر وابعاد النجعة للداخل طلبا للماء، ويجابه هذا السعى طلبا للماء العذب بسعى آخر مضاد يطلب الماء المالح، حيث يعنى الماء المالح لنصارى هضبة الحبشة التفاعل مع العالم الخارجى، مما يؤدى إلى حالة دائمة من التوتر والصدام بين سكان السواحل - الصومال - والدواخل (الأحباش) ويذكى ذلك الصراع التباين العقائدى، فينقلب الصراع الى مجابهة بين الإسلام والمسيحية.

وهكذا نجد التحفز والتوثب من صفات الصومالى، فهو فى حالة تأهب لدرء اخطار الطبيعة وتقلبات المناخ وصد الاعداء سواء كانوا من أبناء عشيرته والقبائل الأخرى المنافسة أو كان الخطر من نصارى الهضبة وكل ذلك اسهم فى تشكيل الصومالى من نحولة فى الجسم وخفة فى الحركة وحضور بديهة وقدرة على الخطابة وصبر على الانغماس فى الحروب.

ومعظم الصوماليين رعاة بدو، يرعون الإبل[3] والبقية موزعة بين المدن الساحلية، حيث يعمل معظمهم فى التجارة، ومجموعة أخرى مشتتة فى الغابات وتعمل بالصيد وجمع الصمغ والبخور ثم مجموعة الزراع وتأتى فى مؤخرة السلم الاجتماعى، مجموعات الحرفيين الذين يعملون فى صهر الحديد والبناء والفخار ويعرفون باسم «طومال». وربما كان مرد هذا الازدراء للزراعة والحرف، أنّ هذه المهن تبعد المستغرق فيها عن حياة الفروسية والحروب، وفى مجتمع يجابه الخطر، ترتفع قيمة المحارب وتنخفض قيمة المواطن المسالم. لذا كان المحاربون (وهم الرعاة) فى أول السلم الاجتماعى، لأنهم حماة الثغور الحفيظين على شرف العشيرة وعرضها. أما الحرفيون والزراع فوظيفتهم لاتتعدى خدمة المحارب من توفير للغذاء

١/ Trimungham , the InfLuence of IsLam upon Africa p. 116.

٢/ انظر the Earl of Cromer, modern Egypt, Mac Millan and co london, 1958, pp. 544 – 543.
حيث يتحدث الكاتب عن سياساته الثقافية فى مصر وهى شبيهة بما حدث فى الصومال.

٣/ Said S. samatar, Oral poetry and Somali nationalism, the Case of Sayyed mahammad Abdille hassan, Cambridge university press 1982, pp. 12 – 17.

mahamud Brelvi. Islam in Africa. Institute or Islamic Cluture, Club Road, lahore 1964, p. 230.

واصلاح للغتاد وغيره، ولعل هذه الثقافة القائمة على ازدراء الزراعة والحرث دورا فى تكريس حياة العزلة والبداوة والتقشف. وربما كان مرد ذلك الى فهم خاطىء لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الوارد فى صحيح البخارى، حينما رأى سكة وشيئا من ألة الحرث فقال «لا يدخل هذا بيت قوم الا أدخله الله الذل» اذ ربما ارتبط هذا الحديث بمرحلة معينة أو قصة معينة بدليل أن الأحاديث الصحيحة التى تحث على الاشتغال بالحرث والزراعة كثيرة، اذ صح عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله (من كانت له أرض فليزرعها) مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان به صدقة، وما بالمدينة أهل بيت هجرة الا يزرعون على الثلث والربع[1] الخ.

وسواء أكان الصوماليون أفارقة تعربوا أم عرباً تأفرقوا. فأنّ هناك مشاكلة كبيرة بينهم وعرب الجزيرة العربية فأهل الصومال كعرب الجزيرة العربية - رعاة إبل، وكما تحتل الإبل مكانة عظيمة فى جزيرة العرب حتى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم «الابل عز لأهلها» «والفخر والخيلاء فى اصحاب الأبل»، فان الإبل عماد الحياة فى الصومال حيث يعيشون على البانها ولحومها وان كانوا لايستخدمونها فى ركوبهم على خلاف أهل الجزيرة العربية وربما كان هذا أثرا إفريقيا فى ثقافتهم وإلا فالإبل عند العرب سفينة الصحراء. يفضل الصوماليون السير على الأقدام وقيادة ابلهم ويركبون كذلك الخيل ويطلق الصومالى على الإبل - جيلال وهى تحريف لكلمة «جمال» العربية المفردة جيل أى جمل.

والزى الشائع فى بلاد الصومال، فيه مشابهة لزى أهل اليمن، وهو عبارة عن قطعة قماش تلف حول أسفل الجسم أما أعلى الجسم فقد يترك عاريا أو يستر جزئيا ولكن حديثا طغى لبس الزى الأوربى بالنسبة لاعلى الجسم «القميص» بينما لاتزال الغالبية تستعمل قطعة القماش لستر الجزء السفلى. أما الفقهاء فيلبسون زى العلماء الشائع «الجلباب»، أما المرأة فانها لاترتدى الحجاب الا باستثناء بعض نساء المدن الساحلية[2] ويكشف زى المرأة عن أحد كتفيها الى يدها.

والقبيلة عند الصوماليين مقدسة، تحمى أعضاءها وتنقسم القبيلة إلى عشائر ولكل قبيلة مرعاها ومورد مائها، ويمارس المجتمع الصومالى بجميع قطاعاته عادة خفض النساء «الفرعونى» وهى عادة إفريقية - فرعونية قديمة، شائعة فى السودان واثيوبيا ومصر السفلى، وتروج عادة الخفاض فى مجتمعات الرعاة، لأنهم يرونه تأمينا لشرف المراه وعرض العشيرة. ويتوقع زواج المرأة قبل بلوغها العشرين، ومن عادات أهل الصومال قيام العريس، بضرب عروسه بعصاه ضربا خفيفا فى يوم الزواج[3]، كناية عن دخول المرأة فى طاعته وسلطته وقوامته عليها.

١/ صحيح البخارى، نسخة صاحب دار الهلال، عربى - انجليزى استنبول ١٩٧٨، الجزء الثالث، باب المزارعة ص ٢٩٥ - ٣١٢.

٢/ Hassan Sheikh mumin, leopord Among the women, translated with an introduction by B. W. Andrzewski, london O. U. P. 1974, p. 18.

٣/ المصدر السابق ص ٢٢٥.

والمجتمع الصومالى يقوم على الاختلاط ومشاركة الرجل للمرأة فى شئون الحياة وتشارك النساء فى ادارة شئون ازواجهنّ من متاجرة ومزارعة وللمرأة حرية مقدرة املتها الإعتبارات العملية، على خلاف وضع المرأة فى جزيرة العرب.

ومع مثابرة الصوماليين على أداء الصلوات الخمس، الا أن عوام الصوماليين يتميزون. بعدم معرفتهم للدين واشتهر بعضهم بسفك الدماء وتبالغ بعض المصادر الأوربية والعربية فى تصوير هذه الهمجية، كقولهم أن الخاطب يقتل رجلا ويرسل بجزء منه لأهل خطيبته[1] وكخصيهم لاعدائهم وغيرها - ويجوِّز العرف الصومالى مشروعية نهب الجمال، لأن الجمال تخص القوى، لذا فسياسة حق القوة مشروعة فى أمر الاستحواذ على الجمال،[2] وفى ذلك يتباهى الشعراء بابطالهم الذين استحوذوا على ابل الغير - مثل عادة العرب القديمة التى جبها الإسلام، ومع ان الصوماليين مسالمون، الا أن الاعتبارات العملية والمطالب الملحة تتدخل فى نسج نمط القيم اليومى الذى قد يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية وقيمها.

مع شيوع سفك الدماء، فانّ معارضة ذلك تتم على أساس الشريعة الإسلامية، حسب نظام الدية، اذ يفُدى دم الرجل مائة من الإبل ودم المرأة بخمسين رأسا من الإبل.

الثقافة الصومالية المرتبطة باللغة الصومالية تعتمد على الذاكرة، لجهل الغالبية باللغة العربية، كما أن اللغة الصومالية ظلت لغة مخاطبة غير مكتوبة، حتى عام ١٩٧٢، وأهم ركائز الثقافة الصومالية الشاعر والخطيب. وللشعر مكانة عظيمة فى الثقافة الصومالية والشاعر هو لسان حال القبيلة ورجل علاقاتها العامة والشعر هو اداة الصومالى فى مخاطبة العالم حوله وقد رأينا ضربا من شعر التصوف والشعر ذى الغرض الدينى ولكن الضرب المقصود هنا هو شعر الحماسة والفحولة والوصف، الذى لايخلو من ذكر «الإبل»[3] ثم يعدد مأثر القبيلة ويشيد بالبطولة باعتبارها فضيلة ممكنة ومطلوبة فى كل زمان ومكان.

وليس بين الشعر الصومالى والشعر الأوربى مثلا صلة نسب، لأن الشعر الصومالى لاتجوز فيه التهاويم المطلقة والفلسفية وغيرها من قضايا التجريد والتجارب الروحية الذاتية، اذ الشعر الصومالى يعنى بالتجربة الموضوعية، والشاعر موظف له دور اجتماعى فالشعر الصومالى أشبه بالقصة الواقعية، له قضية يريد أن يعرضها سواء أكسبها أم خسرها. والشعر الصومالى يعالج ذات الأغراض التى عالجها الشعر العربى التقليدى - الهجاء والرثاء والمناحة، والتعبئة للحرب والاشادة بالقبيلة وجلب السلام واصلاح ذات البين والدعوة للتمسك بالفضائل.

١/ صادق باشا، رحلة الحبشة ٤٩ - ٥١.

٢/ Samatar, Oral poetry P. 19 – 20.

٣/ المصدر السابق ص ٢٠ - ٢١ من فرط ولع الصوماليين بالابل، فقد كانت هناك دعوة لاطلاق اسم مانديق على اتحاد الصوماليين - اى جمل الحليب - وقد راحت هذه الدعوة فى الصحف والمجلات قبل اتخاذ اسم (جمهورية الصومال).

يمثل النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فترة النهضة أو العصر الذهبى فى الشعر الصومالى، حيث برز فى هذه الفترة معظم شعراء الصومال الذين نسجوا أشعارهم باللغة العربية أو الصومالية، وقد استعرضنا طبقة شعراء التصوف، وقد برز السيد/محمد عبد الله الحسن شاعرا بالعربية والصومالية، ومازال اشعاره باللغة الصومالية، تثير الحماسة وتجمع حولها المناصرين والمعارضين، كما برز من طبقة الشعراء التى ظهرت فى هذه الحقبة الزمنية عدد من الشعراء، منهم:

١ - جراد جرسى (١٨٠٠ - ١٨٥٠م) وهو وان كان وجوده سابقا على طبقة شعراء النهضة (١٨٥٠ - ١٩٠٠) الا أن شعره يعتبر امتدادا لشعر شعراء النهضة، اذ أجاد نسج شعر التعبئة والحرب والسياسة، ويعد جراد جرسى فى الصومال المعاصر من طبقة الشعراء القوميين، الذين تجاوزوا أسر القبيلة لأفاق الأمة الصومالية الواحدة وهو ينتمى لقبيلة البارتيرى الدارودية، الواقعة تحت القبضة الاثيوبية.

٢ - على جامع حابيلى «١٨٥٠ - ١٩١٩» من قبيلة اسحاق، واشتهر بمنافحته عن قبيلته فى وجه هجاء السيد/محمد عبد الله الحسن.

٣ - سلان أروى، من قبيلة اسحاق، وتركز شعره كذلك فى الذود عن قبيلته، فى وجه حملة الشعراء الأوجادنيين عليها.

٤ - حسين ديجل «١٨٨٤ - ١٩٢٣» من الاوجادين، ومن شعراء الدراويش الذين خلدوا معارك الدراويش فى أشعارهم بالإضافة إلى ذلك فقد كان مغنيا ذائع الصيت فى زمانه.

٥ - اسماعيل ميرى (١٨٨٤ - ١٩٥٠)، صاحب المقام الثانى وسط طبقة شعراء الدراويش بعد السيد محمد عبد الله الحسن، وقد اشتهر بقصيدته «أخبار لروما» التى نظمها بعد انتصار الدراويش على حملة انجليزية كبيرة فى عام ١٩١٣ [١].

أما الخطابة، فهى الفصاحة والابانة، والمهارة فى استخدام الكلمات والقدرة على اقناع الآخرين، وقد راج بين قبائل الصومال أن يكون لكل قبيلة خطيبها، اذ الخطيب امتداد لنظام الحياة فى الصومال وجزء من حركة البناء القبلى، وفى مجتمع يقوم على المساواة بين الأفراد والندية وسط الرجال، تصبح الشورى والمجالس الوسيلة المثلى لحل المنازعات والقضايا، لذا تروج بين الصوماليين سلطة المجالس - فكل قبيلة مجالسها، وفى هذه المجالس ترتفع قيمة الفقهاء ومعلمى القرآن، حيث قد تحكم هذه المجالس على من تعرض لفقيه أو معلم للقرآن بسوء، بتطليق زوجته أو ذبح ناقته أو بقرته الحلوب.

وتختلف أنواع المجالس فى القبيلة ولكن أهم المجالس هى :-

١ - مجلس شجرة الاصلاح :- وهى الشجرة التى يجتمع فيها رجال القبيلة أصحاب الكلمة ويتداولون الحديث فى أمور القبيلة وخلافاتها حول المرعى أو الماء أو الارض وغيرها.

٢ - مجلس شجرة الحق :- وهى شجرة الشيوخ الدينيين والفقهاء وفيها يبحثون فى القضايا

---

١) المصدر السابق ص ٨٨ - ٩٠

ذات الطبيعة الفقهية من زواج وطلاق وارث.
٣ ـ مجلس شجرة الفتوة والمباهاة :ـ وهو مجلس الشباب، الذين يتباهون فيه بقوتهم ومزايا قبيلتهم ويعددون فيها محاسن بناتهم وجمالهن.
٤ ـ مجلس شجـرة الصناع :ـ وهى مجلس الصناع الذين يصنعون احتياجات الناس من حراب وسكاكين وفخار وأدوات منزلية[١].

وهذه المجالس التى تعبّر عن خصوصية المجتمع الصومالى أرض خصبة لتنمية ملكات الخطابة، والخطباء عند الصوماليين طبقات أربع وهى :ـ
١ ـ رجال الطبقة الأولى ويطلق على مفردهم ـ أفمال ـ وهو دمج لكلمتى فاه ـ مال العربيتين، اى صاحب الفم الذى ينطق مالا كناية عن المقدرات العالية لهذا الخطيب وأنّ كلماته توازن فى قيمتها المال، ومثل هذا النوع من الخطباء لايفقد اية حالة خصام فى مجالس القبيلة وغيرها.
٢ ـ خطباء الطبقة الثانية ويطلق على المفرد افاطاجون ـ وهو الذى يملك فما يجود بالكلام البليغ.
٣ ـ خطباء الطبقة الثالثة ـ أفميشار ـ وهى ادغام لكلمتين عربيتين اف ـ منشار، أى الفم الذى ينشر الكلام فيفحم الاعداء، كما يقطع المنشار الخشب، وهذا النوع من الخطباء ـ أصبح فيما بعد ومع ظهور الاحزاب السياسية لازمة من لوازم الاحزاب والزعامات السياسية والقبلية، حيث تتركز مهمته فى الهاب الحماسة وتبخيس مقدرات الخصوم بالحق والباطل.
٤ ـ الطبقة الرابعة ـ الأخيرة وهى الطبقة السفلى من الخطباء ومفردهم افكارو، وهو صحاب الفم المعوج الذى لايحسن الخطابة ولاطائل من كلامه.

وتشيع بين أهـل الصومال، ظاهرة الاعتقاد فى السحر والعين والقصص[٢] والاحاجى الصومالية تكثر من ترديد مقولة الصراع بين الأولياء والسحرة ومن تلك مثال يوسف الكونين الذى سجن السحرة فى الجبال[٣] وكذلك يروج أدب اتقاء ذلك بكتابة الحجبات (والمحايات) وهى آيات قرآنية تكتب بالحبر ثم تغسل ويشرب ماؤها، ومع ان هذه المعتقدات واردة فى الثقافة الإسلامية، الا أنها هنا لاتخلو من سمات افريقية، حيث يختلط التداوى من السحر برقصات الزار والتعاويذ والابخرة التى تطارد الارواح الخبيثة، وتوجد كذلك ظاهرة الايمان بالفأل الحسن كما تدور كثير من الحكايات فى طابع اسطورى حول شخصية الخضر، باعتباره من أنبياء الله الـذين يجلبون الفأل الحسن. ومن العادات القديمة الشائعة والتى تجتهد

١/ المصدر السابق ص ٢٨.
٢/ Mumin, op, cit, leooard p. 27
٣/ Hersi, op, cit. the Arab, p. 129

السلطة الوطنية فى محاربتها عادة مضغ القات[1] والتى كذلك لها آدابها ومجالسها، وربما كان أهل الصومال من السابقين تاريخيا فى تعاطى القات، اذ يزد ذكر القات فى مواضع عديدة فى كتاب «فتوح الحبشة» «باعتباره أحد الغنائم» التى كان يغنمها الامام أحمد إبراهيم الجران فى فتوحاته الشهيرة.

ويبز العفر إخوانهم الصوماليين فى الانتقام والأخذ بالثأر ولايقبلون الأخذ بالدية، وانما يقتلون القاتل فان لم يوجد فابن عمه او اشجع رجال القبيلة[2] وإذا اغتصب أحد أبناء العفر إبنة أحد العفر «بالرضى أم بالغصب» واصبحت البنت حاملا، فقد تقتل البنت أو تزوج لأحد أبناء القبيلة، وحديثا أخذ يحدث تساهل فى الأمور الجنسية حيث قد يطالب الأب فقط بالنفقة والحاق اسم الإبن بابيه[3].

أشار د. حرزى الى ان هناك أثراً اندلسياً فى الثقافة الصومالية يتحلى فى بعض الآلات الموسيقية وادوات الصيد وعلى الأخص القوارب الخشبية[4] ومن سمات الثقافة الصومالية، الغناء والموسيقى بطابعها الإفريقى، وحديثا أخذت الموسيقى الصومالية تقتبس من الموسيقى السودانية، وأهل الصومال أهل غناء وطرب وتقوم مجالس الرقص والغناء على الاختلاط ولكن لاتتفشى الخمور فى مجالس رقصهم وطربهم، حيث لايعرف الا القليلون الخمر على عكس عادة جيرانهم الأحباش الذين يشتهرون بمجالس الشرب. وينعكس حب الصوماليين للاسمار ومجالسها فى ازدهار حركة المسرح الصومالى، حيث عرض على خشبة المسرح فى الفترة ما بين ٦٧ - ١٩٧٤ «٧سنوات» ثلثمائة مسرحية تحمل ثلثمائة عنوانا مختلفا. بمتوسط مسرحية جديدة كل عشرة أيام والمواضيع مختلفة ولكنها تدور أساسا حول الحب والخيانة والوطن والثورة الخ[5] ومع ذلك فقد ظل رواد الفن والشعر الغنائى من الفئات المحتقره[6] وهذا اثر من آثار الفقهاء والشيوخ الدينيين فى تكييف العقلية الاجتماعية.

ان مقومات الثقافة القديمة بطابعها الصوفى والاجتماعى اخذت تضعف وتتلاشى ويضطرد ذلك عكسيا مع استحكام قبضة الدولة ونمو المدن وظهور التجمعات الكبيرة والمذاهب والنظرات الجديدية واختلاط العناصر والقبائل وماصحب ذلك وما تولد من ذلك من تفاعلات ثقافية واجتماعية على الأخص على يد الحكام المستعمرين وجالياتهم، مما أدى جزئيا الى إعطاء اسبقية لقضية كسب لقمة العيش وأسبقية للاعتبارات العملية والضرورات

١/ انظر محمد على عبد الكريم، دراسات حول القات، تأثيره الاجتماعى والاقتصادى والصحى، دائرة البحث العلمى بالحزب الاشتراكى الثورى الصومالى، مقديشو، ١٩٨٤ ويركز هذا الكاتب على انتشار القات بعد نهاية الحرب العالمية الثانية - ولكن تاريخ القات كما قلت يعود الى ماقبل القرن السادس عشر الميلادى على الأقل.

٢/ عدم، الدناكل تاريخيا وبشريا ص ١٢٣.

٣/ مداولات الكاتب مع الشيخ محمد ابراهيم كاتب محكمة جيبوتى الشرعية.

٤/ Hersi, op. cit, the Arab, p.35

٥/ Mumin , op. cit. Leopard p.

٦/ بلادى وشعبى ١٩٧٥م، خطب مختارة ص ١٩.

اليومية مما أدى إلى ثقافة انتقائية، ومما دفع الصومالى لمقايضة اوضاعه القديمة فى سبيل التكيف ويبدو أن طابع الحضارة الافرنجية يكسب بينما تنحسر المقومات الثقافية التى اشرنا لها وهذا ماسنتناوله فى الفصلين الثالث والرابع .

الفصل الثالث

السياسات الثقافية (١٩٢١ - ١٩٦٠)

الصومال الكبير فى ظروف مابين الحزبين (١٩٢١ - ١٩٣٩م) :-

مدخل :

مثل موت السيد/ محمد عبد الله الحسن فى نهاية عام ١٩٢٠، نهاية ثورة الدراويش، وأصبح الصومال الكبير من نصيب (بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، اثيوبيا). ومع ان الجيوش البريطانية هى التى وجهت الضربة القاضية إلى جهاد السيد/ محمد عبد الله، الا أن الامبراطور منليك، ملك اثيوبيا كان هو المستفيد الأكبر، إذ سارع باحتلال الأوجادين وجعلها منطقة عازلة فى وجه التوغل الايطالى والانجليزى، حيث استكملت اثيوبيا وضع يدها على الأوجادين تماما بمجىء عام ١٩٣١م، علما بأنها بدأت ذلك منذ حين إستيلائها على هرر فى عام ١٨٨٧.

وتكمن أهمية الأوجادين وهرر. بأعتبارهما قلب المنطقة الإسلامية والتى انطلق منها الجهاد الإسلامى ممثلا فى جهاد الإمام أحمد إبراهيم الجران ومؤخرا جهاد السيد/ محمد عبد الله الحسن ضد مملكة الحبشة (ومات فيهما مئات الألوف) لذا كان من الضرورى وضع اليد عليهما لاسكات اية ثورة مستقبلية وتأمين منطقة الحزام الإسلامى التى تطوّق اثيوبيا. وكذلك فأن ابتلاع الأوجادين، خطوة فى المشروع الاثيوبى الذى يهدف للوصول للمياه المالحة - الساحل

كما ازداد اهتمام اثيوبيا فى الفترة الأخيرة بالأوجادين، لاحتمالات وجود النفط فيها، نسبة لمشابهة التكويت الجيولوجى للأوجادين لحقول الخليج الغنية[١]

أما بالنسبة للصومال، فإن الأوجادين تعنى المرعى والماء العذب لمواشيهم وابلهم وانفسهم، كما إنها امتداد لمنطقة الحزام الإسلامى، حيث نهضت ممالك الصومال السبع فى التاريخ الغابر، وان كانت القومية الاثيوبية تحركها اطماع السيطرة على المياه المالحة التى تعنى الأمن والاتصال بالعالم الخارجى، فإن القومية الصومالية كانت تحركها البواعث الإسلامية المتصلة بالفتح ونشر الإسلام ومناصرة مسلمى الحبشة بالإضافة الى المرعى والمياه العذبة.

سعت اثيوبيا الامبراطور هيلاسلاسى والذى حكم قرابة نصف القرن لاقامة علاقات مع مثلث القوى الأوربية الموجود بالقرن الإفريقى، إلا أنها ركزت على فرنسا، نسبة لمصالح فرنسا واثيوبيا المشتركة فى خط سكة حديد جيبوتى - اديس[٢] ـ ينقل وارادت اثيوبيا

١) Spencer, op. cit: Ethiopia p. 106, 302

٢) The Fate of Somalai territory under Ethiopiaın Colonization, Government publications, Mogadishu June 1974, 11 - 12.

وصـادراتهـا، لذا فقد وقعت اتفاقية الصداقة الفرنسية الاثيوبية عام ١٩٨٨، واصبحت الفرنسية اللغة الثانية فى اثيوبيا بعد الأمهرية وحينما قام هيلاسلاسى بزيارته الأولى لأوربا عام ١٩٢٤ إنما فعل ذلك بصفته ضيفا على فرنسا وروسيا، كما نصت اتفاقية امتياز خط سكة الحديد أن ترحيل الاسلحة لاثيوبيا له اسبقية عليا على بقية الأشياء(١).

أما بريطانيا فقد ساندت سياسات إيطاليا فى القرن الإفريقى، ردا على معارضة فرنسا لسياسات بريطانيا فى إفريقيا وظلت فرنسا صديقة لاثيوبيا ومنافسة لايطاليا وبريطانيا(٢) وهذه المنـافسـة دفعت بريطانيا لتعـديل حدود امـبراطوريتها الإفريقية، بالصورة التى تتناسب ومصالحها. ففى عام ١٨٩٥، أعلنت وزارة الخارجية البريطانية قيام محمية شرق إفريقيا الـبريطانية مكـونـة من الجزء الأكبر مما يسمى اليوم بكينيا وجزءا مما يسمى اليوم بجنوب الصومال (جوبلاند) والذى كان خاضعا إسميا لسلطات زنجبار، وفى عام ١٩٢٥ تنازلت بريطانيا عن منطقة كسمايو وجوبالاند لايطاليا تعويضا للأخيرة عن صفقة الحرب ضد السيد محمـد عبـد الله الحسن وتأكيدا لسياسة موالاة إيطاليا ضد فرنسا، بينما واصلت بريطانيا احتفاظها باجزاء من جنوب الصومال شمال كينيا الحالى فى إطار إدارة خاصة داخل كينيا وحينما تم تخطيط الحدود الجديدة، لم يستشر رجال القبائل وأهل المنطقة وإنما وجدوا أنفسهم جزءا من مستعمرة كينيا(٣). وقد أدى ذلك لقيام ثورة شعبية قوامها الصوماليون فى منطقة كينيا، قوامها البطل عبد الرحمن مرسل احد أتباع السيد محمد عبد الله الحسن. مما أضطر بريطانيا فى عام ١٩٣٤، لاعلان منطقة شمال كينيا N.F.D منطقة منفصلة عن كينيا ويتم دخولها بتصريح ولها نظام إدارى مخالف للنظام القائم فى كينيا مع تقييد حركة من يدخل أو يخرج منها(٤).

فى اطار هذه الجغرافيا السياسية، جاءت السياسات الثقافية الاستعمارية، حيث سادت الثقافة الانجليزية فى مناطق الصوماليين فى شمال كينيا والثقافة الايطالية فى جنوب الصومال واقليم بنـادر والثقـافـة الانجليزية فى شمال الصـومال (بربرا، زبلع، هرجيسا، والثقافة الفرنسية فى الساحل الصومالى الفرنسى (جيبوتى) والثقافة الامهرية فى الأوجادين وهرر.

١/ فى عام ١٨٨٤، حصل مسيو الفرج اليج، السويسرى الجنسية على امتياز لانشاء خط حديدى ما بين جيبوتى واديس ابـابا من الامبراطور منليك. وفى عام ١٨٨٧ باشرت شركة فرنسية العمل فى المشروع بدعم من الحكومة الفرنسية ودخلت اثيوبيا شريكـة فى الخط عام ١٩٠٩ على اسـاس المناصفة فى الملكية والإدارة وبعد امتقلال جيبوتى انتقل النصيب الفرنسى لملكية جيبوتى أفتتح الخط عام ١٩١٧ ـ بعد مشاكل كثيرة وأصبح اليوم يمثل شريان الحياة لاقتصادى جيبوتى ـ واثيوبيا، انظر دراسة حمدى الطاهر جيبوتى، من البحر الأحمر القاهرة ١٩٧٧.

٢/ Spencer, op. cit. Ethiopia, p. 85 – 89

٣/ lewis, op. cit. A Modern History of Somalia.

٤/ أمال توفيق، مشكلات الحدود فى القرن الإفريقى، ص ١٥٥ ـ ١٥٧.

سياسات فرنسا فى الصومال الساحلى (جيبوتى) :-

جيبوتى[1] اكتشاف فرنسى ، اذ وضع القنصل الفرنسى فى عدن هنرى لامبرت Henri lam-bert يده على ميناء ا يخ فى خليج تاجورة فى عام ١٨٥٩ ، وفى عام ١٨٦٢ استطاعت السلطات الفرنسية اغراء دينى أحمد أبو بكر من سلاطين العفر بزيارة باريس عام ١٨٦٢ الذى وقع معاهدة أكد فيها تسليم ابخ للفرنسيين ورفع العلم الفرنسى مقابل عوض مالى[2] وحينما وقعت مصر فى قبضة الانجليز فى عام ١٨٨٢ نصبت فرنسا ليونس لاجارد leonce lagrade قائدا على أبخ فى يونيو ١٨٨٤ وكان عمره حينها ٢٤ عاما

ويعتبر لاجارد مؤسس جيبوتى الحالية اذ اكتشفها بمعاونة بعض البحارة الوطنيين واختارها موقعا لاستقبال السفن بدلا من أبخ نظرا لأن ميناءها ذا ساحل أعمق وأصلح لالتجاء السفن عند الحاجة كما يتفرع منها الطريق الذاهب الى هرر[3].

ازدهرت جيبوتى بمجىء خط خط السكة الحديدية وفى عام ١٩٠٨ بلغ سكانها ١٩ ألف نسمة وكانوا خليطا من العرب والصوماليين والفرنسيين وأصبحت الحركة التجارية نشطة ما بين جيبوتى وزيلع القساوسة حتى بلغ عدد السفن العاملة بين هذه المناطق والرافعة للراية العثمانية فقط أكثر من مائة سفينة[4].

حاول الفرنسيون منذ البداية، فرض لغتهم وثقافتهم (على عادة الاستعمار الفرنسى)، حيث وصل عدد من الساوسة الكاثوليك فى جنوب الجزيرة العربية فى عام ١٨٨٣ ، وبنوا «قصاده رسولية» عام ١٩١٢ والحقوا بها إدارة مستقلة لشئون الجالا .

وقد توافق اكتمال القصاده الرسولية مع شروع الأهالى فى بناء مسجدين، أسس أولهما الحاج ديده ايده لا وهو من وجهاء الصومال، أما الآخر فقد أسسه حسن الباز المصوعى[5] وتغاضت السلطات الفرنسية عن مشروع قيام المسجدين نسبة لحماس العفر والصوماليين للإسلام كما كان جهاد السيد محمد عبد الله الحسن فى تلك الايام نشطا وسط الصوماليين وتوافق ذلك مع النشاط الاقتصادى والتغيير الاجتماعى الذى صاحب مد خط السكة الحديدية.

وفر مد الخط الحديدى، ألف فرصة من فرص العمل للوطنيين الا أن بعضهم قاومه باعتباره بدعه افرنجية وباعتباره مقدمة للنفوذ الفرنسى (النصرانى)، وكان الصوماليون

١/ هناك خلاف حول أصل كلمة جيبوتى، حيث يظن العفر إنها تحريف لكلمة عفرية بينما أكد لنا رئيس محكمة جيبوتى الشرعية العليا (قاضى القضاة) إنها ادغام لكلمتى جاء . . . ابوتى أى جاء الفرنسى المسمى ابوتى

٢/ Virginia Thompson and Richard Adloff, Djibouti and the Horn of Africa, (standford, U. P. 1968), P.6.

٣/ صادق باشا رحلة الحبشة ص ٣٦.

٤/ المصدر السابق ص ٢٧ - ٣٠

٥/ المصدر السابق ص ٤٧.

ينتهزون كل فرصه للتعبير عن ولائهم للسلطنة العثمانية ولأظهار صوتهم وتعاطفهم، وفى ظل هذه الاحوال المحفوفة بالخطر، ركزت السلطات الفرنسية عليى :-

١ - حماية الميناء.

٢ - حماية الخط الحديدى

٣ - انتهاج سياسات فرق تسد بين العفر والصوماليين فى مجال التشغيل والمعاملة لمنع قيام تكتل أو تجمع موحد من الأهالى.

٤ - عدم التسرع فى بسط سياسات ثقافية فعالة كفتح المدارس والاكتفاء بالجهد الارسالى فى تعليم اللغة الفرنسية وبث التعاليم المسيحية فى مدارس الكنيسة بالاضافة الى مدرسة بربرا الكاثوليكية التى يبلغ عدد طلابها ٣٧٥ طالبا والتى نقلت لجيبوتى لاندلاع جهاد السيد محمد عبدالله الحسن، إلا أن الأسقفية الكاثوليكية بجيبوتى، لم تصب حظا من النجاح الا ابتداء من عام ١٩٥٥، حينما تم تتبيعها للبابا واصبح لها خمس ملحقيات فى انحاء جيبوتى كما استطاعت تنصير قلة قليلة من الاهالى[١].

وبالرغم مما اشرت اليه، حول السياسة الفرنسية التى هدفت الى تشجيع اللغة الفرنسية وبث التعاليم المسيحية الا ان مدارس تعليم القرآن هى الأكثر انتشارا، حيث يتعلم فيها الأهالى القرآن الكريم واللغة العربية والفقه الشافعى والنحو الصرف كما ظل نظام محاكم الشريعة التى تحكم عل أساس الشريعة والفقه والعرف جنبا لجنب مع المحاكم المدنية الفرنسية التى تحكم بالقانون الفرنسى فى المجال الجنائى والمدنى. كما حافظت السلطات الفرنسية جزئيا على سلطة شيوخ العفر ووكلت لبعضهم جمع الضرائب والعشور كسلطات سلطنة تاجورا.[٢]

بادرت السلطة الفرنسية، فى ظروف اجتياح موسلينى للحبشة باصدار نشرة اخبارية مجانية توزع فى الفنادق والأندية المحلية فى حدود خمسين نسخة، كما أخذت القنصلية الايطالية تفعل ذات الشيء، ويبدو أن أثر هاتين النشرتين كان كبيراً، حيث نجد إحتجاجا رسمياً من القنصل البريطانى، بسبب ظهور أخبار فى النشرتين تتعلق بعدم الاستقرار فى فلسطين، مما دعاه إلى إعداد خطة اعلامية معاكسة، تمثلت فى تجميع الأهالى العرب للاستماع للقسم العربى بهيئة الاذاعة البرطانية.[٣]

ركزت السلطات الاستعمارية الفرنسية، على إقامة الفنادق والأندية مراكز استقبال واقامة

١/ op. cit, christian Ency.p. 266

٢/ على احمد عدم الدناكل تاريخيا وبشريا (هرجيسا ١٩٦) ص ٨٦.

٣/ انظر Fo, 371, 22035, 103464

وهى عبارة عن مذكرة من القنصل البريطانى بجيبوتى بتاريخ ٩ يناير ١٩٣٨م.

وترفيه للفرنسيين والأجانب وقد اخذت الممارسات غير الحمدية (شرب الخمور والدعارة وغيرها) تظهر فى إطار هذه المؤسسارت وكانت الجالية الأجنبية حينها مكونة من مئات الجنود الفرنسيين وأربعمائة هندى[1] بالاضافة الى البحارة العابرين والجالية العربية التى يقارب مجموعها الخمسة آلاف.

فى ظروف الحرب العالمية الأولى، اخذت السلطات الفرنسية تجند العفر فى الجيش والإدارة، بينما إكتفت باستخدام الصوماليين فى الوظائف العمالية بالميناء (عمال نقل، عمال نظافة، سفن، خط السكلة الحديد سعاة، عمال فى الفنادق والأندية) وقد عنت تلك السياسة تقريب العنصر العفرى نسبة لخوف الفرنسيين من توحد مشاعر الصوماليين مع العنصر الصومالى الخاضع للادارة البريطانية، وقد أسهمت سياسات الاستخدام هذه فى تعميق القبلية وسنرى انها واحدة من الأسباب التى أدت إلى قيام الحركة السياسية على أساس القبلية.

فى ظروف الاجتياح الايطالى لاثيوبيا ١٩٣٧م لجأت السلطات الفرنسية لسياسات ثقافية جديدة، قائمة على استخدام الدين لكسب ود الاهلى. ولتأمين الجبهة الداخلية، حيث أخذت تنظم ـ لأول مرة رحلات الحج الجماعيه حيث قامت بتنظيم رحلة حج للشيخ عمر الأزهرى سلطان تاجورا مع ثمانين من اعوانه.[2]

والخلاصة ان جيبوتى ظلت دون نهضة تعليمية أو ثقافية باستثناء جهود الكنيسه الكاثولوكية التعليمية حتى إندلاع الحرب العالمية الثانية وانحصر هم السلطات الفرنسية فى جعل جيبوتى مركزاً عسكراً متقداً فى طريق مدغشقر والهند لتزويد السفن بالفحم كما انحصر فى تأمين حركة السكة حديد لنقل واردات وصادراتاثيوبيا وان السلطات الفرنسية سعت لتكريس مبدأ فرق تَسد بين الأهالى العفر والصوماليين . ولكن عموما يبدو انه لم تكن هناك سياسة ثقافية أو تعليمية واضحة المعالم. وما حدث كان مجرد إرهاصات او محاولات لاستكشاف السير فى اتجاه المدينة الغربية.

سياسات الانجليز فى شمال الصومال:

مثل الصومال الشمالى بسكانه الثلثمائه وخمسينألفا ومساحته البالغة ٦٨٫٥٥٠ ميلاً نصيب بريطانيا من قسمه بلاد الصومال وقد ابتدع الانجليز إدارة بسيطة لهذه الرقعة. إذ قسموا السكان إداريا حسب اصولهم القبلية الى در، دارود، اسحق وهؤلاء بدورهم قسموا إلى ست مناطق ادارية، وكان وجود الإدارة الانجليزية رمزيا فى المناطق الداخلية حيث لم تتجاوز أهداف الإدارة الحفاظ على الأمن والقانون، عن طريق كسب ولاء شيوخ القبائل والاعتراف بسلطانهم وجعلهم فى مهام الوكلاء للإدارة الاستعمارية.

١/ ذات المصدر.

٢/ المصدر السابق ذاته ـ مذكرة القنصل ـ

كما استبقت الإدارة انجليزية المحاكم الشرعية للفتوى والفصل فى قضايا الأحوال الشخصية، ولكن السلطات الحقيقية الأخرى - مالية، أمنية، سياسية، عسكرية قانونية - ظلت فى ايادى مفتشى المراكز ومعاونيهم من العرب لثقة الإدارة فيهم ولأنهم بحكم مهنتهم أصحاب مصلحة فى الاستقرار السياسى والاقتصادى، مثلت بربرا العاصمة الإدارية للاقليم، وكونت فيها فرقة للشرطة عام ١٩٢٦ .

كانت مشاكل الإقليم الأساسية، نابعة من التقسيم الاستعمارى العشوائى للقبائل، فمثلا قبيلة العيسى وجدت نفسها مجزأة بين الإدارة الفرنسية والبريطانية والاثيوبية وكذلك الجلادريس الذين أصبح مركز ثقلهم فى بورما فى يد الانجليز بينما احتفظ الاثيوبيون بمركز ثقلهم الآخر فى جكجكا.

دارت سياسات الانجليز على محورى الأمن والاقتصاد باعتبار ان الصومال مركز رخيص لامداد عدن بالغذاء والأغنام. لذ لم يبالوا بوضع. سياسات ثقافية فى مجال التعليم والإدارة الا بعد انطلاق جهاد الإمام محمد عبدالله الحسن، حيث قاموا بايقاف كل المؤسسات التبشيرية بحلول يونيو ١٩١٢.[١] كما ان السياسة الانجليزية فى ظروف جهاد السيد ركزت على السواحل وأهملت الدواخل، حسب توصية لجنة السيررونالد ونجت حاكم السودان السابق، والذى استدعته الإدارة البريطانية للإفادة من تجربته فى قمع الحركة المهدية الجهادية، ولكن ذلك لم يثن بعض الصوماليين من القيام بمبادرات تعليمية.

بدأ تحديث التعليم فى الصومال، على أيدى الصوماليين أنفسهم حيث توسع عدد من شيوخهم فى استخدام الوسائل التعليمية كالسبورة والطبشور، كما باشروا تدريس موضوعات فى اللغة العربية بالإضافة إلى مبادىء الرياضيات وبعض المعارف المفيدة فى التجارة وغيرها. ومن رواد التجديد فى هذا الميدان شيخ على عبدالرحمن الملقب بصوفى - فى هرر وحاج حسن دعالة فى بربرا ومحمد شيخ عثمان فى جالكعيو[٢] فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

تم فتح اول مدرسة نموذجية على النمط الحديث على يد المدرس السودانى، خير الله[٣] فى عام ١٨٧٢م، وانجبت هذه المدرسة اول طليعة صومالية متعلمة تعليما حديثا، وقد هاجر بعض خريجيها فى عام ١٩١٩، بتشجيع من الإدارة البريطانية الى السودان، للاستزادة من العلم وكان من بينهم الأستاذ/ محمد محمد على، الذى عاد من السودان عام ١٩٢٨ وعين موظفا في دائرة حكومية بهرجيسا، حيث قام بفتح مدرسة مسائية عام ١٩٣٥، واصبحت بذرة للتعليم الحديث فى الصومال وقد عمل معه فى هذه المدرسة خمسة من خريجى مدرسة

١/ تاريخ التعليم فى الصومال، ص ٦.

٢/ المصدر السابق ص ٥٨.

٣/ يرجع رواد النهضة التعليمية الصومالية، جذور حركة التعليم الحديث فى شمال الصومال للسودانيين والسودان حيث يعتبرون خير الله ومدرسته نقطة البداية ثم جاء بعدهم جيل خريجى مدرسة غردون وبخت الرضا وغيرها من مؤسسات

غردون التذكارية حتى عام ١٩٣٣ [(١)]

حينما التفت الانجليز، الى حقل التعليم، واجهت مساعيهم عقبات، نظرا لارتباطات المشاريع التعليمية الأولى بالتنصير والارساليات، لذا حينما فتحت الإدارة الانجليزية ثلاث مدارس فى زيلع وبربر وبلهار عام ١٩٠٥، لم تصادف هذه المدارس نجاحا نسبة لعزوف الآباء عن ارسال ابنائهم ونسبة كذلك للضمور المستمر لهذه المدن بهجرة سكانها الى جيبوتى طلبا لفرص العمل فى الميناء مما أدى إلى تلاشى هذه المدارس.

اعدت الإدارة الانجليزية خطة فى عام ١٩٢٠ لفتح ست مدارس واعتمدت مخصصاتها على ميزانية ضرائبية على البهائم المصدرة الى عدن وغيرها ولكن قوبل هذا المشروع بثورة شعبية أدت إلى مقتل مفتش المركز الانجليزى فى برعو، مما أدى إلى فشل المشروع خوفا من ظهور محمد عبدالله آخر.[(٢)] ولجأت الإدارة الانجليزية بعد ذلك إلى سياسة دعم وتطوير المدارس القرآنية، شريطة ان يتم تدريسها للغة العربية والحساب وكان ذلك جزءا من برنامجهم محاولة تحسين صورة الإدارة البريطانية وسط القيادة الدينية وفى الذهنية الصومالية.

حاولت الإدارة الانجليزية، مرة اخرى فى عام ١٩٣٦ إنشاء إدارة للتعليم بتعيين مدير للتعليم فى بربرا ولكنه قوبل أيضا بثورة شعبية ومظاهرات، مات فيها ثلاثة صوماليين مما أدى لتعطيل مشروع الإدارة الانجليزية إلى عام ١٩٤١ بعد انجلاء معارك الحرب العالمية حول الصومال وإعادة وضع الصومال تحت الحماية الانجليزية اثر هزيمة إيطاليا فى شرق إفريقيا.

تمسك الصوماليون بدينهم وخوفهم على ابنائهم من التنصير كان وراء هذا العزوف المستميت عن التعليم فى إطار إدارة انجليزية اذ الذاكرة الصومالية ظلت واعية بما حدث لأبنائهم من اليتامى واطفال البادية حينما ادخولهم، بسلامة خاطر، مدارس الكنائس فاذا هى تبدل دينهم بدلا من تعليمهم[(٣)]، ولكن استجاب الصوماليون جزئيا للدعوة التعليمية التى قادها أبناؤهم كالأستاذ محمد محمد على ومدرسة جامع بلال الذى تعلم فى الجزيرة العربية ثم فتح مدرست اهلية فى بربرا عام ١٩٣٨ وكان يدرس فيها كذلك الأستاذ محمد محمد على، وحاج حسن دعالة والأستاذ طدره تحت إدارتهم الثلاثية واغلقت مدرسة بربرا فى اغسطس ١٩٤٠ حينما احتلت القوات الايطالية الإقليم الشمالى.[(٤)]

التعليم فى السودان، من الصوماليين. ومايزال يوجد فى الصومال أكثر من سبعين معلما سودانيا، يستخدمهم المكتب الاقليمى للمنظمة العربية للثقافة والعلوم بمقديشو ولا يفوقهم الا الوجود التعليمى المصرى والذى بدأ فى منتصف الخمسينات بينما الوجود السودانى يرجع الى بداية القرن وربما يصلح هذا موضوعا للدراسات المفصلة

١/ المصدر السابق ص ٥٨ وكذلك Lewis, op. cit. A Modern History, p. 103.

٢/ المصدر الأخير السابق ص ١٠٣.

٣/ الإشارة لمدرسة بربرا التى أقامتها الكنيسه الكاثوليكيه التى ضمت ٣٧٥ طالبا ثم تنصير معظمهم والتى حولت بسبب جهاد السيد/ محمد عبد الله الحسن الى جيبوتى وكذلك مدرسة كنيسة طايمولى الواقعة بين مدينة. بربرا وشيخ.

٤/ تاريخ للتعليم فى الصومال ص ٦٠.

لجأت الإدارة البريطانية كمثيلتها الفرنسية، إلى كسب ود القضاة والشيوخ وجمهرة الصوماليين، بانتهاج سياسات تسامح دينى فى ظروف الاجتياح الأيطالى لاثيوبيا، خصوصا ان ايطاليا استخدمت فى الدعاية سلاح الدين بتنظيم رحلات الحج وبناء المساجد، وتمثل الرد الإنجليزى بالتصديق بمبلغ ألف وخمسمائة من الجنيهات الاسترلينية لاصلاح المساجد فى المناطق الأساسية، باعتبار ذلك ترياقا مضادا للدعاية الايطالية التى جذبت عواطف المسلمين والتى ركزت على ما يقدمونه من خدمات للمسلمين فى الصومال الايطالى و اثيوبيا مقارنا بما تقدمه الإدارة الانجليزية فى شمال الصومال.[١] وقد حاولت الإدارة البريطانية استخدام ائمة المساجد وتعبئتهم لابطال الدعاية الايطالية، كما بـدأ القسم العربى فى هيئة الإذاعة البريطانية ينشط فى التركيز على ما أسماه باضطهاد الايطاليين وتقتيلهم للعناصر العربية.[٢]

خلاصة القول أن السياسات الثقافية عدلت فى مجمل قرن إفريقيا حينما اجتاحت ايطاليا اثيوبيا، حيث ركزت السياسيات على كسب ود الأهالى بتحسين المساجد[٣] ودعم المدارس القرآنية وتنظيم رحلات الحج مع الاستمرار فى سياسة تقييد حركة التبشير المسيحى. اما عن التعليم فقد تميز بعدم الاستمرارية، حيث انتهت جهود الرواد الأوائل باندلاع الحرب العالمية الثانية، وبدأت نهضة تعليمية جديدة فى الأربعينات على اسس جديدة. ويمكن القول بان الحقبة الاستعمارية الأولى فى الصومال الشمالى المنتهية فى عام ١٩٤٠، لم تسفر عنها انجازات كبيرة مقارنة بما حدث فى جيبوتى حيث كسبت جيبوتى:

١ ــ ميناءا بحريا.

٢ ــ خطا حديدياً (ومع انه يمكن القول بأن هذا مجرد تطوير لبعض المرافق لخدمة الدولة المهيمنة إلا أنه كان له آثار ايجابية على حياة السكان) ولا مقارنة بما حدث فى الصومال الجنوبى الذى كسب:

١ ــ الطرق الممتدة.

٢ ــ مزارع الموز.

٣ ــ وحدات للإدارة والتعليم.

اما فى خلال الفترة ١٩٤٠ـ١٩٤٥ فقد طغت هموم الحرب على قضايا الثقافة والتعليم، وقد جاء فى تقرير لجنة القوى الأربع الكبرى، التى زارت الصومال عام ١٩٤٧ (انه ليس هناك اصلاحات أساسية او كبيرة تم القيام بها فى حقل التعليم).[٤]

١/ عبارة عن تلغراف من حاكم الصومال الى وكيل وزارة المستعمرات ٢٥/٢/٣٨. FO371,22035, 103464.

٢/ FO 371, 22035, 103464 مذكرة من القنصل البريطانى بمقديشو بتاريخ ١ فبراير ١٩٣٨.

٣/ جنى المسلمون الاثيوبيون على الأخص ثمار هذه السياسة. حيث يقف المسجد الانور المسجد الكبير فى اديس أبابا شاهدا على ذلك. حيث بناه الايطاليون فى قلب المدينة على نمط معمارى فريد.

٤/ (7) E. Sylvia pankhurst, Ex – Italian Somailand, (watte & co. london) 1951 p. 169.

السياسات الثقافية فى الصومال الايطالى :

الحقبة الاستعمارية المنتهية عام ١٩٤١ :

اختلف الامر فى الصومال الايطالى او ما عرف (بامبراطورية شرق إفريقيا الايطالية) اذ :ـــ

١ ـــ لم تك حدود هذه الامبراطورية معروفة، لانها كانت امبراطورية تحت الشكل والتشكيل، حيث دخلت فى صراع مع اثيوبيا على ميراث السيد/ محمد عبدالله الحسن وعلى الأخص فى منطقة الأوجادين.

٢ ـــ كانت علاقات الإدارة الايطالية مع السلطنات القبلية علاقات فضفاضة بمعنى ان دخولها فى طاعة الإدارة الايطالية كان اسميا واحتفظت باستقلالها الإدارى، ولكن بعد تصفية الثورة وزوال الخطر، بدأت الإدارة تحاول وضع يدها على هذه السلطنات، حيث نجحت فى فرض ارادتها وإدخال السلاطين فى طاعتها كالسلطان يوسف على كنديد سلطان سلطنة اوباى والشيخ باقور عثمان سلطان المجرتين. كما تنازلت لها الإدارة البريطانية ـ كما رأينا ـ عن منطقة كسمايو والبنادر (جوبالاند) ولم يبق امام الإدارة الايطالية سوى منطقة الأوجادين.

اقامت الإدارة الايطالية نظاماً إدرايا بروقراطيا على نمط الإدارة الفاشية ـ تحت إدارة الحاكم العام الايطالى مباشرة ويليه مساعدوه وسكرتاريوه فى مقديشو.

قسمت المستعمرة إلى سبع مديريات والمديريات الى ثلاثين وحدة إدارية أو ـ منطقة ـ فى كل منطقة مسئول ايطالى مقيم. ضمت الإدارة الايطالية ٣٥٠ مسئولا إيطاليا بالإضافة الى ١٧٥٠ معاونا من الصوماليين والعرب بما فى ذلك طبقة الشيوخ ورؤساء القبائل ومثلت الأوسمه والنياشين والهدايا طريق الإداريين الى قلوب المعاونيين وعمد القبائل.[(١)]

وجدت الإدارة الايطالية، البلاد تحكم وفق العرف والشريعة الإسلامية ممثلة فى محاكم الشريعة التى كان لها وجود تاريخى عريق فى المدن الساحلة، أما فى الدواخل فكانت تزداد سلطة الشيوخ، حيث كانوا يجمعون بين القوة والفتوى.

ربطت الإدارة الايطالية، محاكم الشريعة بالدولة وجعلتها واحدة من أجهزتها ومنحتها صلاحيات الافتاء والقضاء بالعرف والشريعة وكانت صلاحياتهم اوسع من صلاحيات رصفائهم فى الشمال البريطانى ولكن مع ذلك فقد كان النظام القانونى فى الشمال أفضل نظرا لأن الإدارة الفاشية جعلت البلاد خاضعة لثلاثة انماط من القوانين وهى :ـــ

١ ـــ قانون الشريعة والعرف وتحكم بها محاكم الشريعة على الأهالى المسلمين فى الأحوال الشخصية.

٢ ـــ قانونان مدنى وجنائى تسريان على الايطاليين والأوربيين فقط (قانون الايطاليين

١/ lewis, op. A modern Histoky p. 99 – 100.

الحاكمين) وقد منع هذا القانون مثلا الايطاليين من الزواج بالأهالى، بحيث تظل العلاقة الجنسية فقط علاقـة سخره وترفيه تحت ستار شعار حماية الجنس الغالب من واجبات العرش الايطالى. ونص القانون على عقوبة خمس سنوات سجن فى حالة اتمام زواج على الطرفين.[1]

٣ ـ قانون مدنى وقانون جنائى لمحاكمة الصوماليين (قانون الصوماليين المحكومين) ونص هذا القانون مثلا على عدم جواز حمل الاطفال نصف الايطاليين لاسماء ابائهم كما منع الآباء الايطاليين الحاق هؤلاء الأبناء بهم.[2]

ابعدت القوانين الفاشية اهل البلاد من اية حقوق لممارسة التجارة، كما صمم جهاز الدلة لخدمة طبقة العسكريين والإداريين الايطاليين وخدمة مزارعهم وأنديتهم وحياتهم الخاصة.

حكم الايطاليون بتعال على اساس تفوق العرف الا رى والحضارة الايطالية واللسان اللاتينى متوهمين ان تفوق حضارتهم يخول لهم محو مكونات الثقافة الصومالية التى يعتبرونها ثقافـة بربرية.[3] كما عمدت القوانين الايطالية فى الصومال على تكريس روح السخرة، بحيث اصبح يساق الآلاف من الصوماليين قسرا للعمل فى مزارع الايطاليين فى افجوى وغيرها، من دون أجر، حتى مات بعضهم نتيجة لظروف العمل الصعبة وغير الإنسانية.

فتحت السلطات الايطالية المجـال امـام الارسـاليات الكـاثـوليكية، حيث تم إنشاء كاتدرائية ضخمة فى قلب مقديشو، مما أدى إلى تغيير طابع المدينة من مدينة إسلامية تعلوها منارات المساجد الى ما يشبه المدينه الكنسية التى قامت حول كنسية واخذت تطالها ابراج الكنائس.

فى عام ١٩٠٧ قامت الإدارة الايطالية بفتح مدارس لتدريس الايطالية للصوماليين فى مقديشو، بالإضافة إلى مدرسة تجارية وكانت هذه المدارس تقدم خدماتها للصوماليين وابناء الايطاليين على حد سواء ولكن حينما جاءت إدارة قيدوى كورنى Guido Corni أعتبرت هذه الممارسة لا تتماشى والخطوط بين العبيدوأسيادهم، لذا جعل كل جنس يدرس فى فصل بمعزل، كما أصبح تعليم الصوماليين يقوم على تدريب واعداد مجموعة منهم لأداء العمل اليدوى والزراعى مع حرمانهم من أى اعداد يرشح حامله لتعليم تأهيلى عال.[4]

وفى اطار هذه السياسة، توسعت الكنيسه الكاثوليكية عام ١٩٢٩ فى التعليم، حيث اصبحت تدير مدارس ابتدائية فى مركا، برافا، جيليب افجوى، فيلاجو، ماديو، كيسمايو، ورأس حافـون، وكـانت هذه المدارس احادية التوجه، حيث ركزت على اللغة الايطالية والثقافة الكنسية.,

---

١/ Punk hurs:t, op. Ex – Italian Somali p. 210.

٢/ المصدر السابق ص ٢١٠.

٣/ المصدر السابق ص ١١٠ ـ ١١٧.

٤/ المصدر السابق ص ٢١٠.

نافست الكنيسه الكاثوليكية فى العمل، البعثة اللوثرية السويدية والتى اختارت جنوب الصومال ميدانا لعملها منذ عام ١٨٩٨ وقد سجلت نجاحا تم رصده فى التنصير المباشر، حيث نصرت ثلثمائة وخمسين فردا من بانتيو الصومال، [١]وكانت السياسة التنصرية تنفذ فى المجالات التعليمية والزراعية والصحية ولكن قامت السلطات الايطالية بطرد البعثة اللوثرية فى عام ١٩٣٠ فى اطار سياساتها لكسب المسلمين فى ظروف ما قبل الحرب العالمية الثانية مما أحدث انتكاسة كبيرة فى مخططاتهم وعملهم.

لم يكن الجو الثقافى، محتكراً تماماً للثقافة الأجنبية، اذ ظهرت كذلك محاولات قام بها أهل الصومال، تمثلت فى المدرسة الأهلية التى انشأها معلم جامع بلال فى عام ١٩٣٦. [٢] منتهزا ظروف الإنفراج والتسامح مع الإسلام ولكن كان نتاج جهاد هذه المدرسة محدودا مقارنا بإمكانيات الكنائس والدولة الايطالية.

اجتياح اثيوبيا:

لم تكن السلطات الايطالية راضية عن فوز اثيوبيا بميراث السيد/ محمد عبدالله الحسن فى الأوجادين، لذا استمرت فى دعم رجال القبائل الصوماليين الرافضين للوجود الاثيوبى بالمال ولسلاح، كما عملت اثيوبيا على دعم القبائل الصومالية الرافضة للاستعمار الايطالى، وجدت قبائل الاجادين نفسها منازعة بين قوتين وان وجد الأوجادنيون ان الايطاليين - مرحليا - أقل عداء لثقافتهم الإسلامية من الاثيوبين.

فى عام ١٩٣٢، عين موسولينى صديقه رودولفو جرازينى Radlof Graziani على الصومال ومديراً للعمليات العسكرية وانتهز هذا فرصة صدام وقع بين ايطاليا واثيوبيا حول آبار المياه العذبة التى عرفت باسم الوالوال فى ٥ ديسمبر ١٩٣٤، وصعده وخلق منه مبررات لاجتياح اثيوبيا. وبمجىء ٧ مايو ١٩٣٦، كان الجيش الايطالى قد استولى على كل اثيوبيا واعاد اعتبار ايطاليا التى اهدرت كرامتها فى موقعة عدوه الشهيرة. وفى ٩ مايو ١٩٣٦ أعلن موسولينى قيام امبراطورية شرق إفريقيا واثيوبيا الايطالية تحت الامبراطور فيكتورعما نويل الثالث. [٣]

خلق اجتياح اثيوبيا، وضعا عالميا جديدا، وربما أدى احتلال اثيوبيا جزئيا، لإندلاع الحرب العالمية الثانية، إذ باركت بريطانيا ذلك فى إبريل ١٩٣٨، كما فعلت فرنسا ذات

١/ op. cit. christian Ency. p. 618 – 190

٢/ تاريخ التعليم فى الصومال ص ٦٠ - ٦١.

٣/ بارك الفاتيكان، اجتياح ايطاليا لاثيوبيا، حيث جاء الكاردينال باسيلى Pacelli أمين شئون الفاتيكان والذى صار بعدها البابا بيوس الثانى عشر Pope puis xll لهيلاسلاسى اللاجىء فى لندن وعرض عليه مليونا من الجنيهات الاسترلينية باسم الحكومة الايطالية وضمان الفاتيكان فى سبيل تخليه عن العرش. ورفض الامبراطور العرض لاختلافه حول بعض التفاصيل أنظر spencer, Ethiopia at Bay

الشيء مقابل تخلى ايطاليا عن أطماعها فى تونس وباختصار أطلق الموقعون على إتفاقية استريسا (Stressa) - الإتفاقية القاضية بدفاع الحلفاء الجماعى عن غرب أوربا ضد أطماع النازية - يد ايطاليا لاحتلال اثيوبيا حتى تقف معهم ضد جبهة النازية - وخلال اجتياح اثيوبيا قام النازى باحتلال منطقة الراين كما قام الجنرال فرانكو، بدعم من النازى، بايقاد نار الحرب الأهلية الأسبانية، وبرزت ظروف أدت إلى إبعاد موسولينى عن بريطانيا وفرنسا فى إتجاه النازى.[١] واندلعت الحرب على أساس محور المانيا ايطاليا ضد الحلفاء.

عنى الوجود الايطالى فى اثيوبيا تهديدا مباشرا للمصالح البريطانية فى الصومال الشمالى وكينيا والسودان ومصر، وأصبح ذلك حقيقة، حينما انضم موسولينى لهتلر فى ١٠ يونيو ١٩٤٠، معلنا بذلك الحرب على بريطانيا وفرنسا. وفى ٢٤ يونيو مكنت بريطانيا هيلاسلاسى من العودة إلى الخرطوم حيث بدأ حرب التحرير فى ١٩ يناير ١٩٤١، التى خاضتها اساسا القوات اللانجليزية وقوة دفاع السودان. وفى مايو ١٩٤١، دخلت القوات الانجليزية اديس ابابا، بعد أربع سنوات وعشرة أشهر من حكم عصبة الأمم على اثيوبيا بالإعدام. استعاد هيلاسلاسى بلاده وتاجه واعلن فى خطابه بمناسبة العبور (لقد جئت لاستعادة استقلال بلادى بما فى ذلك ارتيريا والبنادر (الصومال الايطالى) والتى ستعيش بعد الآن تحت العلم الاثيوبى).[٢]

وفى ٣١ يناير ١٩٤٢ ابرمت الاتفاقية الاثيوبية- الانجليزية التى نصت:-

١ - بان اثيوبيا ما تزال خاضعة للاحتلال الانجليزى.

٢ - أن يعين الامبراطور مستشارين له من الانجليز.

٣ - احتفاظ انجلترا بإدارة الهود والأوجادين.

وفى عام ١٩٤١م، شرعت بريطانيا فى الترويج لفكرة الصومال الكبير، املة من ذلك وراثة الممتلكات الايطالية والفرنسية فى شرف إفريقيا،[٣] خصوصا ان الصومال الفرنسى وقع فى ظروف حرب التحرير فى قبضة إدارة مؤيدة لحكومة فيشى الفرنسية[٤] المؤيدة للنازى.

أصبح الصومال الكبير حقيقة جغرافية لفترة زمنية قصيرة ولكن ما لبث ان أعيد تمزيق اوصاله من جديد مشكلا الصورة الخماسية التى يعكسها علم الصومال بنجمته ذات الزوايا الخمس، حيث استعادت اثيوبيا الأوجادين وفرنسا جيبوتى ايطاليا الصومال الجنوبى وبريطانيا مناطق شمال كينيا وشمال الصومال.

١/ أنظر Spencer, op. cit. Ethiopia p. xv.
حيث يقدم تحليلا رائعا عن لماذا رفعت هيئة الامم يدها عن قضية اثيوبيا فى عام ١٩٣٧.

٢/ المصدر السابق ص ٩٣.

٣/ أصبح عمليا الصومال الكبير - باستثناء جيبوتى - فى قبضة الانجليز، وربما كانت هذه أول مرة فى التاريخ - باستثناء جهاد الامام أحمد إبراهيم الجران تحكم الأمة الصومالية بإدارة موحدة بما فى ذلك الأوجادين ومناطق شمال كينيا.

٤/ نيشى هى الحكومة التى ألفها المارشال بيبتان على جزء محدود من الأراضى الفرنسية وقد انهارت عام ١٩٤٥ حينما استعاد الجنرال ديجول فرنسا.

التطور الثقافى فى هرر والأوجادين خلال فترة ما بين الحربين :

كما ورد سابقا، فقد استهل الامبراطور منليك عهد فى هرر ببناء كنيسة مكان المسجد الكبير الذى بناه المصريون، كما نصب - بعد فترة - الرأس ماكونن، والد هيلاسلاسى[١] حاكما على هرر وقد استن منليك سنة تهجير الامهرا، أى منطقة هرر وإقامة مستوطنات دائمة لهم هناك[٢]، كما لجأ منليك فى سبيل ربط المسلمين بجهاز الدولة، بضم محاكم الشريعة لاجهزة الدولة وتخويلها صلاحيات النظر فى قضايا الأحوال الشخصية للمسلمين، وتطور هذه المحاكم، حدث فى فترة هيلاسلاسى. ويعتبر كتاب التنبيه فى الفقه الشافعي لابى اسحاق الشيرازى الاساس الذى ترجع اليه هذه المحاكم. ولكن اتسمت هذه المحاكم بالبطء فى إجراءاتها مع عدم مراعاتها لقواعد التسجيل والتقييد، كما ظلت هذه المخاكم شبه مهملة ولكنها مع ذلك خدمت أغراضا هامة حيث شكلت وجها من استمرار الثقافة الإسلامية.

يعتبر الامبراطور منليك، باذر بذرة التعليم الحديث فى اثيوبيا، حيث انشأ هناك أول مدرسة نظامية سماها باسمه (مدرسة منليك الثانى) فى عام ١٩٠٦ فى اديس وجلب لها المدرسين الأقباط من مصر. وعلى غرار هذه المدرسة، نشأت مدرسة هرر فى عام ١٩٠٩ تحت رعاية عدد من المدرسين الأقباط. ولكن عزف أبناء المسلمين عن الالتحاق ها وظل الانتساب قاصراً على أبناء المسيحيين والأمهرة حتى مجيء الاحتلال الايطالى والذى انهى عمليا حركة التعليم التى أسسها الامبراطور منليك.[٣]

حينما توفى الامبراطور منليك عام ١٩١٣، نصب حفيده لبج اياسو[٤] امبراطورا على ميراثه ولكن هذا الأخير، ما لبث ان اعلن إسلامه واتجه لمناطق القسم الإسلامى - فى ظروف

١/ ولد هيلاسلاسى ابن رأس ماكونن فى هرر فى يوليو ١٨٩٢، ودرس على ايدى القساوسه الكاثوليك، وأصبح فى عام ١٩١٠ - بعد وفاة والده - حاكما على هرر - واسمه الأصلى رأس تفري ماكونن ولقب بهيلاسلاسى بعد اعتلائه العرش فى عام ١٩٢٨، وتعنى عظمة الثالوث، وتعلق هيلاسلاسى بهرر يعود لنشأته بها ولأن والده كذلك مدفون بها وقد درج طيلة أيام حياته على قضاء اجازته السنوية مع عائلته فيها كما نصب ابنه حاكما على هرر.

٢/ عبارة عن تقرير زيارة لبعثة انجليزية لاقليم شرشر، هرر، ديرداوه. Fo, 371, 102638, 102270

٣/ John Markakis, Ethiopia, Anatomy of traditional polity, (oxford studies in African Affairs, 1975) p. 145

٤/ لبج اياسو - اى ابن يسوع - هو ابن الرأس محمد على، حاكم ولاية (والو) الذى أجبره منليك على ترك الإسلام والتنصر وزوجه بابنته (اشراقه) ويقال ان الرأس محمد على ظل يبطن الإسلام ويظهر النصرانية برغم مصاهرته لمنليك. ولد لبج اياسو بطنطا فى مصر على عادة الأميرات الاثيوبيات حيث يذهبن هناك للتبرك. قضى طفولته بمصر والم باللغة العربية والفرنسية ثم عاد لاثيوبيا حيث جعله جده الامبراطور منليك وصيا على العرش عام ١٩٠٩ ثم امبراطورا عام ١٩١٣، نسبة لأن منليك لم يرزق ذكورا، والامبراطور هيلاسلاسى متزوج من شقيقه لبج اياسو - أنظر حسن عبد الرحيم الطيب اسيرة الامبراطور الشهيد لبج اياسو بين التشويه والتعتيم والاهمال جريدة السياسة السودانية، السبت ١٦ محرم ١٤٠٧ هـ ٨٦/٩/٢٠ ص ٥.

الحرب العالمية الأولى وجعل ديرداوه عاصمة له ودخل فى تحالف مع السيد/ محمد عبدالله الحسن المجاهد الصومالى وهنا أصدرت الكنيسة القبطية فتوى بحرمان ليج اياسو من العرش ونصبت الأميرة زاديتو ابنة منليك مكانه، كما قاد الامبراطور هيلاسلاسى جيش المقاومة لحكم ليج اياسو واستطاع ان ينتصر عليه ويضعه فى السجن ثم يقوم باغتياله عام ١٩٣٥، حينما خاف ان يحرره الايطاليون وينصبوه ملكا مرة اخرى.

ما لبث هيلاسلاسى ان أطاح بالأميرة واصبح امبراطورا فى عام ١٩٣٨.

بنى هيلاسلاسى استراتيجته على تركيز أقدامه فى القسم الإسلامى من الحبشة، وعلى الأخص منطقة هرر والأوجادين هذه المنطقة التى خبرها، حيث ولد وترعرع فيها، كما انه كان يعلم ان هذه المنطقة كانت وستظل ميدانا لمعارك المستقبل لذا فقد عمد إلى استكمال سياسة الامبراطور منليك فى :ـ

١ ـ مواصلة تهجير الامهرا والمسيحيين من الهضبة الى القسم الإسلامى فى شكل مستوطنين زراع وجنود، علما بأن المستوطنين كانوا يعتبرون هذا نوعاً من النفى وكانوا غير راضين عن وجودهم فى هذه المناطق المنعزلة وكانوا بلا استثناء يعبرون عن كراهيتهم للصوماليين ويعتبرونهم سبب شقائهم لذا كانوا يسيئون معاملتهم.[1]

٢ ـ فرض اللغة الأمهرية ونشر ثقافتها وكان المسئولون والموظفون يتكلمون الأمهرية فقط.

٣ـ فتح المنطقة امام التبشير المسيحى، على الأخص الارساليات الاجنبيه، التى كانت محاصرة فى الهضبة ومناطق نفوذ الكنيسه القبطية فجاءت الارسالية الانجليزية والسويدية بالإضافة إلى الكاثوليكية العريقة الوجود منذ ايام منليك والتى تلقى هيلاسلاسى تعليمه على يديها.

٤ـ مواصلة استخدام سياسة الحديد والنار لترويض الأهالى على الأخص سكان الأوجادين، لذ كان قلما ينصرم عام دون إرسال تجريدة للقضاء على تمرد او تأديب خارجين على الامبراطور.

لم تقم الحكومة بتقديم خدمات ذات بال فى مجال التعليم والصحة نسبة إلى إن حياة البداوة لا تسمح بإقامة برامج للتعليم والصحة لسكان دأبهم الهجرة والترحال[2] ولأن الحكومة لم تلك راغبة فى تطوير اوضاع المنطقة ولان سكان المنطقة انفسهم ما كانوا يريدون الدخول فى اية علاقة ذات طبيعة مستمرة مع نصار الهضبة فى تعليم أو غيره.

ظل التعليم الأساسى هو تعليم المدارس الإسلامية، التى واصلت رسالتها فى هرر ودبرداوه وجكجكا وغيرها. لم تقدم الحكومة مساعدات لهذه المدارس، معتذرة بأنها لا تقدم مساعدات لمدارس الكنائس، علما بأن الكنيسة كانت مركزية وكانت غنية وتملك ثلث

١/ ويشير هذا التقرير إلى ظاهرة المستوطنات الأمهرية فى هذه المنطقة. Fo 371. 102638, 103270 p. 5

٢/ Spencer : Ethiopia at Bay p. 361

الأراضى الزراعية فى اثيوبيا وكانت أراضيها معفاة من الضرائب، كما ان المسلمين الذين كانوا يعملون مزارعين فى المناطق الجنوبية، كانوا يدفعون ـ كغيرهم من الزراع ـ ضريبة الأرض وضريبة الكنيسة وكانت ضريبة الكنيسة تذهب للتعليم الكنسى[1]. ولكن برغم هذا، ظل الإسلام يتمدد بفضل الله وقوة هؤلاء العلماء ومريديهم وازدهرت الثقافة الإسلامية على يد جيل من العلماء، حافظوا على استمرارية حركة الثقافة الإسلامية كان أبرزهم جيل علماء هرر الدين برز منهم (كبير خليل وهاشم الهررى والقاضى عبدالله والشيخ بن عبدالرحمن المعروف بشيخ صوفى.[2]

كما برز من رجال التعليم الإسلامى، فى مدينة جكجكا ومناطق الأوجادين الأخرى، الشيخ اودام سمتر وتلميذه الحاج جامع على والشيخ إبراهيم راكس والشيخ حسن اسماعيل والشيخ عبدالقادر الحاج على وبرز فى مدينة طكحبور والمناطق القريبة منها، الشيخ عبدالقادر بن الحاج على والفقيه الشيخ بن العالم المشهور بابى بكر فول طير وهو من مشايخ السيد محمد عبدالله الحسن ثم الشيخ السيد عمر نوريه بن معلم احمد والشيخ عبدالرحمن سليمان. وبرز فى قرية قلنقول الشيخ عبدالرحمن بن أحمد الزيلعى وخليفته فى العلم والطريقة الحاج أبوبكر بن يوسف ثم الشيخ عبدالله بن معلم يوسف القطبى. كما برز فى مدينة قبردهى من العلماء الشيخ على بن طلل الفاسى ثم الشيخ عبدالله ودشعيب، الشيخ يوسف ديدن ابن معلم احمد وتلميذه الفقيه الشيخ حسن وعظى بن الشيخ محمد معاوية والشيخ عبدالوهاب بن الشيخ بوديد.

كانت ثقافة هؤلاء الشيوخ، ثقافة تلقينية، اى قائمة على الحفظ وترديد النصوص، وافتقرت الى النظرة التحليلية والتجديدية، ولعلهم كانوا معذورين فى ذلك، هذا كان حال معظم حملة الفقه والثقافة الإسلامية فى العالم الإسلامى. حرمت الإدارة الاثيوبية حاملى العلوم والثقافة الإسلامية ـ اى هؤلاء الشيوخ وغيرهم ـ من جنى ثمار حركة الدولة، من مشاركة فى أجهزة الدولة بالتوظيف وتقلد المراكز الوطيفية العامة ولكن برغم ذلك قام هؤلاء الشيوخ باداء دور هام فى الحياة الفكرية والثقافية لسكان مناطق هرر والأوجادين تمثل هذا الدور فى :ـ

استمرارية حركة الثقافة الإسلامية فى ظروف صعبة، كانت فيها الثقافة الإسلامية مهددة إقليميا ودوليا ولم يك ثمة مدد ثقافى يصل هذه المناطق، اذ عزلت عن مراكز الاشعار الثقافى فى العالم الإسلامى، وقد استطاع هؤلاء الشيوخ ان يحافظوا على المدارس القرآنية والعربية ومواصلة سيرها كما حفظوا الحرف العربى واللغة العربية من الضياع باقتنائهم للكتب العربية وتعليمهم للعربية وكتابتهم للمصاحف والمخطوطات كما دأبوا على ربط الجماهير

---

١ / Markaksi:: Ethiopia, A Natomy of A traditional polity p. 108

٢ / عاش الشيخ عبد الرحمن صوفى حتى عام ١٩٧٨م وركز على إقامة علاقات طيبة مع الامبراطور هيلاسلاسى. وقضى ردحا من عمره فى جكجا حيث له تلاميذ كثير أنظر تاريخ التعليم فى الصومال ص ٣٣.

بالفقه الإسلامى فى قضايا المعاملات والحقوق والميراث والزواج والموت . . . الخ، مع اداء الشعائر وربطوا الجماهير بالزوايا والمساجد، مما مثل حماية للثقافة الإسلامية وحماية للأهالى من اخطار التنصير والعلمانية.

لقد ادى الغزو الايطالى لاثيوبيا (١٩٣٦-٤١) إلى دمج القسم الإسلامى فى اثيوبيا والصومال، فزدات الصلات بين شعوب هذه المنطقة، كما حدثت صحوة اسلامية عامة فى اثيوبيا، تمثلت فى بناء المساجد والمدارس الإسلامية ولكن ابتداء من عام ١٩٤١ بعودة هيلاسلاسى فاتحا من الخارج، دخلت هذه المنطقة فى مرحلة تاريخية جديدة اتسمت بالكبت والتضييق واضاعة حقوق المسلمين.

التطور الثقافى والسياسى فى هرر والاوجاين (١٩٤١-١٩٦٠):—

اصيب العمل الكنسى فى مناطق الأوجادين وهرر بانتكاسة فى ظروف الغزو الايطالى لاثيوبيا، اذ قام موسولينى بطرد كل القساوسة غير الطليان من اثيوبيا، مما اوقف نشاط المؤسسات التبشيرية البروتستانتية والفرنسية فى هرر وغيرها. كما جمد نشاط الكنيسة القبطية، وتوقفت حركة التعليم، حيث تحولت المدارس الى مخازن للأسلحة واماكن لتجمعات الجنود وتعرض المتعلمون للتصفية الجسدية لمشاركتهم فى نشاط المقاومة الاثيوبية.[١]

وحينما استعاد الامبراطور عرشه فى مايو ١٩٤١، طرد كل القساوسة الكاثوليك وحظر نشاطهم التعليمى، مما أدى إلى توقف جزئى فى مؤسسات التبشير المسيحى فى القسم الإسلامى من اثيوبيا. ومما زاد اوضاع القسم الإسلامى سوءا ان البرطانيين، حينما ارادوا تسليم منطقة هرر للامبراطور هيلاسلاسى، قاموا بنهب كل ما خلفه الايطاليون ن معدات الاتصال اللاسلكى او السلكى (كالتلفونات) والأجهزة الثابتة والمتحركة.

النهضة التعليمية المعاصرة:—

قامت النهضة التعليمية المعاصرة فى اثيوبيا فيما بعد الحرب بدعم من بريطانيا وامريكا، حيث تم إقامة نظام تعليمى جديد فى ظرف عشر سنوات، كان عماده أعضاء وحدات السلام الامريكية[٢] وهى منظمة امريكية تطوعية تعمل فى مجال الثقافة بالإضافة إلى المدرسين الهنود.

انشئت فى هذه الفترة أول مدرسة ثانوية وهى مدرسة هيلاسلاسى فى اديس أبابا عام ١٩٤١. حاول هيلاسلاسى ان يفتح نشاط هذه المدرسة لتسوعب أبناء المسلمين فى مناطق

١/ A. Babs Fafanwa and I. u. Aisiku, Education in Africa, A comparative survey, (George Allen and Inwin, london, 1982) p 64

٢/ المصدر السابق ص ٦٥.

هرر والأوجادين لذا اوعز هيلاسلاسي للشيخ عبدالله محمد مدنى ان ينتخب خمسة من طلاب المدرسة الإسلامية بهرر [١] وعددا مماثلا من طلاب مدارس ديرداوه الإسلامية، ولكن لم يمض الامبراطور فى هذه السياسة، وقد اختار الشيخ مدنى معظم من اختارهم من الطلاب الادريين udri [٢] ومعظم الذين وصلوا لمناصب عليا ابان حكم الامبراطور هيلاسلاسى من هذه المجموعة. [٣]

رفض المسلمون فى هرر عرضا من هيلاسلاسى بمنحهم دارا ضخمة لتكون مقرا للمدرسة الإسلامية على ان يتم فيها تدريس اللغة الأمهرية واللغة الانجليزية ولكن اعتذر المسلمون بحجة انهم لا يستطيعون التكفل بمد المدرسة باساتذة لتدريس الأمهرية والانجليزية وان كان سبب الرفض خوفهم على ابنائهم من الثقافة الأمهرية وفقدان المدرسة لاستقلاليتها. [٤]

ومع ان المصادر المتاحة، لم تسجل وجودا تبشيرا للكنيسة القبطية فى مناطق القسم الإسلامى، باستثناء وجودها فى رئاسة المقاطعات حيث تتركز الحاميات والمستوطنات الأمهرية، الا ان بعضها [٥] يذكر ان بعض السكان ينضم للعمل مع الحكومة طلبا للمنفعه الاجتماعية ويتبع ذلك تعلم الامهرية وارتداء الزى الامهرى والتخلق بالاخلاق والعادات الأمهرية، وتركز وثائق وزارة المتعمرات البريطانية على ان النشاط الأوسع تقوم به الارساليات البروتستانتيه بينما اكتفت الكنيسيه الكاثوليكية بوجود محدود فى هرر كما قامت الكنيسه القبطية ببناء كلية للاهوت فيها. [٦]

وقد ورد فى مذكرة مرفوعة من وزارة المستعمرات البريطانية الى ونستون تشرشل الاتى:

١/ أنشئت المدرسة الإسلامية بهرر فى عام ١٩٢٨ وتضم فصولا للدراسة حتى المرحلة السادسة. وتجعل للدين الإسلامى حصة يومية وتسع تسعمائة تلميذ وقد بدأت مؤخرا فى تغذية المدارس الحكومية الثانوية بطلابها. حيث التحق منهم مثلا فى عام ١٩٦٥ (٢٨ طالبا)

٢/ الادريون هم من سلالة الجنود المصريين الذين فتحوا هرر عام ٨٧٥ وآثروا البقاء بعد انسحاب الحاميات المصرية وهم عماد الحياة الاقتصادية والثقافية فى هرر المغاصرة، ويتميزون بالوانهم البيضاء ولغتهم الإد رية وهى عبارة عن عربية محرفة، انظر الفصل الأخير من كتاب Richard Burton, First Footsteps on East Africa

٣/ منهم عبد الرحمن شيخ عبدى وهو صومالى أوجادينى وصل فى أواخر الستينات الى منصب وزير دولة فى وزارة الداخلية ومحمد عبد الرحمن - إد رى - مديرا للفنادق وعبد الله عبد الرحمن - إدارى مساعد لمحافظ اديس ابابا و محمد حامد ابراهيم مستشار قانونى بوزارة الخارجية انظر Markakis, Ethiopia Anatomy p. 251

٤/ هذا الخوف له مايبرره، اذ قابلت عددا من الشباب الإدارى المثقف الذى تم تنصيره فى حقل التعليم. وقد شاع فى الفترة الأخيرة (ابتداء من الستينات) زواج المثقفين الاثيوبيين من الإدريات نسبة لجمالهن. وقد قابلت. عددا من هؤلاء فى اديس ابابا وكان فى الماضى يصعب زواج مسلمة من مسيحى الا قهرا كما فى حالة الامبراطور هيلاسلاسى الذى تزوج من اخت ليج اياسو (وهذه تم تنصيرها).

٥/ انظر Fo, 371, 108285, 102440
وهى مذكرة حول الإسلام فى اثيوبيا مرفوعة إلى رئيس وزراء الحكومة البريطانية مستر تشرشل.

٦/ المصدر نفسه.

(لا توجد حركة دعوة منظمة للإسلام. والمسلمون الجدد يأتون على مسئوليتهم ومبادرتهم ويكسب الإسلام فى المناطق الجنوبية والغربية حيث يجتذب الإسلام مشركى القراقى والجالا الشانكالا والسيدامو اذ الإسلام يجعلهم يشمخون مرفوعى الانوف.. ويشكل المسلمون قطاع التجار بينما يشكل المسيحيون قطاع المحاربين والاورستقراطية والفلاحة.. وكذلك فان زواج المسلمات بالمشركين ينتهى بإسلامهم لإصرارهم على إسلام الزوج. والحماس للإسلام ضعيف الآن وسط الهرريين، الذين اخذ بعضهم يتنصل عن اداء الشعائر كالصوم، لا وجود للمسلمين فى مراكز الدولة لأن التعليم الإسلامى لا يؤهل حامليه الا للتجارة ويوجد الآن بعض المسلمين فى المدارس الثانوية، مما قد يعطيهم فى المستقبل مجالا للعمل فى الخدمة العامة. ومحافظة هرر شبه مسلمه مع وجود امهرى مسيحى يتمثل فى المستوطنان والجالا المحليين فى أنحاء محافظة شرشر)[1]

يؤكد هذا التقرير المرفوع لرئيس وزراء بريطانيا والذى جاء نتيجة لدراسة ميدانية قام بها باحث انجليزى عن إسلامية هرر.[2] إلا أن هذه الصورة كادت ان تتغير نتيجة لسياسات التهجير والتوطين التى اتبعتها الإدارة الاثيوبية. اذ يشير تقرير اثيوبى رسمى صادر فى الستينات بان سكان مدينة هرر يبلغون ٤٢٫٧٧١ وان ٦٥٪ منهم مسيحيون و ٣٥٪ مسلمون وكذلك يشير التقرير الى ان سكان دايراداوه ٥٠٧٢٣ منهم ٥١٪ مسيحيين و ٤٦٪ مسلمون.[3]

ومهما قلنا عن عدم دقة التقارير الاثيوبية وميلها للمبالغة للتقليل من الوجود الإسلامى لاغراض الدعاية والسياسة الا ان الأرقام المذكورة تشير لنجاح سياسات التهجير والتوطين التى تسهم فى تغيير التركيبة السكانية والتوجه الحضارى للمنطقة وما تزال عمليات التهجير والتوطين مستمرة فى هذه المناطق. حيث ينقل السكان المسيحيون من الشمال إلى أراضى المناطق الجنوبية والغربية وقد ازدادت حركة التهجير والتوطين بشكل كبير فى ظروف الجفاف الاخيرة التى المت باثيوبيا، برغم التنديد العالمى بهذه السياسة.[4] كما تبعتها سياسة جديدة تمثلت فى تجميع القرى المبعثرة فى شكل مستوطنات كبيرة فى سبيل تسهيل تقديم الخدمات وربطها بجهاز الدولة وقبل ذلك التحكم فيها امنيا.

١/ المصدر السابق ص ٣.

٢/ اسلامية هرر اصلا فى التاريخ ثابتة ولا شك فيها. وقد رأينا أنّ رتشارد بيرون لم يجد فيها مسيحيا واحدا ووجد ان عقيدة أهلها أن ارضها لايطأها كافر.

٣/ Markikis, op. cit Ethiopia, . Anatomy of Traditional polity ص ١٧

٤/ The times, london th rs. 20/oct. 1986 p.II and the Ethiopian Herald, tuesday 30/9/86 p. I

نكوص الحكومة البريطانية عن دعوى الصومال الكبير:
الإدارة البريطانية تعيد القسم الإسلامي للسيطرة الاثيوبية:

يتكون القسم الإسلامى فى اثيوبيا الشرقية كما ورد من قبل من :ــ
١ــ هرر وامتداداتها.
٢ــ المنطقة المرتفعة ما بين هرجيسا وهرر وتعرف بالمنطقة الوسطى (الهود).
٣ــ المنطقة الجنوبية (الأوجادين).

اجتاحت اثيوبيا هرر فى عام ١٨٨٧م واعطت اتفاقية ١٨٩٧ الموقعة بين انجلترا واثيوبيا القسم الإسلامى لاثيوبيا.. وبموجب الاتفاقية الانجليزية ـ الاثيوبية الموقعة فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٤ تنازلت بريطانيا عن السيادة على مناطق القسم الإسلامى باستثناء بعض مناطق الاوجاين والهود وتم ضمها رسميا لاثيوبيا فى ٢٣ سبتمبر ١٩٤٨[١] واحتفظ الانجليز بادارة مدنية على الهود والأوجادين، إلا ان ذلك لم يكن يعنى مساسا بالسيادة الاثيوبية[٢] واكتمل تسليم هذه الاجزاء إلى اثيوبيا عام ١٩٥٥ وبذلك اصبح كل القسم الإسلامى خاضعا لاثيوبيا.

وقد جاء ذلك فى ظل تطورات سياسية وثقافية واستراتيجيات دولية واقليمية. وكان اهم هذه التطورات بروز حركة سياسية مركزية شبابية صومالية. استطاعت ان تستقطب ولاء الصوماليين فى صومالهم الكبير وعرفت باسم حزب وحدة الشباب الصومالى Somali Youth League

نشأة حزب وحدة الشباب الصومالى:

تكون الحزب من لقاء ثلاثة عشر شابا صومالياً فى مايو ١٩٤٣[٣] فى مقديشو وفى ظل ادارتها الانجليزية عكست انتماءات هؤلاء الشباب معظم قبائل الصومال الأساسية وان طغى عليهم عنصر الدارود. إتخذ الحزب رمزا له يتكون من خمس نجوم بيضاء، منثورة فى مساحة العلم، ممثلة الأقسام الخمسة التى تتجزأ اليها الأراضى الصومالية وقد جاء فى مقدمة الدستور (ان يكون المحور الأساسى لجهود الحزب ما توصى به الشريعة الإسلامية من توجيهات باعتبار الإسلام الدين الرسمى للدولة الصومالية، وتعزيز مكانة اللغة العربية واحلالها المحل اللائق بها فى ربوع البلاد) كما نص دستور الحزب فى ديباجتة على الآتى: (ممنوع على أعضاء هذا الحزب كتابة اللغة الصومالية بحروف أجنبية).[٤]

١/ Richard pankhurst, decolonization of Ethiopia 1946 – 1955, Horn of Africa, october – December 1987 Volume I no 4 p. 15

٢/ Lewis, op. cit. A modern History of Somalia p. 130

٣/ دستور حزب وحدة الشباب الصومالى، مطبعة الحكومة الصومالية ص ١

٤/ دستور حزب وحدة الشباب المقدمة ص ١

نشأ حزب وحدة الشباب، فى ظروف الانفراج التى اعقبت الحرب العالمية الثانية. كما اتفقت نشأته مع ترويج السياسة الانجليزية لفكرة الصومال الكبير والتى يعتبر وزير الخارجية البريطانية ارنست بيفن أحد مهندسيها. ركز الحزب منذ أيامه الأولى على إنشاء الفروع فى مختلف أنحاء الصومال الكبير وتعميق الاحساس بقضية القومية الصومالية، حيث اصبحت القومية العلمانية ايدلوجية الشباب الصومالى. مستغنيين بها عن شعارات الاشتراكية والديمقراطية، وقد مد فى زخم هذه القومية توحد المشاعر الوطنية ضد الاستعمار.

وفى ذات عام ١٩٤٣ تم تكوين فروع لحزب وحدة الشباب فى هرر ومناطق القسم الإسلامى، ومن هرر انطلقت دعوة الصومال الكبير لبقية مناطق القسم الإسلامى، مما أدى لتعكير العلاقات بين اثيوبيا وبريطانيا واثيوبيا والولايات المتحدة واثيوبيا والصومال.[١]

ظهرت مع تكوين حزب وحدة الشباب، اضطرابات فى قطاع جكجكا ـ هرر ولجأت اثيوبيا لاستخدام سياسة فرق تسد والتعاون مع قبيلة ضد الأخرى واغرقت اثيوبيا فى هذه الفترة شيوخ قبيلة الكادبرسى الصومالية بالهدايا والمنح حتى لا تسير فى ركاب دعوة الصومال الكبير ولكن برغم ذلك سلم شيوخ الأودجاين مذكرة للإدارة العسكرية الانجليزية. أعلنوا فيها عدم موافقتهم على ضمهم لاثيوبيا. وفى عام ١٩٤٧ سلمت القبائل الصومالية بالأوجادين باستثناء العيسى مذكرة ضد تسليم بلادهم لاثيوبيا وحينما أعلن قرار ضمهم لاثيوبيا، إندلعت المظاهرات فى جكحكا ومات فيها خمسة وعشرون شخصا ـ ولجأت الإدارة الانجليزة لسياسة الاغراءات بالمال وغيره لإطفاء الحريق، حيث وزعت مبلغ ٩١ من الجنيهات الاسترلينية على شيوخ القبائل عوضا عن الديات وغيرها.[٢]

إتسمت الفترة بتوتر شديد، حتى ان الجنود الاثيوبيين كانوا لا يغادرون قلاعهم إلا لضروة احضار الماء[٣] وقد خرج وفد من أهالى هرر لشرح قضية القسم الإسلامى فى اثيوبيا امام مؤتمر السلام فى باريس ولكن استطاع الامبراطور هيلاسلاسى بدهائه. اعادة الوفد حيث عاونه على ذلك الملك فاروق عندما توقف الوفد فى مصر بعد زيارة للمملكة العربية السعودية واليمن.[٤]

استخدمت السلطان الاثيوبية اسلوب العنف لقمع حركة الدعوة للصومال الكبير، مما ادى الى هروب قيادة فرع حزب وحدة الشباب بهرر الى مقديشو، وانخرط هؤلاء فى النشاط السرى وكونوا حزب (نصر الله) والذى تبلور فى جبهة تحرير الصومال الغربى الحالية بشعاراتها الماركسية فى ظروف موالاة الصومال للاتحاد السوفيتى بعد تسلم الجيش للسلطة بقيادة اللواء محمد سياد برى. وبينما كان نشاط المقاومة فى زيادة تلقت المقاومة صفعة اخرى

١/ ص ٩٨ spencer, op. cit, Ethlopia at Bay

٢/ lewis, op. cit, Amodern History of Somalia p. 130

٣/ Fo 371, 73848, 103270

٤/ الصومال الغربى تاريخه السياسى والنضال. اصدار جبهة تحرير الصومال الغربى مارس ١٩٨٠ص ٩٢.

فى نهاية عام ١٩٥٤، تمثلت فى اعادة بريطانيا للسيادة الاثيوبية على مساحة تبلغ ٢٥ ألف كلم مربع من المراعى على طول محمية الصومال البريطانى وامنت حقوق الصوماليين فى المرعى فى الاتفاقية الاثيوبية - الانجليزية عام ٢٩ نوفمبر ١٩٥٤ ووضعت اثيوبيا يدها على المراعى فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥.(١)

لم تتحسن الأحوال فى منتصف عام ١١٩٥٥ باذاعة اخبار حوادث الإعدام الجماعية للصوماليين فى جكجكا وغيرها من المدن الاثيوبية ولم ينتبه العالم لما يجرى نظرا لبراعة الامبراطور هيلاسلاسى فى إدارة حركة السياسة الخارجية، اذ استقبل فى هذا العام الرئيس اسماعيل الأزهرى من السودان والرئيس جوزيف تيتو من يوغسلافيا كما قام الامبراطور فى نوفمبر ١٩٥٥، بمنح شعبه دستوراً لاول مرة فى تاريخ الامبراطورية ونص الدستور على قيام مجلس للنواب واخر لشيوخ.(٢)

ولكن لم يؤد ذلك لتهدئة الاوضاع واستمرت نذر الثورة فى هرر وجكجكا واستعان الامبراطور بالسويدين، حيث اصبح الضباط السويديون يقودون تسع طائرات تقيم بصفة دائمة فى جكجكا وتقلع منها بانتظام، كما جاء ألف من الحرس الامبراطورى للإقامة فى جكجكا،(٣) وقد سجلت تقارير القنصل الانجليزى بهرر فى هذه الفترة، عدة حالات اغتيال قام بها الجنود الاثيوبيون ضد الصوماليين، ابشعها ماحدث فى احتفال دينى، حينما فتح جندى اثيوبى نيران بندقيته الآليه على الصوماليين الذين كانوا يحاولون الوضوء من ماء صالح للشرب مما أدى لوفاة عشرة منهم وجرح ثلاثين آخرين.(٤)

كما ذكرت المصادر البريطانية ان معركة وقعت بين المسيحيين والمحمديين (حسب تعبيرهم) فى ١٩/٤/١٩٥٥ فى منطقة أوجادين حيث هزم حاكم هرر المسيحى المحمديين والحق بهم خسائر فادحة وتلا ذلك ثورة قبلية فى ديسمبر ١٩٥٥ فى جوبالاند، استدعت استدعاء حملة بريطانية على الأوجادين مكونة من أربعمائة جندى مسلح ضد الأوجادين بقيادة السلطات أحمد بن مورغان.(٥)

تميزت هذه الفترة من عمر القسم الإسلامى بما يلى :-

١ - عدم الاستقرار والصراع المتواصل بين القبائل الصومالية.
٢ - غزوات القبائل المتكررة ضد بعضها البعض.
٣- تزايد قتلى الصوماليين برصاص الشرطة الاثيوبية وهروب العناصر العسكرية الصومالة

١/ The Annual Register of world Events 1955, op. cit decolonization of Ethiopia p. 16 longmans, Green and cop. 1956 p 277
٢/ المصدر السابق ص ٢٧٨.
٣/ بتاريخ ١ ابريل ٥٥ Fo371, 113 576. 103464.
٤/ ذات الوثيقة السابقة.
٥/ The Annual Register 1955, A Review of public Events at Home and Abroad for the year 1955, longman's Green 1956 p.4

المنتمية للشرطة الاثيوبية وانضمامها لعناصر الشفتا.

٤ـ ازدياد اعداد الشيوخ والزعماء الدينيين الطالبين للجوء فى محمية الصومال.

٥ـ اضطرابات وسط القوى العاملة كما حدث وسط العمالالعاملين فى تشييد مطار هرر، حيث هرب ألف من الجالا من العمل، مما اضطر الشرطة لاعتقال زوجاتهم وابنائهم والاستحواذ على ممتلكاتهم كما توقف العمال الصوماليون عن العمل فى مطار ديردوة.[1]

٦ـ انتشار حمل السلاح وسط القبائل الصومالية لمحاربة الاحباش.

٧ـ ازدياد عدد المعتقلين من رؤساء القبائل الصومالية والشباب فى السجون الاثيوبية.[2]

٨ـ ازدياد سرقة وتهريب السلاح الى الأوجادين.

كما كانت التقارير تفيد بالازدياد المستمر فى حركة التوتر الاجتماعى والسياسى وفى هذا الظرف، ازداد زخم حركة الجامعة الصومالية فى هرر وما حولها، مما دفع نائب حاكم هرر لدعوة عدد من شيوخ الأوجادين لاستبانة رأيهم فى مشروع الاتحاد الصومالى، فأجابوا بأن رعاياهم يفضلون الاتحاد الصومالى لتكوين الصومال الكبير.

وفى يناير ١٩٥٥ عقد مؤتمر فى هرر بين الإدارة الانجليزية للصومال البريطانى واثيوبيا لتنفيد معاهدة الانسحاب بمجىء ١١ مارس ١٩٥٥ ولم يك ذلك أمرا سهلا، اذ فى نهاية يناير كان عشرة آلاف صومالى يعترضون يوميا فى هرجيسا ضد اتفاقية لندن وتلا ذلك انتفاضة عامة مما استوجب عقد مؤتمرا آخر بهرر فى يناير ١٩٥٦م تحت رئاسة اللواء كيفل اريجتو Kifle Ergatou.[3]

تخلت بريطانيا عن الهود والمنطقة المحجوزة لاثيوبيا، برغم ان بريطانيا ظلت تدافع عن الصومال الكبير، بسبب تغيرات الجغرافيا السياسية التى طرأت على المنطقة والتى أهمها حركة الثورة المصرية والزخم الثورى الذى تولد منها والذى ارعب القوى الاستعمارية، كما ان اذاعة صوت العرب اصبحت منبرا للدعوة للصومال الكبير والشعارات القومية العربية وللشعارات المعادية لبريطانيا فى هذا الوقت، كانت بريطانيا تعد العدة لاستقلال السودان وسط شعارات الاتحاد مع مصر، مما دفع بريطانيا لتعديل سياساتها وموازنة الوضع الإقليمى بتقوية وضع اثيوبيا لموازنة مثلث مقديشو القاهرة الخرطوم.

يعتبر عام ١٩٥٥ قمة ذروة المجد الذى ابتناه الامبراطور هيلاسلاسى ـ وقد توافق ذلك مع اليوبيل الفضى لاعتلائه للعرش ـ اذ:

١ـ اكمل وضع يده على القسم الإسلامى لاثيوبيا.

١/ وثيقة بتاريخ ١٩٥٥/١/٣١. Fo. 371, 113576, 103464 of, 371, 113576, 103464

٢/ تتحدث هذه الوثيقة عن صومالى منتصر «كاثوليكى»، اتهم ثلاثة من الشباب الصومالى بالانتماء لحزب وحدة الشباب وقد حوكم الثلاثة بتهمة التخابر مع جهة أجنبية وفى مناسبة أخرى حكم على عدد آخر بالسجن بذات التهمة.

٣/ Spencer, op. cit Ethiopia at Bay p. 283 – 84.

٢ـ استعاد ارتريا.
٣ـ استحوذ على ولاء بريطانيا وامريكا وجنى ثمار هذه مؤخرا، حينما برز ابا مؤسسا لمنظمة الوحدة الإفريقية.

فى ١٥ فبراير ١٩٥٧، اطلق الامبراطور تصريحا، اتهم فيه مصر باثارة الأقلية الإسلامية[(١)] وفى ٢٧ إبريل ١٩٥٧ زار رئيس وزراء السودان اثيوبيا واصدرا بيانا مشتركا مع الامبراطور اكدا فيه الحاجة لتعاون وثيق فى كل المجالات، سياسية واقتصادية.[(٢)]

مع ارهاصات استقلال الصومال، زادت مخاوف الاثيوبيين حول مستقبل القسم الإسلامى لذا قام الامبراطور باجراء أول انتخابات فى تاريخ اثيوبيا فى الفترة ما بين ١١ سبتمبر ١٩٥٧/ ١٠ أكتوبر ١٩٥٧ فى إطار دستور ١٩٥٥ على ٢١٠ مقاعد لمجلس النواب بلغ عدد المتنافسين عليها ٤١٠ مرشحين كما قام الامبراطور بتعيين ٥٣ عضوا لمجلس الشيوخ وفى ١ نوفمبر ١٩٥٧ افتتح الامبراطور البرلمان والذى شهد وجودا إسلاميا مقدرا تمثل فى ثمانية وثلاثين نائبا مثلوا مناطق القسم الإسلامى وارتيريا.[(٣)]

وفى يونيو ١٩٥٩ وقبل استقلال الصومال بعام واحد قام الامبراطور هيلاسلاسى بزيارة لمصر، حيث استطاع تحييد الإدارة المصرية فى قضية الدعوة للصومال الكبير وتمثل ذلك فى توقف الدعوة للقومية الصومالية من إذاعة صوت العرب وكذلك توقف الدعاية المصرية بخصوص ارتيريا، كما تزامن ذلك مع اعتراف الكنيسه المصرية فى ٢٨ يونيو ١٨٥٩ باستقلال بطريكية اثيوبيا لأول مرة فى تاريخ الكنيسة القبطية، حيث اصبح هناك كرسى بابوى اثيوبى مساو فى قدمه لنظيره المصرى.

ثم زار الامبراطور فى عامة هذا روسيا ويوغسلافيا وبلجيكا وفرنسا وألمانيا الغربية والبرتقال ليدعم أسباب النصرة الخارجية لمواجهة أية تتطورات قد تأتى فى اعقاب استقلال الصومال، وفى ٢٥ اغسطس دعا الامبراطور هيلاسلاسى فى خطبة له فى قرية كايردارى فى الأوجادين لوحدة الصومال فى إطار اثيوبيا.[(٤)]

فى هذا الجو المشحون بالتوترات الأمنية والسياسية لم تزدهر سياسات تعليمية أو ثقافية طيلة الخمسينات إذ طغت الضرورات السياسية والأمنية على الخيارات الثقافية وظل التعليم قاصرا على الإرساليات، حيث كانت توجد فى هرر مدرسة إرسالية سويدية وسعتها ثلثمائة طالب بالإضافة الى مدرسة هرر الثانوية الحكومية والتى قامت على اللغة الانجليزية واللغة

١/ I vison Macadam, op. cit the Annuai Register of world EVents 1957 p. 301
٢/ Spencer: Op. cit Ethiopia at Bay p. 310
٣/: دكر اسبنسر فى المصدر السابق ـ ص ١٢٧ ـ انه فى كل الفترة التى عمل خلالها مستشارا للامبراطور ٢٨ عاما، شاهد مسئولا مسلما واحدا. وكان بدرجة نائب وزير فى مقابل ٤ وزراء اثيوبيين كاثوليك رغم ضالة عدد الكاثوليك فى اثيوبيا ووزير اثيوبى بروتستانتى ينص دستور ٤ نوفمبر ١٩٥٥ على ان الكنيسة القبطية هى كنيسة الدولة وتنال دعم الدولة وأن الامبراطور مختار من قبل الله وأن المذهب الارثذوكسى هو عقيدة العائلة المالكة.
٤/ المصدر السابق ص ٣١٠.

الأمهرية ولم يتجاوز طلابها المئة، جلس منهم لامتحان الشهادة الثانوية الاثيوبية عام ١٩٥٥ عشرون طالبا فقط وكان جل معلميها من الأمهرة بالإضافة الى مدرسين انجليزيين.[١] وكذلك وجدت مدرسة تدريب معلمين على أساس اللغة الأمهرية والانجليزية وكان مديرها امريكيا.

كما واصلت القنصلية الانجليزية فى هرر القيام بدور ثقافى محدود، تمثل فى العروض السينمائية التى كان معظمها يدور حول:

١ـ زيارات الملكة اليزابيث والأسرة المالكة (لعدن وغيرها).

٢ـ زيارات الامبراطور هيلاسلاسى الخارجية (مالطا، بريطانيا .. الخ).

٣ـ افلام شارلى شابلى.

٤ـ افلام عن الأمم المتحدة.

كما توسعت ارسالية السودان الداخلية Sudan Interior Mission فى نشاطها التعليمى حيث افادت بذلك التقارير الواردة من هرر.[٢]

اشارت تقارير القنصلية البريطانية فى هرر فى هذه الفترة الى زيادة انتشار الخمور وسط عرب هرر علما بان الخمور لم تك معروفة من قبل وسط الصوماليين وعلى الأخص مسلمى هرر. وقد جاء فى التقرير (ومع الازدياد المستمر لمسلمى هرر فى تعاطى الكحول إلا أنه لا يبدو ان الحكومة تنوى عدم تشجيع ذلك).[٣]

شجعت الحكومة المزارعين للتوسع فى زراعة القات اخذت تعد الوسائل لاحتكار تسويق القات وذلك لاغراق المنطقة الإسلامية والمناطق المجاورة لها كعدن[٤] ومحمية الصومال وجيبوتى ـ كما اشارت تقارير قنصل هرر الى توسع العناصر الاثيوبية فى إقامة علاقات بالنساء الصوماليات مما وسع دائرة الصراع حتى ان الجنود الاثيوبين المنحدرين من اصل صومالى قاموا باغتيال اخ حاكم داجهابور الأمهرى نتيجة لتورطه فى هذا النشاط.[٥]

ويمكن تلخص السمات العامة لسياسات الإدارة الاثيوبة فى هذه الفترة فى لآتى:

١ـ حرص الامبراطور على متابعة ما يجرى فى هرر والأوجادين بنفسه، حيث كان يقضى إجازته السنوبة هناك بصفة مستديمة كما نصب إبنه حاكما على هرر حتى وفاته فى ٢ مايو ١٩٥٥.

٢ـ اتبع الامبراطور سياسية التقرب والتوسل بالحسنى لشيوخ الاوجاين كما لجأ لتأديب العاصين بالاعتقال والطرد.

١/ انظر وثيقة بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٥٥. Fo113576, 103964

٢/ المصدر السابق.

٣/ المصدر السابق.

٤/ انظر وثيقة بتاريخ ١ يونيو ١٩٥٥. Fc 371, 113576, 103464

٥/ انظر وثيقة بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٥٥. Fo 371, 113576, 103464

٣- احداث إنفراج سياسى باقامة مؤسسات سياسية ودستورية (الدستور، اقامة مجلس للنواب والشيوخ) وقد ضم البرلمان الاثيوبى فى عام ١٩٦٠ (عام استقلال الصومال) ستة نواب صوماليين.

٤- إقامة المستوطنان الزراعية والرعوية وتهجير نصارى الهضبة لها ليقوموا بعمارتها.

٥ - طرد القبائل الرعوية المشتركة إلى داخل الحدود الصومالية من ارتياد المرعى، بابطال حق المرعى الوارد فى اتفاقية ١٩٥٥ الانجليزية - الاثيوبية وابطال الجنسية المزدوجه.

٦- تشجيع الارساليات الكنسية على ارتياد مناطق هرر والأوجادين وبناء الكنائس والمدارس.

٧ - اقامة مؤسسات تعليمية حكومية محدودة على اساس اللغة الأمهرية والانجليزية والفرنسية وذلك لتخريج صفوة صومالية مستلبة ثقافيا ولغوياً ومغايرة فى بنائها وطرائف تفكيرها للصفوة التقليدية الصومالية (شيوخ القبائل والزعامات الدينية). وتعتبر هذه الصفوة أهم استثمار لاثيوبيا الحديثة فى مناطق القسم الإسلامى حتى انه فى احد اجتماعات لجان الحدود، اعتقد الصوماليون انهم اعدوا مفاجأ للوفد الاثيوبى لأنهم - أى الصوماليين - جعلوا على رأس وفدهم احد ابناء السيد/ محمد عبدالله الحسن فإذا بالوفد الاثيوبى كذلك يرأسه أحد أبناء السيد/ محمد عبدالله الحسن الذين يعيشون فى مناطق القسم الإسلامى.

٨ - اتباع سياسة فرق تسد، بافتعال المشاكل بين العفر والعيسى وبين الجالا والإدريين وبين مختلف فروع القبائل الصومالية حتى لا تتوحد شعوب القسم الإسلام وحتى تتلهى بمشاكلها وانقساماتها عن مجابهة الإدارة الاثيوبية.

٩ - اغراق الشباب فى النشاط الترفيهى وتشجيع الدعارة وتسويق القات والكحول.

١٠ - ضرب سياج من العزلة عل مناطق القسم الإسلامى وابعادها عن المؤثرات المنطلقة من مصر والسودان والخليج بالطرق الدبلوماسية والسياسات الثقافية.

١١ - الظهور بمظهر المشروعية التى تقوم على الشكلية القانونية، وقد وضعت الاتفاقية الانجليزية - الاثيوبة ٢٩ نوفمبر ١٩٥٤، كل مظاهر المشروعية فى يد الامبراطور هيلاسلاسى، لان الامتيازات الممنوحة للقبائل الصومالية فى المرعى بالهود والأوجادين تنتهى تلقائيا بانسحاب الانجليز كما حدث فى عام ١٩٦٠ ويصبح الفيصل فى الصراع (حسب القانون الدولى) اتفاقية ١٨٩٧ بين انجلترا واثيوبيا وهى الاتفاقية التى تنازلت فيها بريطانيا عن كل المنطقة الإسلامية الشرقية لاثيوبيا.

التطور الثقافى والسياسى فى الصوماليين الايطالى والانجليزى (١٩٤١-١٩٦٠):

قيام الحركة السياسة على أساس الهوية الوطنية العلمانية:

فى اغسطس ١٩٤٠ استولى الايطاليون على الصومال البريطانى ولكن ما لبث اتجاه الحرب ان تغير، حيث استطاع الانجليز طرد الايطاليين من كل مناطق شمال شرق إفريقيا

فى إطار حملة استعادة اثيوبيا حيث اصبحوا سادة للصومال فى مارس ١٩٤١ .
قامت الإدارة الانجليزية فى شمال الصومال بنقل العاصمة من بربرا الى هرجيسا فى عام ١٩٤٢ وكان مرد ذلك جزئيا الى :
١ ـ ان الحرب دمرت بربرا جزئيا .
٢ ـ استيلاء الانجليز على الصومال الجنوبى ، اعطاهم مداخل بحرية متعددة (كسمايو، مقديشو، مركة) مما قلل من أهمية بربرا .
٣ ـ يسهل من هرجيسا ، التحكم فى الدواخل كهود والأوجادين ومناطق خط السكة حديد بين جيبوتى ـ اديس .
اما فى الصومال الجنوبى ، فقد ابتدرت الإدارة الانجليزية الجديدة عملها بحل جهاز الشرطة الذى أسسه الايطاليون عام ١٩١١م وانشأت جهازا جديدا للشرطة ، استوعبت فيه ثلاثة آلاف وسبعين صوماليا تحت قيادة مائة وعشرين ضابطا بريطانيا .[١]

ظهور الأحزاب السياسية :

فى ظل الإدارة الانجليزية ، انفتحت الجماعات الصومالية وكذلك الجالية الايطالية على الحياة السياسية وكانت الجالية الايطالية الكبيرة مهتمة بمستقبل الصومال لأنه جزء من مستقبلها ، وكان تعداد الجالية الايطالية خمسة آلاف شخص وكانوا يسيطرون على أهم منافذ الحياة ومواقع القوة والمال . ولما كان كثير من الشباب الصومالى يسعى للاحتكاك بافراد الجالية الايطالية ، فقد استثمر الايطاليون صلاتهم وما لهم لاستقطاب الشباب الصومالى فى اتجاه افكار الديمقراطيين المسيحيين .[٢] وقد اثمرت جهودهم فى قيام :ـ

أ/ حزب المؤتمر الصومالى The Somalia Conference وكان يرأسه طابع آلة كاتبة[٣] كان يعمل أصلا مع قاضى ايطالى ، وكان برنامج الحزب يتكون من ثلاث وعشرين نقطة أهمها : انهاء الانتداب البريطانى واستبداله بوصاية ايطالية مرحلية لمدة ٣٠ عاما ، حكم ذاتى ، تعليم علمانى على النمط الايطالى مطعم بدراسات اسلامية للصوماليين حرية المنظمات والصحافة والفكر ولعل علمانية هذا الحزب وبعده عن تمثل ثقافة الصومال التاريخية واضحة هذا ولم يفز هذا الحب بشعبية تمكنه من دخول الجمعية الوطنية أو الاسهام بنصيب فى الحياة .

ب/ نادى الشباب الصومالى : Somali Youth Club تكون فى ١٣ مايو ١٩٤٣ على غرار ناد الخريجين السودانى وقد سمحت الإدارة الانجليزية بقيامه لموازنة حزب المؤتمر الايطالى وتكونت إدارة النادى من ثلاثة عشر شخصا ، تحت رئاسة الفقيه الدينى عبدالقادر شيخ ادريس من اهل مقديشو وكان أبرز أعضائه السيد/ يسن

١/ lewis: op. cit A modern History of Somalia p.117
٢/هو الحزب الذى قام على اطروحات مناهضة للحزب الفاشى الذى كان يتزعمه موسلينى .
٣/ اسم رئيس الحزب المؤتمر اصلاحوماهلى Islau mahle

حاج عثمان شارماركى والحاج محمد حسين[1] ومن هذا الناد خرج حزب وحدة الشباب الصومالى.

ج/ حزب وحدة الشباب الصومالى:

نجح حزب وحدة الشباب فى استقطاب الشباب وعلى الأخص أبناء الزعماء والشيوخ وكذلك كسب ولاء العساكر والجنود وموظفى الدولة وطغت على الحزب مشاعر العداء للايطاليين، وقد بلغ عدد الأعضاء المسجلين فى الحزب خمسة وعشرين ألف شخص حسب احصاء عام ١٩٤٦ أصبح للحزب فى عام ١٩٤٧ فروع وواجهات فى الأوجادين والهود والصومال البريطانى وشمال كينيا وان راج الانتماء للحزب بين شباب الدارود. برنامج الحزب على نقاط اربع هى:[2]

١ ـ توحيد جميع الصوماليين وعلى الأخص عنصر الشباب والقضاء على الموانع التى تعيق ذلك بالطرق القانونية الدستورية.

٢ ـ نشر التعليم الحديث واللغة العربية عن طريق فتح المدارس.

٤ ـ محاربة كتابة اللغة الصومالية بحروف أجنبية مع العمل لتطوير وترقية اوضاع اللغة الصومالية والعمل على كتابتها بحروف صومالية.[3]

تمويل حزب وحدة الشباب الصومالى:

يمول الحزب نشاطه من تبرعات الأعضاء، حيث يدفع العضو الملتزم ١٠٪ من دخله الشهرى لصندوق الرابطة ويقوم الصندوق بتمويل المناشط السياسية والثقافية والتعليمية للحزب.

بناء حزب وحدة الشباب الصومالى:

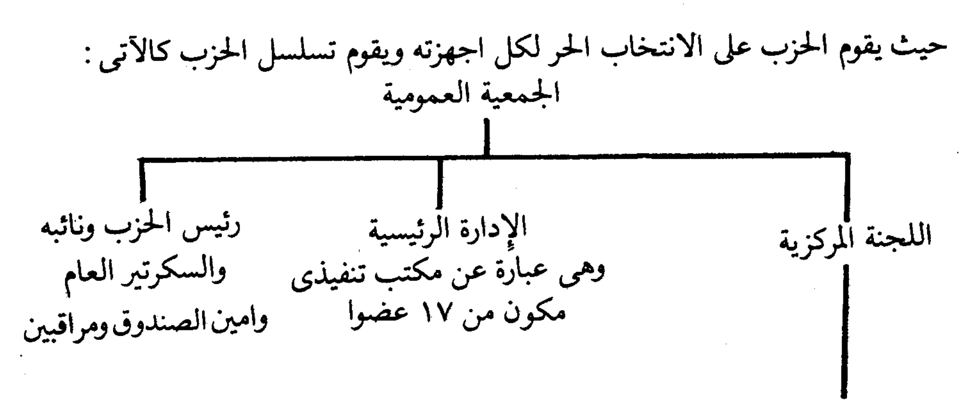
كان بناء الحزب مشابها لبناء الاحزاب السياسية فى العالم الغربى مع تعديلات طفيفة

١/ حاجى محمد حسين، والذى اصبح من اشهر السياسيين الصوماليين الداعين لعروبة الصومال، ولد فى مقديشو عام ١٩١٣ من اسرة تاجر مقديشى فقير ودرس فى المدارس القرآنية وتشبع منذ صغره بكراهة الايطاليين حيث شارك فى حركة المقاومة ضد الاستعمار الايطالى فى فترة ما قبل ١٩٤١. شارك فى مؤتمر باكستان الإسلامى عام ١٩٥١، وسافر لمصر عام ١٩٥٣، حيث التحق بالأزهر الشريف، وفى القاهرة واصل عمله السياسى من خلال اذاعة صوت العرب، حيث نشط فى اذاعة خطابات ملتهبة موجهة للصوماليين يدعوهم فيها للثورة على الانجليز والطليان والفرنسيين وحينما عاد من مصر فى النصف الثانى من الخمسينات، انتخب كرئيس لحزب وحدة الشباب الصومالى حيث أخذ يردد شعار لا شجرة بدون ماء ولا حرية بدون دماء كدعوة للثورة على الايطاليين ولكن استطاع تيار ايطاليا عزله عن قيادة الحزب، مما دعاه لتأسيس حزب رابطة الصومال الكبير ولكن لم يسجل هذا الحزب نجاحا يذكر واعتقل حاجى محمد عام ١٩٥٩ ولم يطلق سراحه الا بعد استقلال الصومال انظر. Segal, op. cit African profiles p. 156 – 54

٢/ انظر مقدمة دستور حزب وحدة الشباب الصومالى وكذلك lewis, op. cit A modern History of Somalia p 120

٣/ أحاط الغموض منذ البداية قضية (كتابتها بحروف صومالية اذ لم تك توجد للصومال فى التاريخ طريقة للكتابة وانما استخدمت الحرف العربى ولعل المقصود من ذلك الأبجدية العثمانية وهى ابجدية اخترعها صومالى يدعى عثمان يوسف كنديد فى عام ١٩٢٠) انظر باب الوثائق والملاحق حيث تجد صورة لحروف الأبجدية العثمانية.

حيث يقوم الحزب على الانتخاب الحر لكل اجهزته ويقوم تسلسل الحزب كالآتى :



اللجان الإستئنافية
لجنة الشيوخ الإستشارية

تقويم اطروحات حزب وحدة الشباب الصومالى :

مع ان ادبيات حزب وحدة الشباب استخدمت الكثيرمن العبارات حول (تعزيز وضع الشرعية الإسلامية واللغة العربية، الا ان ذلك جاء جزئيا لارضاء الزعامات الدينية التى باركت وأيدت الحزب لكن النظرة الفاحصة للاتجاهات العملية التى سلكها الحزب ولعقلية قيادته المثقفه تكشف ان حزب وحدة الشباب لم يك امتدادا لحركات الصوماليين التاريخية بصيغتها الإسلامية، كحركة الإمام أحمد إبراهيم الجرات او السيد/ محمد عبدالله الحسن، بل نجد ان حيوية الحزب كمنت فى كونه حزباً قوياً علمانيا ضاربا على وتر العقلانية الاستعمارية، بل ان قيادات حركة حزب وحدة الشباب تنتمى للشرائح التى ناهضت جزئيا جهاد الإمام محمد عبدالله الحسن وقبلت بالتعاون مع الاستعمار. ولقد انعكس هذا فى سلوك الحزب السياسى، حيث قبل بالاستعمار باعتباره أمراً واقعا وتبنى فى اطروحاته أسلوب التعامل والحوار والإفادة من قدرات المستعمرين ولم تك فكرة الجهاد أو المقاومة كامنة فى فكر قادة الحزب، بل ان قيادة الحزب كانت موزعة بين الدعوة للوصاية الايطالية والانجليزية، بل ان التيار الذى غلب على الحزب وهو التيار الرافض لعروبة الصومال وهو التيار الذى صفى تيار حاجى محمد حسين الداعى لقيام الصومال الكبير على رابطة العروبة والدين.

١ـ التأثر بالحركات السياسية الغربية كالفاشية كان واضحا حتى فى زيهم، اذ اتخذوا البنطلون الابيض وقميصاً ابيض تتدلى منه علامة مميزة من الكتف فى شبه ضلع منحرف مكتوب عليه S.Y.L وهذا تقليد لحركة الشباب الفاشى أصحاب القمصان الزرقاء.

٢ـ رفعت حركة حزب وحدة الشباب الصومالى شعار وحدة الصومال الكبير على أساس وحدة العرق الصومالى المرتكزة على فكرة القومية العلمانية وحركة القومية أو (القوميات) ظاهرة اوربية، اجتاحت أوربا فى القرن التاسع عشر كضرورة لتصفة الامبراطوريات التى بنيت على الغزو العسكرى والسيادة العنصرية الفكر الهلينى الرومانى والمهجن بالثقافة الكنسية المسيحية ثم نقل المستعمرون الأيدلوجية القومية لتصفية الامبراطوريات التى أقاموها فى آسيا وإفريقيا بعده أن نجحوا فى تصفية الخلافة الإسلامية (رجل أوربا المريض) الدولة التركية وقد ارتبطت كذلك إلى حد كبير فكرة القومية بمنهج التحليل الماركسى.

٣ـ تبنت حركة وحدة حزب الشباب الأبجدية العثمانية وهى أبجدية أشبه باللاتينية وتكتب من الشمال لليمين، وكتب بها الحزب بعض وثائقه وكانت هذه بمثابة أول خطوة فى مسار علمنة اللغة وفصلها عن الثقافة الإسلامية المكتوبة بالحرف العربى.

٣ـ كان أهم اسهامات حركة حزب وحدة الشباب الصومالى ايقاظه لمشاعر الوحدة بين مختلف مكونات الأمة الصومالية على امتداد وجود الصوماليين فى هرر والأوجادين وشمال كينيا وجيبوتى وما تزال امانى الوحدة واشواق الجامعة الصومالية تتغذى من النواة التى بذرتها حركة وحدة الشباب الصومالى هذه النوى التى اصبحت فى المستقبل حركات ثورية (كحركة نصر الله أو جبهة تحرير الصومال العربى. . اوجبهة تحرير ساحل الصومال، كما انتهت بعض هذه النوى الى حركات قطرية إكتفت بمحاولات حضارية لحماية الثقافة الإسلامية بفتح المدارس الإسلامية كما حدث فى شمال كينا وهرر وجيبوتى.

٥ـ نجح حزب وحدة الشباب فى عام ١٩٥٨ فى اصدار جريدة الأسبوعية التى كانت توزع ثلاثة آلاف نسخة أسبوعيا وكانت تكتب باللغة العربية، حيث نهض على تحريرها نفرمؤمن بعروبة وإسلامية الصومال وقد أظهرت الصحيفة وعيا بقضايا العالم الإسلامى وركزت على نشر أوضاع الصوماليين فى أراضيهم المحتلة وكذلك اهتمت باخبار العالم العربى وعلى الأخص السودان وعموما الجريدة متقدمة فى إخراجها وموضوعاتها.

حزب الدستور الصومالى المستقل:
أو حزب الديجل ـ والميرفلى

قام هذا الحزب أصلا على كيان قبلى، لتمثيل مجموعة الساب او قبائل الديجل والميرفلى،[1] برئاسة الشيخ عبدالله شيخ محمد ولكن حينما أصدرت حكومة الاستقلال قانونا

١/ كان تعدد قبائل الساب وقتئذ فى حدود ستمائة الف فى مناطق شبلى وجوبا ويمثلون ما بين ١٥/ ٢٠٪ من سكان الصومال.

يمنع الأحزاب من اتخاذ تسميات قبلية أصبح اسمهم (حزب الدستور المستقل) ولكن ينفوا عن أنفسهم صفة القبلية، سعوا لتطعيم الحزب ببعض العرب والعناصر الزنجية ويظهر تأثر الحزب بالفكر الغربى من اتخاده اسم الدستور فى وقت كان فيه القليل من الصوماليين يعرف ماذا تعنى كلمة دستور أصلا؟

نشأ الحزب فى أكناف الإدارة البريطانية ولكنه كان مدعوما من الايطاليين، ولكن حينما جاءت لجنة (القوى الأربع) اقترح الحزب وصاية من قبل الدول الأربع تمتد لثلاثين عاما على الصومال.

تبنى الحزب اهدافا قومية، أهمها اقتراح اللامركزية الإقليمية اساسا للدستور وتقليص صلاحيات رئيس الجمهورية، التقى حزب الدستور مع حزب وحدة الشباب فى قضايا الجامعة الصومالية والحياد الايجابى وظل الحزب يحقق وجودا محدودا باستمرار فى الجمعية الوطنية الصومالية.[1]

الحزب الاتحادى الوطنى

وهو حزب صغير كان يرأسه الشيخ صالح شيخ عمر وجاءت معظم عضويته من قبيلة ايجال وكان يدعى أنه يمثل ٨٠ ألف شخص ولكن جاءت الانتخابات وكذبت ذلك وقد طغى اسلوب الجمعية الثقافية الخيرية على الحزب، حيث كان يدير اربع مدارس ولم يعرف للحزب برنامج وان عرف انه مدعوم من قبل الانجليز لموازنة نفوذ الأحزاب الموالية لايطاليا.

الأحزاب السياسية فى الصومال الشمالى: (المحمية البريطانية)

ازدهرت الحياة السياسية فى الصومال الشمالى فى فترة متقدمة نسبيا على صنوه الصومال الجنوبى، للتسامح السياسى النسبى الذى تمتعت به الإدارة البريطانية مقارنة بالإدارة الايطالية. ظهرت إرهاصات النهضة السياسية على يد الحاج فرح عمر، الذى بدأ نشاطه السياسى فى عدن، حث أسس (رابطة الصومال الإسلامية) فى بداية الثلاثينات وركزت الرابطة فى دعايتها على الجامعة الصومالية وتزامن ذلك مع قيام عدد من التجار والحرفيين بانشاء اندية ثقافة واجتماية وسياسية فى بربرا وبرعو وهرجيس ف عام ١٩٣٥ ومن هذه الحركات نشأت اهم جمعيات الصومال الشمالى فى عام ١٩٣٥ وهى (الجمعية الوطنية الصومالية) والتى أسسها صحفي صومالى يدعى محمد جامع اوردح وكان مهتما بالسياسة وقاد فى مبادرة فردية وفدا صوماليا إلى لندن عام ١٩٤٦ مطالبا باستقلال المحمية، ومن هذه الجمعية ذات الأهداف الاجتماعية والسياسية، تبلور أهم أحزاب محمية الصومال حزب (الرابطة الوطنية الصومالية) فى عام ١٩٥١.

١/ انظر Pankhurst, op. Ex – Italian Somaliland 240-237

الرابطة الوطنية الصومالية: Somaliland National League

نصت اهداف هذا الحزب على:

١ ـ تشجيع التعليم الحديث والتقدم.

٢ ـ توحيد الشعب الصومالى وتوحيد أراضيه فى إطار الإسلام.

٣ ـ القضاء على القبلية.[١]

طغى على الحزب الاسحاقيون والذين يعتزون باصولهم العربية ويمثلون أهم قبائل الأقاليم الشمالية وقد ظل محمد إبراهيم ابجال[٢] رئيساً للحزب منذ تأسيسه، وكان حزب الرابطة أكثر الأحزاب الصومالية حرصاً على قضية التأصيل الإسلامى والتوجه الإسلامى كما سعى الحزب لتأسيس علاقات مع مصر ولعل تطورات الحياة السياسية فى مصر. دفعت الإدارة البريطانية لاعطاء الصوماليين مكاسب سياسية أكبر، وقد تجلى ذلك فى خطوط السياسة العامة تجاه الصومال الشمالى والتى أعلنها الورد لويد Lord Lloyd فى ٢٩ مايو ١٩٥٦ والتى كانت اهم مرتكزاتها:

١ ـ اعداد الصومالين للحكم.

٢ ـ توفير مائتى منحة دراسية فيها وراء البحار للصوماليين فى فترة ٥٦-١٩٦٠.

٣ ـ متابعة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع مراعاة رأى الصوماليين فى الاتحاد مع صومال الوصاية.[٣]

كما ان اهتمام الثورة المصرية بالصومال، ابان تأجج حركة المد القومى المصرى، فى فترة ما بعد تأميم قناة السويس جعل الاعوام ٥٨-١٩٥٩ من اهم اعوام فى تاريخ الصومال. اذ تطور المجلس الاستشارى الذى تم تأسيسه فى يناير ١٩٤٧ برئاسة المعتمد الانجليزى للشئون المحلية الى جمعية تشريعية فى مايو ١٩٥٧ من ١٤ عضوا يعينهم حاكم الصومال البريطانى وفى عام ١٩٥٨ أصبحت الجمعية التشريعية تضم ٦ نواب صوماليين[٤] معينين وفى عام ١٩٥٩ وفى جو مشحون بالدعاية للجامعة الصومالية والاستقلال من اذاعة صوت العرب اعلنت الادارة البريطانية عن قيام انتخابات حرة لاول مرة فى تاريخ الصومال لاختيار

١/ Colonial office Report, the somaliland protecotorate for the years 1949. p.34 lewis, op. cit A modern History of somalia p.34

٢/ محمد حاجى إبراهيم إيجال، ولد فى بربرا وتلقى تعليمه فى المدارس القرآنية ثم المدارس الحديثة وأصبح رئيسا الحزب الرابطة الوطنية منذ تكوينه فى عام ١٩٥١ ثم ذهب فى دورة تعليمية. لبريطانية فى الفترة مابين ١٩٥٨ - ١٩٦٠ واصبح بعد عودته عضوا فى الجمعية التشريعية الصومالية فى فبراير ١٩٦٠ ثم عضوا فى مجلس الوزراء المحمية وختم حياته كرئيس لوزراء الصومال فترة مابعد الاستقلال بين عامى ١٩٦٧ - ١٩٦٩.

٣/ I.m.Lewis, A Pastoral democracy, pastoralism and politics Among the Northern somalil of the Horn of Africa, (o.u.p. 1967) p.280

٤/ Somaliland 1958 and 1959, His majesty stationary office, 1960 p. 7 6

اعضاء الجمعية التشريعية،[1] حيث تم تخصيص ١٣ مقعدا للتنافس الحر ويقوم الحاكم بتكملة العدد بالتعيين الى ثلاثين من كبار موظفى الإدارة البريطانية. وينبثق من الجمعية التشريعية مجلس تنفيذى مكون من الحاكم ونائبه والسكرتير المالى والسكرتير القضائى وعضوين آخرين ولكن رفض حزب الرابطة الوطنية المشاركة فى الانتخابات، لرفضه مبدأ التعيين لذا لم يسجل فى كشوفات الناخبين سوى ٢٫٥٠٨ ناخب وفاز بالدوائر احزاب وحدة الشباب الصومالى وهو فرع للحزب الاصل بمقديشو والجبهة الوطنية المتحدة (N.U.F.) مما دعا الحاكم لتكوين لجنة لتقصى الحقائق واوصت اللجنة باجراء انتخابات جديدة وقيام مجلس تشريعى جديد من ٣٦ عضوا. ينتخب منهم ٣٣ عضوا، وينبثق منه مجلس تنفيذى من ٧ أعضاء أربعة منهم منتخبين.

شارك حزب الرابطة الوطنية فى الانتخابات، مما أدى إلى رفع نسبة المشاركة، حيث تسجل ٣٧٫٥٤٠ ناخبا، وفاز كما هو متوقع حزب الرابطة حيث نال عشرين مقعدا وأصبح محمد إبراهيم ايجال زعيما للأغلبية فى المجلس ثم رئيسا للوزراء لعدة أسابيع قبل إعلان الوحدة مع صومال الوصاية.

حزب الجبهة المتحدة National Union Front N.U.F.

تأسس عام ١٩٥٤، تحت رئاسة شيخ عبدالرحمن كيريه أحد الشيوخ الإسلاميين وكان يحظى بتأييد قبائل هبرتو وجاعكو وقسم من الاسحاقيين، شارك الحزب فى انتخابات عام ١٩٥٩ ونال سبعة مقاعد من أصل ثلاثة عشر مقعداً نظرا لمقاطعة حزب الرابطة الوطنية ولكن حينما جرت انتخابات ١٩٦٠ تقلص نصيبه إلى مقعد واحد.

اتخذت الجبهة الوطنية موقعا وسطا بين الرابطة الوطنية وحزب وحدة الشباب وكان أهم سمات برنامجه.

١ ــ وحدة الأراضى الصومالية.

٢ ــ استرجاع الأوجادين والهود.

٣ ــ وقد تمزق حزب الجبهة الوطنية، اثرا لفشله فى إحراز إى تقدم فى القضية المحورية التى نهض لها وهى استرجاع الهود والأوجادين وانفضت جماهيره عنه وكسبها حزب الصومال المتحد.

حزب الصومال المتحد: United Somali Party

جاءت عضوية هذا الحزب أساسا من الدور والداورد، وتكون فى ظروف الاستقلال وكان برنامجه مشابها لبرنامج حزب الرابطة الوطنيه ونال إثنى عشر مقعد فى انتخابات الجمعية

١/ التطور السياسى والتشريعى فى الصومال البريطانى متشابه الى حد كبير بما حدث فى السودان وتكاد التجربة الصومالية أن تكون منقولة عن التجربة التشريعية التى أقامها الاستعمار الانجليزى فى السودان والتى. بدأت بالمجلس الاستشارى ثم الجمعية التشريعية، فبرلمان الحكم الذاتى ثم الاستقلال.

التشريعية في فبراير ١٩٦٠ وبذا أصبح الحزب الثالث على مستوى جمهورية الصومال بعد حزب وحدة الشباب وحزب الرابطة الوطنية. وقد شارك الحزب فى حكومة محمد إبراهيم ايجال الأولى، حيث تحالف مع حزب الرابطة الوطنية وقد سهل هذا التحالف الذى حصل على ٣٢ مقعدا من اصل ٣٦ مقعدا من مقاعد الجمعية التشريعية، إدماج الصومال البريطانى مع الصومال الايطالى فى يوليو ١٩٦٠ حيث ولد الصومال الجديد (جمهورية الصومال).

حزب وحدة الشباب الصومالى:

يعتبر امتدادا لحزب وحدة الشباب بصومال الوصاية وتتركز جماهيره فى المدن. ولكنه لم ينجح تماما فى تجاوز الأحزاب التى قامت على اساس قبلى، حيث نال فى انتخابات عام ١٩٥٩ مقعداً واحداً على الرغم من مقاطعة حزب الرابطة الوطنية لها. وكذلك كان نصيبه فى انتخابات عام ١٩٦٠ مقعدا واحدا ولكن برغم صغر حجمه الانتخابى إلا أنه ساهم فى تشكيل حركة الرأى العام فى محمية الصومال فى اتجاه الوحدة.

تقويم عام للحركة السياسية واحزابها:

لعل تعدد الحركات السياسية، تعبير عن نجاح الإدارة الاستعمارية فى خلق حركة سياسية جديدة تقوم على اسس مغايرة للروح التى ولدت جهاد الامام أحمد إبراهيم الجران والإمام محمد عبدالله الحسن. اذ استبدلت هذه الحركات الجهاد بالقبول بالاستعمار حيث كانت بعض الأحزاب تطالب باستمرار الوصاية بالمدن ثلاثين عاما وفى احسن حالاتها لجأت لأسلوب المفاوضات واستبدلت الشريعة بالبرامج العلمانية فى التعليم والسياسية والاقتصاد، وحتى أسماء هذه الأحزاب لم تكن مفهومة عند الصوماليين (دستور، وطنيه، قومية. جبهة) اذ الورقة الرابحة عند الصومالى كانت كلمة (قبلية ورابطة دينية ولعل على هذا يصدق تحليل ترمنجهام الذى قال (ما ان تظهرالأحزاب السياسية، حتى تتم علمنة البرامج السياسية.[1]

تطور الأوضاع السياسية فى الصومال (١٩٤٣-١٩٦٩):

رأينا ان الحركات السياسية التى نشأت فى الصومالين كانت وليدة التناقض الدولى بوجه عام والتناقض الانجليزى ـ الايطالى بصفة خاصة وكانت سياسات القوى الاستعمارية فى الصومال ما قبل عام ١٩٤١ تقوم على:

١ـ الانهاك الشديد فى وضع أسس استراتيجية (الاستيلاء عى مرتفعات اثيوبيا كما هو حال ايطاليا والمحافظة على طريق الهند (فرنسا بريطانيا).

٢ـ الاستيلاء على الأراضى الزراعية (استيلاء الايطاليين على اخصب الأراضى للموز والسكر).

---

١ / Trimingham: op. cit the Influence of Islam upon Africa p.116

٣ـ استراتيجية تقسيم الأراضى واتخاذها مناطق نفوذ والتنقيب عن النفط.[١]

٤ـ خلق طبقة صغيرة صفوية ملحقة بالإدارة الاستعمارية.

ولكن نتائج الحرب العالمية الثانية وماتبعها من تناقض دولى وما صاحبها من شعارات (تقرير المصير، وحقوق الشعوب المقهورة)، ادت لتبدل التوجهات الاستعمارية فحيث اضطرت لتحقيق ظروف انفراج ومكاسب للشعوب المستعمرة برز فى قيام الأحزاب السياسية التى طالبت بتصفية الاستعمار وتوحيد الصومال.

كانت الفترة ١٩٤٣-١٩٥٠ فترة انتقالية فى عمر الصومال اذ كان تحديد وضع صومال الوصاية من صلاحيات الأمم المتحدة، لذا فقد اقترح ارنست بيفن وزير خارجية بريطانيا على الأمم المتحدة فى منتصف عام ١٩٤٦ ان تتواصل حدود الصومال الموروثة من التقسيم الاستعمارى الايطالى والانجليزى، ولكن رفضت اثيوبيا ذلك، كما كانت فرنسا حائرة، إذ أنها مع الصومال الكبير، إذا كان ذلك يؤدى إلى وصاية فرنسية على كل الصومال وإلا فإنها تفضل استمرار الوضع الحالى ومواصلة سيادتها على (ساحل الصومال الفرنسى).[٢]

اما بريطانيا فقد توسعت فى الدعوة للصومال الكبير لانها عمليا كانت تحكم كل مناطق الصومال الكبير باستثناء ساحل الصومال الفرنسى. أما ايطاليا فقد كانت تنظر لحقوقها التاريخية الطويلة فى الصومال وارتيريا ومما يقوى هذه الحقوق وجود جالية ايطالية لا تقل عن ثلاثين ألف شخص.

كونت الأمم المتحدة لجنة دولية للنظر فى أمر إرتيريا وليبيا والصومال الايطالى السابق ووصلت اللجنة الى مقديشو فى ٦ يناير ١٩٤٨، وفى ١١ يناير ١٩٤٨ وفى اثناء مباشرة اللجنة لأعمالها اندلعت مظاهرات ضخمة، حركتها أساسا الجالية الايطالية وحزب المؤتمر الصومالى ومات فيها ٥١ ايطاليا و ١٥ صوماليا بالإضافة إلى اعداد كبيرة من الجرحى،[٣] كما قام شباب حزب وحدة الشاب الصومالى باشعال الحرائق فى الحانات التى يمتلكها اساسا الايطاليون، وهدفت المظاهرات التى حركها الايطاليون لاعطاء اللجنة الشعوربان الصوماليين يريدون الوصاية الايطالية.

قابلت اللجنة معظم قادة الأحزاب والتنظيمات وكان اهم هؤلاء قادة حزب وحدة الشباب، اذ بلغت عضوية هذا الحزب ٩٣ ألف صومالى كما كان الحزب يمتلك ٧٩ فرعا خارج مقديشو.[٤]

قابلت الجنة رئيس حزب وحدة الشباب الحاج محمد حسين وصنوه السيد عبدالله

١/ محمد على توريرى: الحياد الايجابى وسياسة الصومال الخارجية مقديشو ١٩٧٠ ص ١٢، ١٣، ١٧.

Fö 371, 73848,103270. (٢)

٢/ Pankhurst. Op. Ex– Italian Somalilan d p. 175 – 172

٣/ المصدر السابق ص ١٧٦.

عيسى، حيث جاء في إفادة محمد حسنى (ان هدفهم الاستقلال وتوحيد التراب الصومالى تحت حكومة موحدة.[1]

وحينما عرضت قضية الصومال على الأمم المتحدة، كان من رأى فرنسا، بريطانيا، امريكا (وصاية الأمم المتحدة على الصومال الجنوبى تحت إدارة ايطاليا، بينما رأت روسيا ان يؤول أمر الصومال لسيطرة رباعية من الدول العظمى الأربع، وفى أثناء المداولات وصل الى مقر الأمم المتحدة بنيويورك سكرتير حزب الشباب الصومالى السيد عبدالرشيد شار ماركى[2] وفى صحبته السيد/ عبدالله عيسى[3] للمطالبة بلجنة وصاية رباعية على الصومال.

وفى ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ صدرت توصيات الأمم المتحدة بوصاية الأمم المتحدة على الصومال تحت إدارة ايطالية لمدة عشر سنوات وجاءت التوصيات كالاتى:

١ـ يصبح الصومال دولة مستقلة بعد عشر سنوات من إجازة اتفاقية الوصاية.

٢ـ الإدارة التنفيدية يمارسها إدارى تعينه السلطة الإدارية (ايطاليا).

٣ـ يعين المسئول الإدارى مجلسا خماسيا من قادة الأحزاب السياسية الأساسية أو المنظمات لمعاونته فى اداء مهامه، باستثناء الدفاع والشئون الخارجية التى تقع فى دائرة مسئوليته امام مجس الوصاية.

فى ١٢ ديسمبر ١٩٥٠، اجازت الأمم المتحدة اتفاقية الوصاية وانتقلت بذلك عملاً مسئولية الإدارة من الحاكم الانجليزى إلى إدارى ايطالى، وفى ٢٥ ابريل ١٩٥١، عينت الإدارة الايطالية ٦١ إداريا ايطاليا ليحلوا محل الإداريين الانجليز،[4] علق القنصل الانجليزى على الإدارة الايطالية قائلا (نقلت الادارة الايطالية، جهازها الإدارى بكل عيوبه للصومال، وكان من الحكمة ابتداع شىء جديد، يقوم على إدارة لها سلطات كافية، يديرها

١/ lewis, op. cit A modern History of somalia p. 130

٢/ السيد/عبد الرشيد شار ماركى، من اسرة شارماركى الصومالية المعروفة فى الصومال والتى حكمت زيلع وأقامت سلطنة اوبيه وتنتمى لقبيلة المجرتين. ولد فى مارديرا على بعد ٣٠ ميل شرق مقديشو، درس فى المدارس القرآنيه وجاء لمقديشو عام ١٩٣٢، حيث درس بها المرحلة الأولية ثم عمل فى جهاز الخدمة المدنية الايطالى ثم الانجليزى ثم ذهب الى جامعة روما حيث تخصص فى العلوم السياسية، اصبح عضو لجنة مركزية فى حزب وحدة الشباب عام ١٩٥٠، وانتخب كعضو فى الجمعية التشريعية عام ٥٩ ـ ٦٠، ثم أصبح رئيسا للوزراء عام ١٩٦٤، ثم رئيسا للجمهورية عام ٦٧ ـ ٦٩. اغتاله احد افراد حرسه فى مؤامرة غامضة جاء بعدها انقلاب الرئيس محمد سياد برى.

٣/ عبد الله عيسى، من قبيلة حاويا من منطقة افجوى. ولد عام ١٩٢٢ وترعرع فى مقديشو حيث درس فى مدارسها القرآنية ثم مدرستها الحكومية الايطالية، عمل كاتبا فى الإدارة الايطالية وفصلته الإدارة الانجليزية عام ١٩٤٢ حينما انتزعت الصومال عمل بعدها فى التجارة وانضم لحزب وحدة الشباب. حينما ذهب مع شار ماركى للامم المتحدة تخلف للالتحاق بدوره دراسيه كان متعلقا بالايطاليين واصبح اول رئيس وزراء للصومال الجنوبى عام ١٩٥٦ واول وزير خارجية لحكومة الوحدة والاستقلال، كى يجيد التحدث بالايطالية والانجليزية ومن دعاة كتابة الصومالية بالحرف اللاتينى.

٤/ انظر وثيقة بتاريخ ١٠ مايو ١٩٥١، Fo 371, 90328, 103464

عدد قليل من الخبراء، ولكن للاسف فقد تم اعداد الجهاز على اساس تصورات جاهزة، وحشرت الصومال بالقوة فى هذا الجهاز، وبذلك تجاهلت مدى ملائمة الجهاز لظروف الشعب الحضارية والسياسية. . الجهاز الجديد يقوم على المركزية، حتى تصريح السفر يحتاج لتوقيع مسئول عال، واية نثريات مهما كانت تافهة تحتاج لتصديق الرئيس.[١]

باشر المجلس الاستشارى للوصاية أعماله، ومثل فيه مصر ابتداء السيد/ محمد رجب ولكن سرعان ما حل محله السيد/ صلاح الدين بك الفاضل[٢] وفى هذه الفترة، كون وطبقا لقانون الوصاية (مجلس اقليمى من أهل البلاد لمساعدة الادارة فى الرقابة والتسيير والنصح وطبقا لسياسات فرق تسد الاستعمارية، فقد قام المجلس عل أساس التوازن القبلى والعرقى حيث تم تقسيم مقاعد المجلس كالاتى:

٢١	معقدا لتمثيل المؤسسات القبلية.
٧	مقاعد لتمثيل الأحزاب السياسية.
٢	مقعدان لتمثيل القطاع الاقتصادى.
٢	مقعدان للجالية العربية.
٢	مقعدان للجالية الايطالية.
١	مقعد للجالة الهندية ـ الباكستانية.
٥٣	المجموع

وتنبثق من المجلس الاقليمى لجنة متابعة مكونة من عشرة اعضاء منهم ٨ صوماليين وواحد ايطالى وممثل آخر للاقليات يقوم الحكام باختيار ممثلى القبائل فى المجلس الإقليمى من قائمة المرشحين التى ترفع اليه من مجالس مناطق القبائل ٤ مقاعد لمنطقة بنادر ٢ لمنطقة شبيلى السفلى، ٢ لجوبا السلفى، ٥ لجوبا العليا، ٥ لمدكه، ٣ امجرتين، وتقوم الاحزاب كذلك بتحديد عدد من المرشحين، ويقوم الحاكم باختيار ٣ لتمثيل حزب وحدة الشباب و ٤ لتمثيل حزب المؤتمر اما ممثلو الجاليات فيتم اختيارهم بالتشاور مع قيادتهم. وقد يلاحظ ان الحاكم الايطالى تخطى اختيار سلطان قبيلة امجرتين السلطان عمرمحمود.[٣]

يقوم الحاكم او من يمثله برئاسة جلسات المجلس الاقليمى. اعلن الحاكم قيام المجلس

١/ انظر مذكرة من القنصل البريطانى بمقديشو، بتاريخ ١٤ مارس ١٩٥١
FO 371, 90328, 103, 464

٢/ باشر صلاح الدين بك مهام عمله فى ١٩٥٣. وكان يشغل قبلها منصب مدير الشئون السياسية فى وزارة الخارجية المصرية وعمل فى ايران، تركيا، الكنغو وكان فى بداية الاربعينات، قضى فى الصومال ثلاث سنوات ٥٤ ـ ١٩٥٧. لعب دوراكبيرا فى ربط الحركة السياسية فى الصومال بمصر، حارب كتابة اللغة الصومالية بالحرف اللاتينى وبذل جهودا كبيرة لدعم الشباب الصومالى فى اتجاه العروبه، مما كلفه حياته، حيث اطلق عليه الرصاص القاتل فى ابريل ١٩٥٧. اعتبرته الحكومة الصومالية فيما بعد شهيدا قوميا واطلقت اسمه على احد شوارع العاصمة مقديشو. اتهم الصحفى محمد حسين هيكل وقتها الحكومه الاثيوبية بتدبير الحادث.

٣/ Fo 371, 90328, 103464

الاقليمى فى منتصف يناير ١٩٥١ وكانت مداولات المجلس الإقليمى تتم باللغة الايطالية والعربية الصومالية اما التدوين فكان يتم باللغة العربية والايطالية. وكان النصاب المقرر لجلسات المجلس الاقليمى ١٨ عضوا اما فى حالة لجنة المتابعة فقد إشترط حضور ثمانية أعضاء من أصل العشرة. ويرفع المجلس الإقليمى القوانين والأوامر التى يجيزها إلى مجلس الوصاية للتصديق عليها.

اجاز المجلس الاقليمى فى منتصف عام ١٩٥١ اللوائح المنظمة لقيام المجالس المحلية، حيث اصبح هناك قانون لمدينة مقديشو يقوم عليه معتمد ومجلس محلى ومجالس محلية للضواحى وكلها إستشارية وتمتد دورتها لعام واحد فقط. وتأتى عضوية هذه المجالس من الأعيان وممثلى المهنيين والتجار والروابط الدينية والثقافية وممثلى الجمعيات الاقتصادية والجاليات الأجنبية. وكلمة رئيس المجلس نهائية فى أى قرار يتخذه المجلس. ومع ان نشأة هذه المجالس بدأت فى عهد الإدارة الايطالية، إلا أنها تطورت فى عهد الإدارة البريطانية حيث اصبحت تتم بالانتخاب فى عام ١٩٥٥ وفى عام ١٩٥٦ اصبح هناك ٤٨ مجلسا مؤسسا ولكل مجلس استقلاله القانونى والمالى.

يعكس خطاب القنصل البريطانى بمقديشو بتاريخ ٣ فبراير ١٩٥٥ حقيقة هذا التطور حيث ذكر (إن أهم أحداث عام ١٩٥٤، هى انتخابات المجالس فى مارس، ٢) تقديم الإدارة الإيطالية لخطه اقتصادية إلى مجلس الوصاية فى مايو، ٣) نشر العلم الصومالى فى اكتوبر مما إدى لتدفق نشوة وطنية عارمة).[١]

اما خطاب القنصل البريطانى بتاريخ ٢٢ يونيو ١٩٥٥ فقد جاء فيه (فى العامين المنصرمين، كانت هناك سياسة صومالية بطيئة وحذرة فى المناصب الثانوية، كما تم تعيين انزيلوتلى Anzilotli بديلا للحاكم القديم وتعيين خمسة صوماليين فى مناصب ئيبية، حيث أصبح أحدهم مديرا مساعدا وآخر رئيسا لديوان شئون الخدمة للصوماليين وكذلك تم تعيين تسعة صوماليين فى وظائف إدارية ومن بينهم عبدالرشيد شارماركى، ومن مشاكل سياسات الصوملة، انه يتم تعيين المتعلمين فى ذات مناطق قبائلهم، مما قد يجعل واجبهم الرسمى يتعارض مع ولائهم القبلى).[٢]

اما على صعيد حزب وحدة الشباب، فقد تم اختيار ادن عبدالله عثمان رئيسا جديدا بدلا من محمد حسين الذى ذهب فى بعثة الى مصر وقد القى ادن عبدالله عثمان[٣] خطابا فى ١٥

١/ ص ٧ FO fo 371, 113453, 102029

٢/ Fo 371,

٣/ ادن عبد الله عثمان، ولد عام ١٩٠٨ فى بلدوين فى اسرة فقيرة، وتعهده منذ صغره ايطالى بالتربية وعلمه الطباعة ودخل فى خدمة الادارة الايطالية ما بين ١٩٢٩ ـ ١٩٤١، وبعدها أسس عمله التجارى الخاص فى بلدوين وأصبح فى عام ١٩٤٤ عضوا بارزا فى حزب وحدة الشباب وكان ينادى بالتعاون مع الأيطاليين مجابها بذلك تيار العروبة الذى كان يفضل التعاون مع الثورة المصرية ويقوده حاجى محمد حسين. اصبح رئيسا لحزب وحدة الشباب مابين عامى ٥٤ ـ

مايو ١٩٥٥ بمناسبة الذكرى الثانية عشر لتأسيس حزب وحدة الشباب وركز فيه على ضرورة توحيد اجزاء الصومال الخمسة فى دولة واحدة واشار إلى فقدان الأمن مما ادى الى موت الآلاف فى صراعات قبلية منذ عام ١٩٥٠ واعقبه أحد العلماء المصريين بكلمة قصيرة، مما يشير الى ازدياد الدور المصرى داخل حزب وحدة الشباب.

فى مارس ١٩٥٦، جرت انتخابات الجمعية التشريعية لصومال الوصاية على ٣٩ دائرة انتخابية، وكان حق الانتخاب مكفولا فقط للذكور والملمين بالقراءة والكتابة على أساس التصويت السرى ولانتخاب ستين نائبا يكملون إلى سبعين نائبا باضافة عشرة نواب لتمثيل الاقليات. ، وتتم الانتخابات عن طريق تمثيل المجالس، اذ تنتخب المجالس الكبيرة كمقديشو وكسمايو ممثليها مباشرة والمجالس الصغيرة تجتمع فى شكل كليات انتخابية، ومتوسط الكلية الانتخابية ما بين ثلاثة لآلف الى أربعة آلاف ناخب.

فاز حزب وحدة الشباب بثلاثة وأربعين مقعداً وجاء بعده حزب الدبجل والميرفلى ونال ثلاثة عشر مقعدا و ٣ مقاعد فاز بها حزب الصومال الديمقراطى ومقعد لاتحاد أم الريحان.[1]

اختارت الجمعية التشريعية ادن عبدالله عثمان رئيساً للجمعية وعبدالله عيسى رئيساً للوزراء فى إطار صلاحيات الحاكم الإدارى د. ايزيلولتى.

واجهت حكومة الرئيس/ عبدالله عيسى قضية توحيد شعوب واراضى الصومال واختيار ابجدية للغة الصومال واختيار لغة رسمية كما واجهت قضية إكمال صوملة الأجهزة بما فى ذلك الجهاز القضائى وتحسين وضع المرأة فى المجتمع اصومال ومنحها حق التصويت. لم تستطع حكومة الرئيس عبدالله عيسى اتخاذ قرارات حاسمة فى اى من هذه القضايا وتركتها معلقة الا انها اضفت مزيدا من العلمانية على سياستها الثقافية، حيث قلصت صلاحيات قضاة الشريعة وحصرتهم فى الأحوال الشخصية وسحبت منهم صلاحيات القضاء بقانون العقوبات واصبح ذلك من صلاحيات مفتشى المناطق الصوماليين وخاضعا لمراجعة رؤساء المحاكم الايطاليين.

كما اتخت قراراً بمنع الأحزاب من إتخاذ أسماء قبلية، مما دعا قادة حزب الديجل والميرفلى لاختيار اسم (حزب الدستور الصومالى المستقل) كما كونت الحكومة لجنة لاعداد الدستور الصومالى المستقل، كما كونت الحكومة لجنة لاعداد الدستور فى عام ١٩٥٧ وكان من رأى حزب وحدة الشباب قيام وحدة مركزية، بينما مالت المعارضة لصيغة الوحدة الفدرالية.

وفى يوليو ١٩٥٧ انتخب حاجى محمد حسين رئيسا لحزب وحدة الشباب وكان ما يزال

١٩٥٦ ـ اصبح رئيسا للمجلس التشريعى عام ١٩٥٦، ثم اصبح أول رئيس لجمهورية الصومال فى يوليو ١٩٦٠.
ينتمى للعشائر التى حاربت ضد السيد/ محمد عبد الله الحسن وقد حارب والده ضد السيد/محمد عبد الله الحسن.

١/ أم الريحان قبيلة عريقة من أبرز ابنائها المعاصرين الريئيس محمد سياد برى، كان ٥٠٪ من مرشحى حزب وحدة الشباب من الدارود و ٢٠٪ من حاويا و ١٠٪ من الديجل والميرفلى و ١٠٪ من بقية القبائل.

حينها مقيما بالقاهرة، حيث كان يواصل هجومه على نظيره ادم عبدالله عثمان رئيس المجلس التشريعي من اذاعة صوت العرب، مشبها اياه بشمعون لبنان، وحين عودة حاجي محمد حسين زاد الخلاف حول اختبار الحروف الأبجدية من حدة الاستقطاب بين تيار العربية وتيار اللاتينية، حيث كان يقود تيار العربية رئيس الحزب محمد حسين وقاد تيار اللاتينية، رئيسا الحكومة والجمعية التشريعية (عبدالله عيسى وادن عبدالله عثمان، إجتمعت اللجنة المركزية لحسم الخلاف وجاء قرار اللجنة المركزية لمصلحة تيار الحكومة، حيث تم اعفاء الحاج محمد حسين برغم التعاطف الشعبي الجارف معه واصبح عبدالله عيسى رئيسا للحزب وتركت قضية الأبجدية معلقة.

ترك الحاج محمد حسين حزب وحدة الشباب وكون حزبا جديدا باسم (رابطة الصومال الكبير) ولكن لم يحالف الحظ الرابطة فى انتخابات المجالس المحلية حيث نالت ٣٦ مقعداً بينما نال حزب وحدة الشباب ٤١٦ مقعدا فى اكتوبر ١٩٥٨.

وفى فبراير ١٩٥٩ اعلن الدستور الجديد والذى زاد عدد أعضاء المجلس التشريعي الى تسعين عضوا وفى مارس ١٩٥٩ جرت الانتخابات الجديدة لاختيار مجلس تشريعي جديد، وهنا أعلن الحاج محمد حسين مقاطعة حزب الرابطة للانتخابات وقاد ضدها المظاهرات مما أدى إلى اعتقاله وحل رابطة الصومال الكبير حيث منعت من العمل ولم يطلق سراح الحاج محمد حسين إلا بعد الاستقلال وتوحيد الصومال.

حافظ حزب وحدة الشباب على زعامته باعتباره حزبا للأغلبية وتكونت حكومة جديدة برئاسة عبدالله عيسى وخمسة عشر وزيراً ووكيل فى يونيو ١٩٥٩، وقد سعت الحكومة لتشمل المزيد من الفاعليات السياسية إستعداداً لمرحلة الاستقلال ولعزل تيار الحاج محمد حسين[1] ولذا فقد ادخل عبدالزراق حاج حسين وعبدالرشيد شار ماكى فى مجلس الوزراء وجاء ذلك متوافقا مع إعلان مستربويد Alan Boyd سكرتير المستعمرات البريطاني (ان حكومته - محمية الصومال - مستعدة لتسهيل مفاوضات الاتحاد، وفى ديسمبر ١٩٥٩ حددت الأمم المتحدة يوليو ١٩٦٠ موعدا لانتهاء الوصاية.

تسارعت خطى السياسيين لاعلان الاستقلال وتوحيد صومالى المحمية والوصاية. . وفى منتصف ابريل ١٩٦٠، عقد أعضاء حكومتي صومال المحمية وصومال الوصاية إجتماعا مشتركا فى مقديشو ووافقوا على إمضاء الوحدة بين الصومالين على أساس علم واحد ومجلس تشريعي واحد ورئيس واحد للدولة ورئيس للوزراء مع العمل لصهر الأجهزة الإدارية والقضائية والاقتصادية.

١/ عبد الرازق حاج حسين، ولد فى جالكعيو عام ١٩٢٤ وعمل فى الجيش الانجليزى فى ٤٢ - ١٩٤٧ سجن أثناء فترة الوصايا عام ١٩٥٠ لمدة ستة أشهر لتعاونه مع الانجليز انضم لحركة وحدة الشباب عام ١٩٤٤ واصبح رئيسا لها عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦، انتخب فى عام ١٩٥٦ كعضو فى المجلس الاقليمى ثم أصبح وزيرا للداخلية عام ١٩٦٠ وأصبح رئيسا للوزراء عام ١٩٦٤ - ١٩٦٧.

وفى ٤ مايو ١٩٦٠، عقدت الحكومتان إجتماعا لتجهيز إجراءات الاتحاد والاستقلال وفى ٢٦ يونيو ١٩٦٠ أعلنت بريطانيا استقلال الصومال الشمالى وأصبح السيد/ محمد إبراهيم ايجال أول رئيس وزراء للصومال الشمالى لبضعة أيام ولكنه سرعان ما ضحى بهذا المنصب لمصلحة الوحدة بانعقاد الجلسة المشتركه لمجالس البلدين النيابية فى ١ يوليو ١٩٦٠ حينما أصبح هناك مجلس نيابى واحد. أعلن من خلاله قيام جمهورية الصومال فى ١ يوليو ١٩٦٠ واستقلال صومال الوصاية.

قام المجلس النيابى الجديد (الجمعية الوطنية). انتخاب السيد/ ادن عبدالله عثمان رئيسا للجمهورية كما انتخب جماع عبدالله غالب مرشح حزب الرابطة الوطنية من الصومال الشمالى رئيسا للجمعية الوطنية وبعد مداولات ومناقشات استمرت اسبوعين وقع الاختيار على السيد/ عبدالرشيد شارماركى رئيساً للوزرء. وأصبح السيد/ عبدالله عيسى وزيرا للخارجية والسيد/ عبدالرزاق حاج حسين وزيرا للداخلية.[1]

بدأت متاعب الاستقلال، حينما شعر أهل الشمال بانهم ضحوا أكثر من غيرهم فى سبيل الإتحاد، وان أهل اجنوب انفردوا بالغنائم، اذ لم ينل اهل الشمال من المناصب إلا منصب مجلس النواب، كما انهم ضحوا بهرجيسا عاصمة الشمال لمصلحة مقديشو العاصمة الاتحادية التى هاجرت اليها كل المؤسسات الحكومية بينما اضمحلت هرجيسا إلى مجرد مركز إدارى.[2]

عبر الشماليون عن استيائهم عن ذلك بمقاطعة انتخابات اجازة دستور الوحدة المؤقت، حيث قاطعها حزب الرابطة الوطنية الصومالية كما عارض الدستور نصف الذين شاركوا فى الاستفتاء من أهل الشمال[3] كما نازل اهل الشمال السيد ادن عبدالله عثمان فى انتخابات رئاسة الجمهورية فى ٦ يوليو ٩٦١ وفاز السيد/ عبدالله عثمان على منافسه الشيخ على جماله بثلاثة أصوات فقط علما بانه أنتخب لهذا المنصب فى يولو ١٩٦٠ - كما رأينا - بالاجماع، استدعى السيد/ ادن عبدالله عثمان السيد/ عبدالرشيد شارماركى لتكوين حكومة جديدة من تحالف حزب وحدة الشباب وحزب الرابطة الوطنية الصومالية وحزب الصومال الموحد.

مثل توحيد القوانين وتوحيد أجهزة الدولة وتعريفة واجراءات الجمارك، اسبقية على غيره، لذا فقد كونت الحكومة الهيئة الإستشارية للتكامل ورأسها خبير من الأمم المتحدة وتضم اعضاء من بريطانيا وإيطاليا والصومال للمساعدة فى ذلك ولكن لم تلتفت الحكومة بما فيه الكفاية لمشاكل الشمال الذى كان يعانى من ويلات الجفاف، اذ بينما كان أهل الشمال يعانون من الجوع زاد النواب مرتباتهم الضعف، هذا الموقف مع الترسبات الأخرى أدى إلى انقلاب عسكرى فاشل فى هرجيسا فى ديسمبر ١٩٦١ بقيادة بعض ضباط الصف.

١/ lewis,op. cit. A Modern History of Somalia

٢/ تعود كثير من جذور مشاكل الصومال الحالية والتى أدت الى قيام حركات سياسية كحركة خلاص الصومال والتى تحاول اثيوبيا استثمارها باستقطاب مثقفى وزعماء الشمال على الأخص قبيلة اسحق الى هذه الوقائع التى ادت لانفراد عناصر جنوب الصومال بالسلطة

٣/ المصدر السابق ص ١٧٢.

وفى ٣٠ مارس ١٩٦٤، ذهب الشعب الصومالى لاختيار نواب جدد للجمعية الوطنية نال حزب وحدة الشباب ٦٩ مقعدا ونال حزب الرابطة الوطنية ٢٢ مقعدا وحزب الدستور المستقل ٩ مقاعد وآخرون ٨ مقاعد. جرت الانتخابات فى ظروف الحرب الاثيوبية ـ الصومالية وتوافق مع ذلك حدوث انقسام فى صفوف حزب وحدة الشباب، أدى إلى تغير فى بعض المناصب، حيث ساند السيد/ ادن عبدالله عثمان رئيس الجمهورية صهره السيد/ عبدالرزاق حاج حسين حيث اصبح الاخير رئيسا للوزراء.[1] بدلا من السيد/ عبدالرشيد شارماركى، وفى عام ١٩٦٧ حلت انتخابات رئاسة الجمهورية وفى يوليو ١٩٦٧ نزل السيد/ عبدالرشيد شارماركى متحالفا مع السيد/ محمد إبراهيم ايجال لمنصب رئاسة الجمهورية، وفاز السيد/عبدالرشيد شارماركى وطلب من السيد/ محمد ابراهيم ايجال تكوين الحكومة، وكانت هذه اول حكومة، وحدة وطنية حقيقة فيها توازن بين الشمال والجنوب، حيث اصبح رئيس الوزراء من الشمال ورئيس الجمهورية من الجنوب.

وفى ٣٠ مارس ١٩٦٩، ذهب الشعب الصومالى للمرة الثانية فى اطار دولة الوحدة لاختيار نواب للبرلمان الجديد، فى ظروف توتر اقليمى وانحسار لتيار العروبة نتيجة لحرب الأيام الستة فى يونيو ١٩٦٧. شارك فى هذه الانتخابات ١٠٠٢ مرشحا، مثلوا ٦٢ حزبا، تنافسوا حول ١٢٣ مقعدا، انفقت ملايين الجنيهات فى الإنتخابات فى بلد لم تتجاوز ميزانيته خمسة عشر مليونا م الجنيهات ـ كما جرت انواع من الفساد فى عملية الإنتخابات وكان من شروط هذه الإنتخابات حصول الحزب على نسبة معينة من الأصوات حتى يتمكن من دخول البرلمان. وجاءت نتيجة الإنتخابات للمرة الثانية مؤكدة غلبة تيار حزب وحدة اشباب الذى نال ٧٣ مقعدا ونال حزب الرابطة الوطنية ١١ مقعدا وحزب الدستور المستقل مقاعد ثلاثة. وفى الجلسة الإفتتاحية للجمعية الوطنية جلس كل النواب فى مقاعد الحكومة ـ واختفت المعارضة ـ طامعين فى رضى الحكومة عنهم حتى ينالوا حظهم من غنائهم الحكم.

ولكن جرت الأحداث سريعة، فى ١٥ اكتوبر ١٩٦٩ وفى اثناء زيارة الرئيس عبدالرشيد شارماركى للمناطق التى أصابها الجفاف فى الشمال وفى اثناء توقفه فى بلدة لاس عانود، أطلق أحد أفراد حرسه عليه النار لأسباب ما تزال مجهولة وهنا هرع السيد/ محمد إبراهيم ايجال رئيس الوزراء لتنظيم انتخابات خليفته وقامت اللجنة المركزية لحزب الشباب باختيار السياسى العجوز الحاج موسى باقور خليفة له وهنا قام الضباط الذين كانوا يراقبون الموقف بقيادة اللواء محمد سياد برى[2] بانقلاب عسكرى ناجح فى صبيحة ٢١ اكتوبر ١٩٦٩، حيث اعتقلوا الشخصيات السياسية البارزة وعطلوا الدستور والجمعية الوطنية المحكمة العليا والأحزاب وكونوا مجلس الثورة العالى ودخلت بلاد الصومال فى طور جديد.

١/ حسب الدستور فان من صلاحيات رئيس الجمهورية تعيين رئيس الوزراء.

٢/ محمد سياد برى من قبيلة ام الريحان ولد عام ١٩١٩ ودرس فى مدرسة الإدارة بمقديشو. بدأ حياته ضابطا فى الشرطة ثم انضم للجيش عام ١٩٦٠ ووصل منصب قائد الجيش عام ١٩٦٩.

تطور الحركة السياسية فى ساحل الصومال الفرنسى ١٩٤٣-١٩٧٧ :

فى ١٠ يونيو ١٩٤٠ ، أعلنت إيطاليا الحرب على الحلفاء وفى اليوم التالى أصبح الجنرال ليجنتهـوم Legentilhomme حاكم ساحـل الصـومال الفرنسى قائدا أعلى للقوات الفـرنسية - الانجليزية فى الصـومال ولكن فى ١٨ يونيو ١٩٤٠ ، وبعد هزائم فرنسا امام المحور، قامت حكومة فيشى المهادنة لهتلر مما أدى إلى معاهدة فرنسية إيطالية بتحييد الساحل الصومالى فى الحرب مما أدى لهروب حاكم ساحل الصومال ليجنتهوم منضما الى حكومة فرنسا الحرة فى المنفى بقيادة الجنرال ديجول.

امـا حاكم الصومال الفرنسى الجديد نوليته Nouailhetas لقد حكم بقسوة ومنع الدعاية ضد الفاشية ونجح فى ان يبعد أراضى الساحل الصومالى من ويلات الحرب بعيدا عن ايدى الايطاليين والبريطانيين،[١] قامت القوات البريطانية بضرب حصار حول الساحل الصومالى استغرق عامين وانتهى بسقوط حكومة نولتيه وهروبه ودخل الجنرال رانيال Raynal الموالى لحكـومـة فرنسا الحرة دولة الساحل الصومالى فى ديسمبر ١٩٤٢ حيث عاودت مسيرتها باعتبارها مستعمرة فرنسية.[٢]

ادت الحرب - كما رأينا إلى ازدهار سياسى فى الصومالين، تمثل فى قيام الروابط والاندية السياسيية ولكن اختلف الامر فى ساحل الصومال، حث حرم على المواطنين الانضمام لحزب سياسى أو عقـد مؤتمرات سياسية ولكن سمح للعاملين فى الميناء بتكوين اتحادات عمالية باعتبار ذلك مظهرا من مظاهر الديمقراطية الفرنسية وان قامت هذه الاتحادات على اساس قبلى تنفيذا لسياسات فرقد تسد (اتحاد العمال العفرى، اتحاد العمال الصومالى واتحاد العمال الفرنسى ، واتحاد العمال العربى).

كان نظام الحكم قبل الحرب العالمية الثانية، يقوم على أساس حاكم يعينه مجلس الوزراء الفرنسى ويعاونه سكرتير ادارى ومجلس خاص مكون من السكرتير القضائى والمالى وقائد فرقة المستعمرة العسكرية وممثل الغرفة التجارية.

تغير الوضع بقانون ٩ نوفمبر ١٩٤٥ ، حيث تم تكوين مجلس تمثيلى من عشرين عضوا، مقسم الى قسمين متساوين، أحدهما يمثل التجار الفرنسيين والآخر يمثل السكان المحليين ودورة المجلس التمثيلى اربع سنوات. ويتكون مجلس السكان الفرنسيين من ستة أعضاء تنتخبهم الجالية الفرنسية بالإضافة إلى ثلاثة يعينهم الحاكم وواحد تختاره الغرفة التجارية التى يسيطر عليها لفرنسيون. أما مجلس السكان الأهالى. فيتكون على اساس التوازن القبلى

١/ اختـزلنـا التـطور السياسى، وتجنب الخـوض فى التفاصيل حتى لانبعد عن مجرى الدراسة، الذى يدور حول السياسات الثقافية، وما يهمنا هو معرفة الإطار السياسى العام.

٢/ Virginia thompson and Richard Adloff,Djibouti and the Horn of Africa, Stanford University press, 1968. p. 21

٢ للعفر ٢ للصوماليين ٢ للعرب وممثل لعمال الميناء تختاره إدارة شركة الميناء بالاضافة الى ثلاثة أعضاء آخرين معينيين. وحق الانتخاب وسط المواطنين مكفول فقط للاشخاص المعروفين للإدارة الاستعمارية من التجار وأصحاب الأموال والعاملين بالقوات المسلحة وقد عنت هذه السياسة عدم الاعتراف بالوطنيين العاديين، علما بان الجنسية الفرنسية منحت لكل السكان.

اجريت أول انتخابات على هذا النظام عام ١٩٤٦ دون مشاكل، ولكن ابتداء من عام ١٩٤٨، اخذت الاحتجاجات تتوالى كما اندلعت المظاهرات ضد نظام الانتخابات، لذا حينما انتهت دورة المجلس التمثيلي الأولى عام ١٩٥٠، كونت الإدارة الفرنسية لجنة ثلاثية للنظر فى وضع المستعمرة وأوصت اللجنة بزيادة أعضاء المجلس من عشرين الى خمسة وعشرين عضوا، تنتخب الجالية الفرنسية منهم اثنى عشر عضوا فى مجلس تمثيلى منفصل وينتخب الوطنيون الأهالى ثلاثة عشر عضوا موزعين على الاساس القبلى ٣ للعرب، ٣ للعفر، ٣ لعيسى، ٢ للاسحاقين و ٢ ايرول دارود - قبيلة صومالية.

وهكذا لجأت الإدارة الاستعمارية لاسلوب تمزيق المواطنين وتفتيت وحدتهم، علما بانه لا فرق بين العيسوى والاسحاقى او الدارودى اذ كلهم صوماليون، كما لا يوجد فرق أساسى بين العفرى والصومالى اذ يوحدهم الاسلام وتشابه اللغة وتشابة البناء القبلى كما يوحدهم الانتماء لتراب واحد وتاريخ واحد.

أعطى قانون ٩ نوفمبر ١٩٤٥، سكان الساحل الفرنسى الحق فى التمثيل فى البرلمان الفرنسى ومجلس الجمهورية ومجلس الاتحاد الفرنسى. ولكن لم يفد أهل البلاد من هذا الوضع. اذ ظل حزب فرنسا الجمهورى مسيطرا على الوضع السياسى فى المستعمرة وكان مرشحوه يفوزون بتمثيل الأهالى، لأن الجالية الأوربية كانت تؤثر على الانتخابات بمالها ونفوذها وعلاقاتها مع الإدارة الحكومية.[1]

فى عام ١٩٥٦، اعتلت حكومة موليه الاشتراكية Socialist Government Mollet سدة الحكم واصدرت قانوناً جديداً بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٥٦ لكل المستعمرات بما فيها إقليم ساحل الصومال الفرنسى، زاد القانون عدد مقاعد المجلس التمثيلى الى ٣٢ مقعدا كما وحد المجلس والغى الإزدواجية (مجلس فرنسى ومجلس أهالى) وقسم الإقليم إلى ثلاثة دوائر:

١ ـ دائرة جيبوتى وتنتخب ستة عشر ممثلاً.

٢ ـ دائرة على صبح ودخيل وتنتخب سبعة ممثلين.

٣ ـ دائرة تاجورة وابخ وتنتخب تسعة ممثلين.

وبمقتضى القانون. الجديد، يكون المجلس التمثيلى مجلساً تنفيذيا من ثمانية أعضاء، ويصبح أكثر أعضاء المجلس أصواتا نائبا لرئيس المجلس - ويصبح الأعضاء الآخرون وزراء لهم اختصاصات معينة، اما رئاسة المجلس فكانت من نصيب الحاكم حسب القانون.

١/ المصدر السابق ص ٤٣.

وفى يناير ١٩٥٦، فاز محمود حربى[1] بحق تمثيل المستعمرة فى البرلمان الفرنسى حيث كانت المرة الأولى فى تاريخ المستعمرة التى يمثلها أحد المواطنين، وتمكن من هزيمة منافسه الأوربى اليهودى لأن المواطنين ايدوا على اختلاف تقسيماتهم الصومالى المسلم ومنافسه على اليهودى، وتوج السيد/ محمود حربى انتصاره بفوز قائمته فى انتخابات المجلس التمثيلى فى ٢٣ يونيو ١٩٥٧ والتى كان حق التصويت فيها مكفولا للذكور وبلغ عدد الناخبين المسجلين أحد عشر ألف ناخب. ودارت الانتخابات اساسا بين قائمة تحالف السيد حسن جوليدا[2] ومحمد كامل[3] تحت اسم (الدفاع عن مصالح مجتمع الإقليم الاقتصادية والاجتماعية. نالت مجموعة السيد/ محمود حربى ٤٫١٨٠ صوتاً واستحوذت على كل مقاعد المجلس التمثيلى وأصبح السيد/ محمود حربى نائباً لرئيس المجلس التنفيذى وكانت كذلك المرة الأولى التى يتقلد فيها أحد الوطنيين هذا المنصب الرفيع.

جاء ديجول فى عام ١٩٥٨ مرة اخرى رئيسا لحكومة فرنسا، وأعلن عن اعداد دستور جديد لفرنسا أعطى فيه المستعمرات الحق فى الاستقلال فى إطار رابطة فرنسية أو الاستمرار فى وضعها القائم. وفى سبتمبر ١٩٥٨ ولدت الجمهورية الخامسة، حيث فاز الدستور الجديد بالمشروعية. ولكن فى اقليم الساحل الصومالى الفرنسى، أدى الاستفتاء إلى استقطاب شديد بين مجموعة محمود حربى التى فضلت خيار الاستقلال ومجموعة جوليدا ومحمد كامل الت أثرت خيار البقاء فى إطار الجماعة الفرنسية. وقد تم الاستفتاء فى ظروف توتر سياسى وارهاب بلغ ذروته، حينما خاطب الجنرال ديجول الأهالى قائلا أنهم أمام خيارين، القبول

١/ محمود حربى صومالى من قبيلة الدالولس العيساوية، بدأ حياته عاملا فى الميناء ثم مالبث أن ازداد نضجه فأصبح رئيسا لاتحاد العمال الصوماليين، وأخذ نجمه يلمع فى المجال السياسى وهو يتحدث العربية بطلاقة واستطاع الفوز بثقة عدد من حكام العالم العربى منهم الرئيس جمال عبد الناصر والملك سعود وامام اليمن، وقد قاد حركة الدعوة للجامعة الصومالية فى المستعمرة منذ منتصف الخمسينات كما قاد تيار العروبة والانفتاح على العالم العربى فى وجه دعوة التغريب والاتجاه نحو فرنسا.

وقد قاد عمال الميناء فى عدة اضرابات ومظاهرات مما ادى الى نفيه خارج المستعمرة عام ١٩٥٩، وأصبح لاجئا فى القاهرة وظل يتردد بين القاهرة ومقديشو وشرق اوربا الى ان استشهد فى حادث طائرة فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦٠ يقال انها من تدبير عصابة اليد الحمراء الفرنسية.

٢/ حسن جوليدا، صومالى من قبيلة ابجالس فرع من العيسى، ولد فى جيبوتى عام ١٩١٦ ودرس فى المدارس القرآنية وعمل لفترة معلما. ابتدر نشاطه السياسى، داعية لبقاء جيبوتى فى اطار الجامعة الفرنسية ولمع اسمه، حينما استطاع الفوز بمقعد جيبوتى فى مجلس الجمهورية الفرنسية على خصمه السيد/محمود حربى. ابتداء من الستينات وبعد موت السيد/محمود حربى اصبح من دعاة الجامعة الصومالية واستقلال المستعمرة واصبح اول رئيس لجمهورية جيبوتى بعد استقلالها وقد قام مؤخرا بحل كل الاحزاب السياسية، ماعدا الحزب الحاكم وهو حزب التجمع الوطنى للتقدم.

٣/ عبد الله محمد كامل، زعيم عفرى، ولد فى أبخ عام ١٩١٧، ودرس فى الداخل ثم فى معهد فرنسى فى فرنسا. وبدأ نشاطه السياسى عضوا معينا فى المجلس التمثيلى عن عمال الميناء واختير فى اكتوبر ١٩٥٣ عضوا فى مجلس الاتحاد الفرنسى ثم اصبح بعدها عضوا فى مجلس الجمهورية الفرنسى، وظل يدخل فى تحالفات تكتيكية متأرجحا تارة مع تيار حربى وتاره مع تيار جوليد اصبح رئيسا لوزراء جيبوتى فى الحكومة الانتقالية التى مهدت للاستغلال.

بالوجود الفرنسى فى ظل التعاون والمساعدة الفرنسية أو الاستقلال مع القطيعة التامة.[1]

انجرف معظم الصوماليين والعفر مع تيار جوليدا ـ عبدالله كامل. ولم يبق مع محمود حربى إلا افراد قبيلته والاسحاقيون. وجاءت نتيجة الاستفتاء الذى مالت بعض الدوائر للقول بانه مزور كالاتى:

عدد الناخبين	١٥ر٩١٤
مع الدستورالجديد	٨ر٨٨٢ (البقاء فى إطار الجامعة الفرنسية).
مع الاستقلال	٢ر٨٥١.

سعى الحاكم الفرنسى للاطاحة بحكومة محمود حربى ولما فشل قامت الحكومة الفرنسية بحل البرلمان واجراء انتخابات جديدة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٥٨ بقانون انتخابى جديد معدل، جعل دوائر جيبوتى الانتخابية الثلاث تقوم على التمثل النسبى بدلا من الانتخاب الحر المباشر كما زاد عدد الدائر إلى اثنين وثلاثين دائرة. وكما هو متوقع فقد فازت مجموعة حسن جوليدا بخمسة وعشرين مقعدا ومجموعة محمود حربى ببقية المقاعد. وقد جاء التوزيع القبلى للمقاعد كالاتى:

العفر	١٣ مقعدا
العيسى	٨ مقاعد
الاسحاقيون	٥ مقاعد
الأوربيون	٤ مقاعد
العرب	مقعد

وهكذا قامت الحكومة الجديدة على توازن دقيق بين العنصر العفرى (١٣) والعنصر الصومالى (١٣) وأصبح الأوربيون سادة المجلس لأنهم القوة المرجحة، وانتخب المجلس. كما هو متوقع، حسن جوليدا رئيساً للوزراء (نائبا لرئيس المجلس) وعبدالله محمد كامل وزيرا للداخلية، وكان أول قرار للمجلس التنفيذى الجديد المحافظة على جيبوتى باعتبارها إقليما لما وراء البحار. وبعدها إجتهدت السلطات الحاكمة فى مضايقة السيد/ محمود حربى وحرمته من حق الترشيح عن مقد جيبوتى فى البرلمان الفرنسى، مما اضطره للهروب للقاهرة وحوكم بالسجن غيابياً لمدة عشر سنوات، الى ان لقى مصرعه فى حادث طائرة.

استقال السيد/ حسن جوليدا عن منصبه وكان (نائبا لرئيس المجلس) وترشح لعضوية البرلمان الفرنسى عن دائرة جيبوتى وفاز بالمقعد وفعل ذات الشيء عبدالله محمد كامل حيث استقال من وزارة الداخلية ليصبح عضوا فى مجلس الجمهورية الفرنسية وبذا اصبحت الساحة الداخلية خالية لسياسيين جدد، برز منهم أحمد دينى[2] الذى انتخب نائبا لرئيس

١/ د. حمدى الطاهر، جيبوتى، القاهرة ١٩٧٧ ص ٧٣ ـ ٨٠ وكذلك Thampson and Adlof, op. cit. Djibouti 71.

٢/ احمد دينى، عفرى من عفر تاجورة وينتمي لاسرة سلطانها، وكان يعمل ممرضا وأصبح نائبا لرئيس المجلس من دون سابق تجربة او خبرة سياسية ولكنه استطاع أن يشق طريقه ويصبح رئيسا لجماعة سياسية عفرية حين استقلال جيبوتى.

المجلس التنفيذى - لم يستمر السيد/ احمد دينى فى المنصب طويلا، لانه اصبح نائباً للرئيس فى وقت عصيب، توافق مع مد الجامعة الصومالية واستقلال الصومال، لذا فقد كان انجازه الأكبر، اسقباله لشارل ديجول حينما زار فرنسا عام ١٩٥٩ استطاع عفرى آخر، هو السيد على عارف، ان يطوح به ويصبح نائبا لرئيس المجلس التنفيذى.

بذهاب وموت السيد/ محمود حربى، خلا الجو لحسن جوليدا، الذى اصبح زعيم التيار الصومالى بلا منازع واخذ حسن جوليدا ابتداء من عام ١٩٦٠، يصرح فى اتجاه تعديل علاقة جيبوتى بفرنسا، نظرا لاستقلال الصومال واستقلال المستعمرات الفرنسية الأخرى، فى ظروف تفاعلات حركة الجامعة العربية والمد القومى الذى كان يقوده الرئيس جمال عبدالناصر. وفى هذه الفترة اعلن محمود حربى بدء المقاومة الشعبية المسلحة والتى قادها تلامذته بعد موته، وكان لابد لحسن جوليدا من تغيير توجهه السياسى والا فسيتجاوزه المد، وقد ظهر له ذلك، حينما نازله سياسى ناشىء ركب موجة المد القومى فى انتخابات ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ عن مقعد جيبوتى فى البرلمان الفرنسى، ولدهشة الجميع فاز موسى احمد (صومالى) على السياسى القدير حسن جوليدا.

لما شعرت السلطات الفرنسية، بان حركة الجامعة الصومالية استقطبت العناصر الصومالية بما فيهم من قدامى السياسيين، لجأت الى تعديل قانون الانتخابات وتقوية وضع العفر، كما اجاز البرلمان الفرنسى امرا يقضى بحصول الأجانب على تصاريح رسمية لدخول جيبوتى وكان المقصود بذلك إيقاف حركة القبائل الصومالية المتحركة خلال التاريخ طلبا للمرعى ما بين جيبوتى والصومال، كما عدل قانون الانتخابات، لمصلحة العفر، بتقليل دوائر جيبوتى العاصمة من ستة عشرة مقعدا إلى أربعة عشرة مقعدا نظرا لأن جيبوتى العاصمة هى مركز ثقل العنصر الصومالى وزاد القانون دوائر تاجورة (سلطنة العفر) من تسعة إلى إحدى عشرة دائرة.

انتخابات المجلس الاقليمى لجيبوتى ١٨ نوفمبر ١٩٦٣:

جرت على أساس قبلى، حيث كون الرئيس على عارف[1] حزب الاتحاد الديمقراطى العفرى، الذى انضم له مشاهير العفر من السياسيين (عبدالله محمد كامل، احمد دينى، بركات جوردات) وقد نازلت قائمة على عارف إثنتى عشر قائمة انتخابية أخرى قائمة على

١/ على عارف برهانى، المع سياسى عفرى، حافظ على منصبه نائبا لرئيس المجلس التنفيذى لمدة ستة عشر عاما، وقد نجح فى فن المناورة السياسية وافلح فى تكوين عدة حركات سياسية واحزاب تحت مسميات مختلفة وان استندت الى قاعدة عفرية أساسا. لجأ للتعاون مع اثيوبيا فى وجه الجامعة الصومالية. انتهى دوره السياسى فى ظروف الثورة الاثيوبية، التى طردت سلطان العفر على مرح وسجنت اخوانه، مما أدى لسخط شباب العفر على عارف باعتباره متعاونا مع السلطة التى استباحت أعراض اهلهم عفر اثيوبيا مما دعاه لتغيير استراتيجيته، حيث أخذ يدعو لاقامة دولة عفرية تضم المثلث العفرى (مصوع، جيبوتى، اواشى (اى عفر ارتيريا وجيبوتى واثيوبيا) ومجموعهم اكثر من مليون عفرى وكانت نظرية على عارف فى الاستقلال شعاره الشهير اذا كان قرارنا الاستقلال فسيكون مع فرنسا وليس ضدها».

الأساس القبلى، فازت قائمة على عارف كما كان متوقعا وأصبح التكشيل القبلى للمجلس التشريعى والتنفيذى كالآتى:

٢٠ عفر	٤ أعضاء (وزراء) فى المجلس التنفيذى.
٧ صوماليين	عضوان (وزيران) فى المجلس التنفيذى.
٤ فرنسيين	عضو (وزير) واحد فى المجلس التنفيذى

وأصبح على عارف نائبا لرئيس المجلس التنفيذى واختار حسن جوليدا وزيراً للشباب والرياضة وأحمد دينى للتخطيط والزراعة.[1]

مالبث جبهة العفر ان تمزقت، نتيجة لانقسامات القبيلة الداخلية وانقسام سلاطينها، مما أدى إلى بروز حزبين داخل المجلس إذ ترك الرئيس على عارف حزب الاتحاد الديمقراطى العفرى لأحمد دينى وعبدالله محمد كامل، وكون حزب التجمع الديمقراطى واستطاع ان يحافظ على وضعه نائباً لرئيس المجلس التنفيذى نظراً لتمزق الجبهة الصومالية، حيث ظهرت جبهة تحرير الساحل الصومالى، بقيادة السيد/ عمر علوى والتى تبنت أسلوب حرب العصابات لتحرير ساحل الصومال.

كونت اثيوبيا حركة سياسية عفرية، باسم جبهة تحرير جيبوتى (بقيادة حامد برهان، الذى ترك جيبوتى وذهب الى ديرداوه باثيوبيا واخذ يدعو لضم عفر جيبوتى إلى اخوانهم عفر اثيوبيا.[2]

ادت جملة عوامل لاضعاف الجبهة الداخلية الجيبوتية، مما أدى إلى توتر سياسى داخلى ومجابهة بين الجماعات السياسية، نسبة لتعديل قانون الانتخابات، الذى قلل لدرجة غير موضوعية من وزن الأغلبية الصومالية داخل الجهاز الحكومى بالإضافة إلى تمزق الجبهة العفرية فى صراعها حول المناصب والغنائم، وفى ظل هذه الظروف نصح حاكم جيبوتى الجنرال ديجول بمواصلة برنامجه لزيارة المستعمرة فى ٢٥ أغسطس ١٩٦٦ ولكن عند وصوله، استقبل بمظاهرات عدائية صاخبة، طالبت بالاستقلال التام على عكس توقعات حاكم جيبوتى ووقعت مجابهة دامية أمام ديجول بين الجماهير الغاضبة وأجهزة الأمن، أدت إلى مقتل ستة أشخاص وجرح سبعين شخصاً، مما دعا ديجول إلى القول فى خطابه فى المجلس الإقليمى (ان اللافتات التى قرأناها والمظاهرات الصاخبة، لا تكفى للتعبير عن الإرادة الديمقراطية فى الإقليم الفرنسى هنا) وأمن الرئيس على عارف على مقولة ديجول، وعرج الرئيس شارل ديجول من جيبوتى الى اثيوبيا حيث أكد فى لقائه بهيلاسلاسى (ليس لنا الرغبة

١/ اسماء الوزارات مجرد مسميات لا وجود لها، فمثلا لا توجد زراعة معتبره فى جيبوتى، اذ حتى عام ١٩٦١، كان هناك خمسة جيبوتيين فقط يملكون مزارع فى منطقة امبولى «٣ عيسى ٢ عفر». كما أن السلطة الحقيقية فى يد الحاكم الفرنسى، ولم تكن الانتخابات تعكس حقائق الوجود ال سكانى واتجاهات الناخبين، الذين اغلبيتهم من الصوماليين.

٢/ لمزيد من التفاصيل انظر المصدر السابق ـ p.84 Djibouti

وكذلك حمدى الطاهر جيبوتى ص ٧٦ ـ ٧٧.

فى البقـاء، ومـا عليكم إلا التحـرك لملأ الفـراغ بعـد انسحـابنا).[1] واصدر الأمبراطور هيلاسلاسى بدوره - بعد اسبوعين من زيارة الرئيس ديجول - بيانا أعلن فيه (ان جيبوتى لأسباب تاريخيه واقتصاديه واستراتيجية وسكانية، جزء مكمل لاثيوبيا)[2] كما قام الرئيس ديجول بعد عودته بإقالة حاكم جيبوتى رينى تيرانت Rene Tirant واستبدله بـ لويس ساجت Louis Saget .

لم تهدأ الأوضاع فى جيبوتى، عقب أحداث ٢٥ اغسطس ١٩٦٧، وقع إضطراب عام شل الحياة فى المدينة والميناء فى ذات يوم مجىء الحاكم الجديد ثم تتالت موجة الاضطرابات مما دعـا الحـاكم الجديد لإعلان حالة الطوارىء، مما أضطر الرئيس ديجول الإعلان عن إستفتاء حول مستقبل جيبوتى، حتى يحافظ على مركزه باعتباره محرراً لإفريقيا، وحدد يوم ١٩ مارس ١٩٦٧ كموعد لاجراء الاستفتاء.

قامت السلطات الفرنسية باتخاذ اجراءات قمعية رهيبة قبيل الاستفتاء، والقت القبض على الآلاف من الصـوماليين وأجبرتهم على عبور الحدود للصومال، ولما رفضت الصومال استقبالهم، اقامت لهم الادارة الفرنسية معسكر إحتجاز، مما آثار سخط المعارضة السياسية فى جيبـوتى وشبهت المعسكـرات بمعسكـرات التعـذيب النـازيه، كما قامت السلطات الفرنسية، بإقامة ما عرف بحاجز الموت هو حاجز سلكى شائك مكهرب فى منطقة لوى عدى[3] على الحـدود الصـومـالية الجنوبية لمنع التحرك السكانى من إختراق الحدود. كما سمحت الإدارة للعفر حملة الجنسيه المزدوجة بالمشاركة فى الانتخابات وذلك لموازنة الكثافة الصومالية.

بلغ عدد المسجلين للاستفتاء ٣٩٫٨٨٤ (بينهم ٢٢٫٨٨٤ عفرى، ١٤٫٦٤٨ صومالى، ١٤٠٨ عربى، ٩٢٣ اوربى).

وقبيل الاستفتـاء، قدّم الـوزراء الصـوماليون استقالتهم من الحكومة، إحتجاجا على الإجراءات القمعية، كما أعلنوا تأييدهم لاستقلال جيبوتى.

جاء سؤال الاستفتاء كالاتى: هل تريد ان يبقى الإقليم فى الجمعورية الفرنسية بقانون أساسى جديد وله إداره؟

نعم: ٢٢٫٥٢٣

لا : ١٣٫٧٣٤[4]

١/ المصدر السابق جيبوتى ص ٩١.

٢/ Spencer: op. Ethiopia at Bay p. 333

٣/ زرت هذا الحاجز، ويبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار ويصعب تماما اختراقة عدد الصوماليين المتحجزين والذين تم ابعادهم عشرين الفا من الصوماليين.

٤/ ص ٦٩ Thompson and Adofl, Djibouti

وكـان من الـواضـح، انْ الإدارة الفـرنسية، أفلحت فى تعميق الإنقسـام بين العفـر والصومال، حيث أعدت معظم مناطق العفر بقولها: نعم بينها قال الصوماليون لا، ومع إعلان نتيجة الاستفتاء،[1] انفجرت أحداث عنف راح ضحيتها إثنا عشر شخصا وجرح إثنان وعشرون وفى ١٣ ـ ١٤ يونيو ناقش مجلس النواب الفرنسى الوضع الجديد للاقليم وانتهى إلى الآتى:

١ ـ تغيير اسم المستعمرة من ساحل الصومال الفرنسى الى اقليم العفر والعيسى الفرنسى.

٢ ـ رفع وضعية المجلس الإقليمى إلى مجلس نواب، له كامل الصلاحية فى اجازة الميزانية وتعيين وإقالة الحكومة وانتخاب رئيس المجلس التنفيذى (كان هذا المنصب فى السابق محفوظا للحاكم).

٣ ـ السياسية الخارجية والدفاع والأمن الداخلى والعملة والراديو من صلاحيات الحاكم الفرنسى.

وفى ١٨ يوليو ١٩٦٧، اختار مجلس النواب السيد/ على عارف رئيسا للمجلس التنفيذى لأول مرة فى تاريخ المستعمرة بالإضافة إلى ثمانية وزراء خمسة منهم من العفر واثنين من العيسى.

أعلن حسن جوليدا رفضه لسياسة تمييز العفر، مما أدى لاعتقاله وقد أدى إعتقاله إلى ارتفاع اسهمه وسط الجماهير الصومالية كما أدى لازدياد التوتر ووقوع عدة محاولات لاغتيال الرئيس على عارف. كما نشطت جبهة تحرير الساحل الصومالى فى شن هجمات فدائية ادت إلى تدمير ملهى يرتاده الفرنسيون، حيث لقى عدد منهم مصرعه، كما قامت الجبهة باختطاف عدد من المسئولين الفرنسيين فى تاجورة ودمرت الجبهة عددا من متاجر ومساكن الفرنسيين.

لجأت السلطات الفـرنسية إلى محاكمـة عدد من أعضـاء الحركة بالإعدام كما نجحت الاستخبارات الفرنسية فى اختطاف السيد/ عمر علوى رئيس جبهة تحرير ساحل الصومال ونقلته إلى سجن تولوز بفرنسا.

شهدت فرنسا فى نهايات عام ١٩٦٨، ثورة طلابية عارمة، مما دفع الرئيس شارل ديجول للإعلان عن استفتاء لأحداث تعديلات دستورية وحينها لم تأت نتيجة الاستفتاء لمصلحته، قام بتقديم استقالته وفى انتخابات اختيار خليفته صوت ٨٤٪ من سكان جيبوتى لصالح مرشح الحزب الجمهورى الرئيس جورج بومبيدو.

وفى عام ١٩٧٢، دخل حسن جوليدا فى تحالف مع احمد دينى وكونا معا (اتحاد اشعب الإفريقى)، كما تكونت أحزاب أخرى على الأساس القبلى وفى ٢٩ ديسمبر ١٩٧٢، قام

١/ تابع العالم الخارجى أخبار الاستفتاء واصدرت اللجنة الخاصة المنبثقة من الامم المتحدة بيانا فى ١٤ مارس ٦٧ تؤكد فيه حق شعب المستعمرة غير القابل للتنازل عنه فى تقرير المصير، كما أكد ذلك المؤتمر الرابع لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحازة بالجزائر ٥ ـ ٩ ديسمبر ٧٣ وكذلك فعلت منظمة الوحدة الإفريقية وجامعة الدول العربية.

ومحاكمها وجيوشها وكنائسها ومدارسها، ولكن قيادة التوجه الاستجابى (أى المجموعة الموكولة لها قيادة حركة الفكر والإرشاد والصوفية) كانت فى أيدى قادة المؤسسات الصوفية وقد عبر عن هذه الاستجابة المفكر الإسلامى مالك بن نبى قائلا (العالم الإسلامى يقف فى منطقة (حرام) ما بين فوض ما بعد الموحدين والنظام الغربى . . . هذا التلفيق بين عناصر وثقافات متنافرة دون أدنى رباط طبيعى أو منطقى يربط بينهما قد انتج عالما رأسه فى عام ١٩٤٩م وقدماه فى عام ١٣٦٩هـ[١]. كناية عن التمزق بين حنينه للماضى وتشبثه بالثقافة العلمانية الغربية ومنجزاتها وان تعارضت مع ثقافته الإسلامية.

ومع ان التصوف يقوم على تجربة فردية وخبرة روحية خاصة وهذا يتجلى فى تجربة الأفراد الأفذاذ، إلا أنه كثقافة شعبية يقود إلى طمس قيمة الفرد وامكانية تطوره، لتذويب فرادنيته فى شخصية الشيخ او المرشد، حتى يفنى الحوار فى الشيخ[٢] ويفنى الشيخ فى الحب الالهى وقد عبر ترمنجهام عن تصالح الثقافة الاستعمارية مع الثقافة الصوفية قائلا (توجد امكانية ضيئلة فى ان يسجيب الإسلام التقليدى لاحتياجات المسلمين الافارقة المبحرين نحو عهد جديد، ويبدو ان الإسلام المعدل أو الإسلام المصحح فقط وليس إسلام الوحى المنزل أو إسلام الشريعة ببعده الواحد ـ الإسلام القابل لاعادة التأويل عدله الصوفية، هو المرشح للاستجابة لاحتياجات رجل اليوم الروحية. الإسلام ذو البعدين هو الذى يستطيع مجابهة العلماينة ببعدها الاحادى الاتجاه فى الحياة ومذهبياتها العلمانية.[١]

ولكن كما يقول لورد كرومر (فإن الإسلام المعدل ليس بإسلام (Reformed Islam, is Islam no longer) ويبدو ان الإسلام المعدل، هو الإسلام الذى زكاه الاستعمار وفى الصومال الحيث يبدو ان اهم اثرين لجهاد السيد/ محمد عبدالله الحسن فى الحياة العامة التى تقوم على الإسلام المعدل هما:ـ

١ــ اضعاف لتيار التغريب وفتحها لآفاق نهضة إسلامية، ولذلك نهت حركات إسلامية حديثة ما تزال غير مسلمة بالخيار العلمانى فى الصومال وتجد نفسها فى مجابهة مع الإسلام المعدل الممثل فى الدولة الصومالية الحديثة.

٢ــ اضعافها للتصوف قد يعنى الانتهاء لثقافة صالحت الاستعمار واجهضت الجهاد.

---

١) مالك بن بنى، وجهة العالم الإسلامى، ترجمة عبد الصور شاهين، دار الفكر ١٩٧٠ ص ٨٣ ـ ١٣٥.

٢) هذه الطاعة العمياء للشيخ لها كذلك وجه ايجابى، خصوصا حينما تنقلب حركة التصوف الى حركة جهادية، اذ تفرز هذه الطباعة روحا عسكرية وطاقة روحية تطلب الشهادة وتحب الموت كما تجلى فى المهدية وغيرها، والتصوف يقود للخلوة والخلوة قد تنقلب احيانا جلوة ـ أى البروز لاظهار الحق واعلانه ـ، والجلوة تجذب احيانا محترفى القتال لخدمة الشيخ خصوصا الذين يريدون الاقلاع عن سفك الدماء وتسخير سيوفهم لخدمة أغراض طاهرة.

١) 130 – J. Spencer Trimingham, the Influence of Islam upon Africa longman group limited, 2 nd edition 1980 p. 125 pp. 3– 4.

٢) W. montogomery watt, Islamie Surveys, Islamic political thought, Edinbrah University press 1960 p. 123.

البرلمان الفرنسى ، بزيادة عدد النواب الجيبوتيين من أثنين وثلاثين نائبا الى أربعين نائبا توطئة لزيادة جورج بومبيدو للمستعمرة .

وفى ١٢ يناير ١٩٧٣ ، تمت زيارة الرئيس بوميبدو، حيث استقبله العفربحماس ، بينما لزم معظم الصوماليين بيوتهم ،(١) واعلن بومبيدو فى خطابه :

١ــ المحافظة على وضع الاقليم فى أطر الجمهورية الفرنسيةوله حق التمتع بالحكم الذاتى .

٢ــ الحد من الهجرة والعمالة الزائدة (المقصود بذلك الصوماليين)

٣ــ الوصول لصيغة تفاهم بين العناصر العرقية المختلفة .

وختم خطابه قائلا (الجمهورية ـ أى فرنسا ـ ستواصل البقاء هنا ، وستواصل تزويدكم بالمساعدات وعقّب ، الرئيس على عارف مؤكدا الإنتماء لفرنسا ، وبعدها سافر الرئيس بومبيدو الى اثيوبيا للاجتماع بهيلاسلاسى كما فعل من قبل الرئيس ديجول .

خف حماس الصوماليين فى المستعمرة تجاه الوحدة مع الصومال ، وربما كان مرد ذلك جزئيا للاحباط فى نظام الثورة الجديد الذى كتب اللغه الصومالية باللاتينيه وقتل العلماء فى زخم شعارات الثورة والاشتراكية حيث أخذ الصوماليون يشعرون بأن مصالحهم الاقتصادية واوضاعهم الثقافية بدت مؤمنة فى اطار الوجود الفرنسى أكثر منها فى اطار نظام الثورة الصومالى .

إنتخابات مجلس النواب الجديد :

جرت انتخابات مجلس النواب الجديد ، على أربعين مقعداً وشارك فى الإنتخابات ٧٨ مرشحاً موزعين على ١٤ حزباً ، وفاز كما هو متوقع التحالف المساند لعلى عارف بكل المقاعد وفشلت المعارضة بقيادة حسن جوليدا فى إحراز أى مقعد . وواصل على عارف رئاسته للمجلس التنفيذى . وفى إبريل ١٩٧٤ ، مات الرئيس بومبيدو ، وجرت إنتخابات بديله فى ١٢ مايو ١٩٧٤ ، حيث فاز جيسكار ديستان على منافسه فرانسو ميتران ، فى وقت أخذت فيه دول الرابطة الفرنسيه الإفريقية (سنغال ، نيجر ، توجو) تؤكد تأييدها لمشروع استقلال اقليم العفر والعيسى بالإضافة إلى صوت المعارضة العنيف الممثل فى حزب الرابطة الشعبية الإفريقية للاستقلال الذى التفت حوله كل قوى المعارضة ، المعارضة للسيد/ على عارف رئيس الوزارء .

أثارت المعارضة عدة أسئلة ، تتعلق بالإنتخابات وشروطها وجدوى إنتخابات شرطها الجنسية الفرنسية وتقوم فيها الإدارة بتأييد فريق على فريق وتتم فى ظروف إرهاب . كما أثارت المعارضة إلى كثرة التعديلات فى قانون الجنسية تبعا للمقتضيات السياسية ، ونبهت المعارضة الى ان مجلس النواب لا يمثل الأمه ، لأن نسبة التصويت له كانت ٢٤٪ فقط ، بينما فى جمهورية فرنسا كانت نسبة التصويت فى آخر انتخابات ٦٠٪ . كما ذكرت ان العفر يمثلون

١/ Robert Thomier, Djibouti , pawn of theHorn of A frica – An abridged trans lation and poscript by Virginia Thompson and Richard Adloff the Scarecroww press, Inc. 1980 p. 31

٣٨٪ فقط من السكان ولكنهم يمثلون الأغلبية فى البرلمان، بينما الأقلية البرلمانية الصومالية تمثل ٦٢٪ من السكان. وهكذا إنخفض صوت المعارضة إلى مناقشة القضايا الداخلية وخف صوت الدعوة للجامعة الصومالية، التى كاد ان ينساها أهل المستعمرة لولا قيام جبهة تحرير ساحل الصومال بعمليتين كبيرتين، أحداهما تمثلت فى اختطاف أعضاء الجبهة للسفير الفرنسى فى الصومال وهددت بقتله، اذا لم يطلق سراح رئيسها السيد/ عمر علوى المعتقل فى تلوز بفرنسا ورضخت الإدارة الفرنسية وأطلقت سراح الثائر الصومالى.

وفى فبراير ١٩٧٦، اختطف عدد من ثوار الجبهة، حافلة تحمل عدداً من أطفال المدارس الفرنسيين، واتجهوا بها نحو الصومال، مما أدى إلى نشوب معركة، مات فيها جميع الثوار المختطفين ونجا الأطفال باستثناء طفل واحد، كما واصلت المنظمات الدوليه ضغوطها على فرنسا لمنح المستعمرة حق تقرير المصير (الأمم المتحدة، منظمة الوحدة الإفريقية، الجامعة العربية).

فى ٨ يونيو ١٩٧٦، قامت السلطات الفرنسية بتعديل قانون الإنتخابات، حيث كفل القانون الجديد حق التصويت للأشخاص المولودين فى الاقليم والذين هم من اصل محلى وكان القانون السابق يحرم على المواطنين المولودين فى جيبوتى بعد عام ١٩٤٢ من حق التصويت إلا إذا كان والده مولودا فى الإقليم وحاصلا على الجنسية الفرنسية ولكن كان عمليا يتم استثناء العفر من هذا الشرط.[١]

وفى إطار هذا القانون الجديد، أجريت انتخابات مجلس النواب فى عام ١٩٧٥، ومع ان قائمة الرئيس عل عارف قد نجحت للمرة الثانية ونالت ٧٢٪ من الأصوات إلا ان وضع المعارضة تحسن بنيلها ٢٨٪ من الأصوات.

ما ان حل عام ١٩٧٦، حتى اضطرب وضع الرئيس على عارف اذ تمرد عليه شباب العفر، الذين تأففوا من تحالفه مع نظام الثورة الجديد فى اثيوبيا، فى وقت استباح فيه نظام اثيوبيا أرض العفر وطرد سلطانهم، مما أدى إلى انسحاب أهم أركان كتلتة البرلمانية ممثلين فى بركت جوردى وأحمد حسين ليبان وانضمامهم لكتلة نواب المعارضة الذين وصل عددهم إلى تسعة عشرنائبا مقابل واحد وعشرين نائبا يمثلون الحكومة. وبينما كانت جبهة المعارضة تتوسع كانت جبهة الحكومة تتصدع برلمانيا وشعبيا. اذ أخذ طلاب العفر يشتركون فى المظاهرات مع اخوانهم الصوماليين مطالبين باستقلال جيبوتى، ووجدت الإدارة الفرنسية نفسها فى مجابهة مع معارضة برلمانية متزايدة ومد شعبى متنامى وضغط عالمى متواصل لمنح شعبى المستعمرة حق تقرير المصير.

١/ المصدر السابق ص ٣٧ ـ ٣٨.

استقالة على عارف:

هنا اضطر الحاكم الفرنسى الجديد دورنانو ان يطلب من الرئيس على عارف إستدعاء البرلمان فى ٢٢ يوليو ١٩٧٦ لتجديد الثقة فى الحكومة، ولكن ماطل على عارف فى ذلك ثم سافر بعد لفرنسا وأرسل استقالته من هناك وانهى بذلك نشاطه فى حقل السياسة الجيبوتية الذى ظل متوقداً على مدى ستة عشر عاما كان فيها السياسى الأول.

انتخب مجلس نواب المستعمرة السيد/ عبدالله محمد كامل رئيسا للوزراء كما تم انتخاب مجلس وزراء من عشرة أعضاء منهم ستة صوماليين واربعة عفر. كما أعلنت فرنسا عن نيتها لإجراء إستفتاء تقرير مصير لأهل المستعمرة وحددتحكومة جيسكار النصف الأول من عام ٧٧ موعداً لإجراء الإستفتاء، كما دعت المنظمات والأجهزة العالمية لمراقبة الاستفتاء (لأول مرة) ودخلت فى حوار مع جميع الاحزب والجبهات المعتبرة بما فيها جبهة تحرير العفر وفى ظروف الإستعداد للاستفتاء، اشتعلت الصدامات مرة أخرى فى المستعمرة مع محاولات لإغتيال بعض القادة السياسيين. أعلنت فرنسا يوم ٢١ إبريل ١٩٧٧ موعداً للإستفتاء، كما قامت بدعوة ممثلى الأحزاب لمؤتمر فى باريس فى فبراير ١٩٧٧، شارك فيه معظم رؤساء أحزاب المستعمرة وعلى رأسهم السيد/ عبدالله محمد كامل وحسن جوليدا، بركات جوردات وغيرهم، بينما قاطعت الأحزاب الموالية لاثيوبيا المؤتمر، وكان من أبرز توصيات المؤتمر:

١ــ إختيار نظام الحكم الجمهورى الديمقراطى.

٢ــ إجراء انتخابات مجلس النواب مع الإستفتاء فى يوم واحد مع زيادة عدد النواب الى ٦٢ نائباً، على أساس خمس دوائر إنتخابية.[١]

٣ ــ إذا كان رأى أهل جيبوتى الاستقلال، يكون الاستقلال فى يوم ١٩٧٧/٦/٢٧

وفى ٢٨ مارس ١٩٧٧ أصدرت الحكومة الفرنسية قانون رقم ٢٤-٧٧، بشأن إجراءات الاستفتاء، حيث جاء السؤال هذه المرة كالآتى:

هل تريد استقلال إقليم العفر والعيسى؟

المؤيدون يستعملون البطاقات البيضاء والمعارضون السوداء وحدد القانون يوم ٨ مايو ١٩٧٧ موعداً لقيام الاستفتاء كما صدر على التوالى قانون رقم ٢٣٠-٧، والذى حدد مقاعد البرلمان بخمسة وستين مقعداً على أساس الدائرة الواحدة بنظام القوائم على أن تضم القائمة ١٢ مرشحا من جيبوتى (العاصمة) و ١٢ من تاجورة و ١٢ من دخيل و ٦ من ابخ.

١/ انسحب أعضاء المؤتمر من الصوماليين، احتجاجا على نظام الدوائر الخمس، والذى عنى تكريس القبلية وقيام الانتخابات على أساس التوازن القبلى.

الاستقلال :

شارك فى إنتخابات الاستفتاء ٧٩٫٤٠٥ ناخبا من جموع الناخبين المسجلين والذى بلغ ١١٥٫٩٥٤ مواطناً. صوت لصالح الاستقلال منهم ٧٥٫٤٠٥. بنسبة ٩٤٫٥١٪ اما بالنسبة لمجلس النـواب، فقـد تقـدمت قائمـة واحـدة للترشيخ، وهى قائمـة التجمـع الشعبى للاستقلال وهى عبارة عن تحالف صومالى عفرى يقوده السيد/ حسن جوليدا وقام برنامجها الانتخابى على الاستقلال والحكم الذاتى وعروبة جيبوتى، ونالت قائمة التجمع الشعبى للاستقلال من اصل ٨١٫٤٦٦ ناخباً أدلوا بأصواتهم، أصوات ٧٥٫٣٣٢ بنسبة ٩٢٫٤٧٪.

انعقد مجلس النواب فى ١٣ مايو ١٩٧٧، واختارا لسيد/ أحمد دينى رئيسا لمجلس الوزراء وحسن جوليد رئيسا للدولة، حيث أصبح الأخير يتمتع بجميع صلاحيات الحاكم الفرنسى الأسبق وفى ٢٧ يونيو ١٩٧٧، تم إعلان استقلال جيبوتى وطوى العلم الفرنسى وواصلت فرنسا احتفاظها بقاعدة عسكرية فى جيبوتى، مكونة من خمسة آلالف جندى وقاعدة جوية واسطول بحرى، وكانت جمهورية مصر أول دولة تعترف بجيبوتى وتتبادل معها التمثيل الدبلوماسى.

أصبحت جيبوتى الدولة رقم ١٤٨ فى منظمة الأمم المتحدة ورقم ٢٢ ف جامعة الدول العربية ورقم ٤٩ فى منظمة الوحدة الإفريقية.

استطاع حسن جوليدا، أن يبرز زعيما لا منافس له، وبمقتضى تعديل ١٢ يوليو ١٩٧٧ أخذ يجمع ما بين صلاحيات رئيس الدولة ورئيس الوزراء، وفى ٤/٩/١٩٧٩ قام بحل كل الأحزاب وأصبح التنظيم السياسى الوحيد المسموح له بالعمل هو حزب التجمع الشعبى من أجل التقدم، وحينما أجريت انخابات رئاسة الجمهورية، كان حسن جوليدا المرشح الوحيدوحصل على نسبة ٨٥٪ من الأصوات وأصبح رئيسا لمدة ست سنوات، جددت مرة اخرى فى عام ١٩٨٧، وهكا أصبحت جيبوتى إمتدادا لنظام الدولة الواحدة والزعيم الواحد فى نسق مع جيرانها (اثيوبيا ـ والصومال).

تطور الأوضاع السياسية والثقافية فى المديرية الحدودية الشمالية :

Northern Frontiers District «N.F.D.»

كانت منطقة كينيا الحالية، حتى عام ١٨٨٤ عبارة عن مراعى وبحيرات وجبال ومناطق نفوذ قبائل لا يجمع بينها جامع، وفى عام ١٨٩٠، اصبح الجزء الأكبر، مما يسمى كينيا وجزءا مما يسمى الصومال (محمية شرق إف يقيا البريطانية) واستجابة لتطلعات الأقلية البيضاء فى. قيام دار للرجـل الأبيض A white man's Country ضمت منـطقة الحزام الساحلى الإسلامى (منطقة ممبسا) بعمق عشرة أميال لمحمية كينيا بدلا من الحاقها بسلطنة زنجبار واطلق على ذلك فى ٢٣ يوليو ١٩٢٠ (مستعمرة كينيا) وفى عام ١٩٢٥ قسمت منطقة جوبالاند ـ وهى

المنطقة الممتدة من الحدود الشمالية لحزام المنطقة الساحلية حتى جزيرة كمسمايو الساحلية فى الجنوب[1] حيث تم نقل منطقة جوبالاند وجزيرة كسمايو الساحلية للحكم الايطالى فى مقديشو بينما حافظت بقية منطقة جوبالاند (N.F.D على وضعها خاصة فى إطار كينيا.[2]

اختلفت تقديرات مساحة منطقة الحدود الشمالية ما بين خمسين الف ميل مربع (المنطقة التى تطالب بها الصومال (الى ١٠٢ ألف ميل مربع اى ما يعادل ٤٥٪ من مساحة كينيا الحالية، [3] وقد جاء فى التقرير السنوى لمكتب المستعمرات لعام ١٩٣٠ ان مساحتها تبلغ ٩٥ ألف ميل مربع (مساحة بريطانيا وشمال ايرلندا)[4] لم تستسلم هذه المنطقة التى يطغى عليها العنصر الصومالى للسيطرة الإنجليزية بسهولة، اذ بدأت القوات البريطانية تغلغلها ما بين ١٨٩٥-١٩١٢ ولكن ضغط الأهالى الصوماليين على القوات البريطانية أجبرهم على الإنسحاب ولم يعودوا ثانية إلا فى عام ١٩١٩، حيث انشأوا ثكنة عسكرية ثابتة فى منطقة واجيرا.[5] كان عدد سكان المنطقة فى عام ١٩٣٠، حسب تقديرات الإدارة البريطانية ستين ألف نسمة ولكن اصبح عدد الصوماليين وحدهم حسب تقديرات عام ١٩٧٨، ٤٧٢ ألف نسمة ويأتى بعدهم فى الأهمية الجالا الذين معظمهم من المسلمين وتشارك ست عرقيات أخرى شبه بدوية الصوماليين والجالا فى المعيشة ويمثل مجمل سكان المنطقة ٦٪ من سكان كينيا الحالية.[6]

ظلت منقطة الحدود الشمالية، منطقة مغلقة، منذ عام ١٩٢٤ حتى الخمسينات قائمة بذاتها، لا تدخل إلا بترخيص خاص[7] لم تبذل سلطات الاحتلال البريطانى طيلة هذه المدة اى جهد لتطوير المنطقة وكانت تقارير الإداريين الانجليز تتحدث عنها باعتبارها منطقة طاردة، وان السكان لا يرغبون فى اية خدمات إجتماعية أو تعليمية، علما بان تنمية أجزاء كينيا الأخرى، كان يسير بصورة مضطرده إلى الامام.

بلغت ميزانية المستعمرة الكينية للتعليم فى عام ١٩٣٢، ١٢٫٦٣٥ من الجنيهات الاسترلينيه، لم يستثمر منها شىء فى المنطقة الشمالية. وجاء فى تقرير الإدارة الاستعمارية السنوى لعامى ١٩٣٣ و ١٩٣٤ ان النشاط التعليمى الموجود فى منطقة الحدود الشمالية، لا يتعدى وجود حلقة تعليمية تنظمها إرسالية الكنيسة الإنجليزية لأربعة وأربعين طالباً فى قرية

١/ انظر فى فصل المراجع والوثائق خرائط المنطقة.

٢/ Marjorie Oludhe Macyoye, the Story of Kenya in the MaKing, O.U.P. 1986 p. 2 – 3

٣/ Sorobea N. BogonKo, Kenya 1945 – 1963, A study in African National Movements, Kenya literature Bureau Nairobi p. 264

٤/ Kenya Colony and proteacorte Native Affairs depar tment, Annual Report 1930, His Majesty stationary office, london 1931 p. 19.

٥/ John drysdale, the somali dispute, pall Mallpress, london, 1964. p. 38

٦/ C. peter Wagner and Edward R. dayton, unreached peoples' 80, david C. CooK. publishing Co. Elgin, IUinois p. 69 – 68

٧/ Somali Republic, Ministry of Information, white paper on N. F.D.Modadiseio, December 1964 p. 4 – 3

مارسبيت Marsabit وحلقة تعليمية أخرى فى سيولو Isilo وجاءت خاتمة التقرير كالآتى : (من غير المحتمل أن تظهر اى رغبة تعليمية فى وسائل تعليمية كبيرة بين هؤلاء البدو، وان التعليم الموجود هو تعليم المدارس القرآنية وتعليم اللغة العربية الذى يقوم به معلمو القرآن الكريم[١] وجاء فى التقرير السنوى للادارة الاستعمارية لعام ١٩٣٧، ان مجموع طلاب مدارس كينيا قد بلغ مائة ألف طالب، بينما لم يتجاوز طلاب المنطقة الشمالية ٣٩ طالبا وهم طلاب مدرسة الإرسالية والتى كان يديرها أستاذان، بينما ترك التعلم الإسلامى البدائى على حالة دون مساعدة[٢] وبالمقارنة مع المناطق الإفريقية المتخلفة، نجد ان أكثرها تخلفا كان أسعد حظا من منطقة كينيا الشمالية، حيث ابتدأ فتح المدارس فى جنوب السودان عام ١٩٠٣ وبلغ عدد المدارس فى جنوب السودان عام ١٩٤٩، ٨٣٢ مدرسة قرية، ٦١ مدرسة بنين أولية، ٣ مدارس متوسطة، ٣٠ مدرة أولية للبنات بينما لم يبدأ انشاء المدارس التعليمية الحكومية فى منطقة الحدود الشمالية إلا فى الخمسينات.

عاشت منطقة الحدود الشمالية فى عزلة عن تطورات الحياة السياسية والدستورية الكينية، حيث لم يسمع أهل النطقة بثورة الماوماو والتى استمرت لأعوام ثمانية (١٩٥٢-١٩٦٠، كما لم يسمعوا بالتطور الدستورى، الذى بدأ فى كينيا منذ عام ١٩٠٦، بتأسيس أول مجلس تشريعى كما لم يمثل أهل المنطقة الشمالية فى مجلس وزراء عام ١٩٤٤ لكينيا والذى ضم احد الأهالى الإفريقيين، ولم يمثلوا كذلك فى المجلس التشريعى لعام ١٩٥٦ لكينا والذى ضم ستة من الأفارقة ولا المجلس التشريعى لعام ١٩٥٧ والذى ضم اثنى عشر إفريقيا بل كان سكان الإقليم الشمالى من الصوماليين، يعيشون بوجدانهم وتطلعاتعم مع أخوانهم فى صومال الوصايا، حيث كونوا الخلايا والفروع لحركة حزب وحدة الشباب الصومالى منذ عام ١٩٤٦[٣] وازداد زخم حركة التوجه للصومال فيما بعدبروز جمهورية الصومال، وحينها قامت الإدارة الاستعمارية بتعيين صومالى فى مجلس كينيا التشريعى فى عام ١٩٥٩ لينظر فى مصالح الصوماليين.

نشطت الأحزاب السياسة الصومالية منذ الخمسينات فى الدعوة إلى حق تقرير المصير لسكان المنطقة الشمالية ولقيت الدعوة استجابة واسعة بين أهل المنطقة، مما دعا رئيس الوزراء لإصدار تصريح فى مجلس العموم البريطانى، فى ظروف الإعداد لاستقلال كينيا فى إبريل ١٩٦٠ ان حكومة صاحبة الجلالة لم تشجع أو تدعم أية مطالب تؤثر على سلامة أراضى الصومال الفرنسى أو كينيا أو اثيوبيا. وهذه المسألة يمكن اعتبارها فقط إذا كانت تلك هى رغبة الحكومات والشعوب المعنية.[٤]

١/ Kenya, Annual Report 1933, His Majesty Stationary office, london p. 64.

٢/ Kenya Annual Report 1937, His Majesty stationary office london london 1938 p. 102

٣/ lewis, op. cit A Modern History of Somalia p. 117 – 130

٤/ Sorobea : Op. cit Kenya p. 267. (   )

وفى ذات الفترة - إبريل ٦٠ - زار حاكم كينيا سير باتريك رينسون Sir Partick Renison المنطقة الشمالية حيث لاحظ مشاعرالانفعال وعدم الإستقرار، فحاول تهدئة المشاعر قائلا: (أنه خارج دائرة السؤال طالما كانت بريطانيا مسئولة عن كينيا) التفكير فى تعديل وضع المنطقة الشمالية وأنه متى ما جاء الاستقلال فان قضية المديرية الشمالية وشعبها، ستكون من مسئولية حكومة الاستقلال، وان إنتقال مسئولية المنطقة الشمالية لحكومة أخرى خارج كينيا، سيكون موضوعا للاتفاق بين الحكومات والقبائل المعنية، وان رغبات رجال القبائل ستمنح الاعتبار الأكمل.[1]

وفى يوليو ١٩٦٠ نال الصومال استقلاله وتوحد شعبه، وابتداء من هذا التاريخ، اصبح الصراع حول شمال كينيا، يشمل اثيوبيا، إذ خشيت من تفريط كينيا فى المنطقة الشمالية، لأن ذلك سيقوى شوكة حركة الجامعة الصومالية، مما سيؤثر على امن اثيوبيا ويهدد وحدة اراضيها اخذت السلطات الاثيوبية، تشن حملة إذاعية على الصومال، كما واصلت الاتصال بالزعماء الإفريقيين والأحزاب الافريقية الناشئة حاضة اياهم على عدم التسليم بالمطالب الصومالية.

وفى عام ١٩٦٢، انعقد مؤتمر كينيا الدستورى الثانى فى لانكستر بلندن واوصى المؤتمر بضرورة ايلولة دولة الساحل لكينيا والغاء إتفاقية ١٨٩٥ التى جعلتها من نصيب سلطان زنجبار[2] وكذلك استقبل المؤتمر وفدا يمثل سكان المنطقة الشمالية، حيث أكد الوفد للمؤتمرين رفض أهل المنطقة لفكرة بقائهم فى إطار كينيا وحربهم على الإتحاد مع إخوانهم الصوماليين وكذلك استقبل المؤتمرون وفد الأحزاب الإفريقية المدعومة باثيوبيا، حيث أبدت رفضها لفكرة أيلولة المنطقة الشمالية للصومال وأنهى المؤتمر بتكوين لجنة مستقلة لمعرفة آراء السكان القاطنين فى المنطقة.

حاولت الأحزاب الإفريقية مخاطبة الأهالى الوطنيين من أبناء الصومال مباشرة مما أدى إلى جو من عدم الإستقرار والإصطدامات والقلاقل قام الصوماليين فى ٢٦ اغسطس ١٩٦٢، بتفريق اجتماع لحزب جوموكنياتا[3] الاتحاد الوطنى الإفريقى الكينى (K.A.N.U.) فى سيولو المدينة الثانية فى الأهمية بالإقليم الشمالى، مما أدى إلى تدخل الشرطة ودخولها فى صدام مع

١/ المصدر السابق ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

٢/ تجاهل المؤتمر رغبات عرب الساحل المسلمين، الذين كانوا يريدون تكوين جمهورية الساحل، التى تشملهم وعرب زنجبار كما كان حادثا فى التاريخ، وكان يمكن أن تمتد هذه الجمهورية لتشمل منطقة كينيا الشمالية على أساس التجانس والتكامل الجغرافى والثقافى القائم على العروبة والإسلام.

٣/ جوموكنيتا، زعيم إفريقى شهير، ولد فى نهاية القرن التاسع عشر، وبرز كقائد لحركة الماماو واعتقل ما بين ١٩٥٢ - ١٩٦٢ وانتخب رئيسا لحزب الاتحاد الوطنى الإفريقى فى مارس ١٩٦٠ وكان لايزال فى السجن. اصبح أول رئيس لجمهورية كينيا بعد استقلالها ومات فى ٢٢ اغسطس ١٩٧٨.

الأهالى وتطور الوضع حتى اضطرت السلطات لإعلان جظر التجول.[1]

فى اغسطس ١٩٦٢ دعت الحكومة الصومالية، الزعيم الإفريقى، جوما كيناتا وصنوه رونالد ناجلا، لحضور إحتفالات الذكرى الثانية لاستقلال الصومال، وفى الإحتفال بطرح القادة الصوماليون، فكرة تقرير المصير للمنطقة الشمالية، بإعتبارها خطوة تمهيدية للإتحاد السياسى لدول شرق ووسط إفريقيا وذلك بقيام أحد لبناته المتمثل فى مشروع الصومال الكبير، ولكن الزعيمين الافريقيين اصرا على ان قضية المنطقة الشمالية قضية داخلية بحته وإنها جزء لا يتجزأ من كينيا.[2]

وفى يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٦٢، باشرت لجنة التحقيق فى رغبات الأهالى المنبثقة من مؤتمر لانكستر أعمالها، وكانت تضم أربعة أعضاء أحدهم نيجرى والآخر كندى. أجرت اللجنة إستطلاعاً لرأى الأهالى الصوماليين شمل أربعين الف مواطن ورفعت اللجنة تقريرها فى ديسمبر ١٩٦٢ للسلطات، ونص التقرير على الآتى:

١- كل الأهالى من الصوماليين يريدون الإنضمام إلى الصومال.

٢- الجالا فريقان، بعضهم يريد الإنضمام للصومال وبعضهم يريد البقاء فى دولة كينيا.

٣- مسلمو البوران يريدون الإنضمام للصومال ومشركوهم مع كينيا.

وانتهى التقرير إلى ان الأغلبية الغالبة فى خمس مناطق من اصل مناطق الإقليم الست، تريد الاتحاد مع الصومال وهى جاريساواجيرا، مانديرا، موياﻻ، اسولو).[3]

جاء تقرير اللجنة فى اطار السياسة البريطانية، بان سؤال الانفصال غير وارد، قبل حصول كينيا على استقلالها، مما عنى افراغ عمل اللجنة من مضمونه وأصبح مجرد مسح اكاديمى دون مغزى سياسى.

ادار الصوماليون فى ٨ مارس ١٩٦٢، مؤشرات أجهزة المذياع صوب كينيا، لسماع خطاب وزير المستعمرات البريطانى دنكانساندس Duncan Sandays حول الدستور الكينى، لأن ذلك سيحدد ضمنيا وضعية المنطقة الشمالية، وقد سبق ذلك قيام الحكومة الإنجليزية بنقل آلاف الجنود الكينيين إلى المنطقة الشمالية والمناطق الحدودية.

/١ Segal, Op. cit, A frican profiles p. 166

/٢ Drysdale, Op. cit the Somali Dispute p. 126

/٣ Drysdale Op. cit, the Somali Dispute p. 126

أعلن دنكان فى خطابه (قيام المديرية الشمالية الشرقية كمديرية كينية سابعة) مما ادى الى غضب شعبى عارم فى الصومال اعقبته مظاهرات صاخبة فى هرجيسا دمرت المجلس البريطانى الثقافى، كما عقد سبعون شيخا من زعماء القبائل الصومالية فى المنطقة الشمالية مؤتمرا فى واجيرا واعلنوا عن مقاطعتهم للانتخابات التى ستقود لاستقلال كينيا.

قام الرئيس الصومالى، عبدالرشيد شارماركى باستدعاء البرلمان الصومالى، وطرح حقائق الموقف على النواب، الذين تداولوا فى الأمر لمدة ستة ايام وانتهوا باصدار توصية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا باغلبية ٧٠ نائبا الى ١٤ كما اجازت الجمعية الوطنية توصية برفض المعونة الاقتصادية البريطانية، وبدأت الحكومة الصومالية فى مساعدة الثوار الصوماليين فى المنطق الشمالية.

اصدرت الحكومة الكينية بيانا بانها على استعداد للحرب للحفاظ على المنطقة الشمالية واذا اراد السكان المغادرة للصومال فلهم ذلك على الا يحملوا ذرة من التراب الكينى.[١]

وفى مايو ١٩٦٣، فاز حزب الزعيم جوموكنياتا الاتحاد الإفريقى بـ ٨٣ مقعدا ونال حزب الاتحاد الديمقراطى الكينى ٤١ مقعدا وفى ١ يونيو ١٩٦٣ اعلن عن استقلال كينيا برئاسة جوموكنياتا وسط ظروف حرب فى المنطقة الشمالية، حيث نشط الثوار الصوماليون الذين كانوا يأتون كذلك من داخل القبائل الصومالية فى اثيوبيا والخارجة على طاعة الحكومة الاثيوبية ذاتها.

نشاط حركة الثوار فى المنطقة الشمالية، هدد بمجابهة شاملة بين كينيا والصومال، مما ادى الى معاهدة دفاعية مفصلة فى يناير ١٩٦٤ بين كينيا واثيوبيا وكانت المعاهدة موجهة أساسا ضد الصوماليين وفى هذه الفترة اتجهت الحكومة الصومالية نحو الصين وروسيا، بحثا عن السلاح لموازنة دعم الغرب عامة وامريكا خاصة لاثيوبيا. اصدر المجلس الوزارى لمنظمة الوحدة الإفريقية فى دار السلام ولاغوس فى فبراير ١٩٦٤ قرارات يوصى فيها كل من كينيا وأثيوبيا والصومال الدخول فى مفاوضات مباشرة، بغرض الوصول إلى حل سلمى حول خلافات الحدود[٢]. وعلى هذا الأساس جرت مفاوضات مباشرة فى الخرطوم فى مارس ١٩٦٤ وفى اكرا فى اكتوبر ١٩٦٥ وفى كنشاسا عام ١٩٦٧: ولم تتطرق كل هذه البيانات الى جوهر المشكلة،[٣] ولكن كان من الواضح ان الثقل اقليما ودوليا كان مع محور هيلاسلاسى، جومو كيناتا وقد استمرت اجواء الحرب بابعادها المدمرة فى المنطقة الشمالية حتى نهاية الستينات، حيث شهدت المنطقة الشمالية نوعا من الاستقرار المصاحب بتنمية اجتماعية وسياسية وثقافية

(١) Sorobea: op. cit Kenya P. 275 - 277

(٢) Ivison Macadam, The Annual Register 1964 P. 364

(٣) توريرى: الحياد الايجابى ص ٣٧٧ (كنموذج لأدب الحرب أنظر جريدة الوحدة الصومالية، السنة السابعة، العدد الثانى الاحد ٢١ مايو. ١٩٦٧، حيث جاءت اخبار الصفحة الأولى كلها عن المنطقة الشمالية وكان العنوان الرئيسى الذعر يسود الطغمة الحاكمة فى كينيا، الوطنيون الصوماليون يقتلون عشرات من الجنود الكينين الاستعماريين فى منطقة الانفدى.

الفصل الرابع

اتجاهات الثقافة فى الصومال الكبير قضايا اللغة والدين والتعليم

تطور حركة التعليم والثقافة فى صومال الوصاية (١٩٤٢ - ١٩٦٠)[١]

حينما وضعت الادارة الانجليزية يدها على الصومال الجنوبى - الايطالى - وجدت ان حركة التعليم فيه، قاصرة عل الارسالية الكاثوليكية، التى كانت تدير ثلاث عشرة مدرسة تضم ١٩٥٦ طفلا وكان تعليم هذه المدارس يقوم على نشر اللغة الايطالية والثقافة الكنسية وتنمية المقدرات المهنية.

ارتبطت النهضة التعليمية الجديدة، بكسر احتكار الكنيسة الكاثوليكية لحركة التعليم، وقد تم ذلك على يد حزب وحدة الشباب الصومالى الكبير، وعنيت مدارس الحزب بتدريس اللغة العربة واللغة الانجليزية ابتداء من عام ١٩٤٤ وبحلول عام ١٩٤٦ كان الحزب يدير عددا من المدارس فى مقديشو، مركا، كسمايو، بيدو، بوصاصو بالاضافة الى مدارس الحزب فى صومال المحمية وهرر والاوجادين واستطاع الحزب ان يؤمن لهذه المدارس، مدرسى اللغة العربية والدراسات الاسلامية، من الفقاء الفارين من بطش السلطات الاثيوبية فى هرر والاوجاين عام ١٩٤٧.[١] كما قام حزب وحدة الشباب بفتح مدرسة اعدادية فى عام ١٩٤٩ فى مقديشو وعين الاستاذ/ اسماعيل على حسين مديرا لها.

كما قام حزب وحدة الشباب بفتح المدارس الليلية فى ذات مبانى المدارس الصباحية، واصبحت اللغة العربية لغة التدريس فى المدارس المسائية. رعى حزب وحدة الشباب حركة تعليمية ضخمة، استوعبت اكثر من الفى طالب صغير وثلاثة الآف دارس فى فصول تعليم الكبار، وكان يتم تمويل كل ذلك، من صندوق الصومال الوطنى، حيث باشر كل عضو دفع اشتراك شهرى فى حدود ١٠٪ من دخله ويصرف الدخل على مناشط الحزب السياسية والثقافية وتسيير المدارس.[٢]

تمثل جهد سلطات الاحتلال الانجليزى، فى تشجيع حركة وحدة الشباب التعليمية، لان الادارة الانجليزية، كانت تقدر ان وجودها مؤقت ومرهون بفصل الامم المتحدة فى مستقبل الصومال. عمدت سلطات الاحتلال الى تشجيع تدريس اللغة الانجليزية، حيث افتتحت فى عام ١٩٤٤ عدة فصول لهذا الغرض ضمت ٣٤٤ طالباً، كما قامت ببناء مدرسة ابتدائية فى جالكعيو فى عام ١٩٤٥ كما سمحت بفتح مدرسة اهلية لتعليم البنات فى حمروين (مقديشو). وجهزت مبان لمدارس فى مركا وافجوى وولقة.[٣] وبلغ مجموع مدارس الادارة

(١) تاريخ التعليم فى الصومال ص ٦٢.

(٢) Fo, 371/90328 : 103 464

(٣) Pankhurst Op. cit Ex-Italian Somaliland P. 168

الانجليزية ١٩ مدرسة ابتدائية ومركزا لتدريب المعلمين يستوعب ١٥ طالبا.(١)

كذلك واصل التعليم الإسلامى بنمطه التقليدى الانتشار حتى بلغت تقديراته عدة الآف مدرسة. يلتحق الاطفال بهذا النوع من التعليم فى سن السادسة لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة ويتخرج الطفل بعدها اما للحياة واما للمجالس العلمية فى المساجد الكبيرة والتى تدرس النحو والفقه والتفسير والكتب الرائجة هى سفينة الصلاة، وابى شجاع والنحوية مثل الاجرومية، وملحة الاعراب وكانت مقديشو عاصمة هذا النوع من التعليم.(٢)

حاولت الادارة الايطالية اغلاق مدارس حزب وحدة الشباب سعيا لاضعاف اللغة العربية مما دعا قيادة حزب وحدة الشباب للاتصال بالمندوب المصرى رستم بك، ممثل مصر فى المجلس الاستشارى الذى اتصل بدوره بالحكومة المصرية وبالملك فاروق، شارحا لهم قضايا التعليم العربى والإسلامى فى الصومال،(٣) كما رفع حزب وحدة الشباب مذكرة لرئيس الوزراء المصرى مصطفى النحاس تطالب بتخصيص منح فى الأزهر وغيره، لأبناء الصومال المحرومين من الثقافة الإسلامية والعربية واشارت المذكرة الى انه لم تفتح مدرسة عربية رسمية واحدة فى ظرف الستين سنة الأخيرة.(٤)

جاءت استجابة الحكومة المصرية سريعة، اذ قدمت اربعين منحة دراسية للذين اكملوا دراستهم الابتدائية من الصوماليين، كما ارسلت الشيخ عبدالله المشد والشيخ محمود خليفة من علماء الأزهر فى يونيو ١٩٥١ للوعظ والارشاد وكتابة تقرير عن الوضع الثقافى، كما وقعت الحكومة المصرية اتفاقية تعليمية مع ادارة الوصايا الايطالية ووصلت بعثة ثقافية دينية من خمسة مدربين مصريين أزهريين، برئاسة الشيخ ابوبكر زكريا، وتضم شيخ اسماعيل حمدى وشيخ يوسف عبدالنعيم ابراهيم وشيخ محمود سعيد احمد وشيخ محمد المهدى محمود، وقد اصدرت اللجنة المركزية لحزب وحدة الشباب بيانا قصيرا بعد وصول البعثة اكدت فيه (اللغة العربية هى اللغة الرسمية لرابطة وحدة الشباب الصومالى وكل الشعب، اذ اللغة العربية هى هبة الله للشعب الصومالى، الذى هو جزء من العالم الإسلامى(٥) وقامت البعثة فى عام ١٩٥٢ بانشاء معهد الدراسات الإسلامية وعمل رئيس البعثة كذلك مستشارا لقاضى قضاة الصومال. كما قامت البعثة المصرية لاحقا بوضع منهج شامل للتعليم ووضع ما يستلزم من

(١) Lewis, Op. cit A Modern History of somalia

(٢) على شيخ عبدالله بلحوز، دراسات فى الأدب الصومالى الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة. معهد البحوث والدراسات الأدبية بغداد، يونيو ١٩٨٤ . ص ٤١.

(٣) ذات المصدر السابق وكذلك تاريخ التعليم فى الصومال ص ٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) خطاب من القنصل البريطانى بمقديشو بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٥٢ Fo 371, 96705

كتب وطبعت ذلك على نفقتها باسم وحدة الشباب الصومالى ولكن لم تعمل الادارة الايطالية التعليمية بتوصيات هذا المنهج.

وصل المندوب المصرى الجديد لمجلس الوصاية الاستشارى السيد كمال صلاح الدين فى عام ١٩٥٤ واعطى دفعة قوية للوجود المصرى سياسيا وثقافيا وتعليميا، كما استطاع بناء صلة عضوية مع قيادة حزب وحدة الشباب مما ادى الى ظهور حلفاء لمصر فى حزب الشباب مما ادى الى انقسام جزئى كما رأينا فى حركة حزب الوحدة بين دعاة العروبة والتغريب.

مثل الحضور الثقافى الإسلامى المصرى، هاجسا للسلطات الايطالية، وقد ظهر ذلك فى توسيع الكنسية الكاثوليكية لنشاطها التعلمى، كما فتحت الاذارة الايطالية الأبواب للارساليات غير الكاثوليكية للعمل فى مجال التعليم والخدمات الاجتماعية، حيث جاءت ارساليات المينويت الشرقية فى عام ١٩٥٢، وهى عبارة عن واجهة لكنيسة امريكية بروتستانتية تحت ستار العمل التعليمى والصحى، فانشات مدرسة المينويت الانجليزية المتوسطة بمقديشو نظام الاربع سنوات.

وقام منهج المدرسة عمليا على اللغة الانجليزية وان ظهر فى خطتها تدريس العربية والصومالية. وكانت الدراسة مختلطة (ذكور واناث) وكانت سعتها فى حدود ١٣٤ طالبا داخليا و ٢٩ طالبا خارجيا، وكان هدف المدرسة (خدمة وعلمنة دولة دينية.

(١) Service and Secularization of religious State.

كما قام مجلس الارساليات بانشاء مدرسة جوبا الابتدائية والمتوسطة بمدينة جمامة عام ١٩٥٨ وكانت مدة الدراسة ثمان سنوات والطاقة الاستيعابية ١٧٠ طالبا (١٤٥ خارجيا + ٢٥ داخليا). واقتصرت خطة المدرسة على تدريس اللغتين الانجليزية والصومالية، واختفت عن مناهجها اللغة العربية، لانها - اى المدرسة - فى الريف بعيدة عن رقابة الرأى العام الصومالى وجعلت المدرسة لنفسها شعارا هو (تنمية الأمة والحياة الشخصية للافراد، شهادة لمعنى العقيدة المسيحية)

Development of Nation and Personal lives of Individuals,

(٢) Witness meaning of Christian faith.

كما فتح مجلس ارساليات المانونيت عدة مدارس ابتدائية ومدارس لتعليم الكبار ومستوصفات ومستشفى بالاضافة الى مكتبة وتوزيع الكتب المسيحية بمقديشو ولكن ادى توزيع المطبوعات الكنسية على مسلمى الصومال الى احداث حالة من التوتر والهياج فى

---

(١) Rey Mond B. Baker, Sr. and Ted Ward, The World Directory of Mission - Related Educational Institutions, William carey Library, 1972. P 70.

(٢) المصدر السابق ص ٦٩٩.

المدينة، مما كلف القس ميرلين كروف Merlin Grove حياته فى عام ١٩٦٢ وادى لاغلاق المكتبة.[١]

ركزت ارسالية المينونيت بعد هذا الحادث على العمل الداخلى والمحافظة على مؤسساتها القائمة وكان آخر اعمالها اقامة مدرسة كسمايو لتعليم الكبار فى عام ١٩٦٨ والتى استقطبت العاملين من موظفى الدولة وكانت لغة التدريس فيها الانجليزية والصومالية. وكان من اهداف هذه المدرسة مساعدة حكومة الوحدة على التوجه من اللغة الايطالية الى اللغة الانجليزية وكانت تضم فى ربوعها فى نوفمبر ١٩٦٩ اربعمائة طالب.

ارسالية السودان الداخلية : Sudan Interior Mission

عبارة عن ارسالية تبشيرية مسيحية بروتستانتية عالمية بمعنى انها تضم عدة هيئات وكنائس حلت الصومال عام ١٩٥٤، وفتحت عدة مدارس فى مقديشو وغيرها وباشرت تدريس الانجيل فيها، ولكن حينما الزمت الحكومة الوطنية فى عام ١٩٦٣ المدارس الاجنبية تدريس القرآن بدلا عن الانجيل للطلاب المسلمين، قامت ارسالية السودان باغلاق مدارسها،[٢] ولكن واصل المبشرون الاتصال بالطلاب وجذبهم الى بيوت المبشرين، وورد فى تقرير كنسى صادر فى يوليو أنه يتم تنصير صومالى اسبوعياً بمقديشو تحت ستار فصول تقوية اللغة الانجليزية التى اجتذبت المسئولين الحكوميين والمدرسين وقد بلغ عدد المنتسبين لهذه الفصول عام ١٩٦٥ ثلثمائة وخمسين طالباً.[٣]

وفى عام ١٩٦٦ اكملت هذه الارسالية، ترجمة العهد الجديد الى اللغة الصومالة واردفت ذلك بترجمة العهد القديم للغة الصومالية وكلاهما بالحرف اللاتينى، ومثل ذلك احد روافد الخلفية التى قام عليها مشروع كتابة اللغة الصومالية بالحرف اللاتينى.

لم تقم ارسالية السودان الداخلية، بانشاء كنيسة محلية للعناية باوضاع الصوماليين المنصرين، الا انه تم تكوين جهاز سرى لرعايتهم تحت اسم (زمالة الصوماليين المؤمنين)

Somali Believers

Fellowships

---

(١) J. Harbert kane, AG lobal View of christian Missions, From Pente to the Present. Baker Book House, grand Rapids Michigan, April 1975 P. 379

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٩.

(٣) المصدر السابق ص ٣٧٩.

وتقوم عل بناء تنظيمى من خلايا اربع تضم كل خلية ما بين الستين الى السبعين شخصا، وارسل عدد من هؤلاء المنصرين للمدارس الانجلية المتخصصة خارج الصومال لاعدادهم دعاة مؤهلين ومتفرغين للمسيحية.[1]

كانت الارسالية الداخلية كذلك تدير مستشفيين وثلاثة مستوصفات تحت اشراف طبيب وعشر ممرضات. هذا وقد توقف عمل هذ الارسالية جزئيا فى ظروف ثورة الضباط فيما بعد اكتوبر ١٩٦٩ ويبدو انها تركز الآن على العمل الاغاثى وسط معسكرات اللاجئين كما تفعل غيرها من الارساليات.

جهود الادارة الايطالية فى تطوير التعليم (١٩٥٠ - ١٩٦٠):

وضعت الادارة الايطالية يدها على المدارس التى فتحتها الادارة الانجليزية واستدعت لها المدرسين من ايطاليا وغيرت مناهجها للمنهج الايطالى وجعلت الايطالية لغة للتدريس فيها،[2] كما قامت بفتح مدرسة لتدريب المعلمين الصوماليين على تدريس اللغة الايطالية، وفى هذا الظرف اصبحت مدارس البعثة المصرية المنافس الوحيد لمدارس الادارة الايطالية ومدارس الكنائس والملاذ الآمن لأبناء الصومال الطامعين فى التعليم.

مدرسة الاعداد السياسى والادارى:

لعل اهم اسهام تعليمى ايطالى، اسهم فى تشكيل الصفوة الصومالية تمثل فى مدرسة الاعداد السياسى والادارى، الذى افتتحته السلطات الايطالية فى ٢٦ ديسمبر ١٩٥٠ مقديشو. وقد تخرج من هذه المدرسة معظم رواد الصومال المعاصر فى التعليم والادارة والسياسة[3] كان منهج المدرسة يقوم على استيعاب كل من يستطيع التفاهم بالايطالية بغض النظر عن مستواه التعليمى والا يحد من ذلك الا الطاقة الاستيعابية التى كانت فى حدود الاربعين طالبا. كان معظم الدارسين من موظفى الحكومة الايطالية وابناء زعماء العشائر.

كانت مدة الدراسة ثلاثة اعوام، زيدت فى عام ١٩٥٥ الى اربعة اعوام وفى عام ١٩٥٦ اصبح المعهد مدرسة ثانوية ذات اتجاه تجارى ثم حلت عام ١٩٥٨ الى مدرسة للمحاسبة

(١) قابلت احد الصوماليين المنصرين المثقفين وهو يدير محلا للنسخ الالى والطباعة فى وسط سوق مقديشو وذكر لى بأن عددهم لا يقل عن ثلثمائة.

(٢) تاريخ التعليم فى الصومال ص ٦٩.

(٣) الرئيس السابق المرحوم عبد الرشيد شارماركى من خريجى هذه المدرسة وكذلك الرئيس الصومالى الحالى محمد سياد برى.

والتجـارة وكان يمكن لخريجى هذه المدرسة الالتحاق بكليات الجامعة الايطالية هذا وقد اضمحلت هذه المدرسة واختفت فى سنوات الاستقلال.

منهج مدرسة الاعداد السياسى والادارى:

يقوم منهج هذه المدرسة على ركائز ثلاث:

ثقافة عامة، ثقافة اسلامية، قانون، يدرس الطالب فى باب الثقافة العامة تاريخ الحضارة لمدة ثلاث سنوات وتفاصيل المنهج كالآتى:

ـ اصل الحضارة، فترة ما قبل التاريخ
ـ حضارة البحر المتوسط الاولى مصر
ـ الفراعنة
ـ الحضارة الاشورية ـ البابلية
ـ الحضارة الاغريقية ـ الفن الاغريقى
ـ الحضارة الرومانية، القانون الرومانى، المسيحية.
ـ الحضارة العربية.
ـ الحاضرة العربية ـ الاسلامية.
ـ الحضارة المعاصرة، الكشوفات الجغرافية والتاريخية منذ القرن السادس عشر حتى العشرين.

وكذلك يدرس الطالب فى باب الثقافة العامة شذرات من الادب العالمى بدراسته احد أعمال الكتاب الاتية اسماؤهم:

هومير وفرجيل
دانتى وميكافيلى
سيرفانتيس Servantes
شكسبير، موليير، جوته
دستوفينسكس، همنجواى.

ب: منهج الثقافة الاسلامية وعناصره ثلاثة

١ـ المذاهب الاسلامية الاربعة مع التركيز على المذهب الشافعى ودراسة عامة للشريعة الاسلامية.

٢ـ تاريخ الثقافة العربية والتوسع الاسلامى.

٣ـ تطور الاسـلام المعـاصر، مع تقديم بعض النماذج لنظم عدد من الدول الاسلامية المعاصرة، بالاضافة الى دروس فى اللغة العربية.

ج ـ اما الركيزة الثالثة ـ فيدرس الطالب فى العام الاول مبادىء القانون الدستورى والدولى والقوانين الحاكمة للعلاقات بين الدول بالاضافة الى فكرة عن خصائص الدولة الديمقراطية

المعاصرة.

وفى العام الثانى، يدرس الطالب أنماطاً من مواد القانون الادارى.

اما في العام الثالث، فيدرس الطالب العرف وظروف البيئة والشريعة ومبادىء الرياضيات والمحاسبة.

مدة الدراسة ساعتان لثلاث ساعات مساء (٦-٩) يوميا ولغة التدريس الايطالية والهدف اعداد مجموعة قيادية فى ظرف عشر سنوات لادارة جهاز الدولة من الصوماليين النابهين والذين هم على قدر من النضج نتيجة لخبراتم وجهدهم فى التثقيف الذاتى بعد المرحلة الابتدائية ويعطى المتفوقون منهم منحا دراسية فى ايطاليا واماكن اخرى.(١)

استخدمت الادارة الايطالية منح الاكاديمية وسيلة للضغط والابتزاز والترغيب والتأثير على قادة الاحزاب السياسية. قبلت المدرسة فى اول دفعة تسعة وثلاثين طالبا من اصل مائة وسبعة مرشحين، كان من بين المقبولين ستة عشر من قادة الاحزاب الموالية لايطاليا وعشرين من اعضاء حزب رابطة الشباب وقد شملت القائمة روؤساء معظم الاحزاب الصومالية (رئيس حزب وحدة الشباب ونائبه ورئيس حزب المؤتمر الصومالى، ورئيس حزب اتحاد الأفارقة (حزب صغير موال لايطاليا) - ورئيس حزب الرابطة الوطنية.(٢)

اما منهج الدراسة فقد تجنب تدريس جوهر الثقافة الاسلامية القرآن الكريم والحديث والسيرة وركز على الثقافة الاسلامية العامة، كما اهمل المنهج تدريس الشخصيات الاسلامية والصومالية وركز على الفكر الغربى واساطنيه، كما جعل تاريخ الحضارة هو تاريخ الحضارة الغربية وتجاهل المنهج تدريس تاريخ القرن الافريقى بعامة وتاريخ الصومال خاصة، تجاهلا تاما.

الوضع التعليمى فى صومال الوصاية عشية الاستقلال:

اولا فى مجال تعليم الكبار للعام ١٩٠٤ ــ ١٩٥٣

بلغ عدد المدارس ١٠٥ مدرسة، تحتوى على ٣٥٤ فصلا، وتضم ١٦٩ ١٠ طالبا وكان يعمل فيها ١٠٦ معلماً منهم ٧٦ معلماً اجنبيا ثلاثون منهم من الإيطاليين وطغى فى المنهج تدريس اللغة الايطالية.

نجحت السلطات الايطالية فى توسيع القاعدة التعليمية فى المرحلة الابتدائية وكانت لغة

(١) مذكرة من القنصل البريطانى بمقديشو بتاريخ ١٣ مارس ١٩٥١ حول منهج اكاديمية الاعداد السياسى والادارى Fo, 371, 90328 وقد علق القنصل قائلا: أخشى أن يكون حصيلة هذا المنهج أشخاصا منعمين وغارقين فى البروقراطية وغير ملائمين لطبيعة المجتمع الصومالى.

(٢) Fo 371, 90 328, 103464.

التدريس هى الايطالية فى كل المراحل، وبذلك بذرت بذرة سيادة الثقافة الايطالية واللغة الايطالية، عن طريق جعل اللسان الايطالى لسان عشرات الألوف من الطلاب وقد تطور الوضع التعليمى كلآتى:

اولا فى التعليم الابتدائى

العام الدرسى	عدد المدارس	عدد الطلاب (ذكور واناث)	عدد الاناث	عدد المدرسين
١٩٥٥/٥٤	٩٦	٥٦٨٣	٧٢٧	لا توجد احصائية
	٩٢	٧٩٤٤	١٢٩٤	لا توجد احصائية
	١٦٥	١٢٧٦٧	٢٦٧٦	٢٩٤

ثانيا: التعليم المتوسط (المدارس الاعدادية المتوسطة:

العام الدراسى	عدد المدارس	عدد الطلاب	الطالبات
٥٥/٥٤	٦	٤٥٩	٤٢
٦٠/٥٩	٩	١٠٩٣	١٦٢

المدارس الثانوية:

	عدد المداس	عدد الطلاب ذكور	الطالبات
١٩٥٥/٥٤	٢	٥٥	-
٥٧/٥٦	٣	٩٠	-
٦٠/٥٩	٤	٣٣٩	٥٧

وهكذا نجد ان السلطات الاستعمارية حرصت على توسيع القاعدة التعليمية فى مجال تعليم الكبار والتعلم الابتدائى، بينما اهملت التوسع فى التعليم المتوسط والعالى ـ وكانت تلك سياسة مقصودة لان الهدف المحورى للسياسة الايطالية، كان تركيز وترسيخ اقدام اللغة الايطالية بجعلها لغة التخاطب والادارة والكتابة ولم يك واردا تسلحيح الصوماليين بتعليم عال يصقل فيهم ملكة الاستقلالية فى التفكير والقدرة على اتخاذ القرار.

بالاضافة الى ذلك كان هناك اربع مدارس فنية متوسطة وهى المدرسة التجارية والصناعية والزراعية والبحرية بالاضافة الى معهد اعداد المعلمين لتدريس اللغة الايطالية . ونافس هذه المؤسسات التعليمية الناطقة بالايطالية معهد البحوث الاسلامية التابع للبعثة الازهرية والذى كان يقبل الطلاب من المدارس الابتدائية والقرآنية وحلق المساجد وكان يدرس بالاضافة الى العلوم الشرعية، اللغة العربية واللغة الايطالية والعلوم الحديثة[1] .

تقويم الوضع التعليمى فى صومال الوصاية عشية الاستقلال :

ورثت حكومة الاستقلال كل انماط التعليم التى ذكرناها وهى:

١ــ تعليم الادارة الايطالية ويقوم على استلاب الثقافة العربية الاسلامية ويركز اساسا على اللغة الايطالية.

٢ــ مدارس الارساليات الكنسية وتقوم عل الترويج للمسيحية والقضاء على الثقافة الاسلامية.

٣ــ مدارس البعثة المصرية، ركزت على الثقافة العربية وطبقت المنهج المصرى بصورة حرفية، مما افقدها جزئيا القدرة على الاستجابة لخصوصية المجتمع الصومالى.

٤ــ التعليم الدينى ويفتقر للوسائل التعليمية والعلوم الحديثة.

٥ــ المدارس الاهلية، كمدارس وحدة الشباب، وكان تعليمها مزيجا من المنهج الايطالى والمصرى واللغة الانجليزية كما كانت هذه المدارس تفتقر للاستمرارية والانسياب التلقائى من مرحلة الى اخرى، مما افقدها مزايا التعليم النظامى.

وقد عنى هذا افتقار التعليم للقاعدة السليمة التى يمكن ان تبنى عليها الحكومات الوطنية، اذ تنعدم فى الوضع التعليمى المشار اليه الركائز التى يمكن ان تقوم عليها الاسس التعليمية، اذ ليست هناك لغة تعليم متفق عليها ولا اتفاق حول اللغات الاخرى الواجب الاهتمام بها بعد لغة التعليم الاساسية الرسمية، كما لا توجد مناهج موحدة ولا حتى رؤية لما يمكن عمله مما عنى ان تبدأ السلطة الوطنية من نقطة الصفر.

تطور الصحافة والاذاعة فى صومال الوصاية :

تأخر ظهور الاذاعة فى صومال الوصاية حتى عام ١٩٥١ ، حينما قامت ادارة الوصاية الايطالية، بانشاء اذاعة مقديشو والتى ركزت على بث برامجها بالايطالية والصومالية وغلب

(١) تاريخ التعليم فى الصومال ص ٧٥ ـ ٧٨.

على برامجها الجانب الترفيهى ممثلا فى الموسيقى والغناء ونقل اخبار الحياة فى روما وكان من اهدافها تكريس بقاء الادارة الايطالية ونشر الثقافة الايطالية.[1]

تطور الصحافة:

سبقت الصحافة الاذاعة فى الظهور بامد طويل، حيث ظهر العدد الاول من جريدة كوربير ديلا صوماليا Couriere Dela Somalia ـ أى بريد، الصومال ـ اليومية فى يناير ١٩٢٧ وكانت لغتها الاساسية الايطالية مع ظهور عمود او عمودين باللغة العربية، وقد والت الصدور تحت الادارة الانجليزية باسم صومالى كوربير Somali Courier ثم استأنفت صدورها كذلك مرة اخرى تحت الادارة الايطالية يوميا منذ عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٩ وكانت توزع ٢٥٠٠ نسخة يوميا، وقد ركزت كذلك عل اخبار الحياة فى روما او لندن وعلى الجانب الخبرى، واعلانات الادارة الاستعمارية.

ولعل التطور الاهم فى حركة الصحافة الصومالية تمثل فى صدور جريدة الوحدة لسان حال حزب وحدة الشباب الصومالى، حيث والت الصدور منذ نهاية عام ١٩٥٧ وكانت تصدر اسبوعيا وتوزع ١٥٠٠ نسخة وكان يحررها الثلاثى (محمد صبرى، عبدالرحمن فارح وعبدالرحمن حسن).[2] وقد فتحت الجريدة صفحاتها لدعاة الجامعة الصومالية ودعاة العروبة وكانت تصدر باللغة العربية وقد اسهمت فى توحيد المشاعر القومية الصومالية وتعتبر اهم صحيفة صدرت فى الصومال المعاصر حتى يومنا هذا. وقد توقفت عن الصدور بتسلم الضباط للسلطة.

التطور الثقافى فى محمية الصومال ١٩٤٤ ــ ١٩٦٠:

يصعب تحديد فواصل زمنية حاسمة فى التطور الثقافى، اذ التغيير الثقافى يتم ببطء ويأخذ مساحة زمنية كبيرة نتيجة لجملة عوامل (اقتصادية سياسية، اجتماعية) بالاضافة الى المؤثر الثقافى ولا يبدو ان هناك تغييرا كبيرا قد حدث فى حركة الثقافة فى فترة ٤٤ ــ ١٩٦٠ فى المحمية عما كان عليه الحال فى العهد السابق، اذ كان الاختلاف فى الكم والمقدار المتمثل فى ازدياد عدد المدارس ونمو حركة التعليم وانفتاح المجال للتأهيل الخارجى، مع تغييرات طفيفة فى قوانين المحاكم التى ازداد عددها فى ظروف انفراج سياسى وتسامح ثقافى.

(١) وزارة الاعلام والاشاد القومى، وسائل الاعلام فى خدمة الجمهور مقديشو ١٩٧٧ ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) محمد اسماعيل عبدالرحمن اللغة العربية كأداة للاعلام والتوعية فى نضال الصومال، ورقة قدمت فى ندوة تقوية اللغة العربية بمقديشو ما بين ٦ ـ ٩ يوليو ٨٦ ص ٥ ـ ٧.

ولعل الجديد تمثل فى ظهور الاذاعة والصحافة باعتبارها وسيلة من وسائل التشكيل الثقافى وخلق الرأى العام . وقد بدأت صلة الاهالى مع الاذاعة مع بداية القسم العربى فى هيئة الاذاعة البريطانية، ببث برامجه فى يناير ١٩٣٨ ، قبل كل الاقسام الاجنبية الاخرى، وكان تأثير هذا القسم ضئيلا بالنظر الى :

١ــ ان الاغلبية الصومالية لا تعرف العربية .

٢ــ ندرة اجهزة الاستماع .

ولكن برغم ذلك فقد اسهم القسم، فى الدعاية للامبراطورية البريطانية، فى ظروف اجتياح ايطاليا لاثيوبيا، حيث مثل جهاز الراديو وسيلة فعالة فى الحرب النفسية ضد الايطاليين .[١]

فى عام ١٩٤٣ ، انشأت الاذاعة البريطانية، اذاعة فى هرجيسا واطلق عليها الانجليز امس (اذاعة كودو)، لخدمة محمية الصومال وعدن، وقد توسعت هذه الاذاعة فى البث بالعربية والصومالية وفى هذه الاذاعة تخرجت اول مجموعة من الاذاعيين الصوماليين ولكن طغت المجالات الاخبارية والترفيهية على خدمات هذه الاذاعة، اذ ركزت على الموسيقى والغناء ونقل اخبار الحياة فى لندن .[٢]

اما الصحافة فقد جاءت ولادتها متأخرة على عكس ما حدث فى صومال الوصاية وبدأ ميلاد الصحاف باصدار السلطة الانجليزية لجريدة Somali Courier التى كانت توزع على عموم الصومال فى ظروف احتلال الادارة البريطانية كذلك للصومال الايطالى وكانت تصدر باللغات الثلاث (الايطالية، الانجليزية، العربية) .

ظهرت اول جريدة وطنية صومالية فى المحمية وهى جريدة الصومال الناطقة باللغة العربية فى عام ١٩٤٨ ، لصاحبها محمد جامع اورد ح[٣] ولكنها كانت غير منتظمة فى صدورها وكانت تطبع فى عدن فى مطابع محمد على لقمان ثم تشحن للصومال وكانت توزع ٢٥٠٠ نسخة، ساهمت هذه الجريدة فى ايقاظ روح النهضة والتوعية السياسية . استمرت صحيفة الصومال فى الصدور دون منافس حتى عام ١٩٥٠ ، حينما عاودت سلطات الاحتلال اصدار صحيفة صومال جورنال Somaliland Gournal باللغة الانجليزية التى

---

(١) مذكرة من القنصل البريطانى بمقديشو بتاريخ ١ فبراير ١٩٣٨ . حول جهود القضية القنصلية فى تجميع الناطقين بالعربية للاستماع للقسم العربى بهيئة الاذاعة البريطانية Fo, 317, 22035, 1;3464 وكذلك مذكرة من القنصل البريطانى بجيبوتى Fo, 317, 22035, 1;3464

(٢) وسائل الاعلام فى خدمة الجمهور ص ٢٧ .

(٣) محمد جامع اوردح هو مؤسس جمعية الصبومال الوطنية . «سبق الحديث عنها» قاد وفد الصومال عام ١٩٤٦ للندن مطالبا باستقلال المحمية، سجن فى ظل الاحتلال البريطانى ـ أسس عدة صحف بعد الإستقلال ولكن لم تحتمله السلطات الوطنية فطاردته منفيا الى بيروت التى مات فيها عام ١٩٦٩ . اسهمت صحيفة فى تقوية حركة العروبة وترقية أوضاع اللغة العربية .

كانت توزع ١٥٠٠ نسخة اسبوعيا وواصلت الصدور حتى عام ١٩٦٠ . ثم اردفتها سلطات الاحتلال بحامل الاخبار الاسبوعية فى ١٩٥٣ وكانت تصدر بالعربية والانجليزية مرة كل اسبوعين عن هيئة الاذاعة فى محمية الصومال وقد ركزت هذه الجريدة على تعميق الروح القبلية، حيث كان من سياساتها الا تذكر اسم صومالى الا مرتبطا باسم قبيلته (مات فلان من قبيلة كذا، اصيب كذا من قبيلة كذا، حامل هذه البطاقة من قبيلة كذا).[١]

ابتداء من عام ١٩٥٨، برزت نهضة صحفية وطنية، حيث توالى اصدار الصحف السياسية، وكان اهمها صيحفة قرن افريقيا التى كان يصدرها حزب الرابطة الوطنية التقدمى وكانت تصدر اسبوعيا باللغة العربية وتوزع ٣٦٠٠ نسخة وكان صاحبها عمر عبدالرحمن واستمرت فى الصدور حتى عام ١٩٦٠ . واسهمت الصحيفة فى الدعوة للجامعة الصومالية ثم اعقبتها جريدة الصراحة وكانت تنطق بالعربية وتوزع ٢٥٠٠ نسخة وتوقفت فى ظروف الاستقلال وكذلك صحيفة اللواء بالعربية ويحررها احمد يوسف دعالى واحمد جمعالى.

ونخلص الى ان الصحافة الصومالية الوطنية، سلكت اتجاه العروبة ونطقت بالعربية وكان صوتها معبرا عن تطلعات الشعب وامانيه وعروبته وان سلطت الاحتلال حاولت اجهاض هذا التوجه العربى بصحفها الناطقة بالانجليزية كما نهجت صحف ادارة الاحتلال الى تغذية روح القبلية واذكاء حدة الصراح القبلى ومن المؤكد ان الناظر الى حركة الصحافة الصومالية اليوم لا يكاد يصدق ان هذه الصحافة امتداد لصحافة الصومال فى الخمسينات، حيث كانت الصحافة الصومالية فى الخمسينات اشد عروبة واكثر توزيعا وافضل اخراجا ودسامة.

التوجه الثقافى مجال التشريع والقضاء.

فى عام ١٨٥٥ زار الرحالة الانجليزى الشهير رتشارد بيرتون بربرا، حيث وجد محاكم الشريعة الاسلامية، وحينما جاءت سلطات الاحتلال حاولت ان تعايش هذا الوضع الثقافى، اذ حسب القانون الاساسى لعام ١٩٢٩ (يرجع للعرف والتقاليد فى القضايا المدنية والجنائية التى يمثل الاهالى طرفا فيها، دون التقيد بالاجراءات والشكليات التى يقوم عليها القانون الانجليزى) وكلمة العرف والتقليد تشمل القانون الاسلامى وان لم ينص على ذلك، وكذلك نص قانون ١٩٢٩، على الرجوع للقانون الانجليزى، كما هو مطبق فى الهند فى تناسق مع التجربة الانجليزية العامة فى كل القضايا التى لا ترد فى العرف او فيها طرف من غير الاهالى.[٢]

---

(١) انظر مثلا، حامل الأخبار الصومالية، محمية الصومال ع ٨٥ ، ١٧ أبريل ١٩٥٦ هرجيسا.

(٢) J. N. D. Anderson, Islamic Law in Africa, Frank Class & Co.L.T.D.

لم يذكر كذلك القانون الاسلامى (الشريعة) بالاسم فى لائحة محاكم الشريعة الفرعية لعام ١٩٤٤، حيث جوز القانون للحاكم تكوين هذه المحاكم تحت رئاسة قاضى او شيخ قبلى، وتنحصر صلاحيات هذه المحاكم على الاهالى ولا يجوز لهذه المحاكم ان تحكم:

١ـ فى اية مسألة جنائية تتعلق بتهمة القتل.
٢ـ فى اية مسألة تتعلق بالزواج والطلاق، الا اذا كان الزواج والطلاق قد تم على أساس قانون الاهالى والعرف او اذا تعلق الموضوع فقط بالمهر او الزنا وكان ذلك موجودا فى قانون وعرف الاهالى.
٣ـ اية مسألة تتعلق بالاحقية فى الارض الا فى حالة الاهداء والميراث والوصاية حسب العرف والعادة.
٤ـ اية مسألة للقانون الانجليزى او الهندى قول فيها الا اذا خولت للمحاكم تلك السلطة.
٥ـ اية مسالة يخرجها الحاكم عن دائرة هذا المحاكم.

ونص القانون على ان صلاحيات هذه المحاكم تشمل:

١ـ اية قضية تتعلق بالزواج والطلاق والكفالة حسب الشريعة.
٢ـ قضايا الوقف، الاهداء الميراث، الوصايا، حسب الشريعة.

لا يجوز ظهور المحامين والقانونيين، ممثلين لأى فريق امام هذه المحاكم وان جوز القانون ظهور الزوج والزوجة والابن والكفيل والصديق.[1]

وكذلك ظهرت محاكم فرعية للأهالى يحكم فيها الوكلاء والشيوخ ولكن كان عماد محاكم المحمية، محاكم القضاة الانجليز المدنية، وكان يوجد فى كل عاصمة اقليمية من عواصم اقاليم المحمية الست قاضى انجليزى على الاقل. وتتدرج هذه المحاكم من مدنية وجنائيه جزئية الى محاكم الاستئناف وتنتهى المحكمة العليا لشرق افريقيا ومقرها نيروبى.

تدرجت السياسة الانجليزية فى التعامل مع محاكم الشريعة والعرف الى ان ضيقت دائرتها فى الاحوال الشخصية على اساس القانون الهندى ـ الحنفى ـ علما بان اهل الصومال شافعية ـ هذا وتناقض بعض نصوص قانون الزواج الصادر فى عام ١٩٠٢، اسس الشريعة الاسلامية، اذ سمح القانون بزواج المسلمة الصومالية من المسيحى.

(١) المصدر السابق ص ٤.

تطور حركة التعليم فى صومال المحمية ٤٢-١٩٦٠ :

لم تتجاوز الجهود التعليمية لادارة الاحتلال فى صومال المحمية حتى عام ١٩٣٨ تقديم المساعدات للمدارس القرآنية ومنح بعض الطلاب منحا دراسية فى مدارس السودان وعدن[1] ويبدو ان مرد ذلك، رفض المجتمع الصومالى لاى مشروع تعليمى انجليزى، خوفا على دين ابنائهم، خصوصا ان الذكريات المرة التى صاحبت فتح اول مدرسة كاثوليكية فى بربرا ونصرت ابناء البادية من الصوماليين واشعلت ثورة السيد/ محمد عبدالله ما تزال حية فى الاذهان، وحينما فتحت سلطات الاحتلال مدرسة هرجيسا الأولية، قام عليها بعض المشايخ فهدموها وكفروا كل من انضم اليها بتدريس او الحاق للاولاد[2].

ارتبطت النهضة التعليمية فى الصومال المعاصر بامرين.

١ــ قيام الحركة الوطنية وظهور الاحزاب الساسية، على الاخص، حزب وحدة الشباب الصومالى، الذى فتح المدارس الاهلية حيث فتحت اول مدرسة فى مقر الحزب فى هرجيسا.

٢ــ عودة الطلاب الصوماليين الذين ارسلتهم الادارة الاستعمارية عام ١٩٣٨ الى معهد بخت الرضا بالسودان فى عام ١٩٤٢ وهم يوسف اسماعيل سمنتر، ومحمد شره محمد وعبدالسلام حسن مرسل،[3] حيث باشروا التدريس فى مدرسة فتحها محمد شيره محمد فى بربرا واخرى فتحها يوسف اسماعيل فى برعو وقد انضم اليهم عدد من المتطوعين من الصوماليين المثقفين. عزف الشعب عن إرسال ابنائه لهذه المدارس، حتى سمى هؤلاء الاساتذة باولى العزم ولم يزد حصيلة هاتين المدرستين عن سبعة عشر طالبا،[4] واصبح هؤلاء الطلاب نواة الحركة التعليمية فى محمية الصومال بعد تخرجهم، وكانت هذه المدارس تعمل على اساس المنهج السودانى.

انكسر الحاجز النفسى ضدد التعليم الحديث بمجىء عام ١٩٤٤، حينما انشأت ادارة الاحتلال مدرسة ابتدائية فى هرجيسا ثم عينت مديرا لشئون التعليم فى عام ١٩٤٤ وصحب ذلك انشاء ٥٨ مدرسة ابتدائية صغرى (نظام ثلاث سنوات) استوعبت ٨٥٠ طالبا. وبعدها افتتحت أول مدرسة اعدادية متوسطة - اربع سنوات - ضمت ١٨٠ طالباً. واستخدمت هذه المدارس بعض الفقهاء الصوماليين، مدرسين للتربية الاسلامية شيخ على

---

(١) Colonial Office Report on the Somaliland Protectorate for the 1949. London, His Majesty stationary office, 1950 P. 15

(٢) الشيخ على حاج ابراهيم، المرشد فيما مر فى المعارف الصومالية فى الاقليم الشمالى من المعارك العلمية والمناظرات الدينية، دون ناشر وتاريخ نشر ص ١٤.

(٣) تاريخ التعليم فى الصومال ص ٦٦ - ٦٧.

(٤) المصدر السابق ص ٧٦.

ابراهيم وشيخ ادم كلميه، مما كان له اكبر الاثر فى كسر حدة المقاومة الشعبية للتعليم الحديث.[1]

فى عام ١٩٤٩، واصلت الادارة الاستعمارية، اعانة ٣٩ مدرسة قرانية ضمت ١٢٥٠ طالبا، وفى ذات العام عاد اثنا عشر طالبا صوماليا من السودان، بعد نيلهم الشهادة الثانوية، كما تم ارسال سبعه اخرين للسودان وارسال خمسة الى بريطانيا.[2]

قام حزب الجمعية الصومالية الوطنية بعد تأسيه فى عام ١٩٤٦ بفتح عدد من المدارس وارسال عدد من الشباب للتعليم فى الازهر، وابتداء من هذا العام ازداد تدفق الطلاب على المدارس واخذت تظهر على السطح قضية المنهج الملائم، لان المناهج فى هذه المدارس لم تك موحدة وكانت مزيجا من اجتهادات الشباب المتحمسين والفقهاء التقليديين وقامت على المبادرات وليس التخطيط البعيد.

كان اهم مظاهر التربية المدرسية فى ذلك الوقت[3]

١ـ تحريم التدخين على الطلبة ٢ـ منع الطلاب من التجوال فى الحارات والشوارع.وكانت الدروس المقررة فى تلك المدارس:

١ـ القرآن الكريم حفظا، الى اربعة اجزاء مع التفسير.
٢ـ العقائد الاسلامية والعبادات وغيرها.
٣ـ اللغة العربية وعلومها (نحو، صرف، انشاء، املاء.
٤ـ الحساب والهندسة والكسور.
٥ـ الجغرافيا والطبيعة.
٦ـ الاعمال اليدوية الصنائع (المدارس الصناعية).
٧ـ اللغة الانجليزية فيما عدا السنة الاولى.[4]

يمكث التلميذ ثلاث سنوات فى المدارس الاولية ثم يلتحق بعدها بالمدرسة المتوسطة فى شيخ لمدة اربع سنوات وبعدها يلتحق اما بمدارس السودان او بالمكاتب الوطنية والمعهد الصناعى فى شيخ.

ابتداء من عام ١٩٥٢، اخذ يظهر نوع من التنوع فى حركة التعليم حيث فتحت مدرسة تجارية متوسطة (نظام الاربع سنوات)، كما فتحت مدرسة ثانوية فى عام ١٩٥٣ والحق ١٧ طالبا بمدرسة اعداد المعلمين، تخرجت اول دفعة مهم فى عام ١٩٥٤. وفى عام ١٩٥٢ اصبح هناك ثمانية وثلاثون مدرسا فى الخدمة يتبعون لادارة التعليم فى شيخ بينما بلغ عدد طلابهم ١٠٢١ طالبا كما تم فتح مدرسة واحد للبنات استوعبت ٢٩ طالبة لاول مرة.

---

(١) المصدر السابق ص ٦٧.
(٢) Op. cit, Colonial of fice Report For the Year 1944. P. 15
(٣) الشيخ على / المرشد فيما مر فى المعارف ص ١٤.
(٤) المصدر السابق ص ١٤.

اما المدارس القرانية، فقد كان موقفها فى عام ١٩٥٣ كالآتى :ـــ

١ــ ٣٩ مدرسة قرآنية للذكور تضم ٥١ معلما وتسوعب ١٫٣٣٩ طالبا.

٢ــ ٦ مدارس فرآنية للاناث تستوعب ١٤٢ طالبة.[١]

زادت اعداد الطلاب فى عام ١٩٥٥ زيادة طفيفة وتضاعف عدد المدرسين، حيث اصبح هناك ١٩ مدرسة ابتدائية يدرس فيها ٦٨ مدرسا صوماليا وحوالى ١٠٥٠ طالبا.[٢]

وتطورات حركة التعليم فى فترة ٥٤ـ١٩٦٠ تظهر فى الجدول التالى :ـ[٣]

العام	عدد المدارس	عدد الطلاب	الطالبات
٩٥٥٫٥٤	١٧	١٠٠٧	٤٧
١٩٥٧٫٥٦	١٩	١١٦٧	٧١
٦٠٫٥٩	٦٨	٢٦٠٧	٢٧٥

وكان التطور الآخر، الذى شهده الصومال، هو ادخال الثنائية التعليمية فى اطار التعليم الحديث بحيث تكون هناك معاهدة دينية متوسطة على النسق السودانى. ومهدت الحكومة الانجليزية لذلك بعقد مؤتمر دينى ضم نخبة من القضاة الشرعيين والمشايخ فى مدينة هرجيسا عام ١٩٥٩، ورحب المؤتمر بالفكرة واختار الشيخ على حاج ابراهيم مديرا للمعهد ومدينة برعو مقرا له. وقامت الادارة الانجليزية بايفاد الشيخ على ابراهيم للسودان لمدة عام للحصول على مزيد من المعلومات عن هذا النمط من التعليم ونظام الدراسة فيه.

بدأت حركة التعليم ـ كما رأينا ـ فى شكل مبادرات واجتهادات شخصية عام ١٩٤٢ الا انها انتظمت فى نهاية الخمسينات بوجود مؤسسات تعليممية قوية ومتنوعة، خرجت عددا من الشباب الذين ثبت نجاحهم. وتفوقهم حينما ذهبوا لمواصلة تعليمهم العالى فى السودان وبريطانيا وغيرها. ومع مجىء الاستقلال كانت هناك نخبة صومالية متعلمة تعليما ممتازا بالمقارنة مع الوضع فى صومال الوصاية، حيث اتسعت حركة التعليم كما راينا ولكن كان المستوى التعليمى ضعيفا، نتيجة لاختلاف المناهج وقلة الاساتذة وضعف الاشراف الحكومى.

---

(١) Op. cit Colonial Report 1952. P. 17

(٢) خطاب من القنصل البريطانى بمقديشو لوزارة الخارجية بتاريخ ٢٧/١/٥٥.

(٣) تاريخ التعليم فى الصومال ص ٧٢.

اتجاهات الثقافة فى الصومال الكبير بعد قيام جمهورية الصومال :

اتجاهات ثقافة جمهورية الصومال ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩ :-

فى الفاتح من يوليو ١٩٦٠ ، ولدت جمهورية الصومال ومضت ايام الاتحاد الاولى ، بنشوتها وسط اهازيج النصر والفرح وطغت مشاعر الثورة وانفعالات الثوار على التفكير العميق لمواجهة تحديات المستقبل وتحديات الواقع المر ، المتمثل فى نجاح السياسات الاستعمارية فى اقامة كيانين متمايزين فى التشريع واللغة والتعليم والاجهزة وأن رفع العلم وتوحيد مجلس الوزراء والبرلمان مجرد خطوة فى طريق طويل .

بدأت حكومة الوحدة ، بتوحيد الاجهزة الاساسية التى تقوم عليها الدولة وهى القوات المسلحة والقضاء والجمارك ولم يك ذلك سهلا ، اذ تقوم هذه الاجهزة على قوانين مختلفة وشروط خدمة مختلفة وتاهيل وتأصيل مختلف وتوصيف للوظائف مختلف ولغة مختلفة . فمثلا التأهيل العسكرى فى الشمال يقوم على اللغة الانجليزية والنمط الانجليزى وفى الجنوب على النمط الايطالى وكانت توجد كلية شرطة فى كل من الصومالين وكان التدريب فيهما قاسيا حيث كان يستهدف القضاء على الشخصية القديمة واحلال شخصية جديدة تقوم على الطاعة و الفناء فى النهى والامر والرتبة الاعلى او كما عبر عنها قنصل بريطانيا dehumani-zation (1) لذا لم يك من السهل تدريب بعض عناصر شرطة الشمال فى اطار شرطة الجنوب لتكوين الجيش الصومالى ، وقد اتضح ذلك فى ديسمبر ١٩٦١ ، حينما تمرد ضباط الشمال فى هرجيسا فى محاولة انقلابية فاشلة ، مبددين بذلك مشاعر الوحدة الرومانسية لافتين النظر الى حقائق الواقع الاليم .

كان اول مشكلات الاستقلال ، عدم وجود حزب سياسى ، يمثل القبائل الاساسية فى الشمال والجنوب ، فى بلد عمق فيها الاستعمار القبلية والعشائرية ، كما ان التجربة الانجليزية ركزت على الكيف فى التعليم والادارة والعدالة ـ كما رأينا ـ وسرت مفاهيم العدالة والادارة الانجليزية بما فيها من فصل للسياسة عن الادارة . اما فى الجنوب فقد تدنت اخلاقيات الخدمة المدنية والعمل السياسى فى اطار مفاهيم الادارة الايطالية ، القائمة على المركزية . كما ان وجود جالية اوربية كبيرة ـ ايطالية اساسا ـ مع تنمية اقتصادية وتعليمية اوسع ونظام حكم اشمل ادى الى فواصل واضحة فى الاجواء الاجتماعية والسياسية ، فبينما ظلت التقاليد الموروثة مزدهرة فى الشمال ، كان الجنوب يتجه للنظريات التحديثية الواردة من الغرب . وبينما واصل الشماليون اعتزازهم بتقاليدهم وانتمائهم للعروبة كانت الصفوة الجنوبية متعلقة بالنمط الغربى غير مكترثة بالتراث خصوصا انها كانت مستلبة فى لغتها ولا تجيد سوى

---

(١) خطاب القنصل البريطانى بمقديشو بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٩٥٥ Fo, 371, 113411

الايطالية وروما اقرب اليها من القاهرة. ومما زاد من تعقيد الموقف، ان الخبراء الذين آثروا البقاء او جاءوا بعدالاستقلال كانوا منحازين لثقافات بلادهم ونظمها فى الادارة والقانون، مما زاد من حدة الاستقطاب وصراع الثقافات فى التشريع والعلاقات الدولية والسياسية والاقتصادية.

ضحى الشمال فى سبيل الوحدة أكثر من الجنوب اذ:-

- أصبحت مقديشو العاصمة فانتقلت اليها كل مؤسسات الدولة
- تجمعت الغنائم «وظائف الدولة» فى أيدى مثقفى الجنوب الذين فازوا برئاسة الجمهورية ومعظم الوزارات والوكلاء والسفراء وقادة الخدمة العامة، مما أدى الى صدمة فى وسط مثقفى الشمال، تجلت فى محاولة الانقلاب العسكرى وفى مقاطعة حزب الرابطة الوطنية وهو حزب الشمال الأساسى للاستفتاء حول الدستور المؤقت فى ٢٠ يونيو ١٩٦١، كما عارض نصف الذين اشتركوا فى التصويت من الشمال الدستور[١].

مثلت قضية توحيد بنيه الدولة بتوحيد التشريع والقانون اسبقية للسلطة الجديدة ولعل ذلك قد شغلها عن الالتفات الى مشاكل الشمال. كما وجدت السلطة الجديدة تمايزا حادا بين النظام القضائى فى الشمال والجنوب، اذ النظام القضائى فى الجنوب مزدوج حيث يوجد قضاء يخضع له الرعايا المستعمرون وقضاء يخضع له الايطاليون والآجانب كما أن مفتشى المراكز والاداريين كانوا يجمعون بين السلطات القضائية والتنفيذية مما يناقض روح دستور الوصاية، كما لم تتم محاولة لصوملة القضاء فى الجنوب، اذ حتى عام ١٩٥٩، كان قاضى العدالة فى مقديشو ايطاليا وكان ثلاثة من قضاة المحاكم الاقليمية الست حتى اعلان الاستقلال ايطاليين وثلاث وظائف اخرى خالية وبقية ال ٢٢ قسم خاضعة لمفتشى المناطق[٢].

وبينما كان النظام القضائى فى الشمال يقوم على القانون الانجليزى والهندى، وينتهى بمحكمة شرق افريقيا العليا، كان النظام القضائى فى الجنوب ينتهى بمقديشو وهرجيسا كما نص دستور الوحدة، قانون رقم ٥ الصادر فى ٣١ يناير ١٩٦٧ على سريان قوانين البلدين، حتى يتم احلال بدائلها، وتم تعيين لجنة فى ٣٠ يناير ١٩٦٢ لوضع قانون الاجراءات الجنائية وتم اجازة القانون فى ١ يونيو ١٩٦٣، وبدأ نفاذه منذ أغسطس ١٩٦٥، حيث تمت طباعته باللغتين الايطالية والانجليزية، ونص القانون فى حالة وجود تناقض بين النص الانجليزى والنص الايطالى على الرجوع للنص الانجليزى[٣]ولم يكن هناك نص باللغة

---

(١) Lewis, Op cit A Modern History of Somalia P. 166 - 167

(٢) Haji N. A. Noor Mahamad, The legal System of the Somali Democratic. The Michie Company. Charlottesville Virgnia 1072 P. 89 - 97

(٣) IQbal Singh. Mohamed hassan Said, Commentary on the Criminal Pracedure Code, Wakaladda Qaranka - Yamar 1973 P. 71.

العربية مع أن اللغة العربية اعتمدت لغة رسمية. وقد عنى ذلك عمليا السير فى ذات اتجاه السياسات الثقافية التى تركها المستعمرون.

سمات دستور الوحدة :ـ

مع ان دستور الوحدة قام على نمط الدساتير الغربية، الا أنه تميز بسمات اسلامية واضحة وهى :

ـ نصت المادة ١٩ «لايسمح بنشر أو الدعوة الى دين غير الدين الاسلامى الحنيف» وقد استهدف هذا النص الارساليات ومؤسسات التبشير المسيحى. المادة ٣٠ تنظم الاحوال الشخصية الخاصة بالمسلمين وفقا للمبادىء العامة فى الشريعة الإسلامية.

ونصت المادة ٣٠، التعليم العام، بند ٦، يكون تعليم الدين الإسلامى الحنيف الزاميا فى المدارس الابتدائية والثانوية التابعة للدولة وفى المدارس الخاصة المساوية لها ـ وذلك بالنسبة للطلبة ذوى العقيدة الإسلامية ويعتبر القرآن الكريم ركنا أساسيا للطلبة المسلمين فى المدارس الابتدائية والثانوية التابعة للحكومة.

ونصت المادة ٥٠، على أن «الفقه الإسلامى مصدر أساسى لقوانين الدولة». [١]

ومن سمات الدستور الأخرى.

أ ـ جمهورية ديمقراطية برلمانية تمثيلية.

ب ـ الدستور الجامد على خلاف الدستور المرن لايجوز تعديله

ج ـ رئيس الجمهورية ينتخب بأغلبية ثلثى الأعضاء وهو الذى يعين رئيس الوزراء ويعفيه كما يعين الوزراء ويعفيهم من مناصبهم بناء على اقتراح رئيس الوزراء.

د ـ نص الدستور على الحريات وحقوق الانسان الأساسية.

مثل اجازة الدستور بما حوى من سمات اسلامية، أساسا لسياسات ثقافية جديدة فى مجال التشريع واللغة والتعليم ولكن عمليا لم تستطع اجهزة الدولة مواكبة روح الدستور والانطلاق فى اتجاه سياسات ثقافية مغايرة ولكن برغم ذلك ـ فقد مثل هذا الدستور خطوة متقدمة مقارنة بدستور الوصايه علما بأن دستور الوصاية نفسه لم يخل من سمات اسلامية، أساسا لسياسات ثقافية جديدة فى مجال التشريع واللغة والتعليم ولكن عمليا لم تستطع اجهزة الدولة مواكبة روح الدستور والانطلاق فى اتجاه سياسات ثقافية مغايرة ولكن برغم ذلك ـ فقد مثل هذا الدستور خطوة متقدمة مقارنة بدستور الوصايه علما بأن دستور الوصاية نفسه لم يخل من سمات اسلامية نوجزها فيما يلى : [٢]

---

(١) الجمهورية الصومالية، الدستور، النص النهائى للدستور مع التعديلات التى طرأت عليه حتى ٣١ ديسمبر ١٩٦٣م قامت باعداده الجمعية الوطنية الصومالية. دون تاريخ نشر.

(٢) المصدر السابق مادة ١، ٧٠.

١ ـ حينما تكلمت المادة الرابعة عن التعليم نصت على التعهد بانشاء نظام صحيح للتعليم، قابل للتنفيذ، مراعيا بذلك الثقافة والتعاليم الإسلامية.
٢ ـ فى المادة السابعة، حينما تحدث عن النظام القضائى نص وعلى السلطة القائمة بالادارة، عندما يقتضى الأمر، أن تطبق تعاليم الشرع الإسلامى والتشريع المحلى والقوانين التقليدية المعمول بها فى الاقاليم «كما نصت المادة التاسعة» أن تضمن للسكان المحافظة على قانون الأحوال الشخصية والوراثية مع احترام تطورهما».[١]

ولكن كما رأينا أهملت ادارة الوصايا فى مرحلة التطبيق هذه النصوص وسعت عمليا لمحاربة اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى التشريع والقانون والتعليم. ولعل أكثر النصوص خطورة فى دستور الوصايه المادة ١٩ ونصها على السلطة القائمة بالادارة عملا بروح التساهل الدينى . . . . وتمنح للمبشرين من أى مذهب كانوا، حرية دخول الاقليم والاقامة والتجول فيه وحرية امتلاك الأراضى[٢] وبالفعل فقد اطلقت السلطات الايطالية أيدى المبشرين مما أدى الى ارتداد المئات من الصوماليين. واذا أخذنا هذه الاعتبارات فان الدستور الصومالى الجديد يعتبر قد سجل تقدما واستجابة لتطلعات أهل الصومال.

سمات قانون العقوبات :ـ

صدر هذا القانون باللغتين الانجليزية والايطالية، وتأخرت ترجمته الى اللغة العربية عدة سنين، الا أنه جاء يحمل سمات اسلامية واضحة نجملها فى :ـ
١ـ محاربة السكر وتشديد العقوبة على من اعتاد تعاطى المشروبات الكحولية ومحاربة بيع أو تقديم المشروبات الكحولية.

٢ـ محاربة المنشورات الفاضحة والعروض السينمائية الفاضحة والأفعال الفاضحة.
٣ـ محاربة الدعارة والتحريض على الاجهاض.
٤ـ منع الاجهاض أو التحريض على الاجهاض.
٥ـ كما أفاض القانون فى تفصيل العقوبات على الجرائم ضد الأسرة والجرائم الماسة

(١) الادارة الايطالية القائمة بالوصاية على الصومال، الجمعية التشريعية، قوانين أساسية للصومال مطبعة الادارة الايطالية القائمة بالوصايا على الصومال، سنة ١٩٥٦، مادة ٤ ، ٥ ، ٩.
(٢) المصدر السابق مادة ١٩.

بالشرف كالسب والقذف، كما منع لعب القمار[1].

ولعل مرد هذه السمات الإسلامية لطغيان الشعور الإسلامى على الشعب الصومالى، اذ أن تحريم المشروبات الكحولية، قد اجازه المشرع الصومالى منذ عهد الوصاية عندما اجاز المجلس الاقليمى فى ٢٦ يونيو ١٩٥١، أمرا بمنع منح اجازات لبيع المشروبات الكحولية للمسلمين، وقد وافق المستشارون بالاجماع على أنه يجب أن يحرم بصورة مطلقة منح اجازات لبيع المشروبات الكحولية لجميع المسلمين القائمين فى القطر وأن يحرم على المسلمين شرب المشروبات الكحولية.[2]

ومع ان القانون الجنائى راعى كثيرا من خصوصيات الشريعة الإسلامية الا أن القانون المدنى لم يراع هذه الخصوصيات وكان عبارة عن معادلة توفيقية بين القانون الانجليزى والقانون الايطالى - ولكن برغم ذلك، فان السمات التى أشرنا اليها تعتبر بمثابة المفارقة للسياسات الثقافية الاستعمارية ومحاولة لاستنباط سياسات ثقافية متوائمة مع روح الثقافة الصومالية وتراث الأمة الصومالية - وقد أدى صدور الدستور والقوانين الجديدة الى اغلاق مدارس المانونيت التبشيرية كما نزل التبشير المسيحى الى العمل السرى بين صفوف الشعب كما مر بنا سابقا.

تطور النظام التعليمى :-

واجهت الحكومة الوطنية المستقلة وضعا تعليميا معقدا، اذ وجدت نظامين تعليميين، أحدهما يقوم على اللغة الانجليزية والآخر على اللغة الايطالية ولكن كان كذلك كل من هذين النظامين، يحتوى على انماط من التعليم، من تعليم ارساليات الى تعليم مضرى ودينى تقليدى، الى تعليم يركز على اللغة العربية والثقافة الإسلامية ويهمل العلوم الحديثة، لقد كان هناك شبه فوضى، اذ لم يكن التعليم الحكومى (ايطالى، انجليزى) يرمى الى وضع قاعدة تعليمية فى الصومال ورفع المستوى الفكرى والثقافى، بل كان التعليم الحكومى يهدف الى اعداد مترجمين وكتبة فى المستويات القاعدية للمساعدة فى ادارة جهاز الدولة، كما أن هذا النوع من التعليم عمد الى الوقوف فى دائرة التعليم الابتدائى مما عنى تكريس التخلف

---

(١) نشرة رسمية لجمهورية الصومال الديمقراطية، قانون للعقوبات موجز الجزء الأول، اجراءات تشريعية وادارية، قانون صدر فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٢ ملحق رقم ١٠ الصادر في ١٢ اكتوبر ١٩٦٣، مقديشو ١٣ يناير ١٩٧٣ مواد ٥٥، ٣١٣، ١٤، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٨، ٤٣٤، ٥٥٣.

(٢) نشرة شهرية، الادارة الايطالية للوصاية على بلاد الصومال المجلس الاقليمي، السكرتارية، تصدر بالعربية والايطالية العدد الخامس يوليو ١٩٥١ ص ٥٠

الاجتماعى والاقتصادى والثقافى، اذ كان الوضع التعليمى على مستوى الثانوى على امتداد الصومال العام٦٠/١٩٦١ كالآتى :-

٨ مدارس ثانوية تضم ٥٥١ طالبا بالاضافة الى ٥٧ طالبة.[١]

شهد عام ٦٠/١٩٦١ لأول مرة فى تاريخ الصومال استيعاب طالبات فى المرحلة الثانوية وحتى هؤلاء كن جميعا من الجنوب فى مقديشو، وبلغ عددهن ٥٧ طالبة كما سلف القول.

كانت السياسة التعليمية الاستعمارية تحقق الأهداف التقليدية للاستعمار الاستيطانى والتى كانت تهدف الى اعداد جهاز من الكتبه، ولم يحدث - كما رأينا - تغيير جاد فى السياسة التعليمية فى الصومال خلال سنوات الوصايه الأجنبية العشر، اللهم الا اذا استثنينا بعض المعلمين وقلة ذهبت فى بعثات خارجية الى ايطاليا وانجلترا والسودان.

لم تبدأ سياسة تعليمية ذات وجه مختلف نوعا ما الا بوصول أولى دفعات المدرسين المصريين، والذين بدءوا التدريس بالعربية فى المدارس الأولية والاعدادية والثانوية وذلك جنبا الى جنب مع المدارس الأجنبية الايطالية والانجليزية[٢]

المناهج الموروثة من العهد الاستعمارى :-

١ - مناهج صورية شكلية، بعيدة عن بنية وثقافة الطالب، حيث تركز على تاريخ أوربا وبطولاتها الحربية ومستعمراتها وتقدمها العلمى وطبيعتها الجغرافية، مناهج مستوردة مع تعديل طفيف.

٢ - المنهج قلل من تاريخ الصومال وأبطاله ويرميهم بالتزمت والجنون وفساد الرأى ويضخم من ادوار قواد أوربا[٣] .

٣ - تربية الشاب على اللادينية والانحلال الخلقى وتقليد الغرب.

٤ - كان المنهج شبه خال عن تأسيس معاهد المعلمين، كما كان خاليا من التوصيف الموضوعى لمعلمى كل مرحلة وأدى استخدام طلبة الصف الخامس والسابع فى التدريس دون تدريبهم واعدادهم الى، انخفاض المستوى التعليمى.

٥ - لاتوجد استمرارية فى التعليم نظرا لقلة المدارس والمدرسين وشح الميزانية والمخصصات، حيث كان فى كل الصومال عشية الاستقلال ٦٩٦ معلما ومعظمهم غير مدرب.

٦ - ظهور طبقة تتفاهم باللغات الاوربية وتترفع عن عامة الشعب كما أن تعدد الثقافات الاستعمارية، أدى الى تعصب ثقافى بين المتعلمين، نظرا لاختلاف مناهلهم التعليمية

---

(١) تاريخ التعليم فى التعليم الصومالى ص ٧٧.

(٢) وزارة الاعلام والاشاد القومى، تعليمنا الثورى، استراتيجيته واهدافه يونيو ١٩٧٤، مقديشو ص ٢١.

(٣) مثلا يصف المنهج السيد/ محمد عبدالله الحسن بالملة المجنون

واتجاهاتهم الفكرية، مما عوق توحيد وتطوير المناهج.

حاولت السلطة الوطنية توحيد النظام التعليمى، اذ ـ كما رأينا ـ كان النظام فى الشمال يقوم على سنوات ثلاث للمرحلة الابتدائية وأربع سنوات للاعدادية ثم أربع للثانوية، بينما فى الجنوب، كان خمس سنوات للابتدائية واربع سنوات للإعدادية ثم أربع سنوات للثانوية. وفى الشمال كان الطالب يدفع مصروفات بينما كان التعليم مجانا فى الجنوب.

لذا أصدرت السلطة الوطنية مرسوما رقم ١١٠٥١١٩ بتاريخ ١٩٦٢/٥/٢٤ والذى جعل النظام التعليمى يقوم على نظام السنوات الاربع فى المراحل الثلاث. كما أصبحت اللغة العربية لغة التعليم فى المرحلة الابتدائية واللغة الانجليزية فى المرحلة الاعدادية والمرحلة الثانوية ومع ان هذا مثل خطوة فى اتجاه العربية الا أن ذلك لم يؤد الى حسم سؤال اللغة، اذ كانت الايطالية لغة الادارة فى الجنوب ويتحدث بها معظم السياسيين، كما كانت المدارس الكاثوليكية تسير على اللغة الايطالية وكانت هذه المدارس تستوعب ٣٥٪ من الطلاب الصوماليين، ولم تسع الادارة الحاكمة لتوفير معلمى اللغة العربية، كما أن اقتصار التدريس باللغة العربية على المرحلة الابتدائية كان يعنى وقوق الطالب عند حد معين وأن المستقبل سيكون للانجليزية.

وحاولت ادارة الاستقلال تطوير تعليم الكبار، واستعانت فى ذلك بالايطاليين وبفرق السلام الامريكية، مما أدى الى فشل حركة تعليم الكبار للاسباب التللية:ـ

١ ـ لغة الدراسة اجنبية يصعب فهمها على المسن.

٢ ـ عدم وجود خطة قصيرة وطويلة لفصول تعليم الكبار.

٣ ـ بعد المنهج عن البيئة المحلية.

التعليم العالى:ـ

كان من اسهامات العهد الوطنى اقامة معهد جامعى يقدم للطلبة جميع متطلبات الشهادة الجامعية ابتداء من عام ١٩٦٣ وكان ينحصر فى الاقتصاد والقانون ـ وقد تحول الى جامعة كاملة عام ١٩٧٠، ولكن كانت طاقته الاستيعابية محدودة ولم يك فيه الا ١١ طالباً عام ١٩٦٩/١٩٧٠ حينما تم تحويله الى جامعة الصومال الوطنية وكانت لغة التدريس فيه الايطالية.

وكذلك تم فتح مركز لتدريب المعلمين فى افجوى تدريبا قصير المدى وطويل المدى، على التدريس باللغة الانجليزية وكان طاقاته ضعيفة لاتتجاوز المائة، لذا لم يحل مشكلة الندرة فى المعلمين المدربين[1].

---

(١) تاريخ التعليم فى الصومال ص ١١٢ ـ ١١٣.

اصلاح التعليم أم توسيع قاعدته :-

مضت السنوات سريعة وجاء عام ١٩٦٩، ولم يحدث تغيير يذكر فى توحيد المناهج واصلاح التعليم وايجاد تخطيط قومى ومنهج قومى يقود لتعزيز الثقافة الوطنية وغرس الروح الوطنية بل ان مصر التى تحمست لقضية التعليم وذكر عبد الناصر أن بلاده مستعدة لاقتسام لقمة الخبز مع الصومال أرسلت ثلاثة خبراء لوضع المناهج التعليمية وقدموا تقريرا فى مجلد ضخم لم يعمل به أحد. ويبدو مرد ذلك لانشغال قادة الصومال بحركة السياسة التى أنستهم ضخامة التحدى.

نال جهد الحكومة فى توسيع قاعدة التعليم حظا من النجاح ولكن هذا النجاح بددته اهواء إخضاع التوسع للسياسات القبلية[١] علما بأن كثير من الجهات والمنظمات العالمية أسهمت فى هذا التوسع ببناء المدارس كالسوق الأوربية المشتركة التى شيدت ٢١ مدرسة والوكالة الامريكية للتنمية العالمية، المانية الغربية، هيئة الأغذية العالمية، الاتحاد السوفيتى.

ولكن زيادة عدد المدارس وزيادة اعداد الطلاب مع قلة المعلمين وعدم وضوح الرؤية فى قضية اللغة والمنهج أدى الى تدنى المستويات كما قاد الى ازدياد الفاقد التربوى فى المراحل الأعلى رغم التوسع الذى حدث فى فرص التعليم كما أن انعدام أجهزة التفتيش والمراقبة، أدى الى جهل السلطات بعدد المدارس التى يتم فتحها واحتياجات المدارس المتجددة. كما تأخر قيام قسم للتخطيط التربوى حتى عام ١٩٦٥، بعد انصرام سنوات خمس على الاستقلال.

هذه الاحصائية تبين مدى التوسع الذى تم فى ميدان التعليم فى العهد الوطنى مقارنة بالعهد الاستعمار.[٢]

العام الدراسى	عدد الطلاب بالمدارس الابتدائية	ع طلاب المدارس الاعدادية	طلاب المدارس العليا	المجموع
٦١/٦٠	١٦٫٣٣٢	٢٫٢٧٩	١٫١١٧	١٩,٧٢٨
٧٠٫٦٩	٢٣٫٨٤٢	١٤٫١٢٩	٤٫١٨٥	٤٢٫١٥٦

تشير هذه البيانات الى :-

١ - ازدياد نسبة طلاب المدارس الابتدائية بنسبة ٤٦٪
٢ - ازدياد نسبة طلاب المدارس الاعدادية ٦١٩٪
٣ - ازدياد نسبة طلاب المدارس الثانوية بنسبة ٣٧٫٥٪

(١) تاريخ التعليم فى الصومال ص ٩٧.
(١) تعليمنا الثورى استراتيجيته واهدافه ص - ١١.

٤ ـ ازدياد نسبة مجمل الطلاب بنسبة ٢١٢٪

ونلحظ عدم تناسب الزيادة وعشوائيتها ما بين المرحلة والتى تليها ولكن لايسعنا الا أن نقـول أن سياسات الحكومة فى التوسع فى فتح المدارس واستيعاب الطلاب نال حظا من النجاح مع استصحاب التحفظات التى ذكرناها.

التعليم الخاص: ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩:

انقسم التعليم الخاص (سبق الحديث عنه) والموروث أساسا من الحقبة الاستعمارية الى مدارس جاليات، حيث كانت السفارات والجاليات تمارس فيها سياسات بلادها، ومدارس تبشيرية لاضعاف الثقافة الإسلامية وتنمية الثقافة العلمانية والكنسية ومدارس بعثه مصرية وازهرية، جاءت لنجدة الصومال بتأكيد عروبته واسلاميته. وقد ظلت هذه المدارس الخاصة مزدهرة طيلة سنوات العهد الوطنى العشر ولم تحاول الدولة اخضاعها لسياساتها وكان موقفها من عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ كالاتى :ـ

مستوى التعليم	عدد المدارس	عدد الطلبة
روضة اطفال	١٢	٧٥٣
ابتدائى	٣٩	٧٧٤٧
اعدادى	٢٦	٣٢٦١
ثانوى	٧	١٣٦١
صناعى	٢	٣٢٦
تدريب معلمين	١	١٦٨
المجموع	٨٧ مدرسة	١٣٫٦٢٠ طالبا

ولم يك هذا العدد بالعدد القليل، اذ أن مجموع هؤلاء الطلاب مقارنا بطلاب المدارس الحكومية البالغ عددهم ٤٢٫١٥٦ يعادل ٣١٪ كما يعادل ٢٤٫٤٪ من مجموع طلاب الصومال.

بلغ مجموع المعلمين فى المراحل المختلفة عام ١٩٦٩ ـ ١٨٧٦ معلما، فى حين لم يكن فى الصومال عشية الاستقلال سوى ٦٩٦ معلما بنسبة زيادة تعادل ٢٧٠٪ ومع ان هذه الزيادة تبدو فى ظاهرها متناسقة مع النمو الجارى فى عدد الطلاب الا أن معظم هؤلاء كانوا غير مدربين ويفتقرون الى التشجيع والرقابة (التفتيش) وفتح فرص الترقية للمعلمين، فلاعجب أن ظلت مستويات المدارس متدنية وضعيفة.[1]

---

(١) تاريخ التعليم فى الصومال ١٠٨ ـ ١١٣.

أنه بالرغم من التوسع الذى حدث فى استيعاب الطلاب وزيادة عدد المدرسين الا أنه لم يحدث اصلاح فى حركة التعليم ذاتها ممثلة فى المناهج وتدريب الأساتذة واعدادهم وطبع الكتب المدرسية، وان التعليم ظل يفتقر الى الرؤية الاستراتيجية الشاملة ويفتقر كذلك لتخطيط الاهداف المحددة، ولم تبذل مجهودات تذكر لتدعيم اتجاهات الثقافة العامة للوطن الصومالى. كما ان توسع الحكومة فى انتهاج سياسة المنح لغياب الجامعة الوطنية ادى الى فقدان الاصالة الوطنية وشيوع التحزب الثقافى وتباين وجهات النظر والانتماء للمدارس الفكرية الخارجية، حيث اصبح دعاة العروبة يتجهون نحو مصر وجامعاتها وابناء الزعماء يتجهون الى ايطاليا والبقية موزعة بين الدول الاشتراكية والغربية للاعتبارات الايدلوجية وفى هذا الظرف ضاع سؤال اللغة وان ادى العهد الوطنى الى تركز اوضاع اللغة الانجليزية التى اصبحت لغة التعليم فى المدارس الاعدادية والثانوية وتقهقر وضعية مكانة اللغة العربية التى اصبحت محصورة فى المدارس الابتدائية اما الايطالية فقد حافظت على وصفها باعتبارها لغة الادارة الحاكمة ولغة المعهد الجامعى ومعظم المدارس التبشيرية، وفى ظل هذا التمزق اللغوى تفجرت ثورة الرئيس محمد سياد برى الاشتراكية.

قضية اللغة ١٩٥٠-١٩٨٦

لعل قضية اللغة ستظل تشغل الى حين من الدهر، ليس فقط اهل الصومال ولكن كل سكان ما يعرف بقرن افريقيا، اذ الثورة الارترية انطلقت عام ١٩٦٢، حينما قامت السلطات الاثيوبية بايقاف تدريس اللغة العربية فى مدارس ارتيريا[١] فى ظروف ضم ارتيريا لها. كانت كل الحركات القومية فى اثيوبيا تطالب باستخدام لهجاتها المحلية - وقد استجاب النظام الثورى الاثيوبى لذلك الى حد ما بادخاله تعليم اللهجات المحلية فى برنامجه لمحو الامية.[٢]

ولقد كان اهل الصومال، معنيين باللغة العربية اكثر من غيرهم، باعتبار عروبة الصومال ووجهته الإسلامية - كما رأينا - فان حركة محاربة الحرف العربى فى الصومال قديمة، اذ كان ذلك جوهر حركة السياسات الثقافية الاستعمارية.

ولعل اول من حاول كتابة اللهجات الصومالية بالحرف اللاتينى هو رتشارد بيرتون، الذى درس لغة الهرريين والصوماليين وشبهها باللغة العربية فى قواعدها،[٣] كما قام جون لودج كرايف Kraph من الارسالية المانية البروتستنتانية، باول محاولة لكتابة لهجة الاورومو

---

(١) مقابلة الدارس مع المرحوم عثمان صالح سبى فى منزله بكسلا.

(٢) Christine Mcnab, from Traditional Practice to Current Policy, The Changing Pattern of Language Use In Ethiopian Education, Eighth International conference of Ethiopian Studies, Addis Ababa, 26 - 30 November. P. 9&12 .

(٣) الفصل الأخير من دراسة Burton. op. cit, first Footsteps

بالحرف اللاتينى فى دراسته للتشابه اللغوى بين الاورومووالصومالى والدنكالى (شعوب الصومال الكبير) وظهرت لكرابف، ترجمة للانجيل بالاورومو بالحرف اللاتينى فى عام ١٨٧٦ ،[١] اما اللغة الصومالية، فقد بدأت محاولات كتابتها بالحرف اللاتينى فى بداية هذا القرن، وكان اهم هذه المحاولات، محاولة الادارة البريطانية فى محمية الصومال عام ١٩٣٨، لايجاد ابجدية لاتينية ـ حروف هجائية لاتينية ـ تناسب اللغة الصومالة وادخلت هذه الابجدية فى المدارس الاولية مما ادى الى قيام مظاهرات شعبية صاخبة ضدها، باعتبارها محاولة مسيحية صريحة لاضعاف الثقافة الاسلامية، وبعدها فى عام ١٩٥٠ مولت مصلحة التعليم فى الصومال البريطانى مشروعا دراسيا لاستكشاف البناء اللغوى والصوتى للكلمات الصومالية وذلك فى مدرسة الدراسات الافريقية والشرقية بجامعة لندن. واسند المشروع لكلٍ من ب. و. اندروجسكى B.W. Andrze jewski وكذلك الجندى السابق بالجيش الانجليزى موسى حاج اسماعيل جلال والتى اكملت تقريرا اوصت فيه باختيار الابجدية اللاتينية لكتابة اللغة الصومالية ولكن ظل هذا المشروع حبيس المضابط خوفا من حركة الشارع الاسلامى.[٢]

ظهر اول نص صومالى بالحرف اللاتينى عام ١٩٦٦[٣]، حينما اكملت ارسالية المانونين ترجمة الانجليل الى الصومالية فى عام ١٩٦٦، وقد تمثل منهج محاربة اللغة العربية باحلال اللغتين الايطالية والانجليزية محلها، واتخاذهما لغتى ادارة وتعليم بالاضافة الى محاولات التزييف التاريخى والحضارى، علما بان حزب وحدة الشباب قد نص فى دستوره على تعزيز مكانة اللغة العربية واحلالها، المحل اللائق بها فى ربوع البلاد والاهتمام بتعليم اللغة العربية، نظرا لانها لغة القطر الرسمية مع ملاحظة موافقة الجمعية العمومية على كتابه اللغة الصومالية بحروف صومالية بحتة،[٤] ويبدو أن هذه الملاحظة جاءت فى سياق الإشارة إلى محاولة تيار داخل الحزب لتبنى العثمانية، اشارة إلى ابجدية عثمان كنديد والذى ابتدع ابجدية تكتب من اليسار لليمين، أستخدم حزب الوحدة هذه الابجدية فى مراسلاته الداخلية، وقد ادى اعتقال السلطات الايطالية لصاحب الابجدية ورفض السلطات الايطالية لاستعمالها إلى اضفاء مزيد من الجاذبية عليها ولكن مالبثت اهميتها أن تضاءلت ونسيها الصوماليون وعاد الصراع من جديد بين العربية واللاتنية

فى نوفمبر ١٩٥٠، رفع زعماء الشعب الصومالى، مذكرة للادارة الايطالية فى صومال

(١) Richard pankhurst, the Beginning of Oromo studies in Europe, Africa No 2, Guigno Rivista trimetiale di studie documentzione dell Istituto Italo Africano. P. 20 - 20l.

(٢) B. W. Andrse jewski, Muuse Xaaji Ismaactil Galaal A Founding Father of written Somali, Horn of Africa, Vo4. No 2. 1981 P. 23

وكذلك وزارة الاعلام والاشاد القومى كتابة اللغة الصومالية معلم عظيم من معالم تاريخنا الثورى، مقديشو ١٩٧٤ ص ٢١.

(٣) Op. cit A Global view of of Christian Mission P. 379.

(٤) دستور حزب وحدة الشباب مادة ٢.

الوصاية، مطالبين فيها بحسم مسألة اللغة الرسمية للدولة باتخاذ اللغة العربية (نحن علماء بلاد الصومال، ورؤساء قبائلها وشيوخها واعيانها ورؤساء الاحزاب السياسية بها، نرفع الى السلطة القائمة بادارة هذه البلاد وهى ايطاليا، ما اجتمعنا على اقراره نهائيا بخصوص اللغة الشعبية الرسمية فى هذه البلاد، اننا نختار اللغة العربية لغة شعبية رسمية لهذه البلاد للاسباب الآتية:

١ــ ان اللغة العربية لغة الدين ولغة القرآن الكريم.

٢ــ ان اللغة العربية لغة المحاكم الشرعية فى جميع نواحى القطر.

٣ــ ان اللغة العربية لغة التجارة والمكاتبات منذ انتشار الاسلام فى هذه البلاد.

٤ــ ان اللغة العربية لغة يتكلم بها غالبية السكان.

٥ــ ان اللغة العربية قد اختارها الشعب بالاجماع لتكون لغة البلاد الرسمية والشعبية وهى مجرى طبيعى لا نجد مناصا منه[1].

وفى عام ١٩٥٥، عقد مؤتمر ثنائى فى مقديشو بين حكومة المحمية وحكومة الوصايا، بدعوة من ادارة الوصايا، واوصى المؤتمر باختيار ابجدية لاتينية معدلة ولكن لم تتخذ خطوات عملية لانقاذ هذه الابجدية خوفا من رد الفعل الشعبى.

وحينما انشىء المجلس الاقليمى اول يناير ١٩٥٦ كان من اول اجندته، قضية اللغة العربية، حيث اجاب الحاكم الايطالى حول سؤال حول قضية اللغة قائلا: (بان الادارة ستأخذ باللغة العربية واللغة الايطالية فى المدارس والمكاتب واستعمال اللهجة الصومالية) ونظرا لغموض الاجابة، رفض اعضاء المجلس الاقليمى اجابة الحاكم العام، وطالبوا بقرار واضح فى مصلحة اللغة العربية باعتبارها اللغة الوحيد التى تناسب ثقافة الشعب الصومالى، غير ان الوزير الايطالى اعلن انه سيفحص تدريجيا كل وسيلة لاخراج لغة من اللهجات المختلفة تكون اللغة الرسمية للدولة)[2] وهكذا سجلت المضابط ان اولى مجابهة بين الحاكم وممثلى الشعب كانت حول موضوع اللغة.

ازدات - كما رأينا - حركة العناية باللغة العربية فى الصومال بدخول العامل المصرى، حيث بلغ عدد المعلمين المصريين فى عام ١٩٥٦/٥٥ ٢٥ مدرسا، ١٩٥٧/٥٦ ٢٣ مدرسا، ١٩٥٨/٥٧ ٥٧ مدرسا ٥٩/٥٨ ٧٢ مدرسا[3].

---

(١) جمهورية الصومال الديمقراطية، اللجنة الوطنية العليا لجملة تقوية اللغة العربية ونشرها، استراتيجية تقوية اللغة العربية والخطة الخمسية الأولى مقديشو، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مقديشو. سبتمبر ١٩٨١ ص ١٠ - ١١.

(٢) المصدر السابق ص ١٢ - ١٣.

(٣) د. على ابراهيم عبده، مصر وإفريقيه فى العصر الحديث المكتبة التاريخية ١٣، دار القلم، القاهرة ص ١٢٥.

فطن المندوب المصرى فى المجلس الاستشارى لمجلس وصاية الصومال السيد/ كمال صلاح الدين لقضية اللغة العربية وحارب اتجاه الادارة الايطالية للتمسك باللغة الصومالية ومحاولة كتابتها بأحرف لاتينية وكتب معلقا على هذه الفكرة: «ان هدف عملاء الاستعمار الغربى من التمهيد لهذه الفكرة، ان يصبح الجيل الجديد من الصوماليين بعيدا عن مصادر الثقافة العربية، وبذلك يتم فصل الصومال عن الشعوب العربية. فاذا ما تحقق ذلك انفردت به قوى الاستعمار لتنفيذ ماتشاء من خطط ومشاريع تخصه لنفوذها واستقلالها. وعندما يلتفت الشعب الصومالى للاستنجاد بالشعوب العربية يجد الهوة التى حفرها بنفسه والتى تفصل بينه وبينها عميقة واسعة يصعب اجتيازها، وهدفهم ثانيا تأخر الشعب الصومالى ثقافيا اطول مدة ممكنة، لأن الجهل وضعف التعليم يوفران الجو المناسب الذى يعيش فيه التحكم والاستقلال الاستعمارى هادئا مطمئنا. فمع التسليم بامكان كتابة الصومالية باللاتينية، الا أن عدم وجود الطبقة المثقفة الواعية بحكم القيود التى فرضها عهد الاستعمار الفاشيستى فى الماضى، تجعل من المتعذر وجود المؤلفين من أبناء الصومال الذين لديهم القدرة على التفكير والتأليف... وبهذا يجد الصوماليون أنفسهم أمام الحقيقة المرة، وهى انعدام المراجع والكتب اللازمة للمضى فى مراحل التعليم المختلفة»[1] وقد دفع السيد كمال صلاح الدين حياته، ثمنا لجهاده فى سبيل تعزيز وضع اللغة العربية حيث أطلق عليه الرصاص فى ١٦ أبريل ١٩٥٧ فسقط ميتا.

وفى ظروف الاستقلال وتقلبات السياسة وانشغال الساسة بالغنائم والمناصب ضاعت مسألت اللغة، وأصبح هناك عمليا - كما رأينا ثلاثية لغوية ممثلة فى الايطالية والانجليزية والعربية، وان كان الاتجاه العام يسير نحو العربية، اذ صحافة الحزب الحاكم كانت تنطق بالعربية وأصبحت العربية لغة التدريس فى المدارس الابتدائية مع توسع الدور المصرى فى جلب المعلمين ومنح المنح كما أن مداولات الجمعية الوطنية الصومالية كانت تكتب بالعربية والايطالية كما ظهر عدد من الكتب العربية[2] ولكن المحصلة النهائية كانت قيام السلطة الوطنية فى ١٩٦٠، بتكليف لجنة تساعية للبحث عن أفضل السبل لكتابة اللغة الصومالية. رفعت اللجنة تقريرها للحكومة، معتمدة على الدراسات التى سبقتها واقترحت شكلا معدلا للاحرف اللاتينية ولكن أهملت الحكومات المتعاقبة تقرير اللجنة خوفا من رأى الحركة الشعبية الى ان استولى الضباط على السلطة.

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٩.

(٢) انظر كمال أحمد عمر - من السفح الى القمة قصص من مجتمعنا الصومالى دون ناشر او تاريخ نشر حيث تدور الفكرة حول الضياع والمأساة والموت اشارة الى معاناة الصومال فى سبيل الاستقلال والوحدة.

السياسة اللغوية الجديدة التى تبنتها حكومة الثورة ١٩٦٩ - ١٩٨٦ :

نص بيان الضباط رقم ١، والذى تلاه اللواء محمد سياد برى رئيس مجلس الثورة على :-
١ - تأسيس مجتمع على قواعد العدالة الاجتماعية التى تناسب خصوصية المجتمع الصومالى.
٢ - خلق الظروف المناسبة لتطوير ابجدية للغة الصومالية.
٣ - الغاء الاحزاب السياسية.
٤ - اجراء انتخابات حرة غير حزبية فى الوقت المناسب.

جاء ترتيب تطوير ابجدية للغة الصومالية الثانى فى قائمة أهميات السلطة الجديدة، وفى ظروف اعلان اشتراكيته العلمية بأعتبارها ايدلوجية للنظام الجديد فى الصومال والتوجه نحو روسيا، قرر مجلس الثورة فى يناير ١٩٧١ تشكيل لجنة صومالية للتنفيذ الفورى للمشاريع السابقة الجاهزة لكتابة اللغة الصومالية بابجدية لاتينية معلنة(١)، حيث شرعت اللجنة على الفور فى اعداد الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية حيث اكملت اعداد :-
١ - أربعة كتب فى اللغة الصومالية بما فيها النحو الصومالى.
٢ - كتابين فى الجغرافيا والتاريخ
٣ - جهزت قاموسا للغة الصومالية احتوى على عشرة آلاف كلمة.
٤ - جهزت اثنى عشر كتابا مدرسيا صغيرا لتغطية بقية المجالات المدرسية(٢).

وفى الذكرى الثالثة للثورة اعلن الرئيس الصومالى أنه سيعمل باللغة الصومالية، اعتبارا من اليوم كاللغة الرسمية الوحيدة للبلاد. ولاعتبارات عملية عديدة ولظروف خاصة، سنستخدم الحروف الأبجدية اللاتينية لتطوير لغتنا، وسيجرى ادخالها فى جميع مجالات الحياة بقرارات خاصة(٣)أعطى بعد هذا البيان لموظفى الحكومة وافراد القوات المسلحة ثلاثة أشهر يتعلمون خلالها الأبجدية الجديدة لكتابة لغتهم. وابتداء من منتصف يناير ١٩٧٣، بدأ استخدام الابجدية اللاتينية للغة الصومالية رسميا فى جهاز الدولة وحلت بذلك محل الايطالية فى الجنوب والانكليزية فى الشمال. وفى يناير ١٩٧٣، أصبحت اللغة الصومالية لغة التدريس فى المدارس الابتدائية بدلا من اللغة العربية، لتصبح اللغة العربية أول ضحايا الابجدية الجديدة فى مجال التعليم. وفى ٢١ يناير ١٩٧٣ صدرت صحيفة نجمة اكتوبر الحكومية باللغة الصومالية لأول مرة فى تاريخ الصومال وكذلك تتالت حملات محو

(١) جمهورية الصومال الديمقراطية، كتابة اللغة الصومالية ص ٢٤ كان العديد من ضباط الجيش ملمين بقواعد استخدام الابجدية اللاتينية فى كتابة اللغة الصومالية، لأنهم كانوا يستعملونها فى مراسلات الشفرة العسكرية.
(٢) المصدر السابق ص ٢٤ - ٢٥.
(٣) راشد البراوى، الصومال الجديد، فلسفة وامل، مكتبة الانجلو - المصرية القاهرة ١٩٧٣ ص ٨٠.

الأمية على الابجدية الجديدة التى استفاد منها حسب تقديرات السلطة الرسمية مليون شخص [1].

أما فى مجال الثقافة العامة والتأهيل الثقافى، فقد أصدرت السلطة دراسات بالابجدية الجديدة المعتمدة على الحروف اللاتينية تتعلق بالاشتراكية والوحدة والنظام التعاونى وساعدت وكالة نوسوستى السوفيتية Nososti press Agency فى عام ١٩٧٧ فى طباعة هذه الكتب ومنها:

١ ـ الاشتراكية العلمية

Hantiwadaagga Cilmigaan يقع فى ٢٣٥ صفحة ويدور حول الفلسفة الاشتراكية والاقتصاد السياسى والاداء الثورى.

٢ ـ طريق الاشتراكية العلمية

Tubta Toosanee Hantiwadaagga

ويدور حول منهج تحليل التاريخ للصومال من،

Cilmigaah

زاوية المادية التاريخية.

٣ ـ مقدمة الاشتراكية العلمية

Barashada Bilowga Hantiwadaagga

وهو عبارة عن مقتطفات من خطب الرئيس سياد حول الاشتراكية [2].

وكذلك صدرت تراجم باللغة الصومالية على الابجدية الجديدة للكتب الآتية:ـ

١ ـ البيان الشيوعى ماركس، انجلز.

٢ ـ لينين: الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية.

٣ ـ كوامى نيكروما: الصراع الطبقى فى إفريقيا.

٤ ـ الكتاب المقدس بالصومالية [3]

٥ ـ العهد الجديد بالصومالية

وكذلك صدرت اصدارات تمثل التراث المحلى بالابجدية الجديدة وكان أهمها [4].

١ ـ السيد احمد يوسف عليو وعبد القادر حربى، النار التى اشعلها الدراويش.

٢ ـ يس عثمان كنديد: القاموس الصومالى.

---

(١) وزارة الاعلام والارشاد القومى، الصومال فى ظل الثورة، خمسة اعوام من الازدهار والتقدم، مقديشو ١٩٧٤ ص ١١.

(٢) Hussein M. Adam, Charles L. Geshektev8 The Revolutionary Devlopment of the Somali language, occas-sional paper, african Studies Centre U. of California, 1980 P. 6 - 9.

(٣) Kitaabka Qoduuuska, AHsim Canand Bomali Bible 60.

(٤) كل هذه الكتب من اصدارات الاكاديمية للعلوم والآدال والفنون وتوجد نماذج منها هناك.

٣ ـ محمد شيره محمد: الأمثال الصومالية بالعربية والانجليزية.
٤ ـ جامع عمر عيسى: ديوان السيد/محمد عبد الله الحسن.

وهكذا بدأ المسار الجديد، الذى قابلته الحكومات العربية بالوجوم الشديد، أما الشعب الصومالى المسلوب الارادة لقد اكتفى بالمعارضة السلبية والتى تمثلت فى عزوف الآباء عن ارسال أبنائهم للمدارس خوفا عليهم من الأفكار الجديدة، كما اتجه الآباء الى الحاق أبنائهم بمدارس تحفيظ القرآن التى أخذت تروج وتنمو فى المساجد[١] حيث تأسست ٦٧٪ من المدارس القرآنية الشعبية الموجودة حاليا بالصومال فى الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٨٢ أى مايعادل ٣٨٣٦ مدرسة جديدة ـ وقد أدى هذا العزوف عن المدارس الحكومية الى لجوء الجهاز الادارى الى استخدام القوة لفرض التعليم الابتدائى[٢]. لتحقيق نسبة الاستيعاب الموجودة فى الخطة لاستيعاب ٥٢٪ من الطلاب أعمار ٦ ـ ١٣ حيث لم يزد الاستيعاب عن ٣٤٫٤٪ مما أدى الى عدم استخدام للفصول فى الابتدائيات[٣].

قام الرئيس سياد برى، فى محاولة لتخفيف آثار الصدمة على العالم العربى ولتحسين صورة الحكومة فى الداخل باعلان انضمام الصومال لجامعة الدول العربية فى ١٤ فبراير ١٩٧٤، كما تغيرت نبرة الحكومة فى الحديث عن الحرف العربى واظهاره فى صورة الحرف الاجنبى حيث ذكر الرئيس سياد برى فى خطابه فى ٨ مارس ١٩٧٤ «كانت هناك لغتان اجنبيتان، كلغات ملزمة للتدريس بجانب اللغة العربية التى تعتبر اللغة الثانية لشعبنا الذى ينتمى الى الحضارة العربية الإسلامية[٤].» وربما كانت هذه أول اشارة الى الانتماء للحضارة العربية الإسلامية فى ظروف الزخم الثورى وشعارات الاشتراكية العلميه.

لقد سبقت مبررات كثيرة، من قبل السلطة الحاكمة، لتبرير تفضيل أبجدية لاتينية على ابجدية عربية، لكن يبدو أن أهمها:
١ ـ أن تكون الآت الطباعة بها متوفرة داخل البلاد.
٢ ـ أن تتمشى مع نظام طريقة مورس العالمية لارسال البرقيات، اذ بقية السبعة عشر مبدأ

---

(١) انظر المكتب الاقليمى للمنظمة العربية للثقافة والعلوم بمقديشو، دراسة مسيحية عن المدارس القرآنية، فى جمهورية الصومال الديمقراطية يناير ١٩٨٣ ص ٨.
(٢) Somali Democrtic Republic, Annual Development plan 1984 Ministry of National Planning. Magadishue January 1984 P. 151.
(٣) المصدر السابق ص ١٥١.
(٤) وزارة الاعلام، كتابة اللغة الصومالية ص ٤٠ ـ ٤٢.

الاسترشادى التى استخدمت فى اختبار الابجدية اللاتينية تتوفر فى اللغة العربية[1]، ولكن لايبدو عند تدقيق النظر الفاحص أن أيا من هذين المبدئين يكفى لترجيح اختيار الابجدية اللاتينية، اذ يمكن توفير الآت الطباعة العربية بقليل من الجهد، كما أن المبدأ الثانى لايفيد فى شىء، أما فى حالة خطاب العالم الخارجى فان الاتصال عادة يكون باللغات العالمية (الانجليزية أو الفرنسية) ولايفيد ارسال برقية بالصومالية لأنها لن تكون مفهومة الا لصومالى - كما أن العالم العربى يجرى اتصالاته الخارجية باللغات اللاتينية دون أن يؤثر ذلك على وضع اللغة العربية.

لقد تم اختيار الابجدية اللاتينية وتفضيلها على العربية، علما بأن الابجدية اللاتينية تفتقر الى أربعة أصوات أساسية فى اللغة الصومالية - وهى الحاء والخاء والعين والقاف، مما أدى الى أن تستحدث حروف جديدة فى اللاتينية لتلافى هذا القصور، حيث أصبحت تكتب الاسماء كالاتى «نماذج»:-

بالعربى بالانجليزى بالصومالى

حسيـــن

Hussein Xuseen Xuseen حيث أصبح X الصامت يمثل ح

علـــى

Ali Cali فأصبح C = ع وهو لاينطق

عمـــر

Omar Cumar

سعيد

Said Saciid

أما بالنسبة للقاف - فقد اختير لها شكل

Q أو q

مقديشو

Magadishue Muqdisho

عبد القادر

Abdulkadir Cabdulqaadir

عقيدة Cagudo

---

(١) لمعاينة المبادى الاسترشادية انظر، دراسة وزارة الاعلام حول كتابة اللغة الصومالية ص ١٨ - ٢١، ذكر على شيخ عبدالله بلحو فى ورقته اثر اللغة العربية على اللغة الصومالية المقدمة لندوة تقوية اللغة العربية بمقديشو ٦ -٩ يوليو ١٩٨٦ ان المفردات العربية فى اللغة الصومالية الدارجة تمثل ٧٥٪ من الفاظها وذلك بعد ضم ما اصابها من تحريف وتبديل وقلب فى بنية مفرداتها وان اللغة الصومالية مشابهة للعربية فى التفريق بين الجنسين المذكر والمؤنث وأن اللغة الصومالية ما هى الا احدى اللهجات العربية القديمة التى اصبحت فيها بعد لغة قائمة بذاتها ولكنها مازالت تحفظ بالملامح العربية الاصلية والحركات الصومالية عربية الأصل وان اسماء الصوماليين عربية انظر ص ٢ ٨ ٩.

كما تم ذبح الآف الكلمات العربية لتناسب الابجدية الجديدة علما بأن مايعادل ٥٠٪ من الفاظ اللغة الصومالية عربية الآصل فنأخذ بعض النماذج:

الأصل العربى فى الصومال	
ورقية (ورق)	Wargeys Newspapers
قاسم (وهو الرئيس الذى يقسم بين الرعاة)	Agaasime
حقيقة	Xagiigo
عالمى	Xaalami
ذاتى	Daati
شخصى	Shakksi
دين	Diin
فلسفة	Falasafad
سياسة	Siyaasad
صحيحة	Saaxiibtinimo
مضاربة	Mudaharaad
جهة	Jaho
الآت	Aaaladaha
إيجار	Ijaar
خسارة	[1] Khasaare

برغم هذه العوائق الفنية وبرغم أن اللغات اللاتينية لها نظامان واحد للحروف المتحركة بينها للغة الصومالية نظامان للحروف المتحركة ويتضح ذلك من دراسة كيفية كتابة بعض الكلمات بالعربية وبالصومالية على أساس الابجدية العربية وبالابجدية اللاتينية المعدلة.

الكلمة	بالصومالية على الابجدية العربية،	بالصومالية على الابجدية اللاتينية
ساعة	ساعات	Saacad
ثورة	كاكان	Kacaan

لذا فحجة صلاحية الحرف اللاتينى على الحرف العربى حجة مردودة وأن الأسباب التى دعت لتبنى الابجدية اللاتينية، أسباب ثقافية حضارية، تتعلق بالطبقة التى خلقتها الادارة

(١) Dr. Hussein M. Adam, Somalia and the World. Proceeding of the Int. Symopsiu held in Mogadishu October 15 - 21 1979. Volume 1, 2nd Halgun Publication P. 87 102.

الاستعمارية وجعلتها مهيمنة على مقاليد الأمور، وهذه الصفوة السياسية كانت منبته عن جذورها وعن الثقافة العربية وكان خيار اللغة العربية يعنى بالنسبة لها التنحى عن مركز الريادة فى المجتمع والتضحية بمناصبها ومكاسبها وأوضاعها التى احرزتها عن طريق اكتسابها للثقافة الاستعمارية وعن طريق مواصلة حراسة وتقليد هذه الثقافة فلا عجب أن تجاهلت هذه الصفوة تجارب كتابة لهجات اللغة الصومالية بالحروف العربية وهى أقرب للطبيعة الصومالية كالفارسية والآردية.

أكثر مثقفو الصومال من مقارنة صومال سياد برى بتركيا اتاتورك فى العشرينات، نتيجة للمشابهة فى اتخاذ ابجدية. لاتينية ونتيجة للمشابهة فى متغيرات اخرى[1] (تحرير المرأة على النمط الغربى).

ربما جاءت مثابرة الصفوة الصومالية على كتابة اللغة الصومالية، استجابة جزئية للنجاح الذى أصابه الامهرة فى كتابة لغتهم ولكن نسبت الصفوة الصومالية أن كتابة الامهرية تم بأبجدية محلية كما أن كتابة الامهرية لم يؤد الى اضعاف الانجليزية على عراقة اللغة الامهرية، بينما ضحى مثقفو الصومال بالحرف العربى، والثقافة الإسلامية لمصلحة أبجدية أجنبية.

ان مستقبل اللغة الصومالية فى اطار الابجدية اللاتينية ان تنتهى الى أن تصبح فرعا من شجرة اللغة اللاتينية بمرور جيل أو جيلين، لأن اللغة كائن حى، يشكل حسب البيئة التى يتغذى فيها، والآن أخذت اللغة الصومالية تتغذى باستمرار - وهى لغة محدودة ناشئة - على المصطلحات الأجنبية فى العلوم والسياسة والاداب حيث استعارت كل الرموز العلمية حيث أصبح مثلا:[2]

الصوديوم Sodium	NA
هيدروجين Hgdrojin	H
درجة Degree	Digirir
فيزياء Physics	fisigis
ماء	H2o

كما أن اللغة أخذت تتغذى باستمرار من المصطلحات الاجنبية فى مجال الآدب والفكر والاقتصاد والتجارة مما سيؤدى الى تغير خصائصها وأساليبها وبنياتها لتتماشى مع حركة اللغات الأوربية، وخطورة هذا الاتجاه أنه سيقود الى تغيير النفسية الحضارية والاجتماعية لأهل الصومال، باعتبار أن اللغة عامل هام فى التشكيل الفكرى والحضارى، وبعد مائة

---

(١) المصدر السابق ص ٥.

(٢) لا يصلح هنا القول بان اللغة العربية استعارت هذه المصطلحات كذلك لأن اللغة العربية لغة عريقة والعلاقة بينها وبين اللغة اللاتينية علاقة حوار وليست تبعية لأن اللغة الانجليزية مثلا استعارت أكثر من ألف كلمة عربية وكذلك تفعل العربية.

سنة قد تصبح اللغة الصومالية من شجرة اللغات اللاتينية بحجم التدفق الذى يرفد هذه اللغة من المصطلحات اللاتينية خصوصا فى مجالات العلوم والتكنولوجيا وخصوصا أنها لغة محدودة معزولة كانت اسيرة بنية محدودة فاذا بها تقفز مرة واحدة وبابجدية اجنبية الى مصاف اللغات العالمية.

كما أن الجيل الجديد، الذى درس لغته الوطنية بالحرف اللاتينى لن يستطيع قراءة التراث الصومالى من مخطوطات وأشعار بالحرف العربى، بل سيجد نفسه معزولا عن رسم المصحف الشريف والثقافة الإسلامية والتراث الشعبى المكتوب وسوف يؤدى ذلك الى ازدواجية خطرة فى الثقافة الشعبية ويضعف قدرة الدارسين على تحصيل العلوم الإسلامية وأداء الشعائر الدينية والانتماء للامة الإسلامية.

ان الدعوة الى كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف اللاتينى دعوة قديمة، وقد رأينا أن الارساليات التبشيرية هى التى بدأت هذا المشروع فى قرن إفريقيا منذ القرن التاسع عشر وهذه الدعوة امتدت حتى الى اللغة العربية نفسها، فقد حاضر المستشرق المعروف لويس ماسينون فى عام ١٩٣١ داعيا الى كتابة العامية العربية بالحرف اللاتينى ثم راجت بعدها الدعوة لكتابة العربية بالحرف اللاتينى حتى تصبح اللغة العربية مجرد لغة دينية خالصة تؤدى بها فقط الشعائر الدينية كالجيزية للامهرة واللاتينية والقبطية والسيريانية لغيرها من الشعوب[1] ان المركز اللغوى الثقافى هو بين العرب والصومال جزء من الأمة العربية - فاذا ما فقد المركز جاذبيته ونقطة ارتكازه فلاشك أن المحيط يتلاشى بتلاشى المركز، وان كل لسان يؤلف حول الشعب الذى يتكلم به دائرة لايمكن للمرء أن يخرج منها الا اذا دخل فى نطاق دائرة أخرى، وأن لغة شعب ما هى الا روحه كما أن روح الشعب لغته، ان التضحية باللغة العربية تحتمل التضحية بالدين الإسلامى لأن الابجدية اللاتينية تردنا لاتينيين[2] - وهذا ماحدث فى الصومال حينما صدر قانون الاسرة الجديد، رقم ٢٣ الصادر فى ١٩٧٥/١/١١.

سمى «عام ١٩٧٥» العام العالمى للمرأة حسب قرار من الجمعية العامة للامم المتحدة وعليه تقرر انعقاد الحوار الاقليمى عن إفريقيا فى مقديشو بعنوان مساواة المرأة فى الفترة ما بين ١٣ أبريل ١٥ ابريل ١٩٧٥ فى هذا العام، وفى اجواء الاستعداد لانعقاد المؤتمر فى مقديشو اعلن مجلس الثورة الصومالى عن مساواة الرجل والمرأة بما فى ذلك الميراث فقد صدر ذلك رسميا، فى قانون الاسرة الجديدة رقم ٢٣ الصادر فى ١٩٧٥/١/١١ والصادر فى

---

(١) أنور الجندى، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ص ٢٥٦.

(٢) عبر ذلك الدكتور زويمر حين قال يوجد لسانان لهما النصيب الاوفر فى ميدان الاستعمار وجال الدعوة الى الله وهما الانجليزى والعربى وهما الآن فى مسابقة وعناد لانهاية لهما لفتح القارة السوداء، مستودع النفوذ والمال، يريد كل منهما ان يلتهم الآخر، وهما المعضدان للقوتين المتنافستين فى طلب السيادة على العالم البشرى، اعنى النصرانية والاسلام «المصدر السابق ص ٣٠٣».

النشرة الرسمية رقم «١» العدد الثالث بتاريخ ١٩٧٥/٣/٨، وقد نصت المادة ١٥٨ تنفيذا لمبادىء الميثاقين الأول والثانى للثورة، فان الرجل والمرأة متساويان فى الميراث، كما قضت المادة ٦١ على حالة التمايز التى تبيح للقرابات الارث فى الحالات التى يكون فيها الوالدان المتوفيان أو احدهما قد ترك اطفالا اناثا، وحصر أولئك الذين يحق لهم الميراث فى الاحفاد والآخوة والآخوات، مما عنى عمليا الغاء احكام الشريعة الإسلامية المطبقة حرفيا فى الصومال كما عنى جزئيا محاربة مفهوم الأسرة الممتدة الجزور فى المجتمع الصومالى، وقد جاء القانون فى اجواء ثقافة ماركسية وشعارات يساريه وعلاقات صداقه مع الاتحاد السوفيتى.

وفى يوم الجمعة الموافق ٥ محرم ١٣٩٥، ١٧ يناير ١٩٧٥م اتجه الصوماليون لاداء شعيرة الجمعة، وبعد انتهاء الخطبة الرسمية فى مسجد الاركان الأربعة، ومسجد مقام عبد القادر الجيلانى، وقف عدد من المصلين متكلمين ضد القانون الجديد، واستمر المصلون يستمعون للخطباء حتى أوان صلاة المغرب، حيث قامت بعدها أجهزة الأمن باعتقال اعداد كبيرة من المصلين، وفى يوم السبت محرم ١٣٩٥ق تم تشكيل محاكم عسكرية ميدانية صورية لمحاكمة الخطباء والعلماء وصدرت احكامها فى ذات اليوم حيث حكمت على :ـ

١ ـ ستة من الخطباء بالاعدام رميا بالرصاص.

٢ ـ ثلاثة من العلماء بالحكم ثلاثين سنة سجن على كل واحد.

٣ ـ الحكم على آخرين بالسجن لمدة عشرين عاما لكل واحد[1].

وتم التنفيذ الفورى للآحكام، فى ظروف ارهاب واظهار لسطوة النظام، حيث قامت الطائرات العسكرية باستعراضات مما أدى الى صدام بين طائرتين من طراز ميج ٢١.

تجاوب العالم الإسلامى مع نكبة العلماء، حيث تم أداء صلاة الغائب على أرواحهم فى عواصمهم عديده، كما استنكر كثير من الهيئات الشعبية ما حدث، أما الشعب الصومالى فقد صمت تماما، الا من أصوات الدعاية الرسمية وفى ٢١ يناير ١٩٧٥، خطب الرئيس سياد برى معنا قانون الآحوال الشخصية الجديد، حيث قال: من أجل المحافظة على مصالح المرأة الصومالية وتقدمها أصدرنا قانونا يسمى بقانون «الآحوال الشخصية» ومعناه قانون تنظيم الآسرة، وقد تكون هناك مواضع حساسة مثل الارث وأمثالها ـ الهدف من كل هذا هو خلق تشريعات تتطابق مع المرحلة التى يمر بها المجتمع... ونظرا لأن الإسلام كان فى حد ذاته ثورة شاملة ولدت فى وقت كان الاستعباد والتفرقة سائدا، لهذا لم يواجه الأمور مرة واحدة. وعلى العموم فلنسأل لماذا كانت الآيات تنسخ وتأتى آية أخرى بأحكام جديدة بها لماذا كان يحدث هذا... ان الدولة هى المسئولة عن المحافظة على الدين...... كم عدد رجال الدين فى الاعداد التى قبض عليها أو نفذت عليهم الاحكام؟ ومن جعلهم

(١) من مقابلتى مع عدد الذين اعتقلوا وكذلك قابلت امام احد المسجدين حيث سمعت تفاصيل ما حدث كذلك انظر صحيفة نجمة اكتوبر ١٩ يناير ١٩٧٥ وكذلك انظر على الشيخ، الدعوة الاسلامية المعاصرة فى القرن الافريقى ص ٢٠٠ ـ ٢٠٩.

وكلاء للدين، مع أنهم لايعرفون شيئا عنه؟ اليس هذا دليل على وجود الصلة بينهم وبين جهات استعمارية[1].

سمات قانون الآسرة الجديد رقم ٢٣ :[2]

١ - يقوم وفقا للمذهب الشافعى مع تعديلات جوهرية فى اتجاه علمته القانون وتضمينه مفاهيم مخالفة للشريعة إذ مثلا فى الفقه الشافعى تكون موافقة ولى أمر الفتاة أمر لامناص عنه ليتم الزواج ولكن المادة ٢١ تنص على الاتى :- تكون موافقة الوصى مطلوبة فقط عندما تكون الفتاة بين السادسة عشر والثامنة عشر من عمرها وبهذا فقد جعل القانون أمر الفتاة وعصمتها بيدها باستثناء ما بين السادسة عشر والثامنة عشر.

٢ - جاء تعريف الزواج فى القانون الزواج عقد بين رجل وامرأة، يتساويان فى الحقوق والواجبات، وعماده التفاهم والاحترام المتبادل بينهما لخلق اسرة تعتبر حجر الزاوية فى المجتمع وهذا التعريف لم يعرفه الفقه الإسلامى، اذ الشافعية يعرفون الزواج بأنه عقد يتضمن ملك وطء بلفظ انكاح أو تزويج، وبعضهم يعرفه أنه عقد يتضمن اباحة الوطء، فهو عقد اباحة ويكون بايجاب وقبول شرعيين وشهود - أما العقود المدنية فهى زنا يعاقب الشارع الإسلامى عليها.[3] كما تنص الفقرة الثانية من المادة الثانية من القانون الصومالى على أنه لاتدفع هبة للعروسة كشرط لاتمام الزواج ولكنها مباحة لمن يقدمها اختيار وفى هذا نقض لنصوص الفقه الإسلامى التى اشترطت المهر وترخصت فيه الى حد تلاوة شىء من القرآن.

الغى القانون تعدد الزوجات وجنب المبدأ ولكنه ترك الباب مفتوحا امام الرجل ليتزوج امرأة ثانية بلا ثالثة أو رابعة بتصريح مسبق من المحكمة ويمكن للمحكمة اعطاء مثل هذا التصريح فقط بالشروط الآتية :-

آ - عندما يقرر قومسيون من **الاطباء** أن الزوجة الأولى عاقر وأن الزوج لم يكن يعرف ذلك وقت الزواج، أو أن الزوجه مصابة بمرض لايرجى شفاؤه

ب - عندما يحكم على الزوجة بالسجن لمدة تزيد عن سنتين.

ج - عندما تظل خارج بيتها لمدة عام بدون سبب اصيل.

د - وجود مشكلة مستعصية نابعة من البيئة الاجتماعية.

---

(١) جمهورية الصومال الديمقراطية، وزارة الاعلام والارشاد القومى، خطب مختارة لرئيس المجلس الأعلى للثورة اللواء محمد سياد برى ١٩٧٣ - ١٩٧٤، مقديشو اكتوبر ١٩٧٥ ص ٨٣ - ٨٦ أكتوبر ١٩٧٥ ص ٨٣ - ٨٦.

(٢) قسم المرأة بالمكتب السايسى فى المجلس الاعلى للثورة المرأة الصومالية فى البنيان الاشتراكى، العام العالمى للمرأة، مطابع الدولة مقديشو ١٩٧٥ ص ١٤ - ٢٤.

(٣) انظر عبدالرحمن الجزيرى، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، دار الفكر بيروت ١٩٦٩، الجزء الرابع، الأحوال الشخصية ص ٢.

وللمرأة الأولى الحق فى طلب الطلاق أو البقاء مع زوجها فى ظل تعدد الزوجات، ومن الواضح أن هذه المادة بهذه الصورة تصادم مقاصد الفقه الاسلامى.

٣ ـ نصت المادة ٣٦ من القانون الجديد يستطيع الرجل أن يطلق زوجته فقط عندما تسمح له المحكمة المختصة بذلك علما بأن الفقه الإسلامى يعطى الزوج حق الطلاق اذا رغب وبدون تدخل المحكمة أو بموافقة كل من الزوجين بدون تدخل المحكمة.

وفى الفترة ٣ ـ ٥ ابريل ١٩٧٥، انعقد المؤتمر الاقليمى لمساواة المرأة الافريقية، حيث طرحت السيده مريم حاجى عالمى ورقة الصومال حيث استشهدت فيها باراء لينين فى قضية المرأة وأن استغلال المرأة فى الصومال يأخذ طابع ايدلوجى بابعاده الدينية والسياسية والتشريعية، مما يضطر حركة المرأة لمصادمة قوانين الزاوج والعمل وحتى انتساب الأطفال للآباء فى أسمائهم دون الأمهات[١].

مضى عام ١٩٧٥ و ١٩٧٦، ولم تشهد المحاكم اقبالا من الصوماليين عليها، واكتفوا بفتاوى رجال الدين ولجان التحكيم الخاصة فى مقاطعة سلبية لمحاكم الأحوال الشخصية[٢]، وشعر النظام بعزلة داخلية واقليمية وهنا وفى محاولة من السلطة لكسب الرأى العام الصومالى المصدوم، لجأت الحكومة الى تحريك قضية شعب الاوجادين، القابع تحت الهيمنة الاثيوبية حيث انتهز النظام الصومالى ظروف التفكك الداخلى فى اثيوبيا التى صاحبت الثورة الاثيوبية ابتداء من عام ١٩٧٥، فحركت الصومال ما يعرف بجبهة الصومال وجبهة ابو ثم تدخل الجيش الصومالى وأحرز انتصارات رهيبه، وهنا كان التحول السوفيتى لصالح اثيوبيا ـ كما مر بنا ـ وبعد الحرب انتقل الصومال لمعسكر الغرب، كما حدث تراجع كبير فى سياساته المحلية والخارجية وحاول استعادة وضعه وسط الشعوب العربية والإسلامية فكانت أن جاءت آخر سياساته الثقافية ذات المغزى وهى مايسمى بحملة تقوية اللغة العربية.

حملة تقوية اللغة العربية:

فى عام ١٩٧٩، صدر الدستور الصومالى، ونصت المادة الثانية أن اللغة الصومالية هى لغة الشعب الوحيدة، التى يتخاطب بها ويتفاهم بها الصوماليون. واللغة العربية هى لغة الشعب الصومالى التى تربطه بالأمة العربية، التى هو جزء منها وهما اللغتان الرسميتان فى

(١) Somali Democratic Republic, Regional Seminar for Africa, On African Women's Equality, Mogadishu April 3rd to 5th, 1975.

(٢) لم استطع ان احصل على احصائية من القيد الرسمى لان الموضوع حساس للغاية بالنسبة للحكومة ولكن مصادرى الخاصة تقول بان لم تتجه ولا اسرة صومالية فى الميراث للمحاكم.

جمهورية الصومال الديمقراطية[1]. وفى ١٩٨٠ بدأ النظام حملة تقوية اللغة العربية وسط حركة زخم اعلامى، جندت لها وسائل الاعلام.

أصدر مجلس الوزراء الصومالى فى مارس ١٩٧٩ قرارا بأن يتم تنفيذ الخطه - خطة تقوية اللغة العربية - فى أسرع وقت ممكن بالتعاون مع الدول العربية الشقيقة وأن تنظم حملة وطنية للتعريب تهدف الى تعليم اللغة العربية ونشرها بين أفراد الشعب وفى طليعتهم كبار المسئولين، ومن ثم تم تكوين لجنة عليا برئاسة وزير التربية والتعليم بغرض التخطيط للحملة الوطنية، وحددت ميادين عملها فى :-

١ - اعداد مدرسين متخصصين فى اللغة العربية والثقافة الإسلامية.
٢ - تحسين مستوى الأساتذة العاملين.
٣ - جعل العربية لغة التدريس.
٤ - اتاحة الفرصة للجمهور لتعلم اللغة العربية وتسهيل الدراسات العليا فى اللغة العربية فى جامعات الدول العربية.
٥ - انشاء معاهد لاعداد المعلمين «ابتدائى - اعدادى».
٦ - انشاء مطبعة عربية ثقافية.

وفى ٢٧ مارس ١٩٨٠، أمن مجلس الدولة على توصيات الخطة الخاصة بتقوية اللغة العربية وأصدار مجلس الدولة فى ١٩ يونيو ١٩٨٠، بعض التوصيات اللاحقة والتى جاء فيها:

ان نشر اللغة العربية، يعتبر فى مصلحة الأمة الصومالية لأنها مرتبطة بواقعها الحضارى، باعتبار الصومال جزءا من الأمة العربية، وأقر تسخير وسائل الاعلام فى استنفار كافة القطاعات الشعبية المشاركة فى حملة تقوية اللغة العربية وتخصيص ساعات معينة لتعليم اللغة العربية فى المصالح وللعمال والموظفين وامن على التوصيات السابقة[2].

وفى ٨ سبتمبر ١٩٨٠، افتتح الرئيس سياد الحملة قائلا اننا نعتبر قضية اللغة العربية قضية مصيرية لمالها من أبعاد سياسية وتاريخية واجتماعية وذلك أن اللغة العربية من أهم مقومات الشخصية العربية[3] وبناء على ذلك كثفت الجهود المبذولة لتقوية اللغة العربية حيث تمثلت فى :-

١ - دورات تدريبية لمدة ستة أشهر يأخذ عليها العامل «شهادة اعتراف» ومدة التعليم ٤ أيام فى الاسبوع بمعدل ساعة ونصف الساعة فى اليوم. بمعدل ٢٠ - ٢٥ دارس فى الفصل

---

(١) جمهورية الصومال الديمقراطية، الدستور، اعده مجلس الشعب، مقديشو ١٩٧٩ مادة ٢ يلاحظ ركاكة صياغة هذه المادة ومرد ذلك للضعف العام فى اللغة العربية.

(٢) استراتيجية تقوية اللغة العربية والخطة الخمسية الأولى - ص ١٨ من عيوب هذه الاستراتيجية، أنها اعتمدت على توظيف الخبراء الاجانب على التكلفة والمطلوب كان استراتيجية رخيصة التكلفة وقابلة للتطبيق.

(٣) المصدر السابق ص ٢٢

وتفتح الفصول فى أجهزة الدولة ومقر الحزب والمدارس.
٢ - زيادة حصص اللغة العربية خمس حصص فى الأسبوع فى المدارس (ابتدائية، عامة، عليا).
٣ - اعداد كتب تعليم اللغة العربية، بحيث تصبح ميسرة وفى المتناول.
٤ - دعم جهد المدارس المصرية التى كل موادها باللغة العربية.
٥ - كلية الصحافة تدرس كل موادها باللغة العربية بالأضافة الى قسم اللغة العربية فى كلية اللغات وكلية القانون التى تدرس مواد الشريعة الإسلامية باللغة العربية وكلية التربية التى تدرس مادتى الجغرافيا والتاريخ باللغة العربية.
٦ - وجود بعثة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وانشائها مركز التعريب الادارى وتعليم الآلة الكاتبة بالعربية وكذلك المحاسبة والترجمة ويخرج المعهد ١٨٠ متدربا سنويا.
٧ - تعريب الثقافة الجماهيرية، حيث أخذت اذاعة مقديشو تبث أربع ساعات فى اليوم بالعربية من أصل ٢٣ و ٥ من ١٠ بثاً إذاعياً. كما تصدر صحيفة نجمة أكتوبر بالعربية وتوزع الف نسخة يوميا. كما يبث التلفزيون برامجه العربية.
٨ - تعريب اسماء المحلات التجارية
٩ - نشر دروس تعليم اللغة العربية فى جريدة نجمة اكتوبر ماعدا يوم الجمعة[١].

وضعت خطة زمنية لمسار الحملة حيث أصبح هناك حتى الآن (١٩٨٦) أربع حملات، الأولى من ١٩٨٠ - ١٩٨٣، والثانية من ١٩٨٢ - ١٩٨٣ والمرحلة الثالثة ١٩٨٤ - ١٩٨٥، والمرحلة الرابعة ١٩٨٥ - ١٩٨٦.

بدأت الحملة فى اطار تعبئة سياسية، وشعارات سياسية ولكن دون امكانات ودون متفرغين مع عدم وجود التخصص والتدريب على الآخص فى مجال البث الاذاعى واعداد الكتب المنهجية. وكان الدعم الخارجى العربى قليلا باستثناء دورة تدريبية عقدت للاذاعيين الصوماليين بالعراق لمدة شهر من ٢٥ نوفمبر- ٢٥ ديسمبر ١٩٨٥، ودورة تدريبية فى مبنى الاذاعة والتلفزيون المصرى من ١٤ ديسمبر ١٩٨٥ - ١٣ فبراير ١٩٨٦ على نفقة الحكومة المصرية[٢].

بدأت الحملة بطبع كتاب اقرأ العربية، الكتاب الأول ولكن يبدو أنه كان غير مناسب، فأستعيض عنه بكتاب اقرأ العربية، الكتاب الثانى[٣] تقوم مادة الكتاب على طريقة الحوار، ويتكون من خمسة عشر درسا منها ستة دروس حول موضوع «البيت» وتسعة دروس حول

(١) ورقة البرنامج التعليمى عبر اجهزة الاعلام اهدافه، مراحل تطوره، من اوراق ندوة تقوية اللغة العربية، ٦ - ٩ يوليو ٨٥ مقديشو ص ١ - ٥.
(٢) المصدر السابق ص ٤ - ٥.
(٣) جمهورية الصومال الديمقراطية، وزارة التربية والتعليم، اقرأ العربية الكتاب الثانى، وكالة المطابع الحكومية مقديشو.

موضوع المواصلات والكتاب قفزه ولايصلح فى تقديرى للمتعلم فى أول السلم اذا تبدأ أول دروسه كالاتى :ـ

الزوجة :ـ أنا فى حاجة الى تعليم اللغة العربية.

الزوج :ـ ما الدافع لذلك.

الزوجة :ـ لقد بدأت حملة تقوية اللغة العربية فى البلاد، ومن واجبى أن أتعلم لوازم غرفة النوم أولا باللغة العربية.

فأنظر الى هذا التكلف، حيث بدأ الموضوع بحملة اللغة العربية وانتهى الى غرفة النوم، كما أنـه طالما أصبح الكتاب الأول غير مستعمل، كان من اللازم أن يبدأ الكتاب الثانى بالأبجـدية وبعض الكلمات والجمـل ويتـدرج الى مواضيع بسيطة فى اطـار البيئة والدين «كتعليم الصـلاة والـرعى والزراعة» كما يبدو على الكتاب، وهو كتاب تعليمى، الطابع الدعائى كما فى الدرس الثانى بعنوان «غرفة المقابلة» :ـ

البنت :ـ اسمع فى هذه الأيام من اذاعة وأقرأ فى المجلات والجرائد واللافتات المعلقة على الجدران وملتقى الطرق الرئيسية شعارنا القديم «كن معلما أو متعلما ولاثالث» ما الجديد يا أبى؟

الاب :ـ الجديد هو اعلان حملة التقوية للغة العربية ونشرها الخ.

ولايبدو أن حملات التقوية هذه أصابت حظا من النجاح [1] ويبدو أن أول خطوة فى سبيل حركة تعريب شاملة، لابد أن تبدأ باستعادة الحرف العربى لمكانته وابطال الابجدية اللاتينية وكذلك جعل اللغة العربية لغة تدريس بدلا من حصرها فى كونها لغة دراسة وكذلك لابد من تأهيل المعلمين على تدريس اللغة العربية، حيث اننى كنت أجد صعوبة فى التفاهم مع عدد ممن يطلق عليهم مدرسى اللغة العربية، اذ كانوا هم ذاتهم يفتقرون الى ابجديات اللغة وفى محاولة لمعرفة وضع اللغة العربية فى المجتمع الصومالى قمت باجراء استبانة لعينة وسط مجموعات من الشباب تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ ـ ٢١ عاما فى مقديشو وقد شملت العينة ٥٥٤ شابا ودارت حول مواضيع، :

١) حب اللغة ٢) سهولة اللغة ٣) اللغة التى تجد اهتماما فى المدارس ٤) شيوع اللغة بين الأهل ٥) اداء الصلاة ٦) اللغة كوسيلة للترفيه ٧) قضاء أوقات الفراغ.

تحليل استبانه رقم ١ [2] الأسئلة الخمسة الأولى تدور حول المفاضلة بين اللغة العربية واللغة

---

(١) الانطباع السائد وسط الدبلوماسيين العرب، ان حملة تقوية اللغة العربية بصورتها الحالية مجرد دعاية سياسية، اذ انها بدون امكانيات علما بأنه فى عام ٧ مارس ١٩٧٤ حينما صدر قرار الحملة الوطنية لمحو الامية على اساس الابجدية اللاتينية، جند لذلك خمسمائة سيارة وفرغ لها ١٢٥ الف شخص وطبع لها ١١٥ الف مطبوع انظر للمقارنة، وزارة الاعلام والارشاد القومى، الحملة الوطنية لمحو الأمية وتنمية الريف، مقديشو، فبراير ١٩٧٦ ص ٤٥.

(٢) استعنت فى تحليل هذه الاستبانة بالأخوة : محمد الخير عبدالقادر، احمد على سبيل، الطيب زين العابدين.

الانجليزية واللغة الايطالية فقط. يحتوى الجدول على نتيجة تحليل ٥٥٤ استبانه.

السؤال	اللغة العربية	اللغة الانجليزية	اللغة الايطالية	المجموع
١ ـ ماهى أحب هذه اللغات الى نفسك؟	٢٠٠ لانها لغة الدين	٣٠٠ لانها لغة العلم والعالم	٥٤	٥٥٤
٢ ـ ماهى أسهل هذه اللغات؟	١٦٠	٢٢٠	١٧٤	٥٥٤
٣ ـ أى هذه اللغات تجد اهتماما فى المدارس؟	١٠٠	٣٩٤	٦٠	٥٥٤
٤ ـ أى هذه اللغات أكثر تداولا بين أهلك؟	٢٥٦	١٣٤	١٦٤	٥٥٤
٥ ـ أى هذه اللغات أكثر رواجا فى دنيا الاستمتاع والترفيه؟	٥٠	٣٠	٤٧٤ لانها لغة السنما	٥٥٤
مجموع درجات كل لغة	٧٦٦	١٠٧٨	٩٢٦	

أما بالنسبة لآداء الصلاة، فقد جاءت اجابة المجموعة كالآتى :ـ ٣٠٠ يؤدون بأنتظام و ٢٠٠ يؤدون الجمعة والاعياد فقط، ٥٤ لايصلون اطلاقا. ويمكن استنتاج الآتى، من القراءة التحليلية المتأنية لهذه الارقام :ـ

١ ـ المستقبل لصالح الانجليزية فهى أحب اللغات وأسهلها وتجد اهتماما أكثر فى المدارس وتنحسر مكانتها فقط فى دنيا الترفيه والاستماع، لأن الايطالية هى سيدة الموقف فى السينما والمسرح والاذاعة لأسباب تاريخية معروفة.

٢ ـ ٥٤٪ من المستجوبين أفادوا بحبهم للانجليزية، ربما مرده الى نظام التعليم العلمانى والتوجه الغربى وسط شباب يؤدى الصلاة بانتظام بنسبة ٥٤٪ كما أن الانجليزية أصبحت السلعة المفضلة فى دنيا التوظيف فى السوق المحلى والخارجى. ونجد الانجليزية تتقدم كذلك حسب نسبة المتوسطات التى نالتها، اذ نالت ٢١٥ر٦ بينما نالت الايطالية ١٨٢ر٤ ثم اللغة العربية التى نالت ١٨٥ر٢ .

واذا كان تحليل هذه الاستبانه يفيد بأن الصدارة للانجليزية، الا أنه من الصعب الجزم

عن اللغة الثانية فى الترتيب، اذ هناك تداخل فى الافادات ما بين العربية والايطالية ولكن نلاحظ أن معظم المستجوبين يحبون العربية أكثر من حبهم للايطالية وكذلك تجد العربية اهتماما أكثر فى المدارس، وتتفوق الايطالية على العربية فى تفضيلها لغة للترفيه لأنها لغة السينما، وتوجد فى مقديشو ١٧ داراً للسينما، ويمكن القول بأن الصراع حول المركز الثانى دائر بين الايطالية والعربية، علماً بأن الايطالية هى لغة التعليم العالى ـ الجامعة ـ والعربية هى لغة التعليم القاعدى المدارس القرآنيه علما بأن اجابة المستجوبين للسؤال الرابع تفيد بأن الماضى كان للعربية ثم الايطالية فالانجليزية (سؤال أى اللغات أكثر تداولا بين أهلك) ولكن انقلبت الأمور الان فأصبحت الغلبة للانجليزية.

تفيد هذه الاستبانة فى تأكيد نجاح السياسات الثقافية التى مارستها الحكومات الاستعمارية والارساليات التنصيرة. مما ادى الى تقهقر اللسان العربى باعتباره اللسان الوحيد السائد فى دنيا الكتابة والحضارة الى ما قبل خمسين عاما الى مرتبة اللسان الثالث مفسحا المجال للانجليزية والايطالية.[1]

اثمرت السياسة الثقافية الاستعمارية التى سارت عيلها الحكومات الصومالة الوطنية المتعاقبة كتابة اللغة الصومالية بالابجدية اللاتينية كما اثمرت مجتمعا اصبحت فيه اللغة العربية لغة مهملة لا يحسنها الا القليلون. ويبدو ان الأمور انقلبت على اللغة الايطالية نفسها فى ظرف ثلاثين عاما، اذ حسب نتيجة استبانة، أجرتها السلطة الادارة الايطالية بين ١٠٧ طلاب تقدموا للالتحاق بمدرسة الاعداد الادارى والسياسى فى مقديشو عام ١٩٥٢، اختار ٧٥ طالبا الايطالية لغة للتدريس بنسبة ٧٠٪ وجاءت اللغة العربية فى المركز الثانى حيث اختارها ٢٢ دارسا بنسبة ٢٠ر٥٪ ثم اللغة الانجليزة التى اختارها ١٠ فقط بنسبة ٩ر٣.[2] وهكذا فى ظرف ٣٥ عاما نجد هذا الانقلاب اللغوى، والذى طوّح باللغتين الايطالية والعربية لصالح الانجليزية.

ولعل ما يؤكد أن المسئولية المباشرة عن تقهقر اللغة العربة ملقاة على عاتق الحكومات الوطنية، التقدم الذى احرزته حركة التعريب فى تونس والجزائر فى وجه اللغة الفرنسية فى ذات الفترة. حيث ركزت على ترقية ونشر العربية مع وجود البربرية.

ماتزال حملة تقوية اللغة العربية قليلة الجدوى، رغم مايحيط بها من أسباب الدعاية الحكومية ويبدو أن تحدى عروبة الصومال وقضية اللغة العربية هناك تحتاج الى تضافر جهود الدول العربية وتسخير امكاناتها لخدمة حركة الثقافة العربية، خصوصا وأن هذه الثقافة ماتزال مركوزه فى الآف المدارس القرآنية والمساجد وعكف على خدمتها الآف من الفقهاء.

---

(١) حسب احصاء عام ١٩٧٥ فان ٦,٧٪ من الذكور فى الصومال يعرفون العربية قراءة وكتابة. بينما لم تتجاوز نسبة العارفين بالانجليزية والايطالية مجتمعين ٢,٤٪ انظر Somali Democratic Republic Analytical Volume census of population, 1975, Mogadeshiu January 1984.

(٢) Fo, 371 90328, 103464

كذلك على الادارة الصومالية أن تبادر باصدار قرار سياسى يجب القرار السابق بكتابة الصومالية باللاتينية واعادة كتابتها بالحرف العربى وأن تصبح اللغة العربية لغة كل مراحل التعليم العام كما هو الحال فى جميع انحاء العالم العربى، مع تطوير مناهج اللغة العربية والدراسات الاسلامية وتأهيل اساتذتها.

الفصل الخامس

تطور التعليم والسياسة وتوجه الثقافة

١٩٤٥ - ١٩٨٦

تطور التعليم والثقافة فى الصومال ١٩٦٩ - ١٩٨٦ :-

حدث تطور كبير فى استيعاب الطلاب فى العهد الثورى مقارنا بالفترة الوطنية الاولى كما يظهر من الجدول :-

السنة	مجمل طلاب المرحلة الاولية	المرحلة المتوسطة	المرحلة الثانوية	المجموع
٧٠ر٦٩	٢٣ر٨٤٢	١٤ر١٢٩	٤ر١٨٥	٤٢ر١٥٦
٧٤ر٧٣	٦٧ر٤٠٦	٢٥ر٦٨٨	١٠ر٥٨٦	١٠٣ر٦٨٠
٨٥ر٨٤	٢٥٠ر٠٠٠	٥٩ر٠٠٠	(اصبح النظام التعليمى يقوم على مرحلتين فقط بدلا من ثلاث مراحل).	

وهكذا نجد أن الاعداد المستوعبة من الطلاب قد قفزت اى مايزيد عن العشرة أضعاف عما كانت عليه فى عام ٦٩ر٧٠ (قبل الثورة) كما زادت نسبة الاستيعاب فى المراحل العليا بنسبة خمسة اضعاف فى بحر خمسة عشر عاما وذلك نجاح كبير بكل المقاييس، ولكن برغم ذلك فإن المستوعب الآن من التلاميذ (أعمار مابين ٦ - ١٣ عام) يعادل ٣٤ر٤٪ لذا فما تزال الغالبية الغالبة من هذه الاعمار خارج نظام التعليم(١).

صاحب ازدياد استيعاب الطلاب فى المدارس الحكومية، تدنى مستويات هذه المدارس

Annual Development plan 1984 P. 151.(١)

وكان مرد ذلك للأسباب لآتية :ـ

١ ـ إتخاذ الصومالية لغة تدريس فى جميع المراحل دون اعداد المناهج ودون تطوير اللغة بحيث تستوعب معارف العصر كما أن الكتب التى صدرت كانت مليئة بالأخطاء ولم يتم استدراك ذلك الا فى عام ١٩٨١ بانشاء قسم تطوير المناهج، لتحسين المنهج التعليمى وتنقيح الكتب وتطوير وسائل التعليم ولكن حالة القسم ماتزال بائسة حيث لاتتجاوز ميزانيته ٣٥٠ر٠٠٠ شلن صومالى أى مايعادل حوالى عشرة الآف دولار(١).

٢ ـ عدم وجود المدرسين المؤهلين فى كل المواد، كما لايوجد تدريب للمعلمين أثناء العمل وتشير التقارير الداخلية الى ضعف مستوى التعليم وضعف تدريب الأساتذة(٢).

٣ ـ تنوع المناهج، خصوصا فى مادة اللغة العربية والدراسات الإسلامية، حيث تجد المناهج القادمة من مصر مستعملة جنبا إلى جنب مع المناهج المطبوعة فى العراق بالاضافة الى كتب المناهج المحلية مما أوجد ثلاثية فى المنهج وأخذت كل مدرسة تعمل بما توافر لها من كتب على اية شاكلة كانت، كما أن هناك نقص حاد فى الكتاب التعليمى حيث لم تطبع أساسا بعض الكتب، وبلغ عدد الكتب التى لم تطبع أساسا اثنين وثلاثين كتابا فى اللغة العربية والدين والتاريخ والجغرافيا ومرشد المعلم(٣)كما أن بعض كتب المناهج مجرد كتب دعاية سياسية(٤).

ولعل من انجازات النظام الثورى تأميم مدارس الارساليات المسيحية وجعل كل المدارس خاضعة لسلطات الدولة وتوحيد النظام التعليمى من حيث لغة التدريس والمنهج ابتداء من عام ١٩٧٠ .

التعليم العالى :ـ

كان التعليم الثانوى قمة التعليم فيها عدا المعهد الجامعى مقديشو والذى تأسس فى عام ١٩٥٤، وفى ٢٤ فبراير ١٩٦٥ تم التصديق على انشاء المعهد الجامعى والذى نص على انشاء كليتى الاقتصاد والقانون وفى العام الدراسى ١٩٧٠، تخرجت أول دفعة من كليتى

(١) قمت بزيارة لقسم تطوير المناهج وهو بوضعه الحالى مجرد اسم على غير مسمى، اذ هو بدون امكانيات وبدون اختصاصيين فنيين.

(٢) المصدر السابق ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٣) معلومة مأخوذة من تقارير الوزراء الداخلية.

(٤) انظر كنموذج الكتاب الثامن فى المطالعة والنصوص والنحو للصف الثامن من المرحلة المتوسطة، مطابع الوكالة الحكومية، مقديشو ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ حيث مواد القسم الأول عبارة عن (من خطب الرئيس/ انجازات الثورة، تحية الثوار

القانون والاقتصاد ومنحت أول شهادات جامعية لطلبة صوماليين حيث تخرج ٩ طلاب من القانون وثلاثة طلاب من الاقتصاد ولكن شيئا فشيئا تطورت هذه الكليات حتى أصبحت جامعة الصومال الوطنية وأصبحت تضم ١٣ كلية وثلاثة معاهد عليا ويدرس فيها ٣٧٧٧ طالبا، ولكن قامت هذه الجامعة على أساس أن لغة التدريس هى اللغة الايطالية، مما جعل النظام التعليمى يقوم على الثلاثية اللغوية القديمة حيث أن لغة التعليم العام هى الصومالية وسياسة الدولة الحاليه تتمثل فى التركيز على اللغة العربية، والشباب يميل للاخذ باللغة الانجليزية، حيث تنتشر معاهد تعليمها ويركز عليها فى التعليم العام، بينما التعليم العالى يقوم على اللغة الايطالية والأساتذة الايطاليين والآن فان كل ما فى الجامعة ايطالى باستثناء اقسام الصحافة واللغات والشريعة التى تعمل بالعربية ويبدو أن واحده من سياسات ايطاليا، المحافظة على ثقافتها فى الصومال عن طريق احاطة الجامعة الصومالية بالاساتذة الايطاليين والمناهج الايطالية والحكومة الايطالية هى التى تتولى دفع رواتب أساتذة الجامعة أساسا، مما دفع الرئيس سياد لتخصيص ايطاليا بالشكر «أقدم الشكر للحكومة الايطالية التى حينما كادت أن تغلق أبواب جامعتنا الوطنية - أمدتنا بالاساتذة والمعدات»[1]

تطور التعليم المصرى :-

رأينا تطور الدور المصرى، حيث فتحت الجامعات والمدارس المصرية أبوابها للدارسين الصوماليين، كما أوفدت الحكومة المصرية بعثة أزهرية وبعثة تعليمية وتطور عدد المدرسين الذين أوفدتهم مصر للصومال كالاتى :

عام ١٩٥٦/٥٥ = ٢٥ مدرسا

١٩٥٩/٥٨ = ٧٢ مدرسا

وحينما تم تأميم التعليم الخاص حسب قرارات ١٩٧٠ تم استثناء مدارس البعثة المصرية والبعثة الازهرية وحينما افتتح الرئيس سياد حملة تقوية اللغة العربية، زادت البعثة المصرية من وجودها حيث أصبح حجم البعثة التعليمية عام ١٩٨١ كالاتى :-

البعثة التعليمية الازهرية ١٥٠ مدرسا

البعثة التعليمية المصرية ١٠٣ معلمين[2]

وفى ذات العام قامت البعثة التعليمية المصرية بافتتاح خمس مدارس عربية وهى :-

١ - عمر بن الخطاب الثانوية هرجيسا.

٢ - خالد بن الوليد الثانوية كسمايو.

٣ - جمال عبد الناصر الثانوية مقديشو.

---

(١) المصدر السابق ص ٥٧.

(٢) استراتيجية تقوية اللغة العربية ص ٢٢.

٤ ـ الشيخ صوفى المتوسطة مقديشو.
٥ ـ الشيخ صوفى الثانوية مقديشو.

كما قامت البعثة الازهرية بافتتاح خمسة معاهد دينية متوسطة فى المحافظات وأصبح بذلك لها معاهد اعدادية فى كل من كسمايو.

جمامه، بيدوا، براوة، أفجوى، مقديشو، بلدوين، برعو، هرجيسا، جوهر، كما افتتحت معاهد ثانوية فى مقديشو. بلدوين، برعو، هرجيسا وقد بلغ حجم البعثة الازهرية فى العام ١٩٨٥/١٩٨٦ ما يعادل ١٩٤ مدرسا. ويتولى كذلك أفراد البعثة الازهرية القيام بأنشطه دينية مختلفة منها الوعظ والارشاد واقامة حلقات الدرس فى المساجد وتولى وظيفة إمامة الصلاة.

كما تقوم جمهورية مصر العربية بطباعة عدد من مناهج المدارس الحكومية ويبدو أن الدور المصرى هو أكبر عامل يسهم حاليا فى تغذية حركة اللغة العربية ومد المجتمع الصومالى بأفراد مؤهلين فى الثقافة الإسلامية العربية ويعضد هذا الدور بعثة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التى هى فى حدود ٧٠ معلما وبعثة صغيرة من جمهورية العراق فى حدود ٢١ معلما سنويا.[1].

(١) انظر ورقة البعثة الازهرية فى ندوة تقوية اللغة العربيَة المنعقدة بمقديشو ٢٢/٦ـ٧/٨٦ ص ٣.

توجه حركة الثقافة فى الصومال الكبير

توجه حركة الثقافة جمهورية الصومال (منظور عام)

الثقافة تشمل كل المعارف الانسانية التى تشكل العقل والوجدان والإرادة، وقد رأينا مقدار الهجمة الثقافية التى تعرض لها الصومال ابتداءً بمحاولات الاستعمار وانتهاءً بمحاولته الحكومات الوطنية من إقامة نظام حكم تحررى ديمقراطى على النمط الغربى .توجهت فيه الاحزاب السياسية نحو احساس زائف بالقومية، حيث انتهى هذا الاحساس الى نتيجته المنطقية بتجريد القومية من رابطة الدين واللغة، وقادت الى انتكاسة ثقافية وعزلة حضارية، كما رأينا أن الانتاج الثقافى (المحدود الذى صاحب هذه الانتكاسة لا يعبر عن الذهنية الثقافية والعقلية الثقافية والتراث الثقافى للصومال.

لا شك أنه قد حدث تطور الى حد ما فى حركة التعليم وانتشار المدارس فى ظل الحكومات الوطنية، ولكن من المؤكد ان هذا الانتشار لم يصحبه انتشار فى الثقافة، ممثلة فى الفكر والادب والشعر، كما ان حركة الثقافة والحوار والتنوع كانت فى حالة اتم ايام الحكومة الديمقراطية منها فى ظل النظام العسكرى ذى التوجه الواحد. ويبدو ان ازمة الثقافة مرتبطة بأزمة السياسة وأن كليهما وجه لعملة واحدة، فالنظام السياسى فى الصومال يقوم على فكرة الزعيم الواحد والحزب الواحد، حيث يتم اختيار اعضاء مجلس الشعب والمجالس المحلية واللجنة المركزية للحزب الاشتراكى الثورى والمكتب السياسى على نظام القائمة الواحدة المنزلة من أعلى، بحيث ينعدم الحوار حتى داخل الاجهزة ويصبح دور الاجهزة يقوم على منهج التلقى للتنفيذ[1] والانتخابات مجرد مباركة شعبية شكلية لما اشير به من أعلى.

هذه الاحادية فى التوجه، القت بظلالها على كل مناحى الحياة الثقافية، حيث تنعدم المكتبات العامة، ولا توجد الا المكتبات الرسمية وهى: ١) مكتبة الحزب الحاكم، ٢) مكتبة الصومال الوطنية التابعة لوزارة الاعلام، ٣) مكتبة الجامعة الوطنية ٤) مكتب الاكاديمية الوطنية للعلوم والاداب، ٥) مكتبة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[2]. والسمة المشتركة بين هذه المكتبات باستثناء مكتبة المنظمة العربية للتربية والثقافة أنها:

١ـ شبه خالية من الكتب والمراجع العربية[3] حيث لا يوجد مثلا فى مكتبة الجامعة الصومالية

---

(١) انظر وكالة الانباء الوطنية الصومالية عدد 10005 بتاريخ ١٩٨٥/١/٦ فى انخابات مجلس الشعب القومى الصومالى والحكومات المحلية ص ٥.

(٢) زرت كل هذه المكتبات وتفحصت النمط السائد فيها من الكتب والدراسات وهى مكتبات جامدة لاتتغذى باستمرار بل جمدت على حالها منذ يوم تأسيسها.

(٣) الاشراقة الوحيدة فى هذه المكتبات وجود مائة وخمسين مخطوطة ـ اشرنا اليها فى الاكاديمية الوطنية للعلوم الثقافة. ولعل انحصار الحرف العربى فى المخطوطات واحتكار الحرف اللاتينى لحركة الكتاب فى الصومال يعكس قضية الثقافة فى الصومال حيث قامت فى الماضى على الحرف العربى واليوم على الحرف اللاتينى.

الا عدد محدود من الكتب العربية ومعظم الكتب باللغة اللايطالية ثم اللغة الانجليزية ثم اللغة العربية واللغة الصومالة بالابجدية اللاتينية.

٢ـ تنعدم فيها الدوريات والمجلات والصحف.[١]

٣ـ يطغى عليها الجانب الدعائى (على الاخص مكتبة الحزب الثورى).

ويبدو أن اهم ادوات الثقافة فى الصومال المعاصر، الاذاعة ولكن يطغى على برامج الاذاعة كذلك احادية التوجه او ما يعرف بالتوجيه السياسى الذى يدر حول فكر الثورة ومناشط قيادتها وانجازاتها والجانب الآخر هو الجانب الترفيهى الذى يقوم على بث الاغانى العاطفية والاناشيد الوطنية. والبث باللغة الصومالية، باستثناء القرآن الكريم وبرنامج تعليم اللغة العربية من الاذاعة وهو عبارة عن الدروس التعليمية المستقاه من الكتب المقررة فى الحملة

وتبث من الإذاعة تحت عنوان «تعلم اللغة العربية من الاذاعة» ولمدة ربع ساعة يومياً وينشر فى الجريدة الرسمية تحت عنوان «تعلم اللغة العربية من الجريدة» بالاضافة الى برنامج أسبوعى اذاعى تقدمه مكتبة المنظمة العربية للتربية والثقافة تحت عنوان الفكر والحياة[١].

بالإضافة إلى خمس نشرات اخبارية قصيرة تذاع باللغة العربية وكذلك برنامج لغوى ـ صرفى يبين الصلة بين العربية والصومالية.

هذا وقد حدث ثقافى واحد يعنى باللغة العربية فى حياة مقديشو منذ ان نالت استقلالها وكان ذلك معرض الكتاب العربى الذى اقيم فى مقديشو فى نهاية عام ١٩٨٠ تحت اشراف المنظمة العربية للثقافة والعلوم. تصدر فى الصومال صحيفة عربية واحدة هى صحيفة نجمة اكتوبر وتوزع ألف نسخة ويقتصر توزيعها على مدينة مقديشو ويذهب معظمها للسفارات وافراد الجاليات العربية بالاضافة الى جريدة اسبوعية تسمى الطليعة وهى تصدر بالعربية والايطالية وان طغت عليها الايطالية ونلاحظ التدهور فى حركة الصحافة عامة والناطقة بالحرف العربى بخاصة مقارنة بظروف ما بعد الاستقلال، حيث كانت تصدر صحيفة اتحاد الشعب باللغة العربية وكذلك صحيفة الحقيقة المستقلة والتى كانت توزع خمسة الآف نسخة بالاضافة الى صحيفة الحزب الحاكم الوحدة والتى تصدر باللغة العربية وكانت كل هذه الصحف متقدمة نوعا وفنا و كما على صحيفة (نجمة اكتوبر) الحالية والتى هى اقرب للنشرة منها للصحيفة. كما ان توزيع صحيفة الوحدة بلغ خمسة الآف نسخة، بينما لا يتجاوز توزيع النسخة العربية من نجمة اكتوبر فى عام ١٩٨٦ الف

(١) تنعدم فى الصومال المكتبات التجارية الثقافية العامة، باستثناء الحوانيت المتخصصة فى بيع المصاحف وكتب التصوف وقليل من كتب الفقه.

(٢) انظر ورقتى البرنامج التعليمي عبر اجهزة الاعلام . اهدافه ومراحل تطوره، ورقة المكتبة الاقليمى للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى الندوة العملية حول تقوية اللغة العربية بمقديشو ٦ ـ ٩ يوليو ١٩٨٥ هذا ويبث اذاعة مقديشو ١٧,٥٪ من برامجها بالعربية.

نسخة يوميا.

تزدحم مقديشو، بدور العرض (السينما) التى هى الاداة الرئيسية للترفيه فى الصومال، حيث تنتشر ٣٧ دارا للعرض منها ١٧ بالعاصمة ومعظم الافلام ايطالية وتدور حول قضايا الحب والغرام والجنس والخيانة والصراع والبطولة واحيانا يظهر فيها ما يعالج القضايا التاريخية كالحروب والافلام العلمية. ولا يكاد يظهر فلم عربى الا فى المناسبات بمتوسط مرة كل ثلاثة اشهر. حاولت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تغيير هذا الواقع الثقافى، فتبرعت بمبلغ ٣٦ ألف دولار عام ١٩٨٥، لوزارة الاعلام والارشاد القومى، لاستجلاب افلام عربية ولكن اختفى المبلغ ولم يجلب اى فلم عربى.[(١)] استورد الصومال اربعمائة فلما تجارى فى عام ١٩٧٢ وخمسمائة فلم عام ١٩٧٣ ومعظمها من ايطاليا، كما قامت وكالة الافلام الصومالية فى هذه الفترة باخراج ١٨ فلما دعائيا وتعريفيا اهمها فلم عن السيد/ محمد عبدالله حسن وآخر عن الفقر والزينة، هذا وحسب احصائيات دور العرض الصومالية فان سبعمائة الف مشاهد يتابعون السينما بانتظام اى ما يعادل ٧٥٪ من سكان المدن الصومالية.[(٢)]

دخل الفيديو مؤخرا، منافسا جديداً لدور العرض يأتى به العاملون الصوماليون فى الخليج وايطاليا ومن الصعب حساب التأثير الثقافى لحركة الفيديو لتنوعها وحداثتها.

يوجد فى الصومال مسرحان، احدهما خامل الذكر وهو مسرح هرجيسا والثانى يعمل يوميا بفعالية ويستقطب اعدادا كبيرة من المشاهدين وهو مسرح مقديشو الذى بناه الصينيون عام ١٩٦٧م والذى يمكن حصر نشاطه فى :ـ

١ــ المسرحيات الصومالية التى تدور حول الحب والفقر والزواج.

هذا وقد حاولت السلطة الثورية العسكرية، توظيف المسرح فى فترة ٧٠ـ١٩٧٤م حتى يكون مضمون الأغانى والاستعراضات والتمثيليات والرقصات الشعبية مضمونا ثوريا، يوضح ما تحقق انجازه من تقدم فى مجال تطبيق الاشتراكية وتشنيع القبلية والرشوة والبطالة ولكن عاد المسرح مرة اخرى لسيرته القديمة لبوار مسرحيات الدعاية وتبدد المشاعر الثورية. واليوم تتركز حركة المسرح حول محورين. :

١ــ محور المحاضرات والمهرجانات ذات الطابع الدعائى الرسمى ويحضرها موظفو الدولة واعضاء الحزب الحاكم، حيث تبث الخطب والأحاديث والاناشيد الثورية.

٢ــ محور النشاط اليومى العفوى، الذى يدور حول المسابقات الفنية والغناء العاطفى والرقص الشعبى.[(٣)]

---

(١) المعلومة مأخوذة من السيد/ مدير المكتب الاقليمى للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(٢) وسائل الاعلام فى خدمة الجمهور ص ٣٠ ـ ٣٤.

(٣) الصومال فى ظل الثورة ص ٩٣، وكذلك ملاحظاتى الشخصية، حيث كنت أسكن فى منزل مجاور للمسرح مدة ثلاثة أسابيع.

الكتاب الصومالى :

استقصينا حركة الكتاب الصومالى القديم، فى استعراضنا للمخطوطات وكتب التراث والتصوف، كما تعرضنا للتجربة العارضة، التى تمثلت فى ظهور كتب ثقافية موجهة ذات طابع فكرى صارخ ابان حركة كتابةباللغة الصومالية بالابجدية اللاتينية ولا نكاد نجد خارج هذه الدائرة الا بعض الرسائل الصغيرة بالغة الصومالية وهى عبارة عن تراجم من العربية لقصص عنتر وعبلة وقيس وليلى وعورل وعاجي (قصة محلية). بالاضافة الى كتاب تاريخ الدراويش وكتاب الامثلة الصومالية، وكذلك راجت وسط الشباب الذى يقرأ باللغة الانجليزية قصص الكاتب الصومالى نور الدين فارح، بالاضافة الى ظهور بعض الدراسات، التى قدمت اساسا كرسائل جامعية وطبعت خارج الصومال وهى تدور حول تاريخ السيد/ محمد عبدالله حسن، والخفاض، اللغة الصومالية والشعر الصومالى وهذه الكتب غير موجودة فى المكتبات الصومالية وغير متداولة.

وبالجملة لا تكاد توجد نواة لحركة فكرية تقوم على البحث والكتاب فى الصومال والدراسات المنشورة غير متاحة ولا تأثير لها لا على المثقف ولا على صانع القرار السياسى، اذ الصومال يعيش خارج دائرة الكتاب فى شبه امية ثقافية.[1]

المساجد والمدارس القرآنية :

تنتشر المساجد فى الصومال، وفى مقديشو وحدها يوجد أكثر من مائة وخمسين وبعضها عريق يعود الى القرن الثالث عشر الميلادى حيث بنى مسجد الجمعة عام ١٢٣٨ وجامع الاركان الاربعة ١٢٦٨ وجامع فخر الدين ١٣٦٩م بالاضافة الى مسجد حاج موسى ومسجد عبد العزيز[2] وقد ذكر د. عبدالرحمن النجار فى كتاب الإسلام فى الصومال أن نسبة مساجد الصومال مقارنة بعدد السكان تمثل أكبر نسبة موجودة فى العالم. وفى الاستبانة التى سبق الحديث عنها وجدنا أن ٥٤٪ من الشباب يؤدى الصلاة بانتظام وأن هذه النسبة ترتفع فى الجمع والاعياد لتصبح الى ٩٠٪ هذا فى مقديشو، أما فى غيرها فترتفع النسب الى اعلى

---

(١) لم اعثر على نسخة من كتاب عرب فقيه «الشهير» فتوح الحبشة فى كل مكتبات الصومال الخاصة والعامة، علما بأنه يدور حول اعظم شخصية انجبتها الامة الصومالية - اذ هو سجل تاريخى لحركة الامام احمد ابراهيم الجران (١٥٣١ - ١٥٤٢) ولدهشتى وجدت هذا الكتاب معروض للبيع فى مكتبات جيبوتى.

(٢) توجد دراسة مفصلة عن المساجد القديمة فى الصومال صادرة بالايطالية فهى من منشورات معهد نشر الثقافة العربية والصقلية والبحر المتوسط.

I.D.C.A.S/1

Maria Rosaria, la Iomio, Anticho Moschee de Mogadiscio, Palermo, Italia.

من ذلك حيث بلغت فى الاستطلاع الذى اجريته فى بيدوا«من مدن الجنوب» على مائة طالب الى ٧٨٪ يؤدونها بانتظام وبنسبة ٩٥٪ فى الجمع والمناسبات مما يشير الى ان لاى صومالى صلة بالمسجد. وقد رأينا دور المساجد فى مقاومة القوانين الجديدة للاحوال الشخصية فى عام ١٩٧٥.

ويقال ان الشريعة الإسلامية ما تزال تسود شعبيا ويحتكم اليها الشعب الصومالى تلقائيا فى الميراث وقضايا الزواج ولا يذهب لمحاكم الحكومة. ودور المساجد فى نشر الدعوة الإسلامية كبير وهام فى الصومال علما بان حركة الدعوة الدينية والتوعية تنحصر فى المساجد بوغم محاولات السلطة فرض وصايتها على المساجد. وتقوم المساجد بتدريس الفقه واصوله وتعليم القرآن وتجويده وتفسيره وكذلك اللغة العربية وعلومها أن هذا دابها من قديم.

وفى الآونة الأخيرة، أصبحت المساجد مراكز لانطلاق الحركات الإسلامية والجامعات الإسلامية، التى تتسمى باسماء مختلفة «دار الفتوى» الجامعة الاسلامية، الاخوان المسلمون مما اضطر السلطة الى التدخل واعتقال عشرات الشباب حكمت على عدد منهم فى ابريل ١٩٨٧ بالاعدام[1].

ومايزال المسجد يحافظ على وضعه باعتباره أهم منبر لتشكيل الراى العام رغم افتقار الصومال للدعاة المدربين والعلماء والقيادة الدينية.

ويتكامل دور «الدكسى» المدارس القرآنية مع دور المساجد، والمدارس القرآنية قد تكون ملحقة بالمسجد أو منفصلة عنه وقد تطور نظام الخلاوى فى محاولة المجتمع الإسلامى الصومالى للدفاع عن نفسه فى السنوات العشر الأخيرة، حيث اصبح عدد المعلمين فى بعض هذه المدارس يصل الى ٨ وبعضهم يحمل شهادات جامعية[2] فى بلد يندر فيه حملة الشهادات الجامعية، والعنصر النسائى ممثل بصورة لايمكن تجاهلها أى نسبة ٢٧٪. ويلاحظ الدارس اختلاط الأطفال من الذكور بالاناث جنبا الى جنب فى مدارس تعليم القرآن، على انه قلما تجد فى المدرسة القرآنية فتاة تتجاوز العاشرة، كما يلاحظ أن عدداً كبيراً من التلاميذ يجمع بين المدرسة النظامية فى الصباح والدكس فى المساء أو العكس.

يقدر عدد المدارس القرآنية فى الصومال بنحو ٥٤٨٠ مدرسة[3]، ويترواح تاريخ تأسيس هذه المدارس مابين ١٩٠٠-١٩٨٢ وتأسست حوالى ٢٢٪ فى الفترة ١٩٦٠-١٩٦٩ فترة الاستغلال، أما الفترة ١٩٧٠-١٩٨٢. وهى فترة الثورة الاشتراكية فقد تأسست ٦٧٪ منها ٦٥٪ ومن مدارس القرآن فى الصومال قائمة بذاتها والبقية ملحقة بالمساجد.

---

(١) Impact International, vol 17.8, London 24 April 1987 News & media limited. P. 15

وكذلك مجلة المجتمع ٨١٣٤ ص ١٥

الثلاثاء ١٦ شعبان ١٤، ١١٤ ابريل ٨٧ ص ٣.

(٢) دراسة مسحية عن المدارس القرآنية ص ٧.

(٣) المصدر السابق ص ٨.

و٩٧٪ من معلمى هذه المدارس ذكور و٣٪ فقط اناث، وجميعهم حافظون للقرآن الكريم، و٩١٪ منهم ملمون بالعلوم الإسلامية، و١٢٪ منهم يحملون شهادات تتراوح مابين المرحلة الابتدائية والجامعية[1] ويعتمد هؤلاء المسلمون فى دخولهم على مساهمات أولياء أمور الطلاب وبعضهم يعمل متفرغا حسبه ابتغاء وجه الله وبعضهم يعمل احتسابا ولكن يزاول عملا آخر يدر عليه دخلا. يقدر عدد تلاميذ المدارس القرآنية بحوالى ٣٥٦,٢٠٠ طالبا أى اكثر من عدد الطلاب الصوماليين المستوعبين فى المدارس الصومالية باقسامها المختلفة، والذين يبلغ عددهم ٣١٠,٠٠٠ طالب. مع ملاحظة أن الكثيرين من طلاب المدارس هم كذلك طلاب فى المدارس القرآنية والعكس صحيح. وتتراوح اعمار الدارسين فى المدارس القرآنية ما بين ٥ ـ ١٤ سنة و٨٩٪ من الدارسين يلتزمون بالحضور التام، و١٢٪ ومن هؤلاء التلاميذ من يحفظون القرآن. ومتوسط دورة تحفيظ القرآن اربع سنوات.

يدرسون بعض هؤلاء الطلاب بالاضافة الى القرآن الكريم الفقه الإسلامى، التوحيد، الحديث، اللغة العربية، الحساب. ورغم التغييرات السياسية والسياسات الثقافية بطابعها الاستلابى، فان البنية التحتية للمجتمع الصومالى ماتزال تحافظ ـ جاهدة على ثقافتها الإسلامية، مما يفيد بأن هذه البنية التحتية تحمل امكانيات التجدد وبذور النهضة القائمة على التراث وانها تنتظر فقط القيادة الثقافية والقرار السياسى، الذى طال انتظاره قرابة المائة عام.

(١) المصدر السابق ص ٩.

تطور حركة الثقافة والتعليم فى جيبوتى
١٩٤٥ - ١٩٨٥م

دخل التعليم الحديث الى جيبوتى مع قدوم الكنيسة الكاثوليكية، حيث أنشأ الأب اندرى جاروسيو Andre Jarosseau أسقف هرر، أول مدرسة فى جيبوتى عام ١٩٨٤، ثم انتقلت الى جيبوتى مدرسة بربرا الكنسية فى ظروف ثورة السيد/ محمد عبد الله الحسن كما رأينا. تركز التعليم فى يد الكنيسه حتى الحرب العالمية الثانية، ومع ان الدولة فتحت ثلاث مدارس فى ٩ أكتوبر ١٩٢٢، الا أنها ظلت تدعم مدارس الكنيسة وكانت الدراسة مجانية.
وفى عام ١٩٥١ فتحت الكنيسة أول مدرسة متوسطة، حينما فتحت مدرسة جارلس دى فوكولد Gharles Faucawld والتى ضمت مدرسة متوسطة على نسق تجارى وأخرى على نسق صناعى. وكان يتولى التدريس فيها اثنا عشر قسيسا. واستوعبت المدرسة ٣٤٠ طالبا كما تعهدت الكنيسة ملجأ للفتيات أشرفت عليه ثلاث راهبات وحوالى ثلاثة عشر معاونا كاثوليكى وكان يستوعب ٤٥٦ فتاة، وقد خرج هذه الملجأ مئات الفتيات، اذ افتتحته الكنيسه منذ عام ١٨٨٣.
جاءت مجهودات الادارة الاستعمارية التعليمية متأخرة جيلا كاملا عن الكنيسه، اذ بدأت فى ٩ إكتوبر ١٩٢٢، بفتح ثلاث مدارس حكومية أولية فى جيبوتى، جلب لها المدرسون من فرنسا. وكان تعليمها مزيجا من منهج الارساليات والمدارس الحكومية الفرنسية[1].
وفى عام ١٩٣٢، فتحت السلطات مدرسة أولية فى تاجورة وأخرى فى دخيل، ولكن الاهالى عموما كانوا يعزفون عن ارسال أبنائهم لمدارس الحكومة أو الكنيسة خوفا من التنصير وكان يقصد هذه المدارس المنبوذون واليتامى وحتى عام ١٩٤٥ لم يتجاوز الذين قيدوا فى مدارس الحكومة الثلثمائة طالب وكان الموقف التعليمى بعد نهاية الحرب فى عام ١٩٤٥ كالاتى:
١ - ٨ مدارس ابتدائية حكومية تضم ١٨٥ طالبا
٢ - أربعة مدارس كنسية تضم ١١٠
فى عام ١٩٥٤ اصبحت دورة التعليم الاولى ست سنوات وفى عام ١٩٥٨ حدثت شبه نهضة تعليمية حيث أصبح الموقف التعليمى كالاتى:-
عدد طلاب مدارس الارساليات الكاثوليكية ٢٫٣٦٤
وفى عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ تضاعف طلاب المدارس الابتدائية فأصبح ٥٫٦٩٨ كما نجحت الكنيسة فى تدريب مائة معلم فى الارساليات واعدادهم للعمل مدرسين فى المدارس الابتدائية[2].

(١) Virginia Thompson and Richard adloff, Djibouti and the Horn of Africa, Stanford U. P.1968 P. 143 - 144
(٢) المصدر السابق ص ١٤٤.

رأت السلطات الفرنسية أن البلاد ليست فى حاجة الى تعليم عال او ثانوى والاجدى التركيز على التعليم الاولى وقد بدأ نوع من التعليم الثانوى عام ١٩٤٩ ولكنه لم يعط الشهادة الثانوية الفرنسية Lycee حتى عام ١٩٥٦ ولم يتجاوز عدد الذين حظوا بهذا التعليم حتى عام ١٩٥٦م، ٢٧ طالبا. ولكن حينما سمح الفرنسيون بهجرة بعض الطلاب الى مصر لتلقى علوم اللغة العربية، سرعان ماتراجعوا خوفا من اتساع دائرة المتأثرين بالثقافة العربية الاسلامية، مما قد يقوض سياساتهم الثقافية الرامية الى عزلة جيبوتى عن محيطها الاسلامى ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر. لذا بدأت مدارس الارساليات فى التوسع فى منهج شهادة Lycee، كما استدعت السلطات الفرنسية فى عام ١٩٦٣ أربعة من الفرنسيين المتخصصين لتدريس ٣٠٦ طلاب وطالبات، وتحملت الحكومة الفرنسية نفقات التعليم الثانوى. كما بدأت فى بناء مدرسة حديثة مجهزة بالداخليات تضم ١٤٤ طالبا وفى عام ١٩٦٦، اصبح عدد الاساتذة الفرنسيين للمرحلة الثانوية العليا ٢٧ مدرسا متخصصا يدرسون ٦٠٤ طلاب، تخرج منهم ١٢ بمستوى شهادة Lyceeوتم ارسالهم الى فرنسا لاكمال تعليمهم.

لم تجر اية محاولة من قبل الحكومة لتدريب معلمين وطنيين محليين حتى للمرحلة الاولية استجابة لاحتياجات الاقليم ولكن كانت فرنسا تتحمل بكرم زائد الاعباء المالية فى مجال التعليم لاستيراد معلمين فرنسيين وكذلك كان زوجات المسئوليين الفرنسيين يعملن فى مجال التعليم وفى عام ١٩٦٤ كانت فرص التعليم المتاحه أكثر من المطلوب نظرا لاحجام الاسرة عن تعليم الفتيات. أما التعليم الثانوى فقد كان ملحقا تماما بفرنسا وخارج عن صلاحيات سلطة الاقليم المحلية[1].

لم يبدأ حتى عام ١٩٦٠ أى برنامج لتدريس معلمين محليين، لذا كان كل معلمى المدارس الابتدائية والثانوية من الفرنسيين، غير ان تعيين الخريجين بدأ - من غير تدريب ليعملوا مساعدى تدريس ووصل عددهم فى ١٩٦٧ الى مائة مساعد معلم.

فى عام ١٩٦٦ بلغ عدد الطلاب من ابناء جيبوتى المتقدمين لامتحان الشهادة الفرنسية Lycee ٦٠ طالبا بينهم ١٦ طالبة (نسبة ١٠٪) وفى هذا العام كان هناك طالب يدرس الطب وآخر القانون وآخر الاقتصاد بينما كان ٢٥ طالبا يتلقون الدراسة فى فرنسا لأول مرة فى تاريخ جيبوتى، وبمجىء عام ١٩٧٥ كان هناك ثلاثة وثلاثون من حملة الشهادات الجامعية بينهم ثلاثة فقط من مواليد جيبوتى[2](الآخرون اما قادمون من الصومال أو من الغرب).

تضاعف عدد طلاب المدارس الابتدائية من خمسة الآف إلى ١١ ألف عام ١٩٧٥ وأصبح

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٤٤ «فى عام ١٩٦٠ كان هناك ١٠٠١ طالبة فى مدارس الكنائس».

(٢) Robert Tholomier, Djibouti Pawn of the Horn of africa An abridged translation and postscript by Viginia Thompson and Richard Adloff. The Scarecrow Press Inc. 1981 P. 114.

طلاب المدارس الحكومية يشكلون ٧٠٪ من نسبة الطلاب بينما تضاءل نصيب الارساليات الى ٣٠٪ من الطلاب. أما النمو فى المدارس الثانوية فقد كان اقل من مائة وخمسين طالبا فى العام، حيث كان عددهم :-

١٩٧٠ :- ٧٥٠ طالبا

١٩٧٤ :- ١٤٠٠ (٧٠٪ منهم فى المدارس الحكومية و ٣٠٪ منهم كذلك فى مدارس الارساليات) وفى عام ١٩٧٦، قامت السلطات الفرنسية بارسال ١٥ طالباً لأول مرة فى تاريخ جيبوتى لدراسات عسكرية فى فرنسا[١].

والخلاصة :- أنه حينما نالت جيبوتى استقلالها كان بها مدرستان ثانويتان وخمس مدارس اعدادية وجميع مدرسيها من فرنسا والدراسة باللغة الفرنسية وغير مسموح فيها بالتدريس باللغة العربية أو اللهجات المحلية هذا بالاضافة الى المدارس الابتدائية[٢] وعند الاستقلال كان هناك ١٣ خريجا جامعيا من جيبوتى وخمسين من حملة الشهادة الثانوية[٣].

ولكن تحسن الموقف التعليمى من ناحية الكم فى عهد الحكم الوطنى وحسب احصاءات السنة الدراسية ١٩٨٤/٨٣[٤] أصبح الموقف التعليمى كالاتى :-

	عدد المدارس الابتدائية	عدد المعلمين الوطنيين	معلمون فرنسيون	تونسيون
مديرية جيبوتى العاصمة	٢٣	١٣	٦١	٤٧
مديرية على صبيح :	٧	٣٠	١	٦
مديرية تاجورة :	٧	٣٨	-	٥
مديرية دخيل :	٤	٢٠	١	٦
مديرية أبخ :	٥	١٨	-	٤

ومع هذا التوسع فى التعليم الابتدائى، الا أنه يلاحظ أن المنهج الفرنسى هو السائد وأن لغة التدريس هى الفرنسية وأنه برغم ادخال اللغة العربية مادة دراسية الا ان معلميها لايزيدون على ٢٩ معلما فى كل هذه المدارس البالغة ٤٦ مدرسة أى بنسبة معلم لكل مدرستين، بينما يقوم بقية المعلمين. بما فيهم ٧٠ معلما تونسيا و٣١٤ معلما جيبوتيا و ٦٧ معلما فرنسيا بتدريس الفرنسية بنسبة عشرة معلمين للمدرسة الواحدة، علما بأن المنظمة العربية للتربية والثقافة احضرت المعلمين التونسيين على نفقتها لتدريس اللغة العربية ولكنهم لما لم

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) حمدى الطاهر - جيبوتى ص ١٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٨٢.

(٤) احصائية وزارة التربية القومية الادارة العامة للتربية القومية جيبوتى ١٩٨٤.

يجدوا مناهج أو وسائل تدريس عربية ـ وكانوا هم ذاتهم أصلا مدرسين للغة الفرنسية ـ فقد سايروا المد واصبحوا جزءا من حركة تدريس اللغة الفرنسية[1]. هذا وقد بلغ عدد طلاب المدارس. الاولية فى ١٩٨١، ٣٢٢ و١٥[2].

والمشكلة الثانية أن ٢٨٪ من جملة المعلمين معلمين مساعدين وغير مدربين على التدريس ولكن هذه النسبة ضئيلة فى ظروف العالم الثالث لذا فوضع جيبوتى من ناحية المعلمين المؤهلين يبدو أفضل من غيرها. (اثيوبيا، الصومال)

التعليم الثانوى العام :ـ

توجد فى جمهورية جيبوتى ست مدارس متوسطة من بينها مدرستان كبيرتان فى العاصمة، تستوعبان ٣١٣٩ طالبا بينما تضم مدارس المحافظات المتوسطة الاربع ٧٦٨ طالبا فقط[3] بالاضافة الى ٢٧١ طالبا يدرسون فى مدرستى عيد ميلاد المميح وشارلد فوكو[4] كما يوجد ١٠٢٩ طالبا مسجلين فى المدارس الفنية المتوسطة.

التعليم الثانوى :

ماتزال فرص التعليم للمرحلة الثانوية ضئيلة، حيث بلغ طلاب هذه المدارس للعام الدراسى ١٩٨٤/٨٣، ٥٠٨ طالبا موزعين كالاتى :ـ

الصف الاول ٢٧١
الصف الثانى ١٢٤
الصف الثالث ١١٣
المجموع ٥٠٨

ماتزال سياسة التعليم العالى، هى ذات السياسة الفرنسية، التى لاترغب فى زيادة عدد المتعلمين، لذا لايحصل على الشهادة الثانوية الا عشرات، بينما يرسب البقية، ولايوجد فى جيبوتى حتى اليوم، اى نوع من التعليم فوق الثانوى. أما فرص الدراسة فى الخارج فمحدوده، وحسب احصائية عام ١٩٨٤/٨٣ فلجيبوتى ١٦٠ طالبا فى دراسات جامعية فى مختلف التخصصات ومعظمهم يدرسون فى فرنسا والدول الناطقه بالفرنسية.

---

(١) الاحصائية السابقة ومناقشات الباحث مع الطلاب والمسئولين الجبوتيين.

(٢) جواد فرح، جمهورية جيبوتي، مولد دولة، سجل تاريخ مطبعة نهضة مصر ١٩٨٢ ص ٢١.

(٣) احصائيات العام الدراسى ١٩٨٣/٨٢.

(٤) كن الارسالية الكاثوليكية تدير هاتين المدرستين، ولكن ابتداء من عام ١٩٨٥ وضعت الادارة التعليمية الوطنية يدها على مدرسة شارل فوكو اما الاخرى وهى عيد المسيح فما تزال تابعة للكنيسة الكاثوليكية.

وضع الثقافة العربية :ـ

اللغة الفرنسية هى لغة السياسة والتعليم والادارة، ويندر أن تجد مسئولا أو وزيرا جيبوتيا يتحدث اللغة العربية[1]، برغم صدور توجيه سياسى فى ٢٨ يونيو ١٩٧٧ بأن اللغة العربية ستصبح اللغة الرسمية فى جيبوتى، ولكن لم يتم اتخاذ خطوات فعلية فى هذا المضمار وذلك لتردد السلطة التنفيذية المشبعة بالثقافة الفرنسية فى تنفيذ القرار حيث لايتماش مع توجهاتها ولكن صدرت قرارات بتقوية وضع اللغة العربية، حيث أدخلت لأول مرة على مستوى مناهج المرحلة المتوسطة كما تم ادخالها حديثا مادة دراسية فى منهج المرحلة الأولية، ابتداء من الفصل الثانى ـ حيث ينبغى ـ نظريا ـ أن يتلقى الطالب خمس حصص اسبوعية أما مادة التربية الإسلامية فلا وجود لها باستثناء نصف ساعة اسبوعية منتزعة من حصص اللغة العربية، والسبب الرئيسى لتدنى مستويات الطلاب فى اللغة العربية، يعود لقلة معلمى اللغة العربية وانعدامهم فى بعض المدارس، وقد رأينا أن معلم اللغة العربية الواحد يقابل مدرستين وبعبارة أخرى فإن المعلمين المؤهلين والبالغ عددهم ٢٩ معلما لتدريس اللغة العربية يقابلون خمسة عشر الف طالب.

هناك جهود شعبية، لنشر الثقافة العربية، من خلال حلق المساجد والمدارس القرآنية ومدارس تعليم اللغة العربية الشعبية المنتشرة كما أخذت تظهر المدارس الأهلية العربية النظامية، وقد ابتدر انشاء هذه المدارس السيد/ على كبيش فى الاربعينات حينما أنشأ مدرسته العربية، واليوم هناك مدرستان اهليتان عربيتان وهما مدرسة الارشاد ومدرسة النجاح وتضم هاتان المدرستان قرابة الالف طالب وفصول المدرستين مكتظة بالطلاب ذكورا واناثا، صباحا ومساء مع قلة الآساتذة وندرة الكتب وضعف الموارد.

كذلك يوجد المعهد السعودى بقسميه المتوسط والثانوى والذى يتبع لجامعة الامام محمد بن سعود ويضم خمسمائة طالب. ولعل مما يساعد على ازدهار اللغة العربية وجود جالية يمنية كبيرة لها نشاط تجارى واسع بالاضافة الى ظروف الحرية الثقافية التى تسمح بدخول المطبوعات العربية ووجود مكتبات عربية.

ومع ان الفرنسية هى لغة الاعلام، الا أن جهازى الارسال الاذاعى والتلفزيون، يبثان نشرات الأخبار، التى تستغرق ساعة، باللغات الاربع السائدة فى جيبوتى الصومالية، العفرية، العربية والفرنسية. أما الصحافة، فتوجد صحيفة حكومية واحدة وهى Nation وتنطق بالفرنسية. ويبذل كذلك الاتحاد الوطنى لنساء جيبوتى جهودا، تمثلت فى فتح عدة

---

(١) كنت استعين بمترجم يعرف العربية والفرنسية فى لقاء اتى بالمسئولين فى جيبوتى.

فصول لمحو الامية باللغة العربية فى عدة من مراكز الاتحاد، ورئيسة الاتحاد هى السيدة عائشة برجورية قرينة رئيس الجمهورية، وكذلك فقد افتتحت - لأول مرة - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، اسبوعا ثقافيا عربيا فى ٥ ديسمبر ١٩٨١، ولكن التحدى الذى يواجه العروبة والثقافة العربية أكبر بكثير من هذه المحاولات الشعبية وغيرها.

أفادت نتيجة الاستبانة[1] التى أجريناها فى جيبوتى، أن معظم أهل جيبوتى يستمعون لبرامج الاذاعة والتلفزيون بلغاتهم المحلية ثم باللغة العربية بالنسبة للأهالى غير المتعلمين، بينما يفضل المتعلمون الاستماع للبرامج الفرنسية. أما فى مجال القراءة والاطلاع فيفضل المتعلمون قراءة كتب الأدب الفرنسى ثم كتب الادب الانجليزى وجاءت كتب الادب العربى فى المقام الثالث. أما عن الاستعمال اليومى للغات فى المجتمع، فقد جاءت اللغة العربية بعد اللغات المحلية ثم الفرنسية فالانجليزية أما فى الاستعمال الرسمى، فقد جاءت اللغة الفرنسية فى المرتبة الاولى ثم الانجليزية فاللغة العربية. أما أحب اللغات الى نفس الشباب الجيبوتى فهى اللغة الصومالية بالحرف اللاتينى ثم العربية.

الوضع اللغوى فى جيبوتى معقد، اذ تتصارع هناك لغات خمس وهى اللسان الصومالى، واللسان العفرى واللسان العربى واللسان الفرنسى واللسان الانجليزى الذى وفد حديثا بعد الاستقلال وظروف الانفتاح وتدفق مثقفى اثيوبيا من اللاجئين والذين يتكلمون بالانجليزية. ويبدو أن هذا التعدد اللغوى فى صالح اللغة العربية وتيار العروبة، لأن العربية تبرز باعتبارها مخرجا وحلا وسطا فى وقت تعلن جيبوتى أنها دولة عربية وتأتى اليها مساعدات اقتصادية ضخمة من الخليج والمملكة العربية السعودية كما تضم جاليه عربية مع وجود قدر من الحريه واقبال نسبى على الاستماع إلى اذاعة مصر والمملكة العربية السعودية وفى ظروف صحوة اسلامية اقليمية - ولكن برغم ذلك لم تبذل جهود كافية فى سبيل حركة تعريب وفق استراتيجية، فستظل اللغة الفرنسية سائده وان كنا نستبعد ان تنتكس اللغة العربية لما وصلت اليه فى الصومال.

الحركة الاجتماعية والثقافية «منظور عام»:-

تنتشر المساجد فى جيبوتى ويتعلق الشعب بالدعوة الإسلامية ومساجدها وعلمائها، ويوجد فى جيبوتى العاصمة وحدها ثلاثة وعشرون مسجدا جامعا (غير مساجد الصلوات العادية والزوايا) اى مايعادل مسجدا لكل خمسة الاف نسمه، وهذه نسبة عالية لاتوجد الا فى المدن الإسلامية العريقة، علما بأن جيبوتى لايزيد عمرها عن قرن اذ تأسست على يد

(١) قام بتوزيع الاستبانة وتحليلها الاستاذ محمد بشير الاستاذ محمد بشير استاذ التاريخ بالمركز الإسلامى الإفريقى.

الفرنسيين فى نهاية القرن الماضى. كما يوجد ٢٢ مسجدا جامعا فى الارياف[1] والمساجد عامرة بالمصلين وبحلقات تدارس القران واللغة العربية. ولكن يوازى هذا التوجه الإسلامى، توجه آخر، يتمثل فى شيوع الدعارة والاندية الليلية، حيث تشير الاحصائيات الى وجود أربع الاف مومس محترفة ومسجلة فى القيد الحكومى وتدفع العاهرة ضريبة تجارية مقدارها ٢٤ الف فرنك[2] وهذا الوضع الاجتماعى يؤثر على درجة الالتزام الدينى والتوجه الثقافى العام للدولة والآمه.

وبرغم مما يقال، من أن واحدة من سياسات اثيوبيا، اغراق جيبوتى بالعاهرات لاحداث فوضى إجتماعية، ولكن يبدو أن العواهر الاثيوبيات يقصدن جيبوتى اساسا طلبا لمستوى معيشى أفضل، كما يوجد فى جيبوتى كذلك خمسون الف لاجىء اثيوبى (بعضهم لاسباب سياسية وبعضهم نتيجة لظروف الجفاف، ومعظم اللاجئين من قبيلتى العفر والعيسى).

وتروج الدعارة والاندية الليلية فى مدينة جيبوتى، نظرا لوجود قاعدة فرنسية تضم ما بين أربعة الاف الى خمسة الاف فرنسى فى الظروف العادية بالاضافة الى أن جيبوتى مدينة مفتوحة، يقصدها السواح والبحارة واللاجئون ويوجد فى جيبوتى خمسة وثلاثون مطعما سياحيا وخمسة دور للعرض السينمائى وعشرات الفنادق والملاهى وصالتان للعب الميسر. وباختصار فإن المدينة فى الصباح مهرجان للسلع الاجنبية المستوردة وفى المساء عبارة عن ناد ليلى كبير وبالاضافة الى قضيتى الفجور والصلاح تطالعك قضية الاف الاطفال المشردين، الذين تستضيفهم الارصفة ويعملون فى المهن الهامشية «مسح الاحذية والعربات وبيع الحلوى والتباكو».

وعموما فإن وضع جيبوتى كلها، مازال تحت المساءلة فالمرحوم عثمان صالح سبىء، الخبير بشئون القرن الافريقى ورئيس جبهة تحرير ارتيريا يعتبرها دولة مصطنعة، لاتحمل مقومات الدولة، لأنها حديثه التاريخ ولاتقوم على وحدة لغوية ولا مقومات اقتصادية كما لاتقوم على نظام حقيقى. وان استمرارها هكذا جاء فقط لتجنب الحرب الاقليمية بين اثيوبيا والصومال بانعكاساتها العالمية.

ومهما يكن، فإن شباب جيبوتى بدأ يحس وينفعل بوجود كيان وطنى متميز مستقل عن الصومال واثيوبيا، كما يزيد من رسوخ هذا الحس اقتناع هذا الشباب، بضرورة المحافظة على وضع جيبوتى الحالى - مايراه من نتائج سياسة النظامين الاثيوبى والصومالى الطاردة والتى تمثلت فى عشرات الالاف من اللاجئين، الذين يتدفقون على جيبوتى من الدولتين ولكن بناء الدول لايتم فقط بالزهو والنخوه القومية وانما كذلك بالسياسات الناجحه والتضحيات الحقيقية النافعة والمستقبل سيكشف عن مدى استعداد أهل جيبوتى للمحافظة

(١) الاحصائية مأخوذة من قاض قضاة جيبوتى فى لقاء الباحث معه.

(٢) د. حمدى الطاهرى جيبوتى ص ١١٥ وكذلك ص ١٤٤.

على وجودهم وتقديم نمط حضارى يكذب الافتراضات القائلة بان جيبوتى دولة مصطنعة لاتحمل مقومات الدولة.

التطور السياسى والثقافى فى هرر والاوجادين ١٩٦٠ ـ ١٩٨٦ :ـ

بلغت الدعوة الى الجامعة الصومالية ذروتها فى أعقاب بروز جمهورية الصومال دولة موحدة ومستقلة، حيث تطلعت الجماهير الصومالية فى هرر والاوجادين وجاريسيا وسيولو وجيبوتى الى القادة الجدد فى مقديشو باعجاب، آملين فى أن يتم خلاصهم على يد القيادة الصومالية الجديدة، الى آفاق دولة صومالية كبيرة، تنتشلهم مما هم فيه وتعمل على ترقية اموالهم وتلحقهم باخوانهم.

لجأ الامبراطور هيلاسلاسى فى بداية الأمر، فى سبيل احتواء حركة الجامعة الصومالية، الى تسجيل مزيد من المكاسب للصوماليين اذ أصبح هناك ست نواب صوماليين فى مجلس النواب (الاثيوبى). ولكن كان ذلك صرخة فى واد، حيث ازدادت الحركة المطالبة بالانضمام للصومال قوة وفى ٥ يونيو ١٩٦٠، أعلنت اثيوبيا ايقاف العمل باتفاقية ١٩٥٤، التى تمنح القبائل الصومالية، حرية الحركة فى منطقة الهود وتوافق ذلك مع تدفق الالاف من سكان المناطق الصومالية فى اثيوبيا الى جمهورية الصومال، حيث تم استيعاب اعداد كبيرة منهم فى اعمال المقاومة، التى نشطت فى حرب العصابات. وأدى ذلك الى تصاعد التوتر فى انحاء محافظة هرر والاوجادين، مما دعا القوات الاثيوبية الى القيام بحملات عسكرية ضخمة فى أنحاء المحافظة، كانت تحدث فيها تجاوزات كبيرة، اسوأها ماحدث فى ابريل ١٩٦١، حينما استباحت القوات الاثيوبية، مدينة داجابور Dajabur مما أدى لى مصرع مئات الصوماليين. وتدفق اللاجئين المروعين الى الصومال[١] فأدى ذلك الى تصعيد التوتر وتدمير القرى وانتهى الأمر باندلاع الحرب بين الصومال واثيوبيا فى بداية عام ١٩٦٤م.

مثلت الحرب الاثيوبية ـ الصومالية، أحد القضايا العصية التى واجهت منظمة الوحدة الافريقية الوليدة، علما بأن الوفد الصومالى لأول اجتماع لمنظمة الوحدة الافريقية فى مايو ١٩٦٣، اشار لقضية الاراضى الصومالية والتى كادت أن تفتح كل ملف قضايا الحدود فى افريقيا.

عقد المجلس الوزارى لمنظمة الوحدة الافريقية، عدة اجتماعات مابين دار السلام ـ ولاغوس فى فبراير ١٩٦٤ واصدر قرارات يوصى فيها كلامن اثيوبيا والصومال وكينيا الدخول فى مفاوضات مباشرة بغرض الوصول الى حل سلمى حول خلافات الحدود[٢]، وعلى هذا

---

(١) Ivison macadan, The Annual Register for the 1961

وقد وصلت فى هذه الفترة أول شحنات العتاد العسكرى الروس للصومال بعد زيارة شارماركى لروسيا والصين فى اغسطس ١٩٦٣.

(٢) تور برى، الحياد الايجابي وسياسة الصومال الخارجية ص ٣٧٧.

الأساس وبوساطة من حكومة السودان، جرت مفاوضات مباشرة بين اثيوبيا والصومال فى مارس ١٩٦٤ وأدت هذه المفاوضات الى وقف اطلاق النار ابتداء من ابريل ١٩٦٤ ولكن لم تتطرق بياناتها الى جوهر المشكلة.

أدى الصراع الاثيوبى الى تعقيدات محلية واقليمية ودولية اذ حملت المواجهة الصومالية - الاثيوبية معها بذور المواجهة بين الإسلام والمسيحية فى داخل اثيوبيا، التى عبرّت عن نفسها فى بروز الثورة الارترية ثم تبعها ثورة مسلمى الجالا «الاورومو» فى منطقة هرر مما أدى الى اخطار عظيمة على الامبراطورية الاثيوبية.

كذلك استنفدت الحرب قدرات الدولتين الاقتصادية ودفعتها إلى اتخاذ المزيد من سياسات التعبئة، طلبا للسلاح والعون الاقتصادى مما ادى الى تغلغل الروس فى الجيش الصومالى وارتباط استراتيجى اثيوبى - امريكى وقاد هذا الوضع الى وجود القوى العظمى الدائم فى المياه الاقليمية للمنطقة، كما دخلت اثيوبيا وكينيا فى يناير فى ١٩٦٤ فى اتفاقية دفاع مفصله لمجابهة حركة الجامعة الصومالية[1].

لم تتحسن الأحوال فى اعقاب حرب يونيو ١٩٦٧، التى أدت الى تقليص دور جمهورية مصر العربية وازدياد أهمية الدور الاسرائيلى خاصة والغربى عامة مما عنى ضمنيا تقوية يد الامبراطور هيلاسلاسى وفى هذه الفترة، اتجهت المنظمات الثورية المعارضة للمعسكر الاشتراكى واخذت تتبنى الاطروحات الماركسية المنظمات الارترية والاورومية والصومالية وغيرها وفى ٢١ اكتوبر ١٩٦٩ وقع انقلاب اللواء محمد سيادبرى الذى أطاح بالتجربة الديمقراطية الصومالية ونادى بالاشتراكية العلمية ودخل فى تحالف مع الصين ودول المعسكر الشرقى بقيادة روسيا، ومع مطلع السبعينات، أخذت معظم حركات التحرير فى القرن الافريقى تنطلق من رؤى ماركسية، وقد أضر ذلك بهذه الحركات نظرا لأن:-

١ - تبنى الاطروحات الماركسية وغيرها، أوقع هذه الحركات فى تناقض مع الثقافة المحلية، القائمة اساسا على الإسلام، مما حجب عنها العمق الشعبى، كما جعلها اداة للقوى الخارجية، حيث صدرت اليها القوى الخارجية انقساماتها ومشاكلها.

٢ - قيام الثورة الاثيوبية، التى تبنت الاشتراكية الماركسية، وتحالفت مع المعسكر الاشتراكى، كشف ظهر حركات المقاومة وسلبها نصيرها الدولى فى ظل تغيرات اقليمية وعالمية.

لم تحرك الضباط الاثيوبيين مذاهب ومبادىء لتسلم السلطة بقدر ماحركتهم تطلعات واعتبارات عملية، لذا فقد حكموا فترة باسم الامبراطور (يوليو ٧٤ - ١٢ سبتمبر ٧٤)، ثم باشروا الحكم بعد ازاحتهم الرسمية للامبراطور، وكانوا - مثل الامبراطور - يخافون الاحزاب السياسية وهى من افرازات الديمقراطية الغربية، لأنها فى اثيوبيا على وجه الخصوص - فى

---

(١) Macadan, Annual Rigister, Vol 205 (1963) P. (346).

تقـديرهـم ـ ستقود لاقليمية مدمرة، وكذلك فقد مثل خيار تأصيل فكرى وسياسى موال للسوفيت صعوبة كبيرة، لأن السلاح السوفيتى والدعاية اليسارية مثلا أساس قوة الحركة الارتـرية كما كانت توجد فى الصومال ترسانة اسلحة روسية بخبرائها ومستشاريها. لذلك اتجهت الثورة الاثيوبية فى البداية نحو الصين، فأخذت منها الثورة الثقافية وذهاب الطلاب للريف وماصحب ذلك من مذابح جماعية. ولكن فشل الصين فى تزويد اثيوبيا بالسلاح المتقدم، حتى توازن الصومال، دفع الضباط للآخذ بالخيار الصعب المتمثل فى الاتجاه نحو روسيا[1].

وفى هذه الفـترة الحرجة، من عمر الثورة الاثيوبية، نشط الارتريون واستطاعوا تحرير معظم ارتيريا، كما فعل ذلك ثوار الصومال الغربى، الذين تمكنوا من تحرير معظم أنحاء، محافظة هرر والاوجادين، كما قاموا بقطع خط السكة الحديدية ما بين جيبوتى واديس، وفى ١٤ سبتمبر ١٩٧٧ سقطت جكجكا عاصمة الاوجادين فى يد الصوماليين، واضحت بذلك منـاطق الحزام الإسلامى فى اثيوبيا تحت رحمة السلاح الروسى وهنا قام الرئيس منجستو بزيارة روسيا، وجاء بعده الرئيس الكوبى كاسترو متنقلا ما بين مقديشو ـ عدن ـ اديس حاملا مشروعا روسيا يقضى بقيام اتحاد فدرالى بين اثيوبيا واليمن الجنوبى والصومال وارتريا[2].

أعلنت القيادة الاثيوبية، موافقتهـــا على المشروع ووقعت القيادة الصـومـالية فى خطأ تكتيكى برفضها للمشروع، مما أدى لدخول الروس بثقلهم العسكرى والسياسى الى جانب اثيوبيا، واقاموا جسرا جويا شهيرا نقلوا فيه اسلحة تقدر قيمتها ببليونين اثنين من الدولارات الامريكية وتبع ذلك الاف الضباط والمستشارين بقيادة الجنرال بيتروف

Petrov[3] بالاضافة الى ١٥ ألف جندى كوبى ـ أما امريكا فقد اكتفت بالنظر، اعتقادا منها ان الانتصار الاثيوبى تحت اى راية جاء يعنى انتصارا للمسيحية، كما أن التدخل الروسى مهد للتغلغل الامريكى فى الصومال.

استعـاد الجيش الاثيوبى كل مناطق الحزام الإسلامى، بينما إنكسر الجيش الصومالى متقهقرا وتبعه الأهالى فى شبه هجرة جماعية فى أكبر عملية نزوح جماعى تشهدها منطقة القرن الافريقى حيث عبر الحدود الى الصومال قرابة المليونين من البشر.

وابتداء من عام ١٩٧٩، أصبحت القضية ـ عالميا ومحليا ـ هى اعادة توطين اللاجئين، الذين وصف حالهم طبيب اجنبى قائلا حتى الطبيب يرحب بالموت، كخيار مريح لهؤلاء

---

(١) Spencer:- Ethiopia at Bay P. 350 - 52

(٢) Alan. Rake, New African Year Book (1978) P. 126

I. C. magazines. U. R. 19

(٣) المصدر السابق ص ٣٥٢.

المنكوبين حتى يتخلصوا مما هم فيه من الآلام والآن فإن ٩٠٪ من اللاجئين الموجودين بالمعسكرات من الاطفال والنساء، بينما يفر الرجال طلبا للعمل فى المدن الصومالية أو يعاودون الالتحاق بخلايا الفدائيين - هروبا من نمط الحياة الرتيب فى المعسكرات[1].

لذا فلاعجب، أن أصبحت مناطق الحزام الإسلامى، مناطق مقفولة، غير مسموح بحرية الحركة فيها، وفى ظروف كهذه، يصعب تقديم خدمات إجتماعية، أو ثقافية، لأن الثقه بين السلطة السياسية والمجتمع مفقودة - حاجز الخوف والشك -، كما أن المجتمع المغلوب يلجأ للتحايل والتنصل من التزاماته تجاه الدولة التى يراها تفتقر للمشروعية السياسية، ويحاول المجتمع المغلوب أن يحافظ على وضعه الثقافى والا يستجيب، لثقافة الجماعة الغازية، بالعزلة والانكفاء على الذات سلبا وايجابا، وباقامة مؤسساته الخاصة ومدارسه الخاصة والانتماء للطريقة - الجماعية الدينية - ويختم ذلك بالهروب أو اللجوء للثورة،[2] وفى إطار هذه الخلفية يرد الحديث لاحقا عن التطور الثقافى فى محافظة هرر.

حركة التعليم والثقافة فى هرر والاوجادين:

حسب نتائج إحصاء صدر فى عام ١٩٧١، فإن عدد من هم من سن التعليم فى هرر عام ١٩٧١، يبلغ ٥٢٩ر١٠٠ طفلا، ويبلغ عدد المستوعبين منهم فى المدارس ٨٩٠ر٢٩ طفلا بنسبة استيعاب تعادل ٦ر٥٪. واذا جرت مقارنة أوضاع منطقة هرر مع أوضاع ارتيريا التى تعيش كذلك فى ظروف حرب، فان وضع ارتيريا يبدو أفضل، اذ مجموع من هم فى سن التعليم فى ارتيريا عام ١٩٧١، يبلغ ٤٠٠/٣٠٣ طفلا، والمستوعب منهم فى المدارس يبلغ ٥٢٣ر٥١ بنسبة استيعاب تبلغ ١٧٪، مقارنة بهرر التى لم تتجاوز ٦ر٥٪ أما اذا أجريت المقارنة مع اديس ابابا، فتبدر المفارقة ضخمة اذ ترتفع نسبة الاستيعاب هناك الى ٣٥٪[3].

وتتميز كذلك محافظة هرر، بضخامة الفاقد التربوى والنسبة العالية لتساقط الطلاب بين المراحل، فمن أصل ٢٦٣ر٥ جلسوا لامتحان الشهادة الاثيوبية الصغرى عام ١٩٧١، نجح ٩٤١ طالبا فقط بنسبة ٩ر١٧٪ وفى عام ١٩٧٠، جلس لامتحان الشهادة الاثيوبية الصغرى ٧٥١ر٤، نجح منهم ٨٢٧ بنسبة نجاح تعادل ٤ر١٧٪

أما بالنسبة لشهادة الثانوية التى تتيح لحاملها دخول الجامعات فقد كان الوضع فى محافظة

---

(١) مشاهدات الكاتب فى اثناء تجواله فى المعسكرات الصومالية لتوطين اللاجئين بصحبة زراعى سودانى وطبيب صومالى فى الفترة ٢١/١٠ - ٢/١١/١٩٨٥.

(٢) قابلت انماط مختلفة من الشباب، الذين خرجوا أسرا على الاقدام وعبروا مئات الاميال طلبا للدراسة أو العمل وحدثنى احدهم، وهو ابن زعيم قبلى هررى معروف، أنه قبل هروبه جمع اهله وخطب فيهم قائلا (اننى خارج للبحث عن نصرة خارجية لانتشلكم من استعباد الأمهرة وان اهله مازالوا ينتظرون هذه النصرة.

(٣) A. Babsfafanwa and I. U. Aisiku, Education in africa, A Comparative survery, George Allen and Umwin London 1982. P. 86

هرر مأساويا، على حسب مايظهر فى الجدول لاعوام مختارة[١].

العام الدراسى	عدد الطلاب الممتحنين	عدد الناجحين	٪
١٩٦٣	٢٠٨	٣٣	١٥٫٨٪
١٩٦٩	٣١٣	٢٩	٩٫٢٪
١٩٧٠	٣٦١	٣٥	٩٫٧٪
١٩٧١	٣٢٤	٦٠	١٨٫٥٪

ويقوم النظام التعليمى فى هرر، حسب النظام التعليمى فى اثيوبيا المرحلة الابتدائية ٦ سنوات، العام سنتين، العالى ٤ سنوات فالجامعة، ولغة التدريس فى المرحلة الابتدائية الامهرية وفى المراحل التى تليها تتخذ الانجليزية لغة التدريس ولامكان للغة العربية أو اللهجات المحلية (الصومالية ، الاورومية، العفرية، الهرارجية). ولكن نشطت حركة تعليم اللغة العربية فى عدد من المدارس الخاصة فى مدينة ديرداوه بمساعدة من الحكومة الليبية[٢] غير أن سعة هذه المدارس محدودة واستيعابها لايتجاوز عدة مئات فى وقت، ينشد فيه الآلاف هذا النوع من التعليم (التعليم الحديث الذى يفسح مجالا للدراسات الإسلامية واللغة العربية).

يتطلب دخول الجامعة طلاقة فى الأمهرة واجادة للانجليزية[٣] وهذه الميزة تأتى لصالح طلاب الهضبة من الامهرية، مما أدى لاحتكار الامهرة ومن اجاد لسانهم لغرض التعليم الجامعى وقد أدت هذه السياسة التعليمية الى تطابق معنى كلمة متعلم وامهرى ومسئول، عند عامة أهل هرر[٤]. هذه السلبيات الثقافية التى تميز الأمهرى خاصة ونصارى الحبشة

(١) المصدر السابق ص ٨٦.

(٢) تولت السفارة الليبية طبع منهج الدروس الدينية لمدارس ديرداوه، انظر مثلا الدروس الدينية للسنة الثالثة الابتدائية والسنة الخامسة الابتدائية والسنة السادسة ابتدائية محرم ١٣٩٩ ديسمبر ١٩٧٨ مطبعة برهاننا سلام، أديس ابابا. وتتعلق مناهج هذه الكتب بالتوحيد (الشهادة ، معرفة العبد لربه واركان الاسلام والفقه واحكام الشريعة والحلال والحرام والمكروه والمباح والسيرة والتهذيب والدلائل القرآنية والاحاديث والفقه على المذهب الشافعى والعقيدة على المذهب الاشعرى، حيث تناقش الواجب فى حق الله والمستحيل والجائز وصفات الوجود، وهى من وضع لجنة الأساتذة مدارس دايرداوه واديس ابابا.

(٣) Joh Markakis, Ethiopia, Anatomy of A Traditional Polity, Oxyford studies in African Affairs, 1975. P. 399.
(جامعة اديس ابابا، اصلا اسستها طائفة اليوسوعيين الكنديين عا ١٩٥٠، وجامعة اسمرا اسستها الكنيسة الكاثوليكية الايطالية عام ١٩٦٧.

(٤) المصدر السابق ص ٢٥١

عامة، قادت بعض الأسر الهررية للتنصر[1]، ولقد انعكس ذلك على سكان المدينة، إذ ذكرنا أنه لم يكن فى هرر (المدينة) حينما زارها رتشارد بيرتون فى عام ١٨٥٥ ولا مسيحى واحد وقد ذكر بيرتون الاعتقاد الشائع فى هرر بأن ارضها ستظل مزدهرة ومحمية طالما لم تطأها قدم كافر.[2] ولكن بعد مائة سنة من خضوع هرر للحكم الامهرى، تغير وجه المدينة واعتقاد اهلها، حسب احصائية المسح المدنى الذى أجرى فى منتصف الستينات حيث ورد الاتى :-

١ - سكان هرر ٤٢٫٧٧١

٢ - نسبة المسيحيين ٥٦٪

٣ - نسبة المسلمين ٣٥٪

أما المدينة الإسلامية الاخرى المماثلة لهرر وهى ديرداوة فقد ورد عنها الاتى :-

١ - عدد السكان ٧٣٣٪

٢- نسبة المسلمين ٥١٪

٣ - نسبة المسيحيين ٤٦٪[3]

ومع ان المسلمين يؤكدون زيف هذه الاحصائيات، الا اننا مهما ضخمنا من نسبة المبالغة فيها، فإنها تبقى مؤشرا على حجم الزحف المسيحى على هذه المنطقة بقصد تغيير هويتها الحضارية بالاستيطان والتنصير والتهجير، وامتدادا لهذه السياسة، تم تغيير كثير من اسماء المناطق فى انحاء هرر الى اسماء امهرية.

لقد ظل المواطن المسلم (سكان هرر على الاخص)، مواطنا من الدرجة الثانية،[4] وحسب نص الدستور الاثيوبى الصادر فى ١ نوفمبر ١٩٥٥ فان :-

١ - الكنيسة القبطية هى كنيسة الدولة وتنال دعم الدولة.

٢ - الامبراطور مختار من قبل الله.

٣ - كل العائلة المالكة يجب أن تكون على مذهب الارثوذكس.

ومع ان الدستور الاثيوبى الجديد، الصادر فى عام ١٩٨٧، ينص على علمانية الدولة، الا أنه لايوجد عمليا مسلم فى قيادة الحزب الحاكم أو مكتبه السياسى، وان وجد بعض المسلمين فى مجلس الوزراء. ويمكن تلخيص قضايا المسلمين بالنسبة للتعليم فى الاتى :-

١ - عدم تدريس الدين الإسلامي.

٢ - عدم تدريس اللغة العربية.

---

(١) قابلت اسرة من هذه الاسر وهى تدير فندقا صغيرا فى اديس ابابا.

(٢) Burton, First Footsteps in East Africa P. 8.

(٣) Markakis, :- Anatomy of Traditional Polity

(٤) انظر مذكرة مرفوعة من مسلمى اثيوبيا للسلطات فى مظاهرة عام ١٩٧٤ الشهيرة فى الوثائق ص ٣٥ وتجمع كل الاحصائيات التى رايتها عى وضع المسلمين باعتبارهم اكبر مجموعة سكانية فى اثيوبيا، وتتفاوت التقديرات ما بين ٣٨٪ - ٦٥٪.

٣ ـ عدم تدريس لهجاتهم وثقافاتهم المحلية.
٤ ـ عدم وجود مدارس كافية ومدرسين مؤهلين.

بالاضافة الى عدم وجود بث اذاعى وتلفزيونى لثقافاتهم المحلية، باستثناء البرامج ذات الطابع السياسى والتى بدأ بثها بالصومالية والعفرية دعاية وترياقاً مضاداً للبرامج التى تبثها اذاعة مقديشو وجيبوتى الناطقتان بالصومالية والعفرية.

أما فى مجال الثقافة، فلا يوجد ذكر لثقافة جماعات الحزام الإسلامى، ومايبدو بالنسبة لأهل الحزام الإسلامى، تراثا وطنيا ونضاليا تهمله المصادر الاكاديمية والرسمية، وان ورد ذكره فانما يذكر باعتباره تراثا دخيلا لذا تربط المصادر الاثيوبية ما بين الهمجية والبربرية وحركات الجهاد الإسلامى كثورة الامام احمد الجران والسيد/محمد عبد الله الحسن. لذا فإن ثقافة اهل الحزام الإسلامى تقع خارج دائرة التاريخ الاثيوبى، وتقع فى دائرة تاريخ «العدو الدخيل» ومن ثم يتعين على المسلم ان اراد أن يكون اثيوبيا ان يستغنى عن تاريخه وابطاله وان يتخلى عن المشاعر النفسية والتاريخية التى نسجت وجدانه وحضارته. ومن هذا الواقع المرير تنطلق حركات التحرير الإسلامى التى ترفض ان تودع تاريخها ومكونات قلبها وضميرها لمصلحة تاريخ حضارة الهضبة.

كما رأينا، فقد بدأت سياسات توطين الأمهرة فى مناطق الحزام الإسلامى فى هرر والاوجادين، منذ عهد الامبراطور منليك واتسعت فى عهد الامبراطور السابق هيلاسلاسى، وتواصلت فى صور مختلفة فى ظل الادارة السياسية الثورية الحاكمة منذ عام ١٩٧٥ فيما عرف ببرنامج اعادة توطين الهرريين، حيث تم تجميع ٣٦٠٤ر٣ قرية ضمت ٣٦٨ر٤٧٠ رب عائلة، يعولون ٢ مليون نسمة فى مراكز سكانية جديده، تحت ستار تسهيل تقديم الخدمات[1] الامنية والاجتماعية واقامة المزارع الجماعية لم يراع هذا المشروع الخصوصية التاريخية لهذه الجماعات، اذ جمعوا بالقوة وجردوا من اراضيهم لصالح اقامة التعاونيات والمزارع الجماعية وقد لاحظت مسز شوكلر Mrs, Chalker وزيرة الدولة بوزارة الخارجية البريطانية، بأن الهدف الكامن وراء تجميع القرى Villagization يحتاج للمساءلة، لأنه ضد مصالح المواطنين ولان عملية اعادة التوطين تتم لاسر على مسافة تقل عن الميل الواحد وان الحكومة البريطانية لن تساعد فى ذلك وان مشروع نقل المواطنين من المناطق الاقل خصوبة الى المناطق الخصبة يستهدف الجماعات المشاغبة[2].

صاحب عملية اعادة التوطين، حملة لمحو الامية، استهدفت تعليم اللغة الامهرية وكذلك صاحب ذلك محاولة لتجميع الرعاة فى الاوجادين باقامة روابط الرعاة ومركزة حفر ابار المياه، وفى مشروع تبلغ مساحته ٣٣ كلم مربع[3].

---

(١) The Ethiopian Henld Tuesday 30 Sep. 1986. P.1.
(٢) The times, london, Wednesday April 22/1987. P. 11
(٣) Ethiopian Herald, Thursday 20 oct. 1986. P. 1

ولكن برغم ذلك، لم يفقد مسلمو اثيوبيا الامل، فى سياسات ثقافية جديدة، تراعى ثقافتهم وخصوصيتهم، وظهر ذلك فى جلسات مناقشات مسودة الدسور الاثيوبى، التى اقامتها السلطات الاثيوبية حيث نوقشت المسودة فى ٢٥ الف اجتماع اسفرت عما يزيد عن نصف مليون اقتراح وتعديل(١) مما دعا الى تعديل ٩٥ مادة من اصل ١٢٠ ماده.

وقد عبر عن هذا التفاؤل الحاج حسين حسن من سكان قبر دهرى، حسب ما اوردته جريدة العلم الاثيوبية الحكومية حيث ذكر اننى من افراد القومية الصومالية وانا فى السابعة والستينْ من عمرى. وان الشىء الوحيد الذى بعث السرور الى نفسى، هو اتاحة الحكومة الثورية الفرصة لنا نحن افراد القومية الصومالية، لاجراء مناقشات حول نصوص مسودة الدستور الجديد، ان الدستور الجديد ينص على المساواة بين القوميات الاثيوبية، وهو امر يبعث على السرور والبهجة «قومية اورمية ، قومية هررية، قومية عفرية»(٢).

ينص الدستور الجديد على المساواة بين القوميات الاثيوبية، وهذا تطور جديد فى الحياة الاثيوبية التى كانت تقوم على سيادة الامهرية. ولكن العبرة بالتطبيق، اذ احيانا تكون الدساتير مجرد نصوص للدعاية. كما ينص الدستور على تركيز السلطات فى يد رئيس الجمهورية فيجعل منه قائدا للجيش ورئيسا للسلطة التنفيذية، وتركيز السلطات بهذه الصورة فى يد شخص واحد يفتح المجال لانماط من التجاوزات مهما كانت الضمانات النظرية الدستورية(٣).

اشترك فى مناقشات مسودة الاثيوبى الجديد ٥٤٩ر٤٠٧ مناقشاً من ابناء مديرية حبر وتشرشر من مناطق الحزام الإسلامى ومع ان نصوص مسودة الدستور منعت تعدد الزوجات وابطلت محاكم الشريعة وعطلت نصوص الشريعة الإسلامية فى الميراث، الا أن النسخة النهائية المعدلة، استجابت الى حد ما لرغبات المسلمين، حيث سمح بتعدد الزوجات وسمح لمحاكم الشريعة بالعمل، ولها ان تأخذ باحكام الشريعة الإسلامية، ومع انه لم ينص على ذلك علانية الا ان ذلك يفهم من الطريقة التى كتبت بها النصوص وهذه أول مرة فى تاريخ اثيوبيا تضمن مكاسب اسلامية فى دستور فى ظل دولة اشتراكية علمانية اهملت تقنين نظم الاحوال الشخصية للمسيحيين، الذين كانت لهم الكلمة النهائية فى تاريخ اثيوبيا.

ومهما يكن، فان فيما حدث، مكاسب للمسلمين ومايزال المسلمون يتطلعون الى سياسات ثقافية متسامحة تجاه مدارسهم ومساجدهم كما يتطلعون الى التزام الدولة بتدريس

---

(١) Ibid Ethiopian Herald, Wednesday 10 Oct. 1986 P. 1

(٢) جريدة العلم الاسبوعية الاثيوبية ٤ يوليو ١٩٨٦، ٢٨ شوال ١٤٠٦هـ السنة ٤٥ عدد ١٨ ص ٦.

(٣) ركز بعض قادة الحركات القومية الاثيوبية على هذه النقطة وقالوا ان مصائب القوميات فى اثيوبيا انها جاءت فى التاريخ من القادة الذين لا حدود لسلطانهم وضربوا الامثلة بالامبراطور منليك والامبراطور هيلاسلاسى والرئيس منجستو هيلامريام ويعتقد هؤلاء القادة ان الدستور الجديد اعطى ذات صلاحيات الامبراطور لرئيس الجمهورية ممثلة فى قيادة السلطة التنفيذية والتشريعية وقيادة الجيش.

الدين الإسلامى واللغة العربية للراغبين من أبناء المسلمين فى مدارس الدولة . كما يتطلع المسلمـون[1] الى سياسات لاتكرس هيمنة الثقافة واللغة الامهرية وتسمح بالتقدم الثقافى والاجتماعى من خلال التنوع وازدهار الثقافات الاثيوبية المحلية المختلفة واذا حدث ذلك فقد تفقد الثورة المسلحة ضد النظام السياسى الاجتماعى مشروعيتها، لان ثقافة الاغلبية ستسـود والاغلبية مسلمة وثقافة الاقلية ستحفظ وسؤال القوميات قد يحل فى اطار التنوع الثقافى والاجتماعى وسياسات الحكم الذاتى[2] .

حاضر اتجاهات حركة الثقافة فى منطقة الحدود الشمالية :-

N. FD

كما رأينـا فقد اهملت الادارة الانجليزية المنطقة الشمالية ولم تبذل فيها جهدا فى سبيل احـداث تنمية سياسية . أو اجتـماعية مقـارنـة مع أجزاء كينيا الاخرى، وجاءت الحرب فازدادت الاوضاع سوءا، حيث توقفت المؤسسات التعليمية والاجتماعية عن العطاء - على قلتها .

كان من آثـار الحـرب الجانبية، بروز ظاهرة الاطفال الصوماليين اليتامى حيث بلغت اعـدادهم الالاف دون مأوى او عائـل، وانتبهت الارسـاليات الكنسية لهذه الـظاهـرة، باعتبارها خير مدخل على المجتمع الصومالى الذى فشلت الارسالية الكنسية - رغم جهودها المتواصلة - فى اختراقه بصورة تكفى لقيام كنيسة صومالية محلية، رغم بؤس المجتمع وفقر افراده، حيث كان متوسط دخل الفرد فى المنطقة الشمالية ثلاثة جنيهات بينها متوسط الدخل فى نايروبى للفرد ٢٥٢ جنيها .

---

(١) مما يزيد مخاوف المسلمين، وما يجعلهم لا يركنون الى تصديق نوايا السلطة الاثيوبية ماتروجه الصحافة الغربية هنا، من ان الخطوة التالية للنظام بعد فلاح النظام فى تقليص حركة الكنيسة الارثذوكسية، توجيه ضربة للمسلمين، انظر مثلا Int Herald بتاريخ ١٧ /٣/٨٧ حيث تذكر فى ص ٦ . بان المسلمين يبلغون ٤٥٪ من سكان اثيوبيا وان السلطات الثورية صادرت اراضى الكنيسة، والتى تساوى ٣٠٪ من اراضى اثيوبيا الزارعية واغتالت عددا من القساوسة وتوقعت الصحيفة ان تبدأ السلطات معركة ضد المسلمين بعد فراغها من معركة الكنيسة وكذلك انظر مجلة Horn of Africa Volum IV No. 4, P. حيث يوجد مقال حول وثيقة اثيوبية حكومية سرية تتحدث عن كيفية القضاء على الدين الاسلامى فى اثيوبيا بعنوان :-
«How to Eliminate Religion From Ethiopia» Copied from the files of the ministry of information

(٢) وردت آراء مشابهة لرأينا هذا فى كتابات المستشرقين يقول الكاتب الشهير توينبى : ان قضايا القوميات فى اثيوبيا لايمكن حلها فى تمزيق اثيوبيا، ولكن فى طرح مشروع وحدة اكبر يستوعب الصومال وجيبوتى وعلى عكس رؤية توينبى ترد رؤية اسبنسر مستشار الامبراطور هيلاسلاسى الذى سبق الحديث عنه، والذى ينادى باعادة الاوجادين للصومال والجزء الغربى - الإسلامى - من ارتيريا - الى السودان وعلى اثيوبيا ان تقايض السلام بالارض، بينما هناك رأى آخر يرى ضم جيبوتى لاثيوبيا حتى يتم توحيد العفر فى اطار اثيوبيا وضم الاوجادين للصومال لتوحيدهم فى اطار الصومال.

لم تك هناك مؤسسات لتستوعب الاطفال الصوماليين المشردين غير المرغوب فيهم من احد، وحتى المؤسسة الاجتماعية القديمة، الاسرة الممتدة، التى كانت مسئولة عن اقامة التوازن الاجتماعى، دمرتها الحرب بموت الاباء وهجرة الأهل، وقد بلغت نسبة التعليم الابتدائى فى عام ١٩٦٤ فى المنطقة الشمالية ١ر٢٪ من جملة عدد من هم فى سن الدراسة فى المنطقة، اذ بلغ جملة الاطفال المقيدين للدراسة تسعمائة طالب من اصل ٨٠٠ر٤٤ طفل، بينما كانت نسبة الاستيعاب للدراسة قد بلغت فى اقليم كينيا الاوسط ٩٤٪ حيث بلغت جملة الاطفال المقيدين بالمدارس ٠٠٠ر٢٥٠ طالباً من اصل ٩٠٠ر٢٦٥ طفل[1].

أما التعليم الثانوى، فقد بلغ جملة طلاب المنطقة الحدودية الشمالية ٥٦ طالبا جميعهم ذكورا، بينما بلغ المقيدون فى التعليم الثانوى فى الاقليم الاول - ٢٢٧ر١١ طالبا ذكرا و ٦٣٠ر٣ طالبة. وطبعا فان هذا الواقع التعليمى المر وهذه المفارقة الضخمة فى حركة التعليم بين اقاليم كينيا، لم تك كلها بسبب الحرب وانما نجمت كذلك عن السياسات الثقافية الانجليزية، التى استحدثت ثلاثة انماط من التعليم واستثنت منها جميعا اطفال الصوماليين وتدرجت هذه الانماط كالاتى :-

١ - تعليم لتنمية الملكات القيادية واصدار القرار للاوربيين.

٢ - تعليم فنى - حرفى للاسيويين.

٣ - تعليم اعدادى عام للافارقة[2].

٤ - لاتعليم على الاطلاق للصوماليين.

ووسط هذه الاوضاع المأساوية، حاول عدد من الصوماليين تجميع الجهود المحلية فى تنظيم اجتماعى، حيث تأسست فى عام ١٩٦٤ جمعية رعاية المسلمين فى المنطقة الشمالية تحت رئاسة حاج يوسف حاج عبده ولكنها لم تستطع ان تقدم شيئا فى تلك الظروف[3]، حيث كان الشك وعدم الثقة يحيط بكل شىء. تمثلت اهداف الجمعية فى :

١ - رعاية مصالح مسلمى المنطقة والدولة بوجه عام

٢ - نشر الاسلام.

٣ - مساعدة المحتاجين.

تأخر عطاء هذه الجمعية مدة عشرين عاما، حيث لم تظهر ثمار نشاطها حتى هدأت الاحوال فى بداية الثمانينات، ولكن الجمعية الصومالية الاخرى، التى استطاعت ان تشق

---

(١) انظر توزيع المدارس الابتدائية ونسبتهم لعدد الأطفال الكلى فى مديريات كينيا السبع Republic of Kenya, Kenya Education Commission Peport, Pat 11, Nairobi 1965 P. 9.

(٢) The Politics of Cultural sub-Nationalism in Africa edited by Victor A. Olorvnsola, Anchor Books, New York 1972.

(٣) مقابلات الكاتب مع الجيل الأول من مؤسسى الجمعية.

طريقها وسط ظروف الحرب الصعبة هي جمعية الشباب المسلم والتى جاءت فكرتها من صومالى مثقف هو الدكتور قاسم على - محاضر بجامعة نايروبى - وقد قامت اسرة صومالية معروفة وميسورة الحال وهى اسرة عبد الغنى بدعم مناشط الجمعية الخيرية، كما عمدت الجمعية الى جمع الزكوات والصدقات والتبرعات بالاضافة الى قيامها بنشاط اقتصادى مريح، حيث كانت تقوم بتأجير الطائرات Charter للحجيج فى ايام الحج وبتصدير الاغنام الصومالية وغيرها.

أسست الجمعية دارا لرعاية الايتام بسعة ٣٥ طفلا ثم شرعت فى بناء مركز اسلامى متعدد الاغراض (تعليمى - تأهيلى) ومنحت الحكومة الكينية الجمعية مائتى فدان لتشييد المركز وملحقاته فى منطقة جارسيا كما تبرعت لذات الغرض بمبلغ ٨٥ الف شلن كينى ثم جاءت مساعدات من دار الافتاء السعودية والمنظمات الإسلامية فى نايروبى والخليج، حيث تم بناء مركز جارسيا[(١)] الإسلامى، الذى يضم مدرستين ابتدائية وثانوية وتبلغ سعته ستمائة طالب يتيما والمركز مجهز بكل الوسائل التعليمية بالاضافة الى المسجد وداخليات الطلاب.

اتسع نشاط جمعية الشباب المسلم وامدتها هيئة الافتاء السعودية بعدد من المتفرغين، كما جندت الجمعية عشرات الشبان الصوماليين للعمل فى مناشط الجمعية، حيث نجحت فى اقامة عدد من المدارس للذكور والاناث فى مختلف مناطق المنطقة الشمالية بالاضافة الى ١٧ مسجدا وثلاثين مدرسة لتعليم القرآن وعدد من المستشفيات كما انتشرت اندية الجمعية فى مختلف انحاء المنطقة واصبحت تعبر عن نهضة ذاتية محلية صومالية.

يدير مناشط جمعية الشباب المسلم، مجلس مكون من ١٧ شخصا وتنسق الجمعية جهودها مع الحكومة الكينية، كما تفيد من علاقتها الطيبة مع مختلف جمعيات الدعوة الإسلامية، على الاخص TheIslamic Foundtion المؤسسة الإسلامية بكينيا وهى مؤسسة اسلامية اقامتها الجماعة الإسلامية فى نيروبى، حيث توجد جالية هندية ضخمة، وتغذى المؤسسة الإسلامية مناشط جمعية الشباب المسلم بالكتب والاصدارات الإسلامية كالمصحف وتراجم معانى القرآن باللغة الانجليزية وكتب الحديث كالبخارى ومسلم وكتب السلف

---

(١) مدينة جاريسيا Garisiah ، تقع على نهر تانا فى شمال شرق كينيا فى المديرية الحدودية ومعنى الكلمة بالصومالية مكان الاجتماع. اكتسبت اهميتها حينما جعلها الانجيز فى الثلاثينيات مركزاً عسكريا ابان احتياج موسلينى لاثيوبيا. للمدينة اهمية دينية تتمثل فى انها مرقد لشيخ صومالى مات فى زمان بعيد - شاركت القبائل الصومالية فى السكن فى جاريسيا قبيلة الاورومو والبوارنا ولكن منذ الستينات اخذت السلطات الكينية فى تنظيم حركة هجرة افريقية وتغيير الطابع السكانى للمدينة حيث يوجد فيها مالا يقل عن ٢٠٪ من العنصر الافريقى كما ان كل المناصب الادارية والسياسية القيادية فى ايدى الافارقة - غير الصوماليين - يضم ريف جاريسيا ١٨٧ الف نسمة، بينما سكان المدينة فى حدود ٢٠ الف نسمة وينتمى معظم اهل المدينة للطريقة القادرية ثم الطريقة الصالحية وظهرت حديثا نواة لحركة انصار السنة وكل السكان على المذهب الشافعى. بالمدينة تسعة مساجد بينها مسجد ضخم بلغت تكلفته ١٦٠ الف دولار بناه اهل المنطقة من تبرعاتهم وما تزال المنطقة غير امنه اذ لاتدخلها العربات ولاتخرج منها الا تحت الحماية المسلحة الرسمية.

وتـروج وسط شبـاب جمعية الشبان المسلمين، مؤلفات ابى الاعلى المودودى وابى الحسن النووى وكتاب فى ظلال القرآن ومؤلفات سيد قطب وغيره من الكتاب الإسلاميين المعروفين[1].

تنبهت الكناس لاهمية جاريسيا، باعتبارها مركزا لتجمع الاطفال اليتامى وباعتبارها اكبر مركز حضرى للصوماليين، وكانت الكنيسة الكاثوليكية سباقة فى ذلك، حيث حطت برحالها فى عام ١٩٧٠ وأنشأت مركزا كنسيا ضخما فى قلب جاريسيا، ثم جاءت بعد ذلك خمس ارساليات كنسية[2]، أهمها الارساليات الكندية البروتستانتيه.

إقامت هذه الارساليات، حزاما من الكنائس حول جريسيا حيث تقابلك الكنائس عند أى مدخل من مداخل المدينة. والارساليات فى جاريسيا عبارة عن مراكز اجتماعية متعددة الاغراض، تضم المعبد والمدارس والورش ودور الايتام والملاجىء والمزارع الفخمة.

وتقوم الارساليات بوظائف متعددة واخطر هذه الوظائف وظيفة تبنى الايتام، إذ يقومون بأخـذ اليتـامى من أبناء الذين ماتوا فى الصدام الصومالى الكينى حول الحدود وبعضهم لايتجاوز الثلاث سنوات ويتعهدونهم بالاعاشة والتربية والتعليم، ومع أنه لاتوجد احصائية باعداد اليتامى الذين تتعدهم الكنيسة فى المنطقة الشمالية، غير أن التقديرات تتفاوت ما بين الف وخمسمائة الى الفين. ومنهج الكنيسة فى جاريسيا يقوم على التغلغل وسط الاهالى، حيث يرتدى بعض القساوسة الزى المحلى ويتكلمون بالصومالية، بل قامت الكنيسة الكندية فى هرجيسا ببناء مسجد داخل مركزها، وهذا المسجد لايؤدى وظيفة غير ايهام الصوماليين بأن مصـالـح ابنـائهم من اليتامى مرعية وأن الكنيسة محايدة فى المسألة الدينية ولكن سيفاجأ المجتمع المحلى بعد فترة بتخرج مجموعة من الصوماليين متعلمة ومنصّرة. كذلك قام المركز الكنسى الكنـدى باعادة بناء منازل الأهالى التى دمرت فى ظروف صراع دار بينهم وبين القوات الكينية (حوالى مائة منزل). كما يقوم المركز بتوزيع الأدوية والاعانات ودفع مصاريف الدراسة للطلاب الفقراء وتعمد الكنيسة الى توزيع كتب الاطفال والكتب المدرسية والدينية المكتوبة باللغة الصومالية على الحروف اللاتينية، وهذا نشاط يدل على الذكاء، لأن الكتاب اصلا معدوم فى هذه المنطقة والاهالى مستعدون لتقبل كل مادة مكتوبة، فكيف اذا كانت

---

(١) مشاهدات الكاتب ومقابلاته، ومن أهمها مقابلة الشيخ مطيع الرسول مدير مركز جاريسيا الاسلامى يوم الاحد ٢٩ يونيو ١٩٨٦ : وهو منتدب من هيئة الافتاء السعودى للاشراف على مناشط المركز.

(٢) اهم هذه الارساليات العاملة فى جاريسيا:ـ

أ ـ Pente Coastal Church of Africa.

ب ـ The Methodiest Church.

ج ـ The African Inland Church.

مكتوبة باللغة الصومالية التى تثير فيهم كوامن العواطف والمشاعر. هذا وقد صدقت الادارة المحلية فى جاريسيا باقامة اثنتى عشرة كنيسة جديده[1].

ومايحدث فى جاريسيا من نشاط اسلامى ومايوازيه من نشاط كنسى صورة مصغرة لما يحدث فى بقية مدن وقرى الاقليم الشمالى، حيث يوجد ذات النشاط فى مدينة سيولو Isiolo وماندير ا وواجيرا[2]. وقد نجحت الكنيسة - فى هذه المناطق - فى تنصير عدد من صوماليى الديقوديه من ارباب الاسر ونصرت من خلالهم كذلك أسرهم، وهناك عشرون مبشرا متفرغا لمثل هذا التنصير المباشر[3]، كما نجحوا فى غرس بعض العادات غير الإسلامية كتربية الخنزير وأكل لحمه واتخاذ الزى الاوربى، واشهر من نصرت الكنيسة هو الصومالى عبده شافعى، الذى يعمل مذيعا فى الاذاعة الكنسية ويتخصص فى القاء الدروس المسيحية باللغة الصومالية.

وتنشط المؤسسة الإسلامية فى منطقة سيولو، لمجابهة المد التبشيرى، حيث اسست مركزا اسلاميا ضخما، يضم مدرسة عربية تسمى مدرسة الفلاح، تضم ثلثمائة طالب صومالي بالاضافة الى دار ايتام تستوعب ١٥٠ طفلا وطفلة. كما تقوم المؤسسة بتوزيع عشرات الالاف من المصاحف والكتب الإسلامية سنويا على الملمين بالقراءة من الصوماليين[4].

والخلاصة ان هناك نشاطاً تبشيرياً كنسياً ضخماً فى المنطقة الشمالية وان هناك ظروف حرية يفيد منها العمل الإسلامى والكنسى، ولكن امكانات العمل الاسلامى أقل، كما أن أوضاع السكان المحليين وما هم فيه من بؤس وشقاء تجعلهم يتقبلون عطف الكنائس ويلتمسون مساعدتها ويحسون بالعرفان تجاهها.

واذا استمر المد الكنسى بصورته الحالية، فانه سيؤدى مستقبلا لان تصبح الكنيسة جزءا من واقع الأسر الصومالية اليومى بما تقدمه من خدمات ومساعات وسيقود ذلك الى تصالح المجتمع الصومالى المعزول مع الكنائس ومدارسها ومخططاتها، خصوصا أن الكنائس تعنى التمدن واللحاق بالعصر وتبنى الانتماء لجسم عالمى ذى قدرات مادية كبيرة، وتعنى كذلك الانتماء لكينيا فى وقت زهد فيه الصوماليون المتعبون فى شعارات الجامعة الصومالية، حيث

---

(١) من دراسة غير منشورة، قام بها الباحث الصومالى حسن محمد نور الطالب بقسم التاريخ، درجة الملجستير بجامعة نيروبى.

(٢) مشاهدات الباحث الميدانية.

(٣) ص ٧١ - ٧٢ Wagner, Unreached peoples, 80

(٤) لقاء الباحث مع محمد سلفى عبد الستار ومحمد اسلم فى مكتبيهما بالمركز الاسلامى فى سيوله فى ٥ يوليو ١٩٨٦ ويعمل الاول مديرا للمركز والثانى مديرا لمدرسة الفلاح.

زهدتهم احوال الصومال فى الانتماء اليه واصبحوا يحسون انه من الافضل لهم ولابنائهم التسليم بالبقاء فى اطار كينيا(1).

الأوضاع التعليمية :ـ

تحسنت الأوضاع التعليمية لدرجة كبيرة فى الاقليم الشمالى فى الثمانينات مقارنة بالاوضاع التعليمية فى الستينات. ويكفى أن المدارس الثانوية تنتشر الآن فى هرجيسا، حيث توجد ثلاث مدارس ثانوية وفى سيولو توجد مدرستان ثانويتان هناك أيضا مدرستان فى مانديرا بالاضافة الى مدارس التعليم الفنى وكلية سكرتارية تابعة للكنيسة الكاثوليكية.

أما المدارس الابتدائية فقد عمت، حيث بلغ عدد طلاب المرحلة الابتدائية لعام ١٩٨٥ ٢٧٫٠٠٠ تلميذ على مستوى الاقليم، ووصل عدد طلاب المرحلة الثانوية الى الفى طالب بينما كان هناك ٥٧ طالبا فقط فى عام ١٩٦٤. ويوجد الان ستمائة معلم بالمرحلة الابتدائية ومئتا معلم فى المرحلة الثانوية و ٩٥٪ من معلمى المرحلة الثانوية ينتمون الى العنصر الافريقى المسيحى(2).

ينعدم معلمو اللغة العربية والاسلامية فى المنطقة الشمالية، علما بأن المحافظة هى التى ابتدرت لاول مرة فى تاريخ كينيا تدريس التربية الإسلامية فى مدارس الحكومة ابتداء من عام ١٩٨٢ ومع ان الطلاب قد يرسبون فى مختلف المواد الا أنهم ينجحون فى امتحانات التربية الإسلامية التى تفتقر للمعلمين وتفسير ذلك ان معظم الطلاب يبدأون الدراسة فى المدارس القرآنية المنتشرة فى الاقليم والتى يقدر المسئولون اعدادها بالالاف، حيث توجد وسط اى تجمع سكانى ولو كان عائلة واحدة مدرسة قرآنية كما ان طلاب المدارس الثانوية يذهبون الى مدارس اللغة العربية والدراسات الاسلامية كمدارس الفلاح والنجاح ومدارس جمعية الشباب المسلمين، التى تخصص فصولا مسائية تجتذب الالاف من طلاب المدارس الحكومية، ويدرسون الفقه والشريعة والسيرة والحديث والتفسير واللغة العربية.

لاتمانع السلطات الحكومية من نشر اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وقد ورد فى خطاب للرئيس الكينى اراب موى أن الحكومة لاتمانع أن تكون اللغة العربية لغة تعليمية ثالثه ـ بعد السواحيلية والانجليزية اذا ماتوافر لها المعلمون. وأنشأت الحكومة قسما للغة العربية فى جامعة نيروبى. وفى استبيان رسمى، أجرى لمعرفة ميول ورغبات طلاب ٣٥

(١) اتضح من خلال مناقشاتى الطويلة، مع شرائح مختلفة من اعضاء جمعية الشباب المسلمين، انهم يفضلون البقاء فى كينيا، علما بأنهم قاتلوا من اجل الالتحاق بالجامعة الصومالية فى عام ١٩٦٣م.

(٢) مقابلة مع مدير التعليم فى المديرية الشمالية الشرقية، السيد عمر شيخ فرح بمكتبه مكتبة فى يوم الاثنين ٣٠ يونيو ١٩٨٦.

مدرسة ثانوية كينية،[1] وجد أن ٢١٢٥ طالبا يرغبون فى دراسة اللغة العربية بينما لايوجد لهذه اللغة من المدرسين على مستوى كينيا غير ١١ معلما، ويتركز وجود هؤلاء الاحد عشر معلما فى منطقة الساحل ونيروبى ولايتجاوز نصيب كل المنطقة الحدودية الشمالية بسكانها نصف المليون من الصوماليين سوى معلم واحد وهو عثمان أدن عثمان فى مقابل ١٠٦٠ طالبا يرغبون فى دراسة اللغة العربية.

كما تفتقر المدارس الى وسائل تعليم اللغة العربية من كتب ومراجع ومناهج، ووسائل تعليمية.

ومع هذا التحسن الكبير فى اوضاع التعليم فى المنطقة الشمالية، الا أن المنطقة ماتزال نسبيا متخلفة تعليميا اذا قورنت مع بقية كينيا، فنجد مثلا فى منطقة واجير Wajer ٢٨١ مقعدا دراسيا Desks فقط لمقابلة ٣٫٢٧٩ تلميذا[2]، وحالة الاسر المزرية لاتمكنها من دفع تكاليف اعاشة ابنائهم، كما أن المدارس الكنسية فى الاقليم تفرض على الطلاب المسلمين تعلم علوم الانجيل والاشتراك فى الطقوس المسيحية ولبس الصلبان وتحرم عليهم أداء الشعائر الإسلامية الصوم ـ الصلاة....

المنهج الكينى المقترح للتربية الإسلامية :ـ

صدر حديثا فى الثمانينات منهج اجازته وزارة التعليم الكينية للمدارس الحكومية وتبدأ الدراسة من المرحلة الابتدائية ويركز المنهج على :ـ

١ ـ تعليم حروف الهجاء العربية.
٢ ـ تحفيظ الفاتحه، الناس، الاخلاص، الفيل، الكوثر، العصر.
٣ ـ آداب اسلامية.
٤ ـ نبذه صغيرة عن التاريخ الإسلامى[3].

أما منهج المرحلة الثانوية فيدور حول:ـ

١ ـ الاوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية ماقبل ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم.
٢ ـ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بوادر الدعوة، الجهاد، الدولة وفاة الرسول ﷺ مجىء الخلافة.

---

(١) انظر نتائج الاستبانة فى باب الوثائق.

(٢) The Standard, Nariobi sat, July 5/1986.

(٣) Kenya Institute of Education, Islamic Religious Education, Teachers Notes for Primary Schools. January 1981.

٣ ـ اركان الاسلام.
٤ ـ الحديث وعلومه[1].

الوجود الاسلامي فى وسائل الاعلام وفى النظام القانونى :ـ

أما عن النظام القانونى للمسلمين، فتوجد محاكم اسلامية فى دائرة الاحوال الشخصية، تفتى على المذهب الشافعى ومعترف بها من قبل السلطات الحكومية ولها ولاية كاملة على احكام الشريعة فى باب الوصايا والميراث والآنكحة. وتوجد فى كل مدينة يغلب فيها المسلمون محكمة شرعية. أما بالنسبة للقضايا المدنية والجنائية فالمسلمون خاضعون لاحكام القانون الانجليزى ومحاكمه مثلهم مثل اخوانهم فى بقية العالم الاسلامى.

الوجود الإسلامي فى الاذاعة :ـ

أسست الاذاعة فى ظروف الحرب العالمية الثانية وابتداء من عام ١٩٥٠، خصصت ساعة لبث البرامج الاسلامية والترفيهية باللغة العربية والسواحيليه فى البرنامج الموجه لأهل الساحل، واستمر الحال كذلك حتى عام ١٩٦٤، حينما تم الغاء القسم العربى وبقى القسم السواحيلى الموجه للساحل ولكن حتى هذا انتزع منه الطابع الاسلامى وأصبح فى مجمله ترفيهيا وأضيفت اليه احاديث مسيحية بحجة أقليات مسيحية فى الساحل، وابتداء من عام ١٩٦٤ تم ادخال برنامج اسلامى فى البرنامج العام، القسم الانجليزى، لمدة نصف ساعة كل اسبوع، ونصف ساعة اخرى كذلك فى البرنامج السواحيلى العام كل اربعاء وتدور مادة البرنامج حول القرآن وتفسيره والصوم والحج، والسيرة فى ايام المولد النبوى.

وتحسن الموقف أخيرا، بوجود درس اسلامى يومى فى البرنامج العام صباحا ومساء، كما تضاف ساعتين للبرامج الاسلامية فى رمضان. وتبدأ الاذاعة ارسالها وتختمه باحاديث وابتهالات مشتركة اسلامية ـ مسيحية لمدة خمس دقائق. أما فى التلفزيون، فالحال يختلف عن الاذاعة ومايزال حظ البرامج الاسلامية دقائق معدودة، لاتزيد عن خمس دقائق فى يومى الجمعة والسبت وتأتى قبل نهاية الارسال التلفزيونى ويطغى على برامج التلفزيون البرامج الترفيهية والاحاديث المسيحية على الاخص يومى السبت والاحد بالاضافة الى الاخبار[2].

---

(١) Kenya Institute iof Education, O'level Notes paper 1 section A, Islamic Religous Education.

(٢) مقابلة مع المدير السابق للقسم السواحيلى بمنزله فى كينيا يوم ٢٠ يونيو ١٩٨٦ كما رصدت برامج الاذاعة والتلفزيون المنشورة فى الصحافة الكينية لمدة أسبوع.

أمـا الصحف اليومية، فهى صحف تجارية، تنطق بالانجليزية ويغلب عليها الجانب الخـبرى وتسهم فى نشر الثقافة الانجليزية وتروج احيانا للمسيحية، ولاتوجد حركة نشر اسلامى، باستثناء صحيفة محدودة التوزيع تصدر كل اسبوعين عن جماعة انصار السنة، اما الكتاب الاسلامى فمتوافر بالسواحيليه والانجليزية ولكنها لاتناسب الاقلية الصومالية. وفى دائرة التلفزيون، والصحافة والكتاب، تجد الجماعة الصومالية نفسها خارج دائرة حركة هذه المؤسسات، كما ان مايبث فى الاذاعة من برامج اسلامية انما يبث بالسواحيلية والانجليزية، أما بالنسبة للمسرح والمتاحف فلا ذكر على الاطلاق لثقافة الاقلية الصومالية.

الخلاصـــــة

تكتنف منطقـة الصـومال الكبير كل عناصر الازمات الخطيرة ذات الابعاد الاقليمية والدولية والممثلة فى :-

١ - عداوات تاريخية عميقة كما رأينا بين الصومال واثيوبيا.

٢ - أخطار سياسية عظيمة، ممثلة فى حركة القوميات فى اثيوبيا القومية الارترية والتجرية والصومالية والاورومية والتى تحمل فى طياتها بذور تفتيت اثيوبيا، وانقسـامـات داخلية فى الصـومال، ممثلة فى تمرد قبيلة اسحاق فى الشمال وظهور حركات سياسية معارضة تنطلق من اثيوبيا كجبهة الخلاص والجبهة الوطنية الصومالية.

٣ - أزمـات اقتصادية فى ظروف تحولات جغرافية وموجات جفاف ادت الى ازهاق مئات الالاف من الارواح وتدفقات فى حركة اللاجئين.

٤ - تدخلات خارجية وصلت الى درجة اقامة القواعد العسكرية الثابته كالوجود الاميركى فى بربرا فى ساحل الصومال وكالنفوذ الفرنسى فى جيبوتى والروسى فى ديرداوة ومصوع باثيوبيا والسيطرة الانجليزية فى كينيا .(تقلص النفوذ الروسى فى اثيوبيا وازداد النفوذ الإسرائيلى

٥ - صراع دولى واقليمى على ساحل الصومال واريتريا، وهو جزء مما اصبح يعرف بصراع البحر الاحمر، المنفذ التجارى الحيوى الاستراتيجى للمنطقة والذى يجعل صراع الصومال جزءا من المواجهة العربية اليهودية، وجزءا من صراع الحضارتين الاسلامية والمسيحية، لذا فلاعجب ان اتخذت منطقة القرن الافريقى مكانها بين المناطق المرشحة لاندلاع الحرب العالمية الثالثة.

وهـذه الازمـات متشابكة ومتداخلة بعضها مع بعض بحيث يصعب تجزئتها، واذا ما انفجرت واحدة منها، فأن آثار الانفجار تمتد تلقائيا الى الاخرى فتخلق وضعا مركباً معقدا. ولعل كل هذه العقد التاريخية وافرازاتها المستمرة فى شكل حروب وصراعات يكمن جوهرها فى المجابهة ما بين القومية الصومالية ببعدها الاسلامى والقومية الاثيوبية بطابعها المسيحى.

أمـا روح القـومية الصومالية المحركة فهى العقيدة الإسلامية والثقافة العربية والتى تجعل الصومال امتدادا لمنطقة الحزام الإسلامى فى الجزيرة العربية والخليج فشرق افريقيا انتهاء باواسطها (السودان، تشاد)، هذا الحزام الذى اذ مانشطت مكوناته الحضارية قد يقود الى حركة انتشار اسلامى جديد، مما قد يهدد بتلاشى اعرق وحدات الحضارة المسيحية الطرف الآخـر، ممثلة فى حضارة المرتفعات الاثيوبية المسيحية على نحو مشابه لما حدث للممالك المسيحية فى السودان فى القرنين الخامس والسادس عشر الميلادى، على الاخص فى هذه الفترة التاريخية التى تتعرض فيها الكنيسه الاثيوبية لمحنة تاريخية خطيرة بين يدى تجربة اثيوبيا الاشتراكية فى ظروف اندلاع موجة من حركات القوميات وصحوة وسط مسلمى اثيوبيا.

لقد رأينا صورا لهذه المجابهة فى جهاد الامام احمد ابراهيم الجران (٣٢ ـ ١٥٤١) مما أدى الى تدخلات البرتغاليين فالاتراك والمصريين ثم القوى الاستعمارية الاوربية فجهاد السيد/ محمـد عبـد الله الحسن ومجابهة الامبراطور المسلم اياسو الامبراطور هيلاسلاسى وانتهاءً بتمزيق الامة الصومالية.

يأخـذ هذا الصراع احيانا ابعادا ثقافية، فمثلا، فى الاونه الاخيرة، لجأت السلطات الاثيوبية، لكتـابـة اللغـة الصـومـالية بالابجـدية الامهـرية، مما عنى جزئيا التنازل عن الاسـتراتيجية السـابقـة بالقضـاء على الصـومـالية والسماح فقط بازدهار اللغة الامهرية. وأستخدمت السلطة الاثيوبية اللغة الصومالية على الابجدية الامهرية أى (الحروف الهجائية للغـة الامهـرية) فى حملة محو الامية الشهـيرة وسط ثمانـمائـة الف صومالى فى منطقة هرر والاوجادين وذلك لخلق نمط جديد من القومية الصومالية قابل للتعايش والازدهار فى اطار السيادة الاثيوبية فى ظل سياسات القوميات الجديد، التى نص عليها الدستور الاثيوبى الجديد.

كما أن هنـاك جهـودا تبذل لكتابة اللغة العفرية بالحرف اللاتينى، ظهرت أول ثمارها بظهور القاموس العفرى ـ الانجليزى ـ الفرنسى[1] كما رأينا، بعضا من جهود الارساليات فى كتابة لغة الاورومو بالحرف اللاتينى وكتابة الصومالية عى ايدى ابنائها بالحروف الهجائية اللاتينية.

ان جوهر الصراع الثقافى الحالى فى الصومال، يكمن فى المحاولات المستمرة لاستلاب القومية الصومالية من عناصر حيويتها (الدين واللغة) وبذلك تصبح قومية مصطنعه أسيرة للجغرافيا ومعزولة عن منطق التاريخ وقد نجحت هذه السياسات الثقافية التى سلطت على الصوماليين، فى الصومال الكبير فى اقامة جيبوتى دولة علمانية اتخذت الفرنسية لغة للادارة والتعليم والحضارة، بينما تقاتل اللغة العربية سعيا للمحافظة على وضعها باعتبارها لغـة دين. واستقـرت الاوضـاع فى منـطقة شمال كينيا، حيث اخذت العرقية الصومالية

(١) R.J. Hayward and E. Prekes, An Afar-English-French Dictionary London 1986.

تسلم بوجودها فى إطار ادارة افريقية مسيحية علمانية وانتهت إلى اتخاذ اللسان الانجليزى وسيلة للتعليم والمخاطبة والادارة.

لقد ثبت عجز القومية الصومالية العلمانية، على اختلاف توجهاتها (اشتراكية، أو ليبرالية) فى رسم طرق الخلاص وتوحيد الامة الصومالية، بل ان شبح القسمة والتجزئة يهدد جمهورية الصومال ذاتها مع تنامى مظاهر الغضب والسخط فى شمال الصومال، مما يهدد بقيام صومال الجبهة الوطنية فى هرجيسا فى مواجهة صومال مقديشو، فينقلب المد القومى من مجابهة مع الخارج الى مجابهة فى الداخل ولعل هذا مايحدث الان تماما[1].

بينما الدستور الاثيوبى الجديد، يطرح وضعية جديدة فى ظل سياسات قوميات، تحقق مكاسب ثقافية أفضل للمسلمين فى اطار اثيوبيا أكثر إسلامية كما هو وارد فى اطار التشريعات الصومالية، والعناصر النظرية لهذا الوضع كما جاءت فى الدستور الجديد تقوم على:-

١ ـ حكم ذاتى.
٢ ـ تنمية الثقافة المحلية واللغة المحلية فى اطار الابجدية الامهرية.
٣ ـ المحافظة على محاكم الشريعة وقوانين الاحوال الشخصية والميراث وتعدد الزوجات.

وهذا الوضع فى اطاره النظرى، أفضل للمسلم من حيث هو مسلم اذ التشريعات الصومالية تسلب مواطنيها المسلمين كما رأينا:-

١ ـ حقوقهم فى قوانين احوال شخصية اسلامية، حيث نص القانون الجديد مارس ١٩٧٥م، على الغاء تعدد الزوجات والمساواة فى الميراث مع حرمان الاقارب البعيدين.

٢ ـ واذا كان الحل الاثيوبى لقضية اللغة يقوم على كتابة الصومالية بالحرف الامهرى، فإن الحل الصومالى، قام على كتابتها على الحرف اللاتينى، وكلا الحرفين بعيد عن روح الشعب وربما كان فى الامهرية عنصر الاصالة وانها بنت بيئة جغرافية مشابهة لارض الصومال أكثر من الحرف اللاتينى.

٣ ـ نص الدستور الاثيوبى على حق الحكم الذاتى فى اطار تحالف شعوب اثيوبيا وحزبها الطليعى حزب عمال اثيوبيا، بينما الدستور الصومالى يهمل ذلك تماما، ولايعد الا بالوجود المبهم غير المقنن فى اطار دولة الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى.

هذه الخيارات القاسية والمعادلات الصعبة، مهدت لمزيد من ظروف القسمة والتفتت بين شعوب الصومال الكبير، فظهرت جبهة تحرير الاورومو الاسلامية، التى لاترى ثمة مايجمع بين الصوماليين والاورومو، وتطالب باقامة دولة مستقلة عن اثيوبيا والصومال، تتخذ من هرر عاصمة لها وظهور جبهة تحرير الاوجادين والتى ترى خلاص الشعب الاوجادينى فى

---

(١) Hodson, H.V. The Annual Register, A Record of World Events, 1979, Vo. 221, Longman, 1980 P. 219.
حيث يتكلم عن تكون جبهة خلاص اثيوبيا المدعومة من اثيوبيا على اساس قبلى لموازنة جبهة تحرير الصومال الغربى، التى عمادها قبائل الاوجادين.

قيام دولته الخاصة به وسط ظهور بشائر بترول الاوجادين أما الشباب الصومالى فى شمال كينيا، فلا يرى ثمة مصلحة فى الانجذاب نحو الصومال بأوضاعه الحالية، بل أخذ يفضل الخيار الكينى، بما فيه من تنوع وحرية على خيار الجامعة الصومالية، فى وقت يتنسم فيه الصومالى الجنرال معلم محمد منصب القائد الاعلى للقوات المسلحة الكينية بينما يحرص اهل جيبوتى على صيانة وضعهم واستقلالهم.

ولكن هل معنى ذلك، أن السياسات الثقافية الاستعمارية قد اتت أكلها، وأن نظام الاوضاع الحالى، اصبح ضربة لازب وقضاءا محتوما. فى تقديرى ان الاجابة على ذلك، تتوقف على مستقبل حركة الثقافة فى جمهورية الصومال ولكن اذا استمرت السياسات الثقافية على نمطها الحالى باعتبارها امتدادا للثقافات الاستعمارية، فان الصورة العامة للصومال الكبير ستكون قابلة لمزيد من فرص التآكل والانقسام، اذ قد تبرز الجبهة العفرية مطالبة باطار خاص داخل جيبوتى بالاضافة الى الحركات التى اشرنا اليها.

ان الخلاص فى نظرى، يستوجب بروز سياسة ثقافية جديدة تقوم على استعادة عنصرى اللغة العربية والدين واعادة كتابة اللغة الصومالية بالحرف العربى ورد أهل الصومال الى البيئة الثقافية والبنية الحضارية التى استهدفتها الهجمة الاستعمارية. ومع بروز هذا التيار وغلبة سياساته وثقافته تنفتح المجالات لنهضة صومالية قد تستوعب كل اهل الصومال فى اطار عقد اجتماعى ثقافى ـ سياسى جديد ونمط حضارى جديد قد يؤثر على اعادة تشكيل الخرطة الحضارية فى كل منطقة افريقيا الشرقية والله اعلم «وقل رب زدنى علما».

استبانة (١) بخصوص حاضر الثقافة الاسلامية فى الصوما

١ ـ ضع هذه اللغات حسب ترتيبها فى الاستعمال اليومى للمجتمع؟
أـ العربية.
ب ـ الفرنسية
ج ـ الايطالية
هـ ـ الانجليزية
٢ ـ ضع اللغات حسب ترتيبها فى الاستعمال الرسمى؟
أ ـ الفرنسية
ب ـ الايطالية
ج ـ الانجليزية
د ـ العربية
٣ ـ ضع هذه اللغات حسب ترتيب استعمالها فى التدريس فى الجامعة الوطنية؟
أ ـ الفرنسية
ب ـ العربية
ج ـ الايطالية
د ـ الانجليزية
٤ ـ أحب الكتب الى نفسك؟
أ ـ بالصومالية
ب ـ بالعربية
ج ـ بالانجليزية
د ـ بالايطالية
٥ ـ هل تملك مصحفا؟
١ ـ نعم
٢ ـ لا
٦ ـ الحرف اللاتينى مناسب لكتابة الصومالية؟
أ ـ مناسب
ب ـ غير مناسب لماذا؟
ج ـ الحرف العربى مناسب لكتابة الصومالية؟
أ ـ مناسب
ب ـ غير مناسب لماذا؟
٨ ـ اللغة العربية كلغة ادارة؟

أ ـ مناسبة
ب ـ غير مناسبة لماذا؟
٩ ـ هل تؤدى الصلاة؟
أ ـ بانتظام وفى المسجد
ب ـ بانتظام حيث ماتيسر
ج ـ اصلى احيانا
د ـ لا أصلى
١٠ ـ هل تقرأ القرآن؟
أ ـ بانتظام
ب ـ احيانا
ج ـ لا أقرأه
١١ ـ هل تستمع للاذاعة؟
أ ـ بانتظام
ب ـ احيانا
ج ـ لا استمع
١٢ ـ اى الاذاعات والبرامج تسمع؟
أ ـ العربية
ب ـ الصومالية
ج ـ الاجنبية حددها وباي لغة
١٣ ـ فى مجالات الثقافة تهوى الاطلاع على كتب
أ ـ الادب العربى
ب ـ الادب الانجليزى
ج ـ الادب الايطالى صنفها بالترتيب
١٤ ـ هل تطالع فى
١ ـ الشريعة الاسلامية
ب ـ الفقه الاسلامى «حدد»
١٥ ـ أيهما أفضل فى حقل التعليم النظامى كمدخل لتعليم الصغار؟
أ ـ البداية بالقرآن
ب ـ بالمعارف الحديثة؟

١٦ ـ هل توجد اتفاقيات ثقافية بين الدولة والدول الخارجية؟
أ ـ ماهى؟

ب ـ أهم عناصر الاتفاقيات فى مجال تنمية اللغة العربية
ج ـ أهم عناصر الاتفاقيات فى مجال تنمية اللغة الانجليزية
د ـ أهم عناصر الاتفاقيات فى مجال تنمية اللغة الايطالية
١٧ ـ الى أين تتجه معظم البعثات الدراسية؟
أ ـ دول أوربا الغربية وامريكا
ب ـ دول أوربا الشرقية وروسيا
ج ـ الدول العربية.
١٨ ـ ماهو وضع اللغة العربية فى مدارس الحكومة؟
١ ـ لغة التدريس
٢ ـ مادة دراسة
١٩ ـ هل تدخل فى تقييم الشهادة المدرسية؟
أ ـ اجبارية وتدخل فى تقييم الشهادة المدرسية
ب ـ اجبارية
ج ـ اختيارية
٢١ ـ هل تدرس الثقافة الاسلامية فى الجامعة؟
أ ـ تدرس
ب ـ لاتدرس
٢٢ ـ هل توظف الثقافة الاسلامية فى التعبئة العسكرية؟
نعم
لا
٢٣ ـ استكمال ضم الاراضى الصومالية فى الاوجادين وجيبوتى وكينيا؟
أ ـ واجب اسلامى
ب ـ واجب وطنى تكلم بايجاز فى هذه النقطة.
٢٤ ـ بعد الصراع مع اثيوبيا
أ ـ دينى
ب ـ وطنى وقبلى
٢٥ ـ اهم مرتكزات الحياة السياسية
أ ـ العامل الدينى
ب ـ العامل القبلى
ج ـ الافكار الحديثة «الاشتراكية أو العلمانية»
٢٦ ـ تتجه العمالة الصومالية الى :ـ
أ ـ ايطاليا ودول الغرب

ب ـ السعودية ودول الخليج
٢٧ ـ أشر الى اهم تأثيرات الثقافة الاسلامية على :ـ
أ ـ التعايش الاجتماعى رجالاً ونساء
ب ـ الزى وطرق اللبس رجالاً ونساء
ج ـ طرق الاكل
د ـ العادات، الزواج، الموت، الختان. . . . الخ
هـ ـ الاحتفالات والأعياد
٢٨ ـ بعض مظاهر تأثير العربية على الصومالية؟
٢٩ ـ مظاهر تأثير اللاتينية على الصومالية؟
٣٠ ـ ماهو موقف السلطة من الدعوة للاسلام؟
أ ـ على صعيد بناء المساجد وخلاوى القرآن
ب ـ مجال التعليم
ج ـ الجمعيات الاسلامية
د ـ العمل الاجتماعى
هـ ـ العمل الثقافى الرسمى «الاذاعة والتلفزيون»
٣١ ـ صلة السلطة بمراكز الدعوة والمساجد
أ ـ السيطرة التامة
ب ـ أمرها موكول للمصلين
ج ـ السيطرة على ماشرع من مراكز ومساجد
٣٢ ـ ماهو دور المساجد فى الدعوة؟
أ ـ خطب الجمع
ب ـ دروس الفقه
ج ـ تعليم الاطفال
د ـ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

أهم الطرق الصوفية	ثبوتها	نشأتها	عضويتها	مجال الاهتمام :
				اذكار، تعليم، عمل اجتماعى.

٣٤ ـ دور المؤسسات الاسلامية فى خريطة العالم الاسلامى والوكالة الاسلامية؟

٣٥ ـ

المؤسسات الشعبية الاسلامية	المؤسسون	العاملون	الوظيفة

٣٦ ـ التفاعل الاجتماعى بين الرجال والنساء
أ ـ اختلاط فى الاسواق
ب ـ اختلاط فى المعاملات
ج ـ اختلاط فى التعليم تحت الجامعى
د ـ اختلاط فى التعليم الجامعى
٣٧ ـ الزى الاسلامى
أ ـ سائد وسط الشابات
ب ـ وسط سائر النساء
ج ـ لايوجد
٣٨ ـ وضع المرأة فى المجتمع؟
فى مجال الميراث، الاسرة، العصمة. . . . الخ.
٣٩ ـ وضع المرأة فى قانون الأحوال الشخصية، وتشريعات العمل.
٤٠ ـ نسبة الأمية وسط الرجال والنساء

بسم الله الرحمن الرحيم

مذكرة مقدمة للجنة الوطنية المختصة بالاهداف والسياسات التعليمية (١٩٧٦)

التعليم الاسلامى فى كينيا :

يكون المجتمع المسلم فى كينيا جزءا كبيرا من التعداد الكلى لسكان البلاد وتتمثل هوية هذا المجتمع المسلم فى تقاليد العقيدة الاسلامية التى يمارسها المسلم فى حياته اليومية، والتى تشمل مظاهر روحية وثقافية. لهذا السبب يرغب المسلمون فى كينيا ان يكتسب ابناؤهم منذ سن مبكرة معرفة دائمة وسليمة لمبادىء العقيدة الاسلامية وممارستها، وكذلك لان الكتاب والسنة يحثان المسلم على العلم والمعرفة فى المجالات الروحية والمادية للحياة الانسانية. وفى السنوات الاخيرة ادخل التعليم اللادينى بنجاح الى ميدان التعليم الدينى الاسلامى. وبينما يرجع الفضل فى هذا الى السياسة الواعية لحكومة كينيا فمازالت هناك ضرورة كبيرة لتفهم افضل ومساندة من جانب السلطات التعليمية. لذلك فان التعرف بوضوح على النقاط التى تتطلب عناية خاصة فى هذا الميدان تؤدى الى امكانية التعاون الفعال بين الحكومة والمجتمع المسلم لتطور وتقدم التعليم الدينى الاسلامى فى انحاء البلاد.

وبالرغم من ان المسئولين عن التعلم واللجنة المكلفة من قبل الحكومة للنظر فى مشاكل التعليم فى كينيا يقران اهمية التعليم الاسلامى، غير انه ذكر فى تقرير اومند ( ) لعام ١٩٦٤م بعض الملاحظات الخاطئة عن المسلمين فى البلاد. ومن ذلك ان عدد المسلمين فى كينيا قدر باقل من الحقيقة، عندما وصف هذا العدد بانه ربما لا يقل عن ٣٠٠ر٠٠٠ (فقرة ٥٨ كذلك ذكر التقرير الاحمديين (القاديانيين) ضمن الطوائف المسلمة التى تسكن البلاد (فقرة ٧٦) ومن جهة فلا داعى لما جاء فى التقرير من تمييز بعض الجماعات الاسلامية كالصوماليين، والجالا والبوران عن بقية المجتمع المسلم (فقرة ٧٦) ويمكن علاج مثل هذا الفهم الخاطى بايجاد حوار منهجى بين المجتمع المسلم من جهة والسلطات الحكومية من جهة اخرى.

ولتسهيل وجود مثل هذا الحوار وللتأكد من استمرار تطوير التعليم الاسلامى تطورا سليما ومناسبا للمعايير العصرية فنقترح الاجراءات العملية الملخصة فى الآتى :

توصيات وملاحظات :

(١) هيئة الرعاية :

اقـترح فى تقرير اومند بان تكلف منظمة مركزية للجماعة الدينية المعنيه بواجب مراقبة التـدريس الدينى، فمن الاهمية بمكان وجود هيئة مسلمة (مثل المجلس الاعلى لمسلمى الكينيين) تتولى امر هذه المراقبة وكذلك تقوم بالحل الوسط فى الحوار بين الحكومة والمجتمع المسلم فى المسـائل المتعلقة بالتعليم الدينى للعقيدة الإسلامية فى البلاد. والهيئة المقترحة يمكنها مساعدة وزاره التربية والتعليم على وجه الخصوص، وبالطرق الاتيه :

١) يمكنها لمساعدة فى ضم مدرسين جدد مناسبين لتعليم الدين الاسلامى بمختلف المدارس فى البلاد، بالتعرف على قدراتهم ومؤهلاتهم التعليمية.

٢) لفت انتباه المسئولين عن التعليم لأى تحاملات، او مفاهيم لا اساس لها من الصحة - او افكار خاطئة عن الاسلام التى قد تتضمنها بعض المواد المقررة للدراسة فى المدارس بأنحاء البلاد.

٣) تمد السلطات بارشادات شاملة فيها يخص فلسفة تعليم وتربية المسلم والكيفية المثلى لتحقيقها.

التدريب الاكاديمى والبحوث :-

تأييد ما جاء فى تقرير «أومند» من أن التعليم الدينى يجب اعتباره كمادة أكاديمية فى المجال التعليمى (فقرة ٦٩) وقد بذلت السلطات الحكومية بعض الجهود الفعالة للعناية بالتعليم الدينى ورفع مستواه - وصبغة بالصبغة الاكاديمية. ويقترح اتباع الخطوات الاتية لتطويره على أسس سليمة :

أ) يجب على الحكـومـة البـدء فى تنفيذ نظام لتدريب معلمى الدين الاسلامى على جميع المستـويات التى تدرس فى المدارس . واولئك الذين تم تدريبهم فيمكنهم الاستفادة من الدورات التعليمية لتحديد معلوماتهم والاضافة اليها، وللتدريب لمستوى أفضل.

ب) يجب على الحكـومـة ان تبحث بجدية مسألة ابتعاث بعض الطلبة للدراسة الجامعية والعليا فى حقل الدراسات الاسلامية محليا وفى الخارج.

ج) يجب تعيين مفتش متفرغ للمواد الاسلامية، مؤهل فى الدراسات الاسلامية ليشرف على تدريس المواد الدينية فى المدارس الابتدائية وكذلك الثانوية.

د) ويجب على الحكومة التفكير فى تكليف مجموعة من ذوى الخبرة فى الدارسات الاسلامية بقصد القيام بدراسة شاملة ومنهجية للتعليم الاسلامى فى البلاد. واحدى الاحتياجات التى

حددها تقرير أومند فى حقل التعليم الاسلامى هى وضع برنامج تعليمى متفق عليه، وبالفعل تم وضع وتنفيذ برامج منفصلة للمستويات الابتدائية والثانوية.

ومع ذلك يقترح ان تشترك لجنة من رجال التعليم المسلمين فى اعداد برنامج تعليمى للمستوى العالى ونقليات المعلمين والمجهودات التى تبذلها الحكومة لرفع مستوى تدريب المعلمين والبحث العلمى مستعينة بخبراء فى هذا المجال يمكن ان تكون مكملة للجهود التى يبذلها المجتمع المسلم بالفعل فى هذا الصدد.

ويرى اهمية ان تتخذ الخطوات المشار اليها سابقا بعد استشارة وتنسيق مكثفين مع هيئة تمثل المسلمين، وكذلك بمساعدة الاقسام المختصة بجامعة نيروبى.

اجراءات لحماية تعليم الدين الاسلامى :-

فى ظروف تعدد الأديان الراهنة التى تسود كينيا من الضرورى أن تسهم كل عقيدة اسهاما كافيا لتحقيق الوحدة الوطنية ولتجنب خطر الاحتكاك والصراع بين الاديان المتعددة باحترام السمة الفريدة والذاتية لكل عقيدة دينية ولهذا تذكر التوصيات الاتية :

أ) يجب وقف العادة الشائعة فى بعض المدارس والتى يفرض فيها على التلاميذ المسلمين تعلم علوم الانجيل والاشتراك فى الطقوس المسيحية كذلك يعترض المسلمون على ماتفعله المنظمات المسيحية فى بعض المناطق من توزيع الكتب المسيحية وبعض الاشياء ذات المغزى الرمزى او المقدس فى العقيدة المسيحية على التلاميذ المسلمين (الصليب مثلا)

ب) بما ان وجهة النظر المميزة لعقيدة دينية لايمكن فهمها بدقة الا من داخل هذه العقيدة لذلك يجب ان لايقوم بتدريس الاسلام الا مدرسين مسلمين.

ج) جاء فى تقرير أومند، ذكر لمسألة تدريس الاديان المختلفة ومقارنتها فى المدارس بدلا من تدريس عقيدة التلميذ الدينية (فقرة ٦٦) وبالرغم من ادراك قيمة مثل هذه الدراسة، غير أنه يجب ان يحصل الطفل اولا على معرفة تامة بالعقيدة التى ينتمى اليها. لذلك يجب ان تستمر المدارس فى تدريس التلاميذ كل عقيدته الدينية.

فى المستوى الجامعى يستطيع من يرغب من الطلبة فى معرفة المزيد عن الاديان الاخرى ان يقوم بدراسة مقارنة للاديان عندما يكتمل ادراكه بشكل كاف لاستيعاب التباين الملازم الفلسفات الدينية. ومن المؤكد ان اية محاولة لبدء مثل هذه الدراسة على مستوى المدارس يمكن ان يؤدى الى حيرة نتيجة لقدرات التلميذ المحدودة فى هذه المرحلة.

٤) تعليم اللغة العربية :-

التأكد على أهمية تعليم اللغة العربية نظرا للحقائق الآتية :-

أ) انها ضرورة لفهم وممارسة تعليم الاسلام .
ب) لأهمية اللغة المتزايدة فى الشئون الافريقية والعالمية.
لذلك يجب ادخال تعليم اللغة العربية لفائدة التعليم الاسلامى وكذلك لدورها الهام فى اقامة علاقات ودية مع الدول.

٥) اعداد خاص لما يلزم فى نظام التعذية والاحتفالات الدينية والعبادة :-

٤) تمشيا مع حرية العبادة التى كفلها الدستور الكينى فالحاجة ملحة لاتخاذ الاجراءات الاتية حتى يستطيع الطلبة المسلمون من المحافظة على المبادىء الاساسية لعقيدتهم الدينية بدون صعوبات أو معوقات.
أ) يجب احترام تعاليم العقيدة الاسلامية فيما يختص بالنظام الخاص لتناول الطعام فى المدارس الداخلية، حيث يقيم الطلبة المسلمون، خاصة اثناء شهر رمضان حيث يحتاج الامر الى تعديل مواعيد ونظم التغذية ومعاونة وزارة التعليم مطلوبة لتعميمها للنظام الآتى :-
يقدم للطلاب وجبة أساسية بعد منتصف الليل وقبل الفجر (السحور) وعند غروب الشمس يتناول الطالب وجبة خفيفة لافطاره ويتبعها صلاة العشاء، وبعد ذلك يقوم له وجبة العشاء، وهذا النظام متبع بالفعل فى بعض المعاهد ولكن فى معظمها يتناول الطلبة وجبات خفيفة غير مغذية لعدم توافر الامكانيات فى المدارس
بالاضافة الى ذلك يجب اعفاء الطلبة - بسبب صيامهم - من بذل جهود كبيرة كالالعاب الرياضية .
ب) كذلك مطلوب تقديم اللحوم المذبوحة على الطريقة الاسلامية والماكولات الحلال للطلبة والتلاميذ فى السكن الداخلى بحيث يقدم لهم وجبات الغذاء ويجب ان لا يقدم لهم المأكولات المحرمة كلحوم الجنزير.
ج) يجب توفير مكان ملائم فى المدارس والكليات لاقامة الصلاة والشعائر الدينية
د) يعترض بعض العلماء على ارتداء بناتهم للزى المدرسى القصير، ولايسمح أخرون لهن بتعليم السباحة، فمن المطلوب اذا اعرب ولى الامر عن رفضه لهذا فعلى المدرسة السماح للتلميذة بارتداء سروال (وعدم معاقبيتها على رفضها تعلم السباحة).
هذه التوصيات والملاحظات صادرة عن تقدير المسلمين العميق والمخلص لدور التعليم

فى تطوير البلاد، ويجب اعتبار التأكد على ضرورة اعارة التعليم الاسلامى اهتماما أكثر مما بذل حتى الآن امرا يتعلق بحقيقة ان المجتمع المسلم جزء مكمل لهذه الامة، وتؤكد عزمكم الثابت على المشاركة فى التطور التعليمي للبلاد عامة. ولكن من الضرورى حماية التعليم الاسلامى بايجاد وعى بين المسئولين عن التعليم عن مدى اهتمام الاباء المسلمين فيما يخص تعليم ابنائهم للمبادى - الاساسية لعقيدتهم الدينية. وعندما تتخذ الحكومة الاجراءات اللازمة لحماية التعليم الاسلامى، وتساعد على نشر وعى عام عن أهميته تكون بذلك خطت خطوات واسعة لتأكد شعور المسلمين بأنهم جزء لايتجزأ من البلاد.

هذه المذكرة رُفعت فى مظاهرة قوامها مائة ألف مسلم فى اديس ابابا فى عام ١٩٧٤ فى زخم حركة الثورة الاثيوبية . ولأول مرة فى تاريخ مسلمى اثيوبيا فى الهضبة يتحركون حركة ذاتية كهذه، مما لفت انظار العالم إلى ان اثيوبيا فى مرحلة انتقال وتغيير وأن العامل الإسلامى سيؤثر على اثيوبيا وبالتالى كل منطقة القرن الإفريقى وأنه ليس من المستبعد أن تتحول اثيوبيا الى دولة إسلامية بعد أن ظلت محتضنة للصليب زهاء الاف وخمسمائة عاماً .

Miazia 7, 1966
To: H. E. Lij Endalkachew Mokonen
Prime Minister
From: Ethiopian Moslems
Your Excellency:

It is well known that H.I.M. Hails Selassie I, having graciouely gifts to his people the first written constitution continously revised it according to the demands of time and the wishes of the Ethiopian people. Again very recently, the Emperor ordered a revision of the consitiution with the expressed intention of allowing the Ethiopian people agreater measure of participation in the government and thereby eliminate the causes of the social and econmic problems that our country is going through now.

We believe that only when each and every Ethiopian is treated equally and with justice irrespective of religion or tribe or social status will the people of Ethiopia succeed in keeping its territorial integrity and bringabout the desired social and economic progress.

Itappears the new government led by your Excellency had realised this prime problem and consequently invited all Ethiopians to cooperate and aid the commission set up to revise the constitution by sending suggestions and ideas. it is in response to this call that we would like to present concrete, constructive, lasting and beneficial proposals, and we are confiedent that the new cabinet will give our demands the most urgent attention

We wish to mention a few instances as to how the present and previous constitution were the source of evil and injustice, so that the revised constitution will correct them. The adoption by the government of a certain religion as state religion automatically alienated and discrimnated against the other childern with the consequence that the followers of these other religoins were relegated to second class citizens. The Ethiopian Moslems suffered the most in the respect in that:

a) It made them reluctant to send their children schools which were christian orientated for fear that their childern be persuaded to adopt christianity.
b) It encouraged the favoured Ethiopian to abuse their privilege to the extent

of preventing Moslems from owning immovable property in certain regions of the country.

d) It encouraged the security to arbitraritly close a club whose purpose was to give young Moslems the opportunity for physical training and to know the teachings of Islam better.

There are only a few of the innumerable injustices the Ethiopian Moslems have been suffering for years. One way of eliminating these injusices would be to constitutionally recongise all religions professed by Ethiopians at least the major ones. But this step would obviously mean straining the already strained financial resources of the goverment and wasting more work-days by adding to the already long list of public holidays.

In the circumstances, therefore, we strongly believe that in the interest of equality for all Ethiopians and in the interest of stability, and economic and social progress for our country, the revised constitution should make the government secular and leave religion to the care of its followers.

If the government and religion cannot be separated, th en we Ethiopian Moslems respectfully request your excellency and your cabinet to see to it that the necessary constitutional changes are made so that the fulfilment of the following demands would be possible.

1. We demand that Islam be constitutionally recognized and given equal status accorded to the Orthodox church.

2. The Ethiopian Moslims require the establishment of the office of the Mufti which will head the Moslims in all matters ecclesiastcal. The office of the Mufti should therefor be legally constituted and invested with legal personality. This office should be named by the Mufti and his deputies to be democratically elected by a Tribune of Scholars and generally by the followers of Islam. the administration of the office sh ould be regulated by law and the government should allocate the necessary funds to run it.

3. Proclamation No. 62 of 1936 (E.C.) which provides for the establishment of Sheria Courts has been in force for a long time. For reasons unkown to us, this proclamation has been repeated by article 3347 sub.art.1 of the Civil Code. Thus the Sheria Court was deprived of its legal basic. sheria Court should now be reformed and organized in the manner and spirit envisagedby the Holy Koran. This reformed Sharia Court should be reinstituted as an indpendant body recognized by law and provided for into a budget should be alloted for it by the government.

4. The Moslim holidays should be declared Public Holidays and celebrated as such.

5. simmilar proclamations issued for the establich of Y.M.C.A., and Y.W.C.A., a proclamation should be published in the Negarit Gazetta to enable us organize associations such as Y.M.M.A., Y.W.M.A, and the like.

6. Generally it is our belief that there should be land reform. however, we would like to draw your attention here to anomalus situation prevalent in some regions of Ethiopia where Moslims are deprived to their right to own land. This state of affairs, giving rise to unequal and discrimintory treatment of citizens should be immediately abolished by law.
7. The unequal and discriminatory practice indicated above renders the often repeated saying of the Emperor "The country is common to all but religion is a private affair" meaningless. The time has now ripened to translate this saying into practice.
8. We demand the Ethipian Moslems, hither to predominantly confined to trade and agriculture, would like of to fully participate in 'all the affairs of the government in order that we too may be able to contribe our share. To bring this into fruition the removal of all the obstacles that stand on our way will be mandatory so so that we can fully participate in the following endeavers:

   A) Provincial administration,
   b) administration of justice,
   c) service in the armed forces,

   and genrally in all othe governmental ministries and organizations.
9. We demand the support of the government in our efforts to spead Islam. Among the kind of supports the government can give us, we would like to cite the following:

   a) allowing Islamic missionaries to operate in Ethiopia,
   b) Allocating fund for missionary activities which are Ethiopian based,
   c) Establishing training institutions for those who will be engaged in missionary activities.
10. Further, permission should be granted to us in order that we may be able carry missionary activities through the radio, TV. nd other news media.
11. Whenever reference is made to us through the news mede ad is the practice to designate us "Moslims found ie Ethiopia. We find this enraging not only because it is misleading in that it gives an impression that we are expatriates, but also beacuse it creates in us a sense of non-belongingnese in the very country of our ancestors. To rectify this situation, we demand, what whenever refrence made to that we be called Ethiopian Muslims. It is our belief that the citizens of any country, irrespective of their religlens affilations, should be accorded equal treatment.
12. As it is the practice to provide religions teachings of one denomination in public schools, we also demand that that Islmic religious teachings be incorporated in the curriculum and taught in the schools.

13. We demand that the government should establish mosques in all areas of Ethiopia where there is need. These mosques shuld be provided with all the means necessary to run them. So far, the means to administer them has been provided for through donations and contributions from the followers of Islam. Since these mosques have no other means of suport, we further, demand that they be exempt from all taxes and import duties.

In the above we presentesd two alternative solutions with a clear preferance on our part of the first one since it will resolve the plight not only of Moslims but also that the the followers of other religions. We have no doubt that the new cabinet is aware of the problems we raised. However it is our intention to draw its attention to give top priority in the list of the urgent national problems to be dealt by it.

● نموذج الحروف الهجائية العثمانية لكتابة اللغة الصومالية المنسوبة لعثمان يوسف كنديد

ب	ت	د	ذ	ك	ح	ح
b	t	d	d	k	g	j

ف	س	ش	ح	ح	ق	ه
f	s	Sh	kh	h	c	h

م	ن	ل	ل
M	n	r	l

W	y	ÿ	و

i	e	a	o	u
ii	ee	aa	oo	uu

● نموذج الحروف اللاتينية لكتابة اللغة الصومالية مقارنة بالحروف الهجائية العربية.

A	B	C	D	E	F	G
أ	ب	ع	د	ا	ف	ج
H	I	J	K	L	M	N
هـ	ا		ك ا	ل	م	ن
O	P	Q	R	S	T	U
ه		ق	ر	س	ت	أُوْ
V	W	X	Y	Z		
ڤ ا	و	حـ	ى	ز		

مصادر الدراسة (المقابلات الميدانية)

أولا: المقابلات وقد تمت كلها فى فترة العمل الميدانى للصومال وجيبوتى وكينيا واثيوبيا فى الفترة مابين ٢٦ محرم ١٤٠٥ - ٢٦ صفر ١٤٠٥ - ٢١/ ١٠/ ١٩٨٤ ٢٠/١١/١٩٨٤ وكذلك الفترة مابين ٢٠ يونيو ١٩٨٦ - ٢٨ يوليو ١٩٨٦ وبعض هذه المقابلات كان عبارة عن معايشة يومية مع بعض المسئولين الذين استضافونا فى منازلهم ومكاتبهم وقد طلب بعضهم عدم ذكر اسمائهم.

١ - السيد وكيل وزارة التعليم فى جيبوتى.
٢ - السيد - قاضى قضاة جيبوتى.
٣ - السيد مدير المكتب الاقليمى للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمقديشو.
٤ - السيد مدير الشئون الدينية لجمهورية الصومال.
٥ - السيد مدير الاكاديمية الوطنية للعلوم والاداب والفنون مقديشو.
٦ - السيد مدير القسم العربى بالاذاعة الصومالية بمقديشو.
٧ - السيد المدير السابق للقسم العربى بالاذاعة الكينية.
٨ - السيد مدير التعليم فى المديرية الشمالية الشرقية بكينيا.
٩ - السيد احمد حسن على سكرتير جمعية الشبان المسلمين بجاريسا كينيا
١٠ - الشيخ محمد اول ابراهيم، مفتى ومعلم ومدير لمدرسة جاريسيا الملحقة بمسجدها.
١١ - الشيخ محمد خليف ولدادم، شيخ الطريقة الصالحيه بجاريسا وامام مسجدها.
١٢ - الشيخ مطيع الرسول مدير المركز الاسلامى بجاريسيا.
١٣ - الشيخ محمد اسلم اعوان مدير المركز الاسلامى بسيولو
١٤ - الشيخ محمد سلفى عبد الستار مدير مدرسة النجاح بسيولو.
١٥ - السيد عثمان صالح سبى رئيس جبهة التحرير الارترية - التعظيم الموحد.
١٦ - السيد شيخ الطريقة القادرية ببيول (الحدود الاثيوبية - الصومالية).
١٧ - شيخ الطريقة الاحمدية بمقديشو.
١٨ - السيد مدير مدرسة الفلاح العربية بجيبوتى.

هذا بالاضافة الى نتائج تحليل الاستبانة المرفقة والتى وزعت فى مقديشو، بيدوا «مدينة فى جنوب الصومال» وجيبوتى وبالاضافة الى مئات اللقاءات والمناقشات العادية فى معسكرات اللاجئين ومع الاهالى العاديين.

المخطوطات: (مصادر) يتم ذكر اسم المصنف اولا، ثم اسم المخطوط فاسم الناسخ، فتاريخ النسخ، حينما لايوجد اسم مصنف أو ناسخ نذكر اسم المصدر - أى الذى وجد معه المخطوط.

١ ـ ابو اسحاق ابراهيم بن على الفيروز ابادى، في اصول المذهب الشافعي دون اسم ناسخ.
٢ ـ ابو الحسين على بن احمد الواحدى كتاب الوسيط فى تفسير القرآن الكريم، الناسخ شيخ شريفو شيخ مختار (دون تاريخ نسخ).
٣ ـ احمد البدوى، صلوات البدوى، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
٤ ـ (الشريف) العلوى الحداد «رسالة المريد» دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
٥ ـ ابو الحسن طاهر باشا «كتاب علم اللغة» دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ
٦ ـ ابو حامد الغزالى، المنقذ من الضلال، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
٧ ـ ابو حامد الغزالى، منهاج العابدين، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
٨ ـ احمد بن محمد الحجى، كتاب المنبهات، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
٩ ـ احمد بن محمد بن عطاء الله السكندرى، جمع الجواهر فى لب الاصول دون ناسخ اوتارخ نسخ.
١٠ ـ ابو عبدالله محمد بن سعيد بن حسين البوصير، قصيدة الكواكب الدرية المخمسة فى مدح من شرف الله، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
١١ ـ ابو عبدالله بن يوسف السنوسى الحسينى جمع عقائد التوحيد بدون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
١٢ ـ ابو عبدالله محمد بن على السقراطسى المقرى: درة الوسيلة فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم. دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
١٣ ـ ابومنصور بن عبدالملك بن اسماعيل الغماتى، مخطوطة فى خصائص اللغة دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
١٤ ـ ابوبكر محمد بن الحسين بن دريد بن العتاهية، فى اللغة والادب دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
١٥ ـ الامام بن سفرين، تعبير الرؤيا، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
١٦ ـ العقد النفس ونزهة الجليس وزينة التبرير دون اسم مصنف وناسخ او تاريخ نسخ.
١٧ ـ حسن يوسف محمد على تنبيه مختصر فى احكام النكاح، دون اسم ناسخ.
١٨ ـ خبر المعراج بالبيان والتفصيل دون اسم مصف او ناسخ.
١٩ ـ رسالة فى التصوف، دون اسم مصنف او نساخ او تاريخ.
٢٠ ـ سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الاهدل، كتاب المنهل الروى فى الحديث النبوى (دون اسم ناسخ).
٢١ ـ شرح مفيد فى مؤلف قرة العين بمهمات الدين دون مصنف او ناسخ او تاريخ.
٢٢ ـ شرح الارشاد مع ما فى شرحييه جواهر النفائس ونفائس الجواهر دون ناسخ او مصنف

او تاريخ نسخ.
٢٣ - شرح عنوان الحكم، دون اسم مصنف او ناسخ او تارخ نسخ.
٢٤ - شرف الدين اسماعيل بن ابى بكر المقرى، الارشاد الحاوى فى مسالك الحاوى الناسخ، عبدالشكور بن الشيخ احمد، دون تاريخ نسخ.
٢٥ - شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى، الفتاوى الحديثة، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
٢٦ - عبد الرحمن الاخضرى، السلم المرونق، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
٢٧ - عبد الرحمن الخضر، مختصر شرح السلم، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
٢٨ - عبدالله بن عبدالبارى الاهدل، السيف البتار فى حكم معاملة الكفار دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
٢٩ - عبدالله محمد بن احمد المحلى، وعبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى، تفسير الجلالين للنصف الأول من القران، الناسخ ازكوب بن معلم عثمان، دون تاريخ نسخ.
٣٠ - فتح الرحمن فيما لابد منه من الاسلام والايمان (دون اسم منصف أو ناسخ أو تاريخ نشر).
٣١ - قصيدة شمس الايمان، دون اسم منصف او ناسخ او تاريخ نسخ.
٣٢ - كتاب الخراج، دون اسم منصف او ناسخ أو تاريخ نسخ.
٣٣ - محمد بن ابى بكر، كتاب الجواهر وعقود الفضائل فى فنون الفوائد فى علم اصول الدين، على مذهب الامام ابى حنيفة، البناسخ حسن بن موسى ابن ابراهيم دون تاريخ نسخ.
٣٤ - محمد بن محمد بن مالك، شرح لامية الافعال لمحمد بن مالك، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.
٣٥ - معمر بن يحى بن ابى الخير بن عبد القوى، شرح قطر الندى وبل الصدى، لابى محمد عبدالله جمال الدين بن هشام دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ.

٣٦ - منظومة فى أحوال السؤال فى القبر، دون اسم مصنف أو ناسخ أو تاريخ نسخ.
٣٧ - يحى بن شرف النووى، الأربعون النووية من مبانى الاسلام، دون اسم ناسخ او تاريخ نسخ
٣٨ - يحيى بن شرف النووى (منهاج الطالبين فى الفقه)، دون اسم ناسخ أو تاريخ نسخ.

المصادر العربية من الدراسات المنشورة :-

١ - ابو العباس احمد بن على القلقشندى، صبح الاعشى فى صناعة الانشاء نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة

.١٩٦٣
٢ - الحاج اسماعيل بن السيد محمد سعيد القادرى، الفيوضات الربانية فى المأثر والاوراد القادرية، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، دون تاريخ نشر.
٣ - الشيخ الفقيه بن شيخ محمد أبى بكر القادرى، مجموعة مباركة مشتملة على الآتى :-
- عقيدة أهل السنة والجماعة.
- سراج الظلام فى سلسلة السادة الكرام.
- تحذيرات بليغة تسمى بالسكين الذابحة على الكلاب النابحة .
- نصرة المؤمنين على المردة الملحدين مع بقية احكام الدين.
- أنيسة العاشقين فى تذكرة المحبين.
مطبعة المشهد الحسينى، القاهرة، دون تاريخ نشر.
٤ - احمد بن ادريس الفاسى، العقد النفيس فى جواهر التدريس، مطبعة مصطفى بابى الحلبى، القاهرة ١٣٧٢ - ١٩٥٣م.
٥ - احمد عبد الله ريراش، كشف السدول عن تاريخ الصومال وممالكهم السبعة مقديشو ١٣٩١، دون اسم ناشر.
٦ - ابو محمد الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر، المجموع الحاوى، مولد التقريب الى الله تعالى والى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم. مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة ١٣٩٧/١٩٧٧.
٧ - (الشيخ) اويس بن محمد القادرى، مولد الشرفان فى مدح سيد ولد عدنان، المكتبة الاسلامية، مقديشو ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.
٨ - ابراهيم الرشيد، اعطار ازهار اغصان حظيرة التقديس فى كرامات العالم السيد احمد بن ادريس، طبعه صالح محمد الجعفرى الحسينى، القاهرة ١٢٩٤٠ - ١٩٧٤م.
٩ - ابو عبد الله محمد بن سليمان الجزولى، هذه دلائل الخيرات، ويليه قصيدة البردة للشيخ محمد البوصيرى، دار احياء الكتب العربية دون تاريخ نشر.
١٠ - حسن بن احمد بن عبد الله بن عاكش، مناظرة بين السيد احمد بن ادريس وفقهاء النجدية وناصر الكبيبى، القاهرة، ٢٩ يونيو ١٩٣٧.
١١ - عبد الرحمن بن الشيخ عمر العلى القادرى، الجوهر النفيس فى خواص الشيخ اويس، مطبعة الدولة مقديشو، دون تاريخ نشر،
١٢ - عبد الرحمن الشيخ عمر الصومالى، مذهبة الاحزان فى نظم خاصة اهل الايقان، دون تاريخ
١٣ - عبد الرحمن الزيلعى، كتاب الفيض الرحمانى، فى نبذة من مناقب القطب الجيلانى، دون ناشر او تاريخ نشر.

١٤ ـ عبد الرحمن الزيلعى، مجموعة مشتملة، تشمل تسع وثلاثين قصيدة له بالاضافة الى ثلاث من قصائد تلاميذه، مكتبة الجندى، القاهرة لاون تاريخ تنشر.
١٥ ـ عرب فقيه، شهاب الدين احمد بن عبد القادر الجيزانى، تحفة الزمان، أو فتوح الحبشة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مطابع الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة ١٩٧٥.
١٦ ـ على حاج ابراهيم، ارشاد الاذكياء فى حكم التوسل بالأولياء ويليه المواهب الربانية فى حكم شطحات الجيلانية، مطابع الحكومة مقديشو ١٩٧٧.
١٧ ـ على حاج ابراهيم، المرشد فيما مر فى المعارف الصومالية فى الاقليم الشمالى من المعارك العلمية والمناظرات الدينية، دون ناشر او تاريخ نشر.
١٨ ـ نور الدين على الصومالى الازهرى، هداية المستفيد فى علم التوحيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٨١ ـ ١٩٦١م.

الرسائل الاكاديمية الجامعية الصادرة باللغة العربية :ـ

١ ـ امال توفيق ابراهيم، مشكلات الحدود فى القرن الافريقى، اطروحة ماجستير، قسم الجغرافيا، معهد البحوث والدراسات الافريقية يوليو ١٩٧٧.
٢ ـ على الشيخ احمد ابو بكر، الدعوة الاسلامية المعاصرة فى القرن الافريقى، اطروحة دكتوراه، شعبة الدعوة، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة ١٩٨٥.
٣ ـ على شيخ عبد الله، دراسات فى الادب الصومالى الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الادبية، بغداد، يونيو ١٩٨٤.

منشورات رسمية :ـ

١ ـ المكتب الاقليمى للمنظمة العربية للثقافة والعلوم بمقديشو، دراسة مسحية عن المدارس القرآنية فى جمهورية الصومال الديمقراطية يناير ١٩٨٣.
٢ ـ جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، السياسات الزراعة العربية، الجزء العاشر، السياسة الزراعية لجمهورية الصومال الديمقراطية، الخرطوم، نوفمبر ١٩٨٣.
٣ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية، وزارة الاعلام والارشاد القومى، بلادى وشعبى، خطب مختارة لرئيس المجلس الاعلى للثورة، اللواء سياد برى ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤، مقديشو اكتوبر ١٩٧٥.
٤ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية، وزارة الاعلام والارشاد القومى، بلادى وشعبى، مختارات من خطب الرئيس سياد، مقديشو، اكتوبر ١٩٨٢.
٥ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية وزارة الاعلام والارشاد القومى، حملات مشروعات التنمية الوطنية، مقديشو ٢١ اكتوبر ١٩٨٤.
٦ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية، الصومال فى ظل الثورة، خمسة أعوام من الازدهار والتقدم، ١٩٧٤.

٧ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية، وزارة الاعلام والارشاد القومى، وسائل الاعلام فى خدمة الجمهورية، مقديشو ١٩٧٧ .
٨ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية، وزارة الاعلام والارشاد القومى، تعليمنا الثورى، استراتيجيته واهدافه، مقديشو يونيو ١٩٧٤ .
٩ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية، وزارة الاصلاح والارشاد القومى كتابة اللغة الصومالية، معلم عظيم من معالم تاريخنا الثورى مقديشو يونيو ١٩٧٤ .
١٠ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية، وزارة الاعلام والارشاد القومى، الحرب ضد القبلية وشرورها فى بلادنا، وكالة المطابع الحكومية. اكتوبر ١٩٨٣ .
١١ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية، الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى برنامج الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى «الثانى» مقديشو اغسطس ١٩٨٢ .
١٢ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية، الدستور، مجلس الشعب، مقديشو ١٩٧٩ .
١٣ ـ جمهورية الصومال «الدستور» النص النهائى للدستور مع التعديلات التى طرأت عليه حتى ٣١ ديسمبر ١٩٦٣، مقديشو، الجمعية الوطنية الصومالية.
١٤ ـ الادارة الايطالية، القائمة بالوصاية على الصومال، الجمعية التشريعية، قوانين اساسية للصومال، مطبعة الادارة الايطالية، القائمة بالوصاية على الصومال ١٩٥٦ .
١٥ ـ جمهورية الصومال الديمقراطى، نشرة رسمية، قانون العقوبات موجز الجزء الأول، اجراءات تشريعية وادارية، قانون رقم. . . . . الصادر فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٢، ملحق ١٠ الصادر فى ٢ اكتوبر مقديشو ١٣ يناير ١٩٧٣ .

١٦ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية، وزارة التربية والتعليم، اقرأ العربية، الكتاب الثانى، وكالة المطابع الحكومية مقديشو،
١٧ ـ جبهة تحرير الصومال الغربى، الصومال الغربى تاريخه السياسى والنضالى مارس ١٩٨٠ .
١٨ ـ دستور حزب وحدة الشباب الصومالى، مقديشو، مطبعة الحكومة الصومالية دون تاريخ نشر.
١٩ ـ وزارة الاستعلامات الصومالية، الكتاب الابيض، مقديشو ١٩٦٤ .
٢٠ ـ وزارة الاستعلامات الصومالية، انفدى مشكلة على الحدود، مقديشو ١٩٦٣ .
٢١ ـ قسم المرأة بالمكتب السياسى بالمجلس الاعلى للثورة، المرأة الصومالية فى البنيان الاشتراكى، مطابع الدولة مقديشو ١٩٧٥ .
٢٢ ـ قسم اللغات الاجنبية والصحافة، وزارة الاستعلامات الحرية الدينة فى اثيوبيا، اديس ابابا ١٩٦٦ .

المراجع الصادرة باللغة العربية :-

١ - أنور الجندى، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٩٨٢ .
٢ - أنور الجندى، الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا، الدار القوية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ .
٣ - بيركيت هابيتى سيلاسى، الصراع فى القرن الافريقى، ترجمة عفيف الرزار، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت ١٩٨٠ .
٤ - حمدى الطاهر، جيبوتى، امن البحر الاحمر، القاهرة، ١٩٧٧
٥ - جلال يحى، العلاقات المصرية - الصومالية، لجنة الدراسات الافريقية، القاهرة ١٩٦٠ .
٦ - جلال يحى، الصراع الدولى على الصومال، القاهرة ١٩٥٩ .
٧ - جواد فرح، جمهورية جيبوتى، مولد دولة، سجل تاريخى، مطبعة نهضة مصر ١٩٨٢ .
٨ - دولت صادق، شرق افـريقيا، دراسـة فى جغرافية الاسلام، بحوث المؤتمر الجغرافى الاسلامى الاول، المجلد الرابع، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض ١٥٠٤هـ .
٩ - راشد البراوى، الصومال الجديد، فلسفة وأمل، مكتبة الانجلو - المصرية، القاهرة ١٩٧٣ .
١٠ - سيرتوماس أزنولد، الدعوة الى الاسلام، تعريب د. حسن ابراهيم حسن عبد المجيد عابدين واسماعيل النحزاوى، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ .
١١ - صادق باشا المؤيد، رحلة الحبشة، تعريب رفيق بك العظيم وحقى بك العظم، مطبعة الجريدة، سراى البارودى، بيان الخلق، القاهرة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م .
١٢ - فتحى غيث، الاسلام والحبشه عبر القرون، القاهرة دون تاريخ نشر.
١٣ - عبد الله المشد، تقرير عن احوال المسلمين فى بلاد الصومال وارتيريا والحبشه، القاهرة ١٩٥٠ .
١٤ - عبد الصبور مرزوق ثائر من الصومال. . الملا محمد عبد الله الحسن القاهرة ١٩٦٤ .
١٥ - على ابراهيم عبده، مصر وافريقية فى العصر الحديث، المكتبة التاريخية ١٣، دار القلم.
١٦ - على احمد عدم :- الدناكل تاريخيا وبشريا، هرجيسا واليصومال ١٩٦٦ .
١٧ - عبد الرحمن زكى، الجغرافيون والرحالة العرب وماكتبوه عن الساحل الافريقى الشرقى فى العصور الوسطى، بحوث المؤتمر الجغرافى الاول، المجلد الرابع، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض ١٤٠٥هـ.
١٨ - مالك بن ببى، وجهة العالم الاسلامى، ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر، لبنان

. ١٩٧٠
١٩ ـ محمد عبد الفتاح هندى، تاريخ الصومال، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
٢٠ ـ محمد محمد امين، الصومال فى العصور الوسطى الاسلامية، الدارة العدد الثانى السنة العاشرة، محرم ١٤٨٥هـ.
٢١ ـ محمد على توريرى، الحياد الايجابى وسياسة الصومال الخارجية، مقديشو ١٩٧٠ .
٢٢ ـ محمد على عبد الكريم، عبد القادر شيخ عبد الله، عبد القادر شيخ يوسف، عمر علسو احمد، احمد جهاله محمد، تاريخ التعليم فى الصومال، وزارة التربية، مقديشو ١٩٧٨
٢٣ ـ محمد جامع محمد احمد، عبد العزيز جامع موسى، احمد عمر عبدى، كتاب التاريخ، الجزء الاول، معهد حلنى لاعداد المعلمين، الصومال دون تاريخ نشر.
٢٤ ـ يوسف فضل حسن، انتشار الاسلام فى افريقيا، مطبعة جامعة الخرطوم ١٩٧٩ .
٢٥ ـ يوسف فضل حسن، مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية فى السودان الشرقى، الدار السودانية للكتب، الخرطوم ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ .

النشرات والصحف والمجلات والدراسات العربية غير المنشورة :ـ

الدراسات العربية غير المنشورة (اوراق مؤتمرات) :

أ ـ أوراق ندوة تقوية اللغة العربية، المنعقدة بمقديشو تحت رعاية السكرتارية المركزية لحملة تقوية اللغة العربية فى الفترة ٦ ـ ٩ يوليو ١٩٨٦ .
١ ـ ورقة المكتب الاقليمى للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
٢ ـ ورقة البعثة الازهرية .
٣ ـ ورقة المكتب الاقليمى لرابطة العالم الاسلامى بمقديشو.
٤ ـ ورقة وزارة العدل والشئون الدينية .
٥ ـ ورقة البرنامج التعليمى عبر أجهزة الاعلام، اهدافه، مراحله، وتطوراته .
٦ ـ ورقة وزارة الاعلام حول دور وسائل الاعلام فى الحملة الوطنية لتقوية اللغة العربية .
٧ ـ ورقة على حسن محمد، اللغة العربية ومكانتها فى الصومال.
٨ ـ ورقة عبد الله الشيخ مرسل، الترجمة بين العربية والصومالية .
٩ ـ ورقة محمود اسماعيل عبد الرحمن، اللغة العربية كأداة للاعلام والتوعية فى النضال الصومالى .
١٠ ـ ورقة على شيخ عبد الله بلحو، أثر اللغة العربية على اللغة الصومالية
١١ ـ ورقة احمد جهاله محمد، دور اللغة العربية فى تنمية المجتمع الصومالى فى اطار ثقافته الاسلامية .
١٢ ـ ورقة وزارة الثقافة والتعليم حول اللغة العربية والتعليم العالى .

النشرات والصحف والمجلات:

١ ـ نشرة شهرية تصدر بالعربية والايطالية، الادارة الايطالية للوصاية على بلاد الصومال، المجلس الاقليمي للسكرتارية، العدد الخامس، ١ يوليو ١٩٥١، مطبعة الادارة بمقديشو.

٢ ـ صومـاليا كورير بالايطالى والانجليزى والعـربى، صحيفـة يومية يصـدرها السكرتير الادارى، الاثنين ١٧ سبتمبر ١٩٤٥م.

٣ ـ حامل الاخبار الصومالية، تنشرها كل اسبوعين هيئة الاذاعة، محمية الصومال، العدد ٨٥، هرجيسا ٧ ابريل ١٩٥٦م.

٤ ـ جريدة وحدة الشباب الصومالى «الوحدة» السنة السابعة، العدد الثانى الاحد ٢٤ ربيع الاول ١٢٧٨هـ الموافق ٢ يوليو ١٩٦٧، وكذلك الوحدة ١١ صفر ١٣٨٧ هـ الموافق ٢١ مايو ١٢٩٦٧.

٥ ـ صوت الصـومال، الثلاثاء ٩ سبتمبر ١٩٦٩، صحيفة اخبارية يومية تصدرها وزارة الاستعلامات الصومالية.

٦ ـ نجمـة اكتـوبـر، صحيفـة يومية تصدرها وزارة الاعلام والارشاد القومى بجمهورية الصومال الديمقراطية، انظر السبت ٦ محرم ١٣٩٥ هـ، ١٨ يناير ١٩٧٥ وكذلك السبت ١٢ ذو القعده ١٤٠٦ هـ، الموافق يوليو ١٩٨٦ عدد ٥٩١١.

٧ ـ الطليعة، صحيفة صومالية اسبوعية مستقلة جامعة، الجمعة ٤ ذى القعده ١٤٠٦ هـ الموافق ١١ يوليو ١٩٨٦م.

٨ ـ العلم، جريدة ناطقة بالعربية تصدره وزارة الاعلام الاثيوبية، السنة ٤٥، العدد ١٩ الجمعة ٥ ذى القعدة ١٤٠٦ هـ ١١ يوليو ١٩٨٦م وكذلك العلم السنة ٤٥ عدد ١٨، ٢٨ شوال ١٤٠٦ ـ ٤ يوليو ١٩٨٦م.[١]

٩ ـ جريدة السياسة السودانية، انظر حسن عبد الرحيم الطيب، سيرة الامبراطور الشهيد ليج إياسو بين التشويه والتعتيم والاهمال، السبت ١٦ محرم ١٤٠٧ هـ، ٢٠ سبتمبر ١٩٨٦م.

المجـــلات:

١ ـ مجلة العهد الجديد الصومالية، عدد رقم ٢، ابريل ـ يونيو ١٩٧٧م، عدد خاص حول استقلال جيبوتى.

(١)

٢ ـ مجلة هرر العـدد الاول، ابـريل ١٩٨٥ ، مجلة شهـرية جامعـة تصدرها جبهة تحرير الصومال الغربى .

٣ ـ مجلة الرسالة، لصاحبها احمد حسن الزيات، مجلة اسبوعية للاداب والفنون صدرت فى القاهرة ابتداء من يناير ١٩٣٣ وانتقل الاشراف عليها الى وزارة الثقافة المصرية ابتداء من عام ١٩٥١ .

المصادر غير العربية

1. Ali Abdir Haman hersi, The Arab Factor in Somali History: The Origin and the Development of Arab Enterprise and cultural Influences in the Somali Peninsula. Ph.D. dissertation, History Department, university of California, los Angeles, 1977.

2. Alula Hidaru and Dessaleyn Rahmato, A Short Guide to the Study of E thiopia. A General Biblography. African Bibliographic Center, New Series, No. 2, 10, Greenwood Press 1976.

4. A handbook of Ethiopia, Islamic Law in Africa. Frank Cass & Co. Ltd., 1970.

5. Barrett, David B., World Christian Encyclopaedia. Nairobi: O.U.P., 1982.

6. Bennet, Norman R., A History of the Arab State of Zanzibar. Studies in African History 16, Methuen & Co. Ltd., 1978.

7. Bennet, Norman Reed, 'Leadership in Eastern Africa'. Boston U.P., 1968.

8. Bogenko, Sonobia N., Kenya 1945–1953. A Study in African National Movements, Literature bureau, Nairobi, 1985.

9. Burton, Sir Richard F., First Footsteps in East Africa, or an Exploration of Harar, edited by his wife Isablel Burton. Tylston an Edwards, Lodndon.

10. Bucker, Reymond B., Sr. and Ted Ward, The World Directory of Mission-Related Educational Institutions. London 1897.

11.Castagno, Margaret, Historical Dictionary of Somalia. The Scarecrow Press Indc., Metuchen, N.I., 1975.

12. Rev. Fr. Evangeliste de Larajasse & Ven. Fr. Gyprien de Samport, Practical Grammar of the Somali Language with a manual of Sentences, London, 1897.

13. Colonial Office, National Unity and Regionalism in Eight African States. Cornell U.P., Ithaca, New York.

14. Colonil Office, Report on the Somalialand P rotectorate for the year 1948. London: HMSO, 1952.

15. Colonial Office, Report on the Somaliland Protectorate 1958–59. London: HMSO, 1960.

16. Drysale, John, The S omalia Dispute. Pall Mall 18. Gibbon, Lewis Fitz, The Betrayal of the Somalis. Rex Collings, London, 1982.

19. Haji N.A. Noor Mohammad, The Legal System of somali Democratic Republic. The Michie Company, Charlottesville, Virginia, 197.

20. HaYWARD, R.J. and E. Prekes, An Afar-English-French Dictionary. SOAS, 1980.

21. Hess, Robert L., Italian Colonialism in Somalia U.P., Chicago, 1960.

22. Horn of Africa, Volume IV, No. 4, 779/ & Spring Field Avenue, P.O. 803, Summit, jnew jersey.

23. Hussein, M. Adam, Charles L. Beshekter, The Revolutionary Development of the Somali Language. Occasional Paper, African Studies Centre, U. of California, 1980.
24. Hassan Sheik Mumin, Leopard Among the Women, translated, with an introduction by B.W. Andrzewski. London: O.U.P., 1974.
25. Iqbal Singh, Mohamed Hassan Said, Commentary on the Criminal Procedure Code. Wakaladda Macbbacadda Qaranka, Tamar, 1973.
26. Kane, J. Herbert, A Global View of the Christian Mission from Pentercosyy to the present. baker Book House, Grand Rapids, Michigan, April. 1975.
27. Jardine, B. Douglas, The Mad Mullah of Somaliland. Negro U.P., New York.
28. Kenya Colony and Protectorate Native Affairs Department Annual Report 1930, His Majesty's Stationery Office, London, 1931.
29. kenya, Annual Report 1933 His majest'y Stationery Ofisce, London, 1945.
30. Kenya, Annual Report 1934, His Majesty's Stationery Office, London, 1935.
31. Kenya Institute of Education, Islamic Religiogus Education: Teachers Notes for Primary Schools, january 1981.
32. Kenya Institute of Education, O Level Notes., Papers Section A, islamic Relic ous Education.
33. Kitaabka Qoduwuska. A.H. Sim Canad Bomali Bible 60, 19792m.
34. Lewis, I.M., A Modern history of Somalia, Nation and State in the Horn of Africa, Longman, 1980.
35. Lewis, I.M., Nationalism and self Determination in the Horn of Africa. Longman, 1980.
36. Lewis, I.M., A P astoral democracy of Pastoral and Politics Among the Northern Somali of the Horn of Africa. O.U.P., 1967.
37. Macadam, Sir Ivison, The Annual Register of the World Events 1955. Longmans, Green and Co. 1956.
38. Macadam, Sir Ivison, The Annual Register of the World Events 1955. Longmans, Green and Co., 1956.
38. Macadam, Sir Ivcison, The Annual Register of World Events, 1957. Longmans, 1968.
39. Macadam, Sir Ivison, The Annual Register of World Events, A Review of the Year 1959. Longmans, 1960.
40. Macadam, Sir ivison, The Annual Register of World Events, Vol. 3, 1961. Longmans, 1962.

41. Macyoye. Marjorie Oludhe, The Story of Kenya in the Making. O.U.P., 1980.
42. Markakis, Johm, Ethiopia A natomy of Traditional Polity. Studies in African Affairs, 1975.
43. McNab, Cristine, From Traditional Parctice to Current Policy, The Changing Pattern of Language use in Ethiopian Education. Eighth int. Conference of Ethiopian Studies, Addis Ababa, 26–30 November, 1977.
44. Muray Last, The Sokoto Caliphate, Ibadan history Series, 1977.
45. Pankhurst, Richard, The Beginning of Oromo in Europe. Africa, No. 2, Cuigno Rivista Temestrale di Studi e Documentazine dell Istitute Italo-Africano.
46. Pankhurst, Richard, Decolonization of Ethiopia 1946–1955 in Horn of Africa, October–December, 1978, Vol. No. 4.
47. Pankhurst, E. Sylvia, Ex–Italian Somaliland. Watts & Co. London, 1951.
48. Public Records Office, The Annual Register 1955, A Review of Public Events at Home and Abroad for the Year 1955. Longmans Green and Company, 1956.
49. 'ublic Records Office Documents under PRO FO371, 80934, 80954, 80976, 81009, 81086, 90337, 90340, 73778, 73795, 73816, 73848, 73853, 113451, 113455, 113453, 113469, 113576, 113457, 113455, 108592, 108207, 208285, 108187, 108175, 108173, 108171, 108161, 108095, 108096, 96705, 96704, 22035.
50. Rake, Alan, New African Year book, 1978. I.C. Magazines U.R.
51. Republic of Kenya, Kenya Education Commission Report, Part II, Nairobi, II, Nairobi, 1965.
52. Sıaid, S. Samatar, O ral Poetry and Somali Nationalism,. The Case of Sayyed Muhammad Abdille Hasan, Cambridge University Press, 1982, pp. 12–17.
53. Segal, Ronald, African Profiles, Penguin African Library, 1963.
54. Spencer, John H., Ethiopia at bay, A Personal Account of the Haile Sellassie Years, Reference Publication Inc., 218 St. Clair River Drive, Algonac, Michigan 48001.
55. Somali Democratic Republic, Annual Development Plan 1984. Mogadishu, january 1984.
56. Somalia and the World, Proceedings of the Int. Somposiu held in Mogadishu, October 15–21, 1979. Vol. I and II, Halgan Publication, 1980.
57. Somali Republic, Ministry of Information, N.F.D., Frontier Problem, Planted by Britain Between Kenya and Somali Republic, Arab Record, 26 Sherif Pacha St., Cairo.

58. Somali Democratic Republic, Ministry of Information, White Paper on N.F.D. Mogadishu, December, 1969.
59. Somali Democratic Republic, Regional Seminar for Africa on African Women's Equality, Mogadishu, April 3rd to 5th, 1975.
60. Somali Democratic Republic, Analytical Volume Census of Population 1975, Mogadishu, January 1984.
61. Somaliya Repubblica, Somala Department Culturale, Sayid mahomed Abdulle Hassan, Antologia Storico, Mogadisco, No. 3, 197. This Ref. contains articles by Leio Sibe aman, The Mad Mullah, S. Touval, The Mullah.
62. The Earl of Cromer, Modern Egypt. Macmillan and Co. Limited, St. Martins Street, London.
63. The Politics of Cultural Sub Nationalism in Africa, edited by Victor A. Olonunsola, Anchor books, New York, 1972.
64. Tholomiev, Robert, Djibouti Pawn of the Horn of Africa, an abridged translation and postscript by Virginia Thompson and Richard Adloff. The Scarecrow Press Inc., 1981.
65. Thompson, Virginia and Richard Adloff, Djibouti and the Horn of Africa, Stanford U.P., 1968.
66. Toymbee, Arnold, J,. Between Niger and nile. O.U.P., London, 1965.
67. Trimingham, J. Spencer, The Influence of Islam Upon Africa 2nd edition, Longman Group Limitd, 1980.
68. Trimingham, J. Spencer, Islam in Ethiopia, Frank Cass and Company Limited, 3rd imp., 1976.
69. Trimingham, J. Spencer, The Sufi Order in islam. O.U.P., London, 1971.
70. Weeks, Richard V., Muslim Peoples, A World Ethnographic Survey. Greenwood Press, London, 1978.
71. Wagner, C. Peter and Edward R. Dayton, Unreached Peoples 80 David C. Cook Publishing Co., U.S.A., 1980.

Journals:
1. Africa, Rivista Trimestrate di studi e documetazione dell Istituto – Africano, Roma 1975 – 1986.
2. Horn of Africa, An Independent Journal, published by Horn of Africa Journal, 779 spring field Ave (P.O. Box 803), Summit New Jerseyo 7901. 1978–1986.
Other Secondary sources :
1. International Herald Tribune, March 17, 1987.
2. The Ethiopian Herald, Tuesday, 30th September, 1986, Thursday, 20th Octrober, 1986. Wednesday, 10 October, 1986.

3. The Times, London, Wendesday, April 22, 1987, Sunday, July 16, 1987, Thursday, July 2, 1987.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهـرس

الفصل الأول :

الفصل الثانى :

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

الفصل السادس :

الفصل السابع :

خريطة تقريبية تبين حدود الصومال الكبير.



مقياس الرسم : صفر ، ١٦٠ ، ٣٢٠ كيلومتر